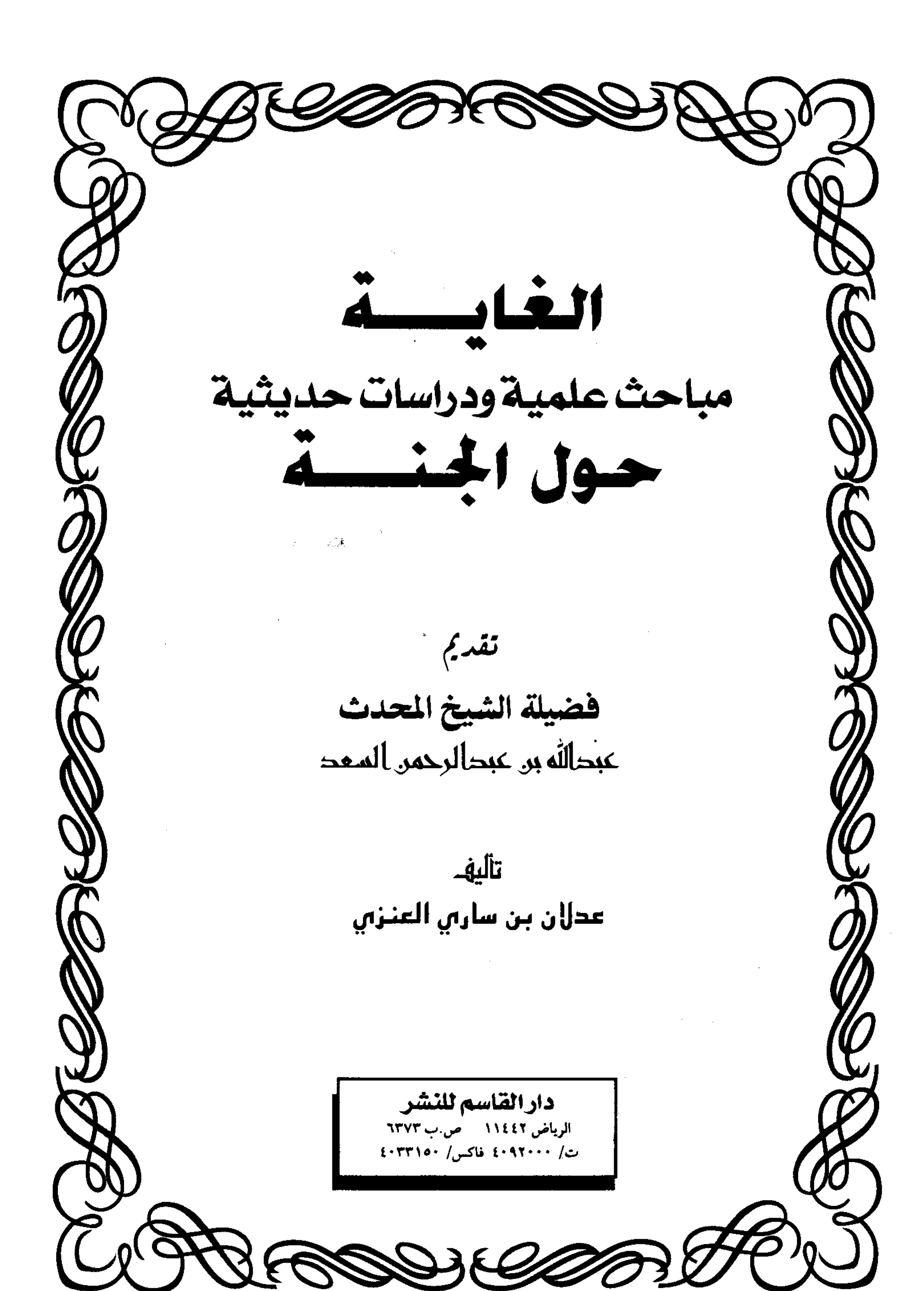


الغاية

مباحث علمية ودراسات حديثية حول الجنة

تقديم

فضيلة الشيخ المحدث

عبدالله بن عبدالرحمن السعد

تأليف

عدلان بن ساري العنزي

دار القاسم للنشر

الرياض ١١٤٤٢ ص.ب ٦٣٧٣

ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العنزي ، عدلان ساري
الغاية مباحث علمية ودراسات حديثية حول الجنة . / عدلان ساري العنزي .- الرياض ، ١٤٢٦ هـ
٦٠٠ ص ؛ ..سم
ردمك : ٩-٩٩٣-٣٣-٩٩٦٠

1- الجنة والنار أ. العناون
ديوي ٢٤٣

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٩٥٨
ردمك : ٩-٩٩٣-٣٣-٩٩٦٠

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٩٥٨
ردمك: ٩-٩٩٣-٣٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى : ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم للنشر :
جدة - هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١
الدمام - هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١
بريدة - هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
www . dar - alqassem.com
sales @ dar - alqassem . com

تقديم
لفضيلة الشيخ
عبد الله بن عبد الرحمن السعد

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... **أما بعد:**

فإن الجنة هي مطلب المؤمنين وأمل الصادقين ورجاء المتقين، وقد أخرج أحمد ٣/٤٧٤ وأبو داود ٧٩٢ كلاهما من حديث الأعمش[1] عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لرجل: **«كيف تقول في الصلاة؟»** قال: أَتَشَهَّدُ وأقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار. أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: **«حولها ندندن»** أي: دعاؤنا حول ذلك، وقد بَوَّب ابن حبان على هذا الحديث فقال: ذكر ما يجب أن يكون قصد المرء في جوامع دعائه وبيان أحواله له.

وقد أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سألنا الله - تعالى - أن نسأله الفردوس الذي هو أعلى الجنة... فقد أخرج البخاري في صحيحه ٢٧٩٠ و ٧٤٢٣ من

(١) وقد أُختلف على الأعمش في هذا الحديث، فبعضهم رواه كما تقدم وهي رواية زائدة بن قدامة وغيره، وبعضهم رواه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة. أخرج ابن ماجة ٩١٠ و ٣٨٤٧ وابن خزيمة ٧٢٥ وابن حبان ٨٦٨ والبزار كلهم من حديث يوسف بن موسى عن جرير ابن عبد الحميد عن الأعمش به، وقد أُختلف على جرير. وينظر مسند البزار ٣/ ٢١٩/ ب مخطوط، وَعِلَل الدارقطني ١٠/ ١٥٢ وقد رجح طريق زائدة ومن معه، وجاء هذا الحديث أيضاً عن جابر أخرجه أبو داود ٧٩٣ .

حديث هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«... فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»** ولعل من الحكمة في إرشاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنا أن نسأل الله ـ تعالى ـ الفردوس الذي هو أعلى الجنة هو أن نعمل حتى يتحقق لنا ذلك بفضل الله ـ تعالى ـ وكرمه، ولذا أمرنا ربنا ـ عز وجل ـ أن نسارع إلى الجنة فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الحديد: ٢١] ومن الترغيب في سؤال الله الجنة ما رواه الترمذي ٢٥٧٢ والنسائي في الكبرى ٢٧٩/٨ وابن ماجة ٤٣٤٠ وصححه ابن حبان ٢٤٣٣ (كما في الزوائد) والحاكم ٥٣٤/١ كلهم من حديث أبي إسحاق عن بريد ابن أبي مريم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»**[1].

هذا وقد قام الابن الشيخ عدلان بن ساري العنزي ببحث هذا الموضوع (موضوع الجنة) وما يتعلق به وقد تحدث عن أمور كثيرة تتعلق بالجنة، فجزاه الله خيراً ونفع

---

(١) وأما ما جاء في حديث الحارث بن مسلم أو مسلم بن الحارث على خلاف في ذلك أن رسول الله ﷺ أسرَّ إليه فقال: **«إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل: اللهم أجرني من النار سبع مرات فإنك إذا قلت ذلك ثم مت في ليلتك كتب لك جوار منها، وإذا صليت الصبح فقل كذلك، فإنك إن مت في يومك كتب لك جوار منها»** أخرجه أبو داود ٥٠٧٩ و ٥٠٨٠ والنسائي في عمل اليوم والليلة ١١١ ـ المفردة ـ وأحمد ٤/ ٢٣٤ وابن حبان ٢٣٤٦ وابن السني ١٣٨ والطبراني في الكبير ١٩/ ٤٣٣ و٤٣٤، وينظر التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٢٥٣ فقد ذكر أوجه الاختلاف في هذا الحديث، والمزي أيضاً، فهذا الحديث لا يصح؛ لأن في إسناده اضطراباً وجهالة، والحارث بن مسلم أو مسلم بن الحارث لم تثبت صحبته بأمر واضح.

به، وأوصي إخواني بالاطلاع على هذا الكتاب والاستفادة منه، ولعله يكون محركاً لهم بالمسابقة إلى الخيرات واغتنام الصالحات وسبباً بإذنه ـ تعالى ـ في دخول الجنّات ومن الأشياء المهمة التي تكلّم عنها: أسباب دخول الجنة ومن أهمها الإكثار من ذكر الله ـ تعالى ـ، فأقول وبالله التوفيق:

الذكر من أجل الطاعات وأفضل القربات وأعظم العبادات، وقد أمر الله تعالى بذكره فقال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل:٨] وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الاعراف:٢٠٥].

بل أمر بالإكثار من ذلك فقال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [آل عمران:٤١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢)﴾ [الأحزاب:٤١].

وحتى يكون المسلم مكثراً من ذكر الله ـ تعالى ـ عليه أن يديم ذلك. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣]، ولهذا وصف الله ـ تعالى ـ أولي الألباب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩١].

وبين الله ـ تعالى ـ أن الذكر أكبر الأعمال. قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥] قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الاية: لا شيء أكبر من ذكر الله. قال أكبر الأشياء كلها. أخرجه ابن جرير ٢٠/١٥٨ ويؤيد قول قتادة ما رواه أبو الدرداء[٣] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

(٣) حديث أبو الدرداء أخرجه الترمذي ٣٣٧٧ وابن ماجة ٣٧٩٠ وأحمد ٥/ ١٩٥ والطبراني في الدعاء ١٨٧٢ والحاكم ١/ ٤٩٦ والبيهقي في الدعوات ٢٠ وفي الشعب ٥١٦ وابن عبد البر في التمهيد ٦/ ٥٨ وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١١ والبغوي في شرح السنة ١٢٤٤ والأصبهاني في الترغيب ١٣٢٤ وغيرهم من طرق عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند حدثني زياد بن أبي زياد عن=

«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من

= أبي بحرية عن أبي الدرداء فذكره، وهذا إسناد رجاله ثقات، ولكن اختلف في هذا الحديث على زياد، فرواه مالك في الموطأ ١/ ٢١١ وموسى بن عقبة عند أحمد ٥/ ١٩٥ و ٦/ ٤٤٧ وعبد العزيز ابن أبي سلمة عند أحمد ٥/ ١٣٩ عن زياد عن أبي الدرداء بإسقاط أبي بحرية، وخالفوا في ذلك رواية عبد الله بن سعيد بن أبي هند وهو الصواب لأمرين:
الأول: لأنهم أكثر.
الثاني: لأن فيهم من هو أحفظ من عبد الله بن سعيد فيكون هذا الإسناد منقطعاً لان زياداً لم يدرك أبا الدرداء فضلاً أن يكون سمع منه.
ووقع في رواية عبد العزيز بن أبي سلمة: عن معاذ بن جبل، والصواب عن أبي الدرداء كما في رواية الجماعة، وقد اختلف في هذا الحديث اختلاف آخر على زياد فقد رواه مالك عنه موقوفاً وأما الباقون فقد رفعوه وهو الأرجح في هذا الإسناد لأمرين:
الأول: لأنهم أكثر.
الثاني: أن الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ من عادته أحياناً إرسال الأخبار الموصولة وإسقاط بعض الرواة من الإسناد فلعله هنا تعمد وقف هذا الخبر، والله ـ تعالى ـ أعلم.
ولهذا الخبر طريق آخر أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٠٨ وابن جرير في التفسير ٢٠/ ١٥٧ وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢١٩ وابن حجر في نتائج الأفكار ١/ ٩٦ من طريق جعفر الفريابي ـ ولعله في كتابه الأذكار ـ كلهم من طريق أبي أسامة عن عبد الحميد بن جعفر حدثني صالح بن أبي غريب عن كثير بن مرة الحضرمي قال: سمعت أبا الدرداء فذكره موقوفاً وهذا إسناد لا بأس به، ورجاله كلهم ثقات سوى صالح هو ليس بالمشهور ومقل من الرواية، ذكره ابن حبان في الثقات ومثله ابن خلفون في ثقاته ونقل عن أبي جعفر السبتي قوله عنه شامي شيخ. ا. هـ.
وصحح له ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كما في إكمال تهذيب الكمال، وروى عنه بعض الكبار كالليث بن سعد وحيوة بن شريح وابن لهيعة بالإضافة إلى عبد الحميد بن جعفر، فمثله صالح لا بأس به، ولذا قال ابن حجر عن هذا الإسناد: رجاله ثقات كما في نتائج الأفكار ١/ ٩٧.
ـ طريق آخر: قال الحسين بن الحسن المروزي في زيادته على زهد بن المبارك ١١٢٩ أخبرنا سفيان عن ليث قال: قال أبو الدرداء فذكره موقوفاً. وهذا إسناد لا يصح، لأن ليثاً وهو ابن أبي سليم لا يُحتج به وهو منقطع. والذي يظهر لي أن هذا الخبر ثابت عن أبي الدرداء لمجموعة طرقه الثلاثة ولكنه موقوف، وإن كان الراجح في رواية زياد بن أبي زياد الرفع كما تقدم، لكن الإسناد الثاني وهو أقوى أسانيد هذا الخبر موقوف مع الإسناد الثالث، ولكن مثله لا يقال من قبل الرأي لأنه يحتاج إلى توقيف من الشارع فيكون له حكم الرفع وسياق المتن يؤيد ذلك في قوله: «ألا=

إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . قالوا : بلى . قال: ذكر الله» .

وقد أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن أهل الذكر هم السابقون يوم القيامة. أخرج مسلم ٢٦٧٦ وغيره من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمران فقال: **«سيروا هذا جمران سبق المفردون»**. قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: **«الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»**.

وعندما طلب رجل من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يدله على شيء يتمسك به أوصاه بالمداومة على الذكر. أخرج الترمذي ٣٣٧٥ وابن ماجة ٣٧٩٣ وأحمد ١٩٠/٤ وغيرهم من طريق عمرو بن قيس عن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: **«لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»**. وفي رواية عند ابن المبارك في الزهد ٩٣٥ ومسند علي بن الجعد ٣٥٥٦ وللبغوي والطبراني في مسند الشاميين ٢٥٤٦ وغيرهم : أي العمل خير؟ قال: **«أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله»** وهذا الحديث صحيح ، وقد صرّح عمرو بن قيس بالسماع من عبد الله بن بسر ورواه عن عمرو جمع ، وصححه ابن حبان ٨١٤ والحاكم ٤٩٥/١ وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه ، وحسنه البغوي في شرح السنة ، والنصوص في هذا الباب كثيرة ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبـــه

الشيخ / عبد الله بن عبدالرحمن السعد

=أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم» .

وقد صحح هذا الحديث الحاكم ، وقال ابن عبد البر في التمهيد ٦/ ٥٧ وهذا يروىٰ مسنداً من طرق جيدة عن أبي الدرداء عن النبي . ا.هـ. وحسنه البغوي في شرح السنة والمنذري في الترغيب والترهيب.



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١][١].

أما بعد:

لو أمعنا النظر في أحوال الشعوب لعلمنا أنها لا تستقر ولا تطمئن إلا عن طريق إشباع الجانب الروحي المتمثل في الدين الذي تدين به، فمنهم من وفقه الله إلى الدين الذي ارتضاه، ومنهم من عَدَل وجانب الجادة فتنصر وعبد المسيح، ومنهم من تهوَّد، ومنهم من اتخذ أصناماً وغيرها يعبدونها من دون

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه.

انظر: «خطبة الحاجة» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، وهي في سنن ابن ماجة والإمام أحمد، وقد ورد ذكر طرف من هذه الخطبة في «صحيح مسلم».

الله، ومنهم من فقد عقله وألحد[1]، وهذا الكفر نتاج الاستكبار عن الحق وعدم إعمال العقل في ملكوت الله والآيات الدالة علىٰ وحدانيته، وقد جعل الله ـ سبحانه ـ لكل طريق نهاية، فمن اختار الطريق الذي أراده الله كانت نهايته رضي الله والجنة، ومن اختار غير ذلك كانت نهاية طريقه سخط الله والنار، وهذه القاعدة ـ قاعد الجزاء والعقاب ـ منهج قرآني فلم تُذكر آية عن الجنة إلا وقد قُرنت بها آية عن النار لتكون هذه القاعدة ماثلة أمام العين، فلما علم الموفقون المهتدون هذه الحقيقة جدوا في طلب الجنة وبذلوا لها الغالي والزهيد فلم يصرفهم عنها صارف، ولم يثنهم عن طلبها شيء، قال تعالىٰ: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ [النور: ٣٧] وهو الدافع الذي دفع سحرة فرعون إلىٰ تحديه وتحمل القتل الشنيع حينما قالوا: ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ [طه: ٧٢].

ولو تأملنا أحوال الأُمم من بدء الخليقة حتىٰ يومنا هذا لوجدناهم كلهم ـ إلا من شَذ عن الفطرة ـ يهتمون بمصيرهم بعد الموت، ويؤمنون بوجود الجنة وحياة أفضل مما هم فيه، لكنهم مختلفون في تصوراتهم لهذه الجنة، وفي الطريق الموصل إليها. والله ـ عز وجل ـ لم يترك الناس في حيرة وتخبط بل أرسل إليهم الرسل، وانزل عليهم الكتب التي بينت طريقها وأجلتْ صفاتها لتكون حادياً يحدو النفوس لتجد بالمسير، وما ورد عن الجنة من صفات إنما هو وصفٌ رمزيٌ لحقيقة مختلفة تماماً عما هي عليه؛ لأن الجنة خارجة عن حدود التصور البشري، وفوق نطاق المحسوسات الدنيوية، وقد ألمح النبي ﷺ إلىٰ هذه الحقيقة، وأشار إليها بقوله: «**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر**» وقال: «**لو ما يقل ظفر من الجنة بدا لتزخرف له ما بين الخافقين**»

---

(١) أعني الماركسيين الشيوعيين.

«موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» وبين أن النصيف الذي تلبسه الحورية علىٰ رأسها خير من الدنيا ومثلها معها. وقال ابن عباس: **«ليس في الجنة مما هو في الدنيا إلا الأسماء»**، فالجنة فيها ما لا تصفه عين، ولا يعبر عنه قلم وهذه الأوصاف إنما هي إشارات تقريبية لما خُتمت عليه من النعيم والكرامات فالقواسم المشتركة والاتفاق بين الجنة والدنيا إنما هو في: المعنىٰ العام الكلي المطلق للفظ.

وتأتي أهمية هذا البحث في الوقت الذي تنافس فيه الناس علىٰ الدنيا وزهدوا في الآخرة واستبدلوا بجنة باقية دنيا فانية، ونسوا قوله تعالىٰ: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلىٰ:١٧]، وفي الوقت الذي أعمل فيه كثير من الناس عقله بالمنطق وجانب الدليل الشرعي وأخذ يقنن القوانين في الجنة ويجزم بأشياء بلا دليل، وكأنه اطلع علىٰ الجنة ورآها رأي العين، فزعموا أن نعيم الجنة روحي لا جسدي، وأنكروا نعيم الجسد جملةً وتفصيلاً والأقوال في أشباهه كثيرة، وفي الوقت الذي جلب الشيطان بخيله ورجله بكثير من الشبهات علىٰ كثير من الناس[1] وفي الوقت الذي شدَّ فيه أعداء الدين - من اليهود والنصارىٰ وغيرهم - المأْزر في التشكيك بصفات الجنة، وفي الوقت الذي شهد ولادة كثير من الكتب المؤلفة حول الجنة التي تهدف إلىٰ الكسب المادي، فكان هذا التأليف التجاري مبتوراً لا يناقش قضايا، ولا يحقق مسائل ولا يرد علىٰ شبهات ولا يجمع بين الأدلة إنما هو جمعٌ لحشد من الأدلة الصحيحة والضعيفة والموضوعة، فكانت بحق كحاطب ليل فكان لزاماً أن أنهج منهجاً جديداً في طرح الموضوع يجمع شتاته ويلم شعثه ويحقق كثيراً من مسائله ويفند الشبه المطروحة في الساحة ويبين صفة الجنة من خلال الأدلة وطرحها بأسلوب سلس ميسر وبحلة جديدة، تخالط مشاش القلوب ومؤثرة

(١) وخاصة في القضايا المتعلقة بالنساء.



في النفوس وهنا تكمن أهمية البحث وضرورته.

وقد سبقني جمع من العلماء الأجلاء في التأليف حول هذه القضايا، لعلَّ أهمها ما ألفه ابن القيم في كتابه الشهير (حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح) وقد خرج فيه عن عادة المؤلفين قبله، حيث انتهج فيه نهجاً جديداً في وصف الجنة، اعتمد فيه علىٰ إيراد الآيات والأحاديث الواردة في الباب ثم يشرع في الشرح والتقسيم والتعليق، ويذكر فيه بعضاً من أقوال العلماء ويرجح بينها أحياناً ويدلي برأيه في كثير من المسائل، ولكن عند التمعن في كتابه نجد أنه اعتمد في كثير من المواضيع علىٰ كتاب (صفة الجنة) لابن أبي الدنيا ومن الكتب أيضا (صفة الجنة) لابن أبي الدنيا، وهو عبارة عن حشد لأحاديث وأقوال للعلماء في الجنة دون شرحها والتعلق عليها، وهذه الأحاديث يغلب عليها الضعيف والمنكر والضعيف جداً والواهي، ومن الكتب أيضاً (صفة الجنة) لأبي نعيم الأصبهاني، وهو كسابقه من حيث جمع الأحاديث فقط دون أن يشرح شيئاً منها، ومن الكتب أيضاً (صفة الجنة) لابن كثير وهو كسابقيه في الجمع غير أنه يعلق بإشارات خفيفة علىٰ بعض الأحاديث يبين ما غمض منها، ويجمع بين الأدلة لكنه قليل جداً في كتابه، ومن الكتب أيضاً (التذكرة) للقرطبي حيث جعله من قسمين الأول عن النار والثاني تحدث فيه عن الجنة لكنه أيضاً جمع للأحاديث الواردة في الباب مع التعليق عليها ولكنه قليل، ومن الكتب أيضاً (دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار) لعبد الرحيم بن أحمد القاضي لكنه يعج بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد توالت بعد ذلك الكثير من الكتب، لكنها تلخيص لكتب سابقة لم يأتِ مؤلفوها بشيء جديد مثل كتاب (روح وريحان) وكتاب (دخول الجنة بغير حساب) فهما تلخيصان لكتاب (حادي الأرواح) لابن القيم إلىٰ غير ذلك من الكتب التي ليس فيها كثير فائدة لأنها اعتمدت علىٰ الربحية والكسب المادي، وغيرها من الكتب

التي أُلفت بأسلوب صعب ومعقد لا يفهمها العامة ولا كثير من الخاصة، وبالتالي فقدت الثمرة وهي التأثير الدافع للعمل.

لهذه الأسباب وغيرها دعتني الحاجة إلىٰ تأليف كتاب يبحث في قضايا الجنة وما يوصل إليها، يعالج الشبهات الناتجة عن اللبس، فزاوجت فيه بين التحقيق والتشويق، وبين الإطناب والإيجاز، وبين البحث والنقل، فبدا بحلة قشيبة وأسلوب سهل وميسر، يفهمه كل قارئ وبذلت جهدي قدر الإمكان في النأي عن الألفاظ الغامضة والأسلوب المعقد الممل، وعمدت التركيز علىٰ عنصر التشويق، وقد استدركت به كثيراً مما فات المؤلفين قبلي، فنهجت فيه ذكر الآيات والأحاديث الواردة في الباب، وأقدم أحياناً بمقدمة تمهد للمبحث ثم أطرق الموضوع شرحاً وتقسيماً بأسلوب واضح قريب للذهن مزجت فيه بين الأسلوبين العلمي والأدبي، وجعلت للقضايا عناوين تنبأ عما تحتها ثم ثنَّيت بمسائل قد تشكل علىٰ الناس، وقد ألزمت نفسي قبل كتابة أي معلومة بقراءة كل ما كُتب عنها وما ورد فيها من الأدلة، وما نقل عن العلماء في حدود علمي، وما توفر لي من المصادر والمراجع، ولم أُغْفِل الرجوع إلىٰ العلماء في طرح ما أشكل عليَّ من المسائل وربما أخذت مني بعض المسائل أياماً من التفكير فيفتحها الله عليَّ بفضله وكرمه، وقد وفقني الله في الجمع بين الكثير من الأدلة التي ظاهرها التعارض ووفقني في الترجيح في كثير من المسائل، وقد أطلت الحديث عن الحور العين حتىٰ بلغ نصيبها من البحث خمس الكتاب تقريباً وذلك لسببين:

الأول: لتسلط الشيطان علىٰ النساء بكثير من الشبه المتعلقة بالحور العين.

والثاني: لشيوع فتنة النساء وانتشارها وافتتان الرجال حتىٰ أصبحت هذه الفتنة مفتاحاً لكل شر ومغلاقاً لكل خير فقد أخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء**»، فأردت أن أبشر بالأفضل لمن عَفَّ.

وقد قصدت من الكتاب اتمام المجموعة بشكل جديد، ودعوة الناس لما هو خير وأبقىٰ، وحثهم علىٰ العمل؛ لأن العمل هو طريق الجنة فالله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ١٢] وقد جعلت هذا الكتاب من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة كالآتي:

❖ **الفصل الأول:** تناولت فيه الحديث عن حقائق حول الجنة، ويتكون من سبعة مباحث.

❖ **الفصل الثاني:** تناولت فيه الحديث عن صفات أهل الجنة، ويتكون من أربعة مباحث.

❖ **الفصل الثالث:** تناولت فيه الحديث عن أوصاف الجنة، ويتكون من سبعة عشر مبحثاً.

❖ **الفصل الرابع:** تناولت فيه الحديث عن النعيم الروحي والجسدي في الجنة، ويتكون من ثلاثة مباحث وثلاثة عشر مطلباً.

❖ **الفصل الخامس:** جعلته منثورات وقضايا حول الجنة، ويتكون من تسعة مباحث.

وفي الخاتمة سوف أعرض أبرز ما توصلت إليه من نتائج.

وفــي الأخيــر:

أحمد الله كثيراً علىٰ توفيقه وإعانته في إتمام هذا الكتاب وخروجه بهذه الصورة، ولا أدعي أنني استكملت جميع جوانب هذا البحث ولمَّ شتاته، فإن الكمال له وحده ـ سبحانه ـ والنقص من طبيعة البشر، ولكني بذلت جهدي فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من هَنَّات وسقطات فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان، واستغفر الله منه وهو حسبي ونعم الوكيل، كما أسال الله أن يرزقني صلاح العمل وسمو الغاية، وأن يجعل هذا الكتاب مهراً للجنة إنه جواد كريم، كما لا يفوتني أن أشكر شيخي وأستاذي

الشيخ/ عبد الله السعد، على تفضله في التقديم للكتاب وتوجيهاته المستمرة لي خلال علاقتي معه التي استمرت قرابة العشرين سنة منذ أن كان أستاذاً لي في المرحلة المتوسطة، وأنوه إلى رأيه في مسألة مبحوثة في هذا الكتاب هي مسألة (فناء النار) حيث يرى أن النار باقية لا يفنى عذابها، وأن الكافرين يُعذبون بها أبد الآبدين لا يخرجون منها أبداً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *



الفصل الأول

حقائق حول الجنة

المبحث الأول: تعريف الجنة.

المبحث الثاني: أسماء الجنة.

المبحث الثالث: الجنة مخلوقة وموجودة الآن.

المبحث الرابع: مكان الجنة.

المبحث الخامس: مفتاح الجنة.

المبحث السادس: الجنة تدرك برحمة الله لا بالأعمال.

المبحث السابع: عظيم نعيم الجنة وأنه فوق ما يدور في البال.



المبحث الأول:
تعريف الجنة

الجنة في اللغة:

الجنة بالفتح: هي البستان من الشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه، والجمع: جناتٌ وجنان، واشتقاق اللفظ في اللغة بمعنى: الاستتار والاختفاء عن الأعين، ولذا أُطلق هذا اللفظ على (الجنين) وهو في بطن أمه لاستتاره عن الأعين وإذا وُلِد لا يُسمى جنيناً ولذا قال تعالى: ﴿أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] وأطلقَ هذا اللفظ على (المجنون) لأنه مستور العقل، وأطلق على المجن[١] لأنه يستر صاحبه من ضربات السيوف وغيرها، ومنها (الجن) لاستتارها عن العيون، وغيرها من الألفاظ الدالة على المعنى مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ﴾ [الأنعام: ٧٦] أي ستره الليل، وقد سُميت الجنة بهذا الاسم لكثرة أشجارها فهي تستر ما بداخلها من كثرة أشجارها.

الجنة في الاصطلاح:

هي دار الله الطيبة الطاهرة كرامته لأوليائه من الإنس والجن[٢] الخاصة بالموحدين المؤمنين والمحرمة على المشركين والكافرين الواقعة فوق سبع سماواته والعرش سقفها، وهي منازل ودرجات بعضها فوق بعض، لها ثمانية أبواب، يدخل منها المؤمنون يوم القيامة بعد أن يحاسبوا، وفيها من النعيم ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعظم النعيم

---

(١) أي الترس.

(٢) على الأصح من قولي أهل العلم.

فيها رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ ومحادثته ، لا ينقطع نعيمها ولا تنقضي عجائبها ، من يدخلها لا يخرج منها فينعم ولا يبأس ويحيى فلا يموت أبداً ، دخولها برحمة الله والارتقاء فيها بالأعمال لها أسماء عدة أشهرها الجنة .

* * *

المبحث الثاني:
أسماء الجنـة

للجنة أسماء كثيرة، وإذا عُرِّف الشيء بكثرة الأسماء دَلَّ على عظمته وارتفاع شأنه، لأنه يحتوي على صفات كثيرة تُشتق منها هذه الأسماء.

وقد ذكر ابن القيم أحَدَ عشر اسماً للجنة أفاض في شرحها والاستدلال عليها وسوف أذكرها باختصار تجنباً للإطالة.

الجنّـة:

وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة العين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون والمجنون لاستتار عقله، وسُمِّيت الجنة بهذا الاسم لأن ما بداخلها مستور بكثرة الأشجار، وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن خمس وتسعين مرة.

دار السلام:

وقد سمَّاها الله بقوله: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقوله: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ**﴾ [يونس: ٢٥]، وهي أحق بهذا الاسم؛ لأنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهي دار الله واسمه - سبحانه - السلام الذي سلَّمها وسلم أهلها.

دار الخلد:

وسُميت بذلك لأن أهلها لا يرتحلون عنها أبدًا. قال تعالى: ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨].

دار المقامة:

لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥].

جنــة المأوى:

لقوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٥].

جنات عدن:

لقوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

ولقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

ومعنى عدن: هو الإقامة، يُقال: عدنت البلد، أي توطنته.

دار الحيــوان:

لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، والحيوان مبالغة للحياة.

الفردوس:

لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠-١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧].

والفردوس: اسم يطلق على جميع الجنة، ويُقال على أفضلها وأعلاها كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنان ومعنى الفردوس: البستان كثير الأشجار

وكثير الأعناب .

جنات النعيم:

لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ [لقمان : ٨]، وهو اسم جامع لجميع الجنات .

المقام الأمين:

لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) ﴾ [الدخان : ٥١-٥٢] ، وهو المكان الأمين من كل مكروه وآفة ، وهو الذي جمع صفات الأمن كلها ، فهو آمن من الزوال والخراب والنقص .

مقعد الصدق:

لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر : ٥٤- ٥٥]، وذلك لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها .

طـوبـى:

لقوله تعالىٰ : ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد : ٢٩] .

وقد ذكر أبو نعيم بسنده عن سعيد بن مسجوح قال : «طوبىٰ اسم الجنة بالهندية»[1] .

---

(١) وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره .

المبحث الثالث:
الجنة مخلوقة وموجودة الآن

وهذا بخلاف ما ذهبت إليه بعض الفرق الضالة[1] التي قالت - بلا دليل - إن الجنة ليست موجودة الآن، وإنما ينشئها الله يوم القيامة، وإنما كان ذلك الضلال والقول الفاسد ناشئاً من تحكيم العقل في دين الله، ولا شك أن العقل قاصر عن إدراك حكمة الله في أكثر الأمور وقاصر عن إدراك كثير من الحقائق القريبة منه، أمثال الروح التي بين جنبيه فكيف يدرك الأمور الأخروية، إن كان الأمر كذلك وجب التسليم بالأدلة الشرعية والإيمان بها بلا نقاش ولذا قال شارح الطحاوية: «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبغت نابغة المعتزلة والقدرية فأنكرت وجودهما الآن وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة»[2].

وقالوا: خَلْقُ الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطَلة، ومن المعلوم لو أن ملكاً اتخذ داراً وأعدَّ فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطَّلها من الناس ولم يمكنهم من الدخول إليها قروناً طويلة لم يكن فعله من الحكمة.

قال **ابن القيم الجوزية**: لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبةً وفقهاء المسلمين وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك - يعني أنها مخلوقة - وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما عُلِم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون

---

(١) أمثال: المعتزلة والقدرية.

(٢) ص ٣١٥.

مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وما سواه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات[١].

والأدلة على وجودها وخلقها كثيرة جدًا ومستفيضة في القرآن والسنة الصحيحة منها الآتي:

١ـ قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٢ـ قوله تعالى: ﴿**سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [الحديد: ٢١].

فقوله تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول، ولم يذكر الفاعل الذي أَعَدَّ الجنة لأنه معلوم لكل ذي عقل أنه لا يقدر على إعدادها إلا الله ـ سبحانه ـ، وكونها أُعِدَّت في الماضي يدل على وجودها الآن.

٣ـ قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥)**﴾ [النجم: ١٣ـ١٥].

ومعنى الآية: أن النبي رأى سدرة المنتهى ورأى عندها الجنة كما ورد في الصحيحين الذي سنذكره. وكون النبيَ رآها فهذا يدل على أنها موجودة ومخلوقة.

٤ـ روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قوله ﷺ: «**... ثم انطلقَ بي جبريل حتى أتى إلى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال: ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»[٢].

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) رواه البخاري في الأنبياء، باب: ذكر إدريس ـ عليه السلام ـ، ومسلم في الأيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات.

٥ ـ وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار»[١].

٦ـ وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب».

٧ ـ وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال نبيّ الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة». قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «فيراهما جميعاً»[٢].

٨ ـ وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[٣].

٩ ـ وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «والذي نفس محمد بيده لقد أُدنيت الجنة حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها»[٤].

١٠ ـ وفي الصحيحين عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد النبي ﷺ فذكر الحديث، وفيه قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله» فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت، فقال: «إني رأيت

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الجنائز ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه أحمد في المسند وأبو داود والنسائي.

الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»[١] .

١١ـ قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من عاد مريضاً نادىٰ منادٍ من السماء: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً»**[٢] .

١٢ـ لما رجع النبي ﷺ من أُحد جاءت أم سعد بن معاذ نحو رسول الله ﷺ وهو علىٰ فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجامها فقال سعد: يا رسول الله أمي. فقال ـ عليه السلام ـ: **«مرحباً بها»**. ووقف لها . . . فدنت حتىٰ تأملت النبي ﷺ فعزاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ، فقالت: أما إذا رأيتك سالماً فقد اشتويت[٣] المصيبة فقال رسول الله ﷺ: **«يا أم سعد، أبشري وبشري أهلك إن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً، وقد شفعوا في أهلهم جميعاً»**.

١٣ـ روىٰ الإمام مالك من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما نسمةُ المؤمن طير يَعْلُقُ في شجر الجنة حتىٰ يرجعها الله إلىٰ جسده يوم القيامة»**[٤] .

ومثله حديث كعب بن مالك أيضاً عن النبي ﷺ: **«إن أرواح الشهداء في طير خُضرٍ تَعْلُق في ثمر الجنة أو شجرة الجنة»**[٥] .

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة، وهو أيضاً دليل علىٰ وجود الجنة وخلقها.

١٤ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله ـ تعالىٰ ـ الجنة والنار أرسل جبريل إلىٰ الجنة فقال: اذهب وانظر إليها، وإلىٰ ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلىٰ ما أعدَّ الله لأهلها فيها فرجع، فقال:**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبَّان.

(٣) أي: استقليتها.

(٤) رواه الإمام مالك في الموطأ، والنسائي وابن ماجه.

(٥) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد في المسند.

وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحُفَّت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد»(١).

١٥ـ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إن الله ـ تعالى ـ لما خلق جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾»(٢).

١٦ـ قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «خلق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم ـ عليه السلام ـ بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده»(٣) وجاءت كلها بصيغة الفعل الماضي.

١٧ـ وعن عبد الملك بن أبي بشر ورفع الحديث قال: «ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا ربِّ قد طابت ثماري واطردت أنهاري، واشتقت إلى أوليائي، فعجل إليَّ بأهلي، وتقول النار: اشتدَّ حري، وبَعُد قعري، وعظم حجري فعجل إليَّ بأهلي»(٤).

١٨ـ وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهرٍ في الجنة حافتاه قباب الدُّرِّ المجوف قال: قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فضرب الملكُ بيده فإذا طينه مسك أذفر»(٥).

١٩ـ وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً أو داراً فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لرجل من قريش، فرجوت أن

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، والنسائي وأحمد والحاكم في المستدرك.

(٢) أخرجه الطبراني وهو حسن.

(٣) أخرجه البيهقي.

(٤) رواه أبو نعيم في صفة الجنة.

(٥) رواه البخاري.

أكون أنا هو، فقيل: لعمر بن الخطاب، فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته» فبكى عمر، وقال: أو يُغار عليكَ يا رسول الله»[١].

٢٠ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار: يا ربِّ ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون فقال: أنت رحمتي أصيبُ بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدةٍ منكما ملؤها»**[٢].

٢١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال الله: **«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»**[٣].

فقد عبر الله في هذا الحديث القدسي بصيغة الفعل الماضي مما يدل على وجود الجنة والفراغ منها، وقد استدل البخاري ـ رحمه الله ـ بهذا الحديث في كتاب (بدء الخلق) بوصفه في باب صفة الجنة وأنها مخلوقة.

وبعد.. هذه بعض أدلة هذه المسألة، والحق فيها أبلج واضح بيِّن، فلا مجال بعد ذكر كل هذه الأدلة لتحكيم العقل القاصر ورد هذه الأدلة، إن من اعتمد على العقل في قياس الأمور الأخروية لا يجني بذلك إلا الريب والشك والهم ولا راحة ولا طمأنينة إلا بالبحث عن الدليل الصحيح ثم التسليم والإيمان به بلا نقاش. والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

المبحث الرابع:
مكان الجنة

إن الجنة التي وعد الله عباده المتقين عظيمة الاتساع قال عنها خالقها: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وفسر هذه الآية بعض العلماء وقال: لو قطعت السماوات السبع والأرضون السبع ووصلت ببعضها كان الناتج هو عرض الجنة فقط دون الطول. فأين مكان الجنة أهي في السماء أم في الأرض؟ أم في مكان آخر خارج نطاق السماوات والأرض؟ وإن كانت في السماء ففي أي السماوات تقع؟

اختلف العلماء في مكان الجنة إلى عدة أقوال استناداً لعدة أدلة اعتمدوا عليها سوف نعرضها ونناقشها ونرجح ما نراه صواباً في هذه المسألة.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

وقد أُختلف[1] في جنة المأوى هل هي جنة الخلد مستقر المؤمنين يوم القيامة أم أنها جنة أخرى؟ فمن اعتبرها جنة الخلد جعلها في السماء بعد سدرة المنتهى ولكي نحدد مكان الجنة يجب أولاً تحديد مكان سدرة المنتهى، وقد رُوي في

---

(١) ذهب علي بن أبي طالب وأبو هريرة والحسن على أن جنة المأوى هي جنة الخلد، وذهب ابن عباس وقتادة إلى أنها ليست جنة الخلد بل هي جنة تأوي إليها أرواح المؤمنين والشهداء، وذهب البعض إلى أنها جنة تأوي إليها الملائكة - عليهم السلام - بمن فيهم جبريل وميكائيل، وذهب غيرهم للقول: بأنها جنة آدم - عليه السلام - التي أوى إليها ثم أُخرج منها.

مكان السدرة خبران:

الأول: أنها السماء السادسة، ودليلهم ما رُوي عن ابن مسعود أنه قال: **«لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرواح فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها الخبر»**[١].

الثاني: أنها في السماء السابعة استناداً لما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة»**[٢]، ولما رواه أبونعيم عن ابن عباس قوله: «الجنة في السماء السابعة، ويجعلها الله حيث يشاء يوم القيامة وجهنم في الأرض السابعة»، وروى أبو نعيم أيضاً أن مجاهداً سأل ابن عباس أين الجنة؟ فقال: «فوق سبع سماوات».

وقد ورد عن بعض العلماء قولاً ضعيفاً وهو أن الجنة فوق السماء الرابعة، واستدلوا بما رواه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «الجنة فوق السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء»[٣].

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه البخاري وأحمد والنسائي.

(٣) ضعيف الإسناد.

الترجيح بين هذه الأقوال

أولاً: يجب أن نعلم بأننا لسنا مُتَعبدين بمعرفة مكان الجنة، وأستغفر الله من تسمية مثل هذه المسائل بترف العلم، ولكن إتماماً للفائدة ولشمولية البحث سوف أرجح بين هذه الأقوال مع بيان الحق إن شاء الله تعالىٰ فأقول مستعيناً بالله:

إن الجنة مكانها فوق السماوات السبع بلا شك والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فإن كانت السماوات السبع والأرض مثل عرض الجنة فإن طولها بلا شك أطول من عرضها فكيف تتسع السماء الرابعة أو السادسة لحجم الجنة.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٢] يعني (الجنة) فإن الظرف ليس دليلاً علىٰ وجودها في السماء؛ لأن العرب تُسمي كل ما يعلو الشخص سماء. ودليل ذلك قول الجارية حينما سألها رسول الله ﷺ: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء فقال عنها النبي ﷺ: «**إنها مسلمة**»، ولم يستنكر قولها لأنها لا تقصد من كلامها أن الله داخل السماء بل تقصد أنه في العلو، ومما يدل علىٰ أنها فوق السماء السابعة في مكان لا يعلمه إلا الله؛ قوله ﷺ: «**إن في الجنة مائه درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله**»[1].

وهذا لا يعني أن في الجنة مائة درجة فقط بل أكثر كما بين هذا ابن القيم

(١) رواه البخاري وأحمد والبيهقي وغيرهم.

واستشهد بحديث: «**إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**»[١] فإن كان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فكيف تسعها سماءان فقط.

وأما ما روي عن ابن مسعود: أن سدرة المنتهىٰ في السماء السادسة. وما روي عن أنس أن سدرة المنتهىٰ في السماء السابعة. فقد جمع القرطبي بين هذين الحديثين «**فجعل أصل سدرة المنتهىٰ في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة، والجنة فوق السماء السابعة**»[٢] والله أعلم بالصواب سبحانه.

ولذا قال الشيخ أبو الحجاج المزي:

«فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فإن الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش أكبر منه، قيل: لما كان العرش أقرب إلىٰ الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقها دون العرش كان سقفاً لها دون ما تحتها من الجنات، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلىٰ أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة».

وقد أخرج ابن مندة من حديث أبي يحيىٰ القتات عن مجاهد قال: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سماوات، وقلت فأين النار؟ فقال: تحت سبع أرضين[٣].

---

(١) رواه البخاري، وأحمد ومعنىٰ ذلك أن لله أكثر من تسعة وتسعين اسماً لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أو استأثرت به عندك**» فالعدد ليس علىٰ سبيل الحصر.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/ ٩٥ .

(٣) التخويف من النار، والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي.

المبحث الخامس:
مفتاح الجنة

لقد اقتضت حكمته - سبحانه - أنه جعل لكل محمودٍ مفتاح يُفتح به، وزاوية تنفذ إليه ووفق من أراد من عباده إلىٰ تلك المفاتيح.

ولذا قال - عليه السلام -: **«مفتاح الصلاة الطهور»**[١]، قال ابن القيم: ومفاتيح الخير كثيرة جداً فالتقوىٰ مفتاح الفلاح والدعاء مفتاح الإجابة والصدق مفتاح البر والصبر مفتاح النصر وتدبر القرآن وترك الذنوب مفتاح حياة القلوب، وطاعة الله ورسوله مفتاح العز، ويبقىٰ مفتاح الغاية والهدف أعني: مفتاح جنة الله العالية الغالية فقد بينه نبينا - عليه الصلاة والسلام - فقال: **«مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»**[٢]، وفي حديث آخر عن يزيد بن شجرة قال: **«إن السيوف مفاتيح الجنة»**[٣]، وروىٰ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني عن إبان عن أنس قال: قال أعرابي: يا رسول الله! ما مفاتيح الجنة؟ قال: **«لا إله إلا الله»**[٤] وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنة الصلاة»**[٥].

---

(١) رواه الترمذي في الطهارة، وأبو داود في الطهارة وابن ماجة في الطهارة والإمام أحمد في المسند.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل، والبزار وابن كثير في صفة الجنة وله شاهد من حديث عبيد بن صخر بن لوذان.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال: «ألا أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة»، ورجالهما رجال الصحيح غير عطاء بن السائب، قد حدث عنه حماد بن سلمة قبل الاختلاط، وأخرجه أبو الشيخ بن حيّان وإسناده فيه ضعف من أجل عنعنة الأعمش وهو مدلس.

(٤) أورده المنذري في «الترغيب» والبيهقي في «الشعب» وأبو نعيم الأصبهاني.

(٥) رواه أبو داود الطيالسي.

ولما أراد النبي ﷺ أن يبعث الصحابي الجليل معاذ بن جبل إلىٰ اليمن قال له : **«إنك ستأتي أهل الكتاب فيسألونك عن مفتاح الجنة فقل : شهادة أن لا إله إلا الله»**(١) .

وينبغي التنبه لأمر هام جداً وهو أنه ليس المقصود من مفتاح الجنة هو دخولها ابتداءً ؛ بل الدين دينٌ متكامل يجب أخذه كله وكل شيء عند الله بمقدار ، قال تعالىٰ : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾[الزلزلة : ٧-٨] .

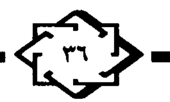
ولا يتصور أحدٌ من الناس أن من قال : «لا إله إلا الله» دخل الجنة ابتداءً . لا . فالأمر أكبر من ذلك ، وإنما المقصود بمفتاح الجنة هو المآل ، أي من قال : لا إله إلا الله صادقاً بها من كل قلبه كان مصيره ومآله إلىٰ الجنة لأن الموحدين لا يخلدون في النار ، وهذا معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ؛ أن من مات ولم يشرك بالله شيئاً ، وكان عليه ذنوباً من الكبائر فهو تحت المشيئة إن شاء غفر له وأدخله الجنة ابتداءً أو عذبه علىٰ قدر ذنوبه حتىٰ يطهره ، ثم بعد ذلك يدخله الجنة ، وهذا هو المقصود بمفتاح الجنة ، فالجنة سلعة الله الغالية تحتاج إلىٰ الأعمال الصالحة وترك الذنوب ، قال تعالىٰ : ﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل : ٣٢] ومما يؤكد ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال : «بلىٰ ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فُتح لك وإلا لم يُفتح»(٢) ، علق علىٰ هذا الحديث ابن كثير بقوله : «يعني بذلك : لابد أن يكون مع التوحيد أعمالٌ صالحة من فعل الطاعات ، وترك المحرمات»(٣) .

---

(١) رواه البيهقي عن معاذ بن جبل .

(٢) رواه البخاري معلقاً في الجنائز . باب الجنائز وقد وصله البخاري في تاريخه (١/ ٩٥) ، وأبونعيم في الحلية كما أفاده شيخ الإسلام ابن حجر .

(٣) صفة الجنة ، ابن كثير ص٢٤ .



وقد أفرد القرطبي فصلاً في كتابه «التذكرة» تعليقاً على هذا الحديث بقوله: «قلت: الأسنان عبارة عن توحيد الله وعبادته جميعاً، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧]، وهو في القرآن كثير، الإيمان مع العمل»[1].

وقد نظم ابن القيم ما ذكرناه تلخيصاً بقوله:

هذا وفتح الباب ليس بممكن ... إلا بمفتاح على أسنان

والمراد بهذه الأسنان هي الشروط، وقد نظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدق مع ... محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله مع الأوثان قد أُلها

وهذا هو معتقدنا في هذه المسألة، وهو الذي ندين الله به، معتقد أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية التي وقعت وسطية بين طرفي نقيض بين المرجئة التي أرجأت العمل عن الإيمان وقالت: لا يضر مع الإيمان معصية! وبين الخوارج التي كفّرت مرتكب الكبيرة، فله الحمد والمنة أن رزقنا العقيدة صحيحة سليمة كما أرادها.

---

(١) التذكرة، القرطبي.

المبحث السادس:
الجنة تدرك برحمة الله لا بالأعمال

قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة: **«لن يُنجي أحداً منكم عَمَلُه»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة، ولكن سَدِّدوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصدَ القصدَ تبلغوا»**[١] وفي بعض الروايات: **«إلا أن يتغمدني الله بمغفرةٍ ورحمة»**[٢]، وفي بعضها **«بفضل ورحمة»**[٣].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: **«سَدِّدوا وقاربوا واعلموا أن لن يُدخل أحدكم عملُه الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»**[٤].

وقال ﷺ: **«لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله»**[٥]، وقوله ﷺ: **«ويدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته»** الحديث[٦].

وقوله ﷺ: **«ليُصيبنَّ أقواماً سفعٌ من النار بذنوبٍ أصابوها عقوبةً ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يُقال لهم الجهنميون»**[٧].

من خلال ما مضى من الأحاديث يتبين أن سبب دخول الجنة لا يكون إلا بسبب فضل الله ورحمته ومغفرته، وأن العمل الصالح مهما بلغ من الكثرة

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه البخاري.

والإخلاص لا يساوي الجنة ولا يعادلها، فقوله ﷺ: **«لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله»** فإن الباء في قوله: «**بعمله**»، (باء المقابلة)، والتقدير: (لن يدخل أحدٌ الجنة مقابل عمله) والسبب في ذلك: أن أقل نعمة وهبها الله للإنسان لا يستطيع شكرها. قال - عليه الصلاة والسلام -: **«لو أن رجلاً من يوم خُلق إلى يوم يموت خرَّ ساجداً لله - تعالى - لكانت النار أولى به من الجنة»** هذا إذا حاسبه الله بعدله دون رحمته ومغفرته.

وفي الأثر: **«أن عبداً عبد الله سبعين سنة فحاسبه الله فقال: يا ملائكتي خذوا عبدي هذا فأدخلوه الجنة برحمتي، فقال العبد: يا رب عبدتك سبعين سنة أريد أن أدخل الجنة بعملي، فقال رب العزّة: يا ملائكتي خذوا عبدي هذا فادخلوه النار بعمله، فعجب العبد لذلك، فرفع الله - عزَّ وجل - نعمة البصر في كفة وتعبده في كفة، فرجحت نعمة البصر»** قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولا يعني هذا ترك العمل وإغفاله فهو السبب لدخول الجنة، وإنما رحمة الله تدرك بالأعمال، أعمال القلوب والجوارح، قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [محمد: ١٧].

وقد بين الله - عزَّ وجل - بآيات كثيرة أن العمل سببٌ لدخول الجنة، فقال - عزَّ وجل -: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ والباء في هذه الآيات (باء السببيَّة) والتقدير: (بسبب ما كانوا يعملون).

قال **ابن القيم** - رحمه الله تعالى -: «وهنا أمرٌ يجب التنبيه عليه، وهو أن الجنة إنما تُدخل برحمة الله وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها، وإن كان سبباً، ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في قوله: ﴿**بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾

[العنكبوت:٨]، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: **«لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»**[1]، ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره، قال: كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال، ويدل على هذا حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم»**[2].

والثاني: أن الباء التي نفت الدخول هي (باء المعاوضة)، التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي (باء السببية) التي تقتضي سببيَّة ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله، وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله: **«سددوا وقاربوا، وأبشروا، واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله»** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»**[3].

ومن عرف الله - سبحانه - وشهد مشهد حقه عليه، ومشهد تقصيره وذنوبه، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وخبره وجزم به والله المستعان[4].

وقد نبه **ابن القيم** - رحمه الله - في موضع آخر - ممن يغتر بسعة رحمة الله ومغفرته مما يجرئه على المعاصي فقال:

فكثير من الجهال ممن يذكرون أن الله غفور رحيم وينسون أن الله شديد العقاب وأنه لا يُرد بأسه عن القوم المجرمين، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله ولو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) حادي الأرواح/ ابن القيم.



المبحث السابع:
عظم نعيم الجنة وأنه فوق ما يدور بالبال

إن حقيقة الجنة وما طُبعت عليه من النعيم المقيم واللذة الدائمة المستمرة والمتجددة التي لا تنقضي إنما هي من المغيبات التي لا يمكن لنفس من النفوس أن تتصورها أو تحيط بأي جزئية من جزئياتها، وهو ملك كبير كما وصفه تعالىٰ بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] والذي نملكه من تصورات إنما هي إشارات وأخبار جاء بها النبي ﷺ من خلالها نستطيع أن نتخيل ونرسم صورة ولو صغيرة لتلك الجنة العظيمة، فكل التصورات البشرية إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء، وحقيقة الأمر إنها تختلف تماماً في كل شيء ولا تتفق مع ما في الدنيا إلا في الأسماء، كما قال ابن عباس: «لا يوجد في الجنة مما هو في الدنيا إلا الأسماء»، وقال بعض العلماء: «كل ما خطر ببالك فالجنة خلاف ذلك»، فالاتفاق في الأسماء فقط، أي: في المعنىٰ العام الكلي المطلق للفظ. فكيف نقدر قدر جنة قال عنها من رآها وعرفها نبينا محمد ﷺ: **«لو أن ما يقل ظفرٌ مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض»**[1]، وقوله ﷺ: **«ما يقل ظفر»** فإن (ما) موصولة والعائد محذوف وتقديره: ما يقله ظفر. ومعنىٰ الحديث: لو أن ظفراً من أظافر الأصابع يحمل شيئاً يسيراً من الجنة ووضع في الأرض لتزينت الدنيا كلها لهذا الشيء القليل، فإن كانت الدنيا تتزين لهذا الشيء اليسير فما بالك بالجنة كلها وما فيها من النعيم؟ وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع، فبدا سواره لطمس ضوءه ضوء**

---

(١) رواه الترمذي.

الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»[١] فهذا نعيم فوق حدود تصورات العقل وخواطر القلوب؛ لأنه لا يوجد سوار في الدنيا نوره يطمس نور الشمعة فضلاً عن نور الشمس، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ مبيناً عِظم نعيم الجنة: **«لو أن امرأةً من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسهما خير من الدنيا وما فيها»**[٢]، وعند الإمام أحمد: **«خير من الدنيا ومثلها معها»** فإن كان النصيف وهو الوشاح الذي تلبسه المرأة على رأسها خير من الدنيا وما فيها فما بالك بمن تلبس هذا الوشاح؟ ثم ما بالك بالجنة التي تسكنها لابسة الوشاح؟

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ واصفاً عظمة الآخرة: **«ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب»**[٣]، وقال أيضاً ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»**[٤]، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً يبين فيه نسبة نعيم الدنيا بالنسبة للآخرة، فقال ـ عليه السلام ـ: **«والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه هذه ـ وأشار بالسبابة ـ في اليم**[٥] **فينظر بما ترجع»**[٦] ومعنى الحديث أن الإصبع إذا وضع في البحر فإن الماء الذي يلتصق في الإصبع هو نسبة نعيم الدنيا وبقية البحر المحيط هو نعيم الجنة.

إن نعيم الجنة عظيم جدٌّ عظيم، فهو هبة الله وجزاؤهُ والله عظيم والعظيم لا يعطي إلا عظيماً، ثم ما بالك بعظيم يصف شيئاً بالعظمة تارة وبالكبر تارة أخرى حيث قال: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]،

---

(١) رواه الترمذي وأبو نعيم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) يعني البحر.

(٦) رواه مسلم.

وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

ولذلك لا يمكن لأحد كائناً من كان أن يحيط بما في الجنة من نعيم أو أن يدرك كنهها، وقد نُكرت كلمة «نفس» في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] لتفيد العموم، وتشمل كل نفس من أنفس الإنس والجن والملائكة فلا تستطيع هذه الأنفس إدراك حقيقة الجنة وعظيم نعيمها، وفي الحديث القدسي أن الله - تعالىٰ - قال: **«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر»**[1] فمهما رأت العيون من النعيم أو سمعت به أو تأملته بقلوبها وتخيلته بفكرها وأطلقت العنان لخيالها ليحوم في سماء الخيال لا يمكنها أن تدرك أقل جزئية من نعيم الجنة، وقد أخبر النبي ﷺ أن أشد أهل الدنيا بلاءً لو قضىٰ أقل فترة زمنية ممكنة في الجنة لأنساه ما في الجنة من نعيم بلاء الدنيا كله، فقال - عليه السلام -: **«يؤتىٰ بأشد أهل الدنيا بؤساً فيغمس غمسة في الجنة فيقال له: هل مرَّ بك بؤس قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»**[2].

ومن شدة نعيم الجنة أن أهلها لو لم يكتب الله عليهم الخلود لماتوا من عظمة النعيم وشدة الفرح، روىٰ ابو نعيم في (صفة الجنة) عن حميد بن هلال قوله: «ذكِرَ لنا أن الرجل إذا دخل الجنة فصُوِّر صورة أهل الجنة وألبس لباسهم وحُلِّي حُلاهم ورأىٰ أزواجه وخدمه ومساكنه في الجنة يأخذه الفرح فلو كان ينبغي أن يموت لمات فرحاً»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه الحميدي في «مسنده» والترمذي وأحمد والنسائي وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجة وغيرهم.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد»، وأبو نعيم في «صفة الجنة» قال عنه محققه: وإسناد المؤلف صحيح ورجاله كلهم ثقات.

قال أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري تعليقاً على فصلٍ عقده الحافظ أبو نعيم الأصبهاني بعنوان «ذكر القصور المنجدة والمقاصير المعدة مما عجزت عن رؤيته العيون وعن إدراكه الخواطر والظنون . . أعدها الله لأوليائه نزلاً» قال: إن العجز بعد المحاولة، وأحوال الجنة لا سبيل لإدراكها في الدنيا البتة، إلا من أذن له كرسوله محمد ﷺ في المعراج، فهي من الواقع المغيب بلوازم من واقعيته من الصفات، وبرهان هذا الغيب برهان علمي، هو كل البراهين بالإيمان بالله على صفات الكمال، وقدسية شرعه عن الخلف والكذب والجهل، وكل وصف للجنة وما فيها فهو وصف مطابق في الواقع، ولكنه بالنسبة لنا مقارب؛ لأننا لا نعقل إلا بلوغ الغاية في النعيم وكمال الوصف ولا نستكنهه على الرغم من ذلك حتى ننعم به في الآخرة . . . جعلنا الله ممن يتمتع بهذا النعيم بدءاً - معاذاً من النار - وكل تسمية لما فيها مما هو اسم لما عندنا من لبن وخمر . . . إلخ: فلا مجال فيه للتشبيه سوى الرجوع للوصف المطابق واقعاً المقارب بالنسبة لنا ما دمنا في عالم الغيب؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال ربكم - عز وجل -: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر . . اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»** [السجدة: ١٧]، وهو حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي والدارمي والنسائي وغيرهم، فقد امتنع الحس دنيوياً بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وامتنع الشبه المقارب بما لم يخطر على قلب بشر، وعلى هذا الكمال الواقعي المغيب يُحمل كل وصف صح به النص كما في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: **«أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك . .»** والمراد بالجنابذ جمع جنبذة بمعنى القبة، وهي تعريب كنبذة من الفارسية. وفي صحيح مسلم: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - جواب رسول الله ﷺ

عن تربة الجنة : «بأنها دَرْمكة بيضاء، مسك خالص . . وجمع الدرمكة الدرمك، وهو دُقاق كل شيء، ففي الدنيا لؤلؤ ومسك، ولكن المسمى بهذين في الجنة مما لا تخطر حقيقته على قلب بشر . .» ثم قال : «إن النعيم في الجنة متجدد، ولا يعتري أهل الجنة ملل من راحتهم ونعيمهم وإنما يُلقي الشيطان هذه الشبهة في قلب من ظن أن مشاعر الإنسان وبنيته في الدنيا هي مشاعره وبنيته في الآخرة»[1].

---

(١) «المجلة العربية» العدد ٢٩٩، السنة ٢٦ ذو الحجة ١٤٢٢هـ، مارس ٢٠٠٢م.

الفصل الثاني

صِفاتُ أهل الجنــــة

المبحث الأول: تحقيق التوحيد ثمن الجنة.

المبحث الثاني: أعمال تدخل الجنة.

المبحث الثالث: أعمال تحرم دخول الجنة.

المبحث الرابع: الصفات الخَلقِيّة والخُلُقيَّة لأهل الجنة.



المبحث الأول:
تحقيق التوحيد ثمن الجنة

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦].

والجنة قريبة جداً لمن أرادها، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»**(١).

إن توحيد الله هو السبب الوحيد لدخول الجنة والنجاة من النار، وإنما يكون توحيد الله بصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، ومن أجل التوحيد خلق الله الخلق وبعث جميع الرسل بهذه الدعوى، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد غلط وضل كثيرٌ من الناس في فهم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» حينما ظنوا أن توحيد الله يكون بنطقها فقط دون العمل بمقتضاها، فكثيرٌ من الناس ينطقها في اليوم أكثر من مائة مرة لكنه يخالفها بعمله، فتجده يصرف بعضاً من العبادة لغير الله فيذبح للقبور ويسأل الأموات ما هو مختص بالله - عزَّ وجل - من الرزق والشفاء من الأمراض والتوفيق، ويحلف بغير الله ويرهب غير الله ويستعيذ ويستغيث بغير الله، فكل من سأل أحداً شيئاً لا يقدر عليه

---

(١) رواه البخاري.

إلا الله فقد جعل هذا المسؤول نداً لله وأشركه مع الله.

إن «لا إله إلا الله» تحتاج إلىٰ تفعيل، وتفعيلها بأن يأتىٰ بشروطها السبعة[١] فلا تنفع إلا بوعيها ومعرفتها والعمل بموجبها والكفر بما دونها.

فعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أن النبي ﷺ قال: **«من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حَرُم ماله ودمُه، وحسابه علىٰ الله ـ عزَّ وجل ـ»**[٢]، فحرمة المال والدم تستلزم أمرين، الأول: قول: لا إله إلا الله بعلم ويقين، والآخر: الكفر بما يُعبد من دون الله، ولا يُكتفىٰ باللفظ دون العمل.

إن معنىٰ كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» تتضمن شيئين: نفيٌ، وإثبات. نفي الألوهية عن غير الله، وإثباتها لله.

قال البقاعي: لا إله إلا الله، أي انتفاءً عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم[٣].

وقال القرطبي: معناها، أي لا معبود إلا هو.

هذا هو توحيد الله إن عُلِم ذلك وعُمِل به كان صاحبه مستحقاً للبشارة والفوز بالجنة، دار الجنة تُدرك باليسير من الأعمال لا بالكثير، قال تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ولم يقل: (أكثر عملاً)، وإنما يكون هذا العمل اليسير بتحقيق التوحيد الخالص لله وحده لا شريك له والعمل بمقتضاها فعل الأوامر واجتناب النواهي.

وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة تبين أن من حقق التوحيد دخل الجنة، وهذه الأحاديث تحتاج إلىٰ فهم لا تُؤخذ بمفردها فحسب، لأن حديث النبي

---

(١) الأول: العلم المنافي للجهل. الثاني: اليقين المنافي للشك. الثالث: القبول المنافي للرد. الرابع: الانقياد المنافي للترك. الخامس: الإخلاص المنافي للشرك. السادس: الصدق المنافي للكذب. السابع: المحبة المنافية لضدها.

(٢) رواه مسلم.

(٣) فتح المجيد.

ﷺ يَشرح بعضه، ويُقيد مطلقه، ويخصص عامه.

فعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: **«يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟»** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئاً»**، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: **«لا تبشرهم فيتكلوا»**(١).

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»**(٢). ومعنى: (على ما كان من العمل) قال الحافظ: أي من صلاح أو فساد، لأن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله (على ما كان من العمل) أن يدخل أهل الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات(٣).

وللشيخين من حديث عتبان **«فإن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**(٤).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله ـ تعالى ـ: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»**.

قال **ابن رجب** في شرح هذا الحديث: من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة.. فإن كمُل توحيد العبد وإخلاصه لله ـ تعالى ـ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وبجوارحه غفر الله ما قد سلف من ذنوبه كلها، ومنعه من دخول النار بالكليَّة. فمن حقق كلمة التوحيد بقلبه أخرجت منه كل ما سوىٰ الله: محبة وتعظيماً، وإجلالاً ومهابة وخشيَّة وتوكلاً، فحينئذٍ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها وإن كانت مثل زبد البحر[١].

وقال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ: ويعفىٰ لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفىٰ لمن ليس كذلك. فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئاً ألبتة ربَّه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده. فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك ولا يبقىٰ معه ذنب، لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة والدافع لها أقوىٰ[٢].

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ، أن رسول الله ﷺ قال: **«من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»**[٣].

وعن عتبان بن مالك قال: «أصابني في بصري بعض الشيء فبعثت إلىٰ رسول الله ﷺ أني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأتخذُهُ مُصلىٰ قال: فأتىٰ النبي ﷺ ومن شاء من أصحابه فدخل، وهو يصلي في منزلي وأصحابه يتحدثون بينهم ثم أسندوا عظم ذلك وكبره إلىٰ مالك بن دخشم قالوا: ودُّوا أنه دعا عليه فهلك ودُّوا أنه أصابه شر، فقضىٰ رسول الله ﷺ الصلاة وقال: **«أليس يشهد أن لا إله ألا الله وأني رسول الله»**، قالوا: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه، قال: **«لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه»**[٤].

(١) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد.
(٢) فتح المجيد.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة في جزء من حديثه الطويل أن النبي ﷺ قال: **«يا أبا هريرة، وأعطاني نعليه، وقال: اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبهُ فبشره بالجنة»** فكان أول من لقيت عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبهُ بشرته بالجنة، قال: فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لإستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلىٰ رسول الله ﷺ فأجهشت بكاءً فلحقني عمر فإذا هو علىٰ أثري فقال لي رسول الله ﷺ: ما لك يا أبا هريرة، قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لإستي، فقال: ارجع، قال رسول الله ﷺ: **«يا عمر ما حملك علىٰ ما فعلت»**، قال يا رسول الله: بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبُه بشره بالجنة، قال: **«نعم»**، قال: فلا تفعل فإني أخشىٰ أن يتكل الناس عليها فخلِّهم يعملون، قال رسول الله ﷺ: **«فخلِّهم»**[١].

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ في جزء من حديثه الطويل أن النبي ﷺ قال: **«إن جبريل أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنىٰ وإن سرق، قال: وإن زنىٰ وإن سرق»**[٢] وفي بعض الروايات: **«وإن شرب الخمر»**[٣].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن نبي الله ﷺ ومعاذ بن جبل رديفه علىٰ الرَّحل قال: **«يا معاذ»**، قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: **«يا معاذ»**، قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: **«يا معاذ»**، قال: لبيك رسول

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري.

الله وسعديك، قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرَّمه الله على النار**»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر بها فيستبشروا، قال: «**إذا يتكلوا**». فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً(١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلِدَ فيها**» فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوق عرش الرحمن ومنه تُفجر أنهار الجنة**»(٢).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دُلَّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. فقال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولَّى قال: «**من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهلِ الجنة فلينظرَ إلى هذا**»(٣).

وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يُدْخِلُ أحداً منكم الجنةَ عملُه، ولا يجيرُه من النار ولا أنا إلا بتوحيد الله**»(٤).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍ فيهما إلا دخل الجنة**»(٥).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) قال ابن القيم: وإسناده على شرط مسلم، وأصل الحديث في الصحيح.

(٥) رواه مسلم.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[١].

وعن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: «لما أُسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: **«إذ يغشى السدرة ما يغشى، قال: فراش من ذهب قال: فأُعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أُعطي الصلوات الخمس، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفِر لمن لم يُشرك ـ بالله من أمته شيئاً ـ المقحماتُ»**[٢] أي: المهلكات.

وكذلك حديث البطاقة المشهور، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«يُصَاحُ برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعةٌ وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدَّ البصر ثم يُقال: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول: لا يا رب. فيقال: أفلك عذر أو حسنة؟ فيُهابُ الرجل فيقول: لاَ، فيقال: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفّة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»**[٣].

وبعد، فقد ذكرنا حشدًا من الأحاديث التي تبين أن الموحد مصيره ومآله إلى الجنة ـ لا شك في ذلك ـ وبينا في أول المبحث أن مجرد التوحيد دون العمل لا يُدخل الجنة ابتداءً، إلا برحمة الله ومغفرته وعفوه، ودليل ذلك قوله

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وحسنه، والنسائي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح.

تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] فكذب المنافقين في هذه الآية ليس في كلمة التوحيد (إنك لرسول الله)؟ بل في قولهم (نشهد) لأنهم لا يشهدون بقلوبهم، بل يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

لقد ضل كثيرٌ من المسلمين كالأشاعرة والمرجئة في فهم التوحيد، حينما قالوا: أن لا إله إلا الله تعني (القول) فقط وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق فقط. قد رد القرآن هذا الزعم بقوله عن كفار قريش الذين سماهم القرآن بالكفار والمشركين كانوا يؤمنون بقلوبهم بوحدانية الربوبية، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ وهم حينما يعبدون الأصنام ليس لذاتها، وإنما لتقربهم إلىٰ الله كما أخبر الله عن علة عبادتهم لها من دون الله.

ومع ذلك لم ينفعهم اعتقادهم بوحدانية الربوبية دون العمل، فهم كفار مشركون لا شك. ثم إن السبب من خلق الجن والإنس هو عبادة الله عزً وجل وإفراده بالتوحيد، والتوحيد إنما يكون بفعل أوامره واجتناب نواهيه وبفعل هذا تتم الوحدانية، إن اقترن بالعمل علماً بلا إله إلا الله وتصديقاً من دون شك.

كما قال ابن القيم:

والأمـــر والنهي الذي هو دينه وجـــزاؤه يوم المعـــاد الثـــاني

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله**»[(١)]، ولكن الشهادة وحدها لا تكفي. فقد ذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يُفتح[(٢)]. وأسنان المفتاح هي فعل الأوامر واجتناب النواهي.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري.

وقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فقد قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾، قلنا: يا رسول الله أَيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم، أي بشرك. أولم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[1].

وقال ابن كثير في هذه الآية: أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة المهتدون بالدنيا والآخرة[2].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال ـ رحمه الله ـ: وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتبْ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾، وقد سأل أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، أيُّنا لم يعمل سوءًا؟ فقال: **«يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ أليس يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»** فبين أن المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة قد يجزي بسيئاته في الدنيا بالمصائب. فمن سَلِمَ من أجناس الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك. كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الأمن والاهتداء المطلق. بمعنىٰ أنه لابد من، أن يدخل الجنة كما وُعِد بذلك في الآية الأخرىٰ: وقد هداه الله إلىٰ الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلىٰ الجنة. ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه، وليس مراد النبي ﷺ بقوله: **«إنما هو الشرك»** أن من لم يشرك الشرك

---

(١) رواه البخاري.

(٢) فتح المجيد.

الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام. فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر مُعرضون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام الذين يكونون بهما مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، من غير عذاب يحصل لهم. بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولابدّ لهم من دخول الجنة.

وقوله: **«إنما هو الشرك»** إن أراد الأكبر. فمقصوده: أن من لم يكن من أهله فهو آمن. وإن كان مراده جنس الشرك. يُقال ظلم العبدَ لنفسه، كبخله لحب المال ببعض الواجب ـ هو شرك أصغر. وحبه ما يبغضه الله ـ تعالى ـ حتى يقدم هواه على محبة الله الشرك الأصغر، ونحو ذلك. فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه. ولهذا كان السلف يُدخلون الذنوبَ في هذا الشرك بهذا الاعتبار[١].

وقال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ: إن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك، وهذا والله هو الجواب الذي يشفي العَليل ويروي الغليل. فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها، والأمن والهدى المطلق هما: الأمن في الدنيا والآخرة والهدى إلى الصراط المستقيم، فالظلم المطلق التام رافع للأمن وللاهتداء المطلق التام، ولا يمنع أن يكون الظلم مانعًا من مطلق الأمن ومطلق الهدى فتأمله. فالمطلق للمطلق والحصة للحصة[٢].

وأما قوله ﷺ من حديث عتبان: **«فإن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[٣]، وقوله ﷺ: **«من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرَّم الله عليه النار»**[٤].

(١) كتاب الإيمان، ابن تيمية.

(٢) فتح المجيد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم.

فقد قال عنه **ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ: في هذا الحديث ونحوه أنها فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله: «**خالصاً من قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين**» فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله ـ تعالى ـ جملة. فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله ـ تعالى ـ بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة**» وتواترت بأن كثيراً ممن يقول: لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حَرَّم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم. فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يَحرُم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة، ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه.

وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: «**سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته**»[1]، وغالب أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ** ﴾.

وحينئذٍ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن بهذه الحال مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذن لا يبقى في قلبه إرادة لما حرَّم الله، ولا كراهة لما أمر الله وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا

(١) في حديث البراء بن عازب الذي رواه أصحاب السنن وغيرهم وهو صحيح.

تترك له ذنباً إلا مُحي عنه كما يمحو الليل النهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مصر على ذنب أصلاً، فيغفر له، ويحرم على النار. وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأتِ بعدها بما يناقض ذلك: فهذه الحسنة لا يُقاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة فيحرم على النار. ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته، ومات مصراً على ذلك، فإنه يستوجب النار، وإن قال لا إله إلا الله وخلص بها من الشرك الأكبر، ولكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعدها بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصاً لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص، فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك، بخلاف المخلص المستيقن، فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته ولا يكون مصراً على سيئات فإن مات على ذلك دخل الجنة، وإنما يُخاف على المخلص أن يأتي بسيئة راجحة، فيضعف إيمانه، فلا يقولها بإخلاص ويقين مانع من جميع السيئات، ويخشى عليه من الشرك الأصغر والأكبر، فإن سَلم من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك فيرجح جانب السيئات. فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص بالقلب فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم أو من يحسن صوته بالآية من القرآن من غير ذوق طعمه وحلاوته فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين بل يأتون بعدها بسيئات تنقض ذلك بل يقولونها من غير يقين وصدق ويحيون على ذلك ويموتون على ذلك ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة، فإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان قولها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح، وثقل عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غير الله، واطمأن إلى

الباطل واستحل الرفث ومخالطة أهل الغفلة، وكره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا إذا قال بلسانه ما ليس في قلبه وبغيه ما لا يصدقه عمله.

قال الحسن: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قُبل منه ومن قال خيرًا وعمل شرًا لم يُقبل منه».

وقال بكر بن عبد المزني: «ما سبقكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه».

فمن قال: لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها بل اكتسب مع ذلك ذنوباً وكان صادقاً في قولها موقناً بها، لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه، وانضاف إلىٰ ذلك الشرك الأصغر العملي رجحت هذه السيئات علىٰ هذه الحسنة، ومات مصرًا علىٰ الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق، فإنه إما أن لا يكون مُصرًا علىٰ سيئةٍ أصلاً، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجّح حسناته. والذين يدخلون النار ممن يقولها: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت علىٰ حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوىٰ علىٰ محو السيئات فترجح سيئاتهم علىٰ حسناتهم. انتهىٰ.

قلت: ومما يؤكد الكلام السابق قوله تعالىٰ: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ الآية، فجعل الله ـ عزَّ وجل ـ الهوىٰ إلهاً يُتبع ويعبد من دون الله، فكيف بمن يدعي كمال التوحيد ويقول: لا إله إلا الله ثم يتبع إلهاً من دون الله؟ وهذا الإله هو «الهوىٰ» ومن حاله كذلك فقد نطق كلمة التوحيد لكنه خالفها وانتقصها بعمله واتبع إلهاً آخر من دون الله، فحين يقول المسلم لا إله إلا الله

فعليه تحقيق العبودية، وهي الاتباع المطلق لما أراده الإله ومجاهدة النفس على اتباع أوامره واجتناب نواهيه، أما من يتبع بعض أوامر الإله ويترك بعضها فهو لم يحقق العبودية، وبالتالي لم يحقق كمال التوحيد، ولذلك ذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة: لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يُفتح لك(١).

بقي أن نقول أن ارتكاب المعاصي غير مخرج من الملة وغير ناقض لـ«لا إله إلا الله» ولم يقل أحد من أهل السنة سلفهم وخلفهم: إن مقتضى قول: لا إله إلا الله ألا يقع القائل في معصية أو ذنب، فإن وقع فقد ناقض لا إله إلا الله وخرج عليها، إن هذا القول مبتدع ومخترع، وهو تزايد على الكتاب والسنة وهو انحراف شنيع في الفكر الإسلامي جاءت به المعتزلة وأنكرته الأدلة.

إن اعتقاد أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة أنه لا يكفر مادام يقول لا إله إلا الله بصدق خالصاً بها من قلبه موقناً غير شاك عالماً بمقتضاها، فإن كان كذلك ولقي الله وعليه ذنوب فأمره تحت المشيئة إن شاء غفر له وتجاوز عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على قدر معاصيه حتى إذا نقاه وطهره أدخله الجنة فهو من أهل الجنة على أي حال سواء ابتداءً أو مآلاً، وعلى هذا إجماع السلف والخلف، أما من مات وهو كافر أو مشرك فهو من أهل النار بلا شك لا يغفر الله له والجنة عليه حرام لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾.

---

(١) رواه البخاري معلقاً في الجنائز.

المبحث الثاني:
أعمال تدخل الجنـة

من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله ولم يشرك بالله شيئاً:

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝٦١ ﴾ [المؤمنون: ٥٩ـ٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وحديث معاذ أنه قال: «بينما أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: **«يا معاذ»** قلت لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة وقال: **«يا معاذ»** قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: **«هل تدري ما حق الله علىٰ عباده؟»** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«حق الله علىٰ عباده أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً»**. ثم سَار ساعة ثم قال: **«يا معاذ بن جبل»**، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، فقال: **«هل تدري ما حق العباد علىٰ الله إذا فعلوه؟»** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«حق العباد علىٰ الله لا يعذبهم»**(١).

وفي رواية: أنه قال: «كنت ردف النبي ﷺ علىٰ حمار يُقال له عفير، فقال: **«يا معاذ تدري ما حق الله علىٰ العباد وماحق العباد علىٰ الله»** قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: **«فإن حق الله علىٰ العباد أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئاً**

---
(١) رواه البخاري.

وحق العباد على الله ـ عز وجل ـ **أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»** قال: قلت يا رسول الله، أفلا أبشر الناس، قال: **«لا تبشرهم فيتكلوا»**(١).

ومعنى العبادة هنا الطاعة والخضوع والانقياد والاستجابة لأمر الله ـ سبحانه ـ وهذا حق لله على العبيد، أما حقهم على الله أنه يصير أمرهم إلى رحمته ودخول الجنة والنجاة من عذاب النار التي أُعدت للكافرين، وهذا الحديث من أحاديث الرحمة التي يُنزَّه بها الله عن صفات النقص فهو الرحيم الرؤوف وهذا فعله.

وعن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: **«أتاني جبريل، فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى»**(٢).

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»**(٣).

الإيمان والعمل الصالح:

يأتي الإيمان دائماً مقروناً بالعمل الصالح، فلا يكاد يأتي موضعٌ فيه ذكر للإيمان وأنه سبب لدخول الجنة إلا وهو مقرون بالعمل الصالح، **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [البقرة: ٨٢]. **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾** [لقمان: ٨]. **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾** [الكهف: ١٠٧]. **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾** [الحج: ١٤]. **﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]. ﴿رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]. ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧]. ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»**[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: **«الإيمان بضع وستون شعبة؛ فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**[2].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة مستفيضة . . .

الطهارة الدائمة من الحدثين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

وعن عقبة بن عامر قال: أدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس فأدركت من قوله: **«ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلٌ عليها بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة»**، قال: فقلت: ما أجودَ هذه فإذا قائل بين يديَّ يقول: التي قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قال: إني قد رأيتك جئت آنفاً قال: **«ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخُلُ من أيها شاء»**(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال لبلال عن صلاة الفجر: **«يا بلال حدثني بأرجىٰ عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة»**، قال: ما عملت عملاً أرجىٰ عندي أني لم أتطهر طُهُوراً في ساعة ليلٍ أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كُتب لي أن أصلي»(٢).

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنهما - قال: أصبح رسول الله ﷺ يوماً فدعا بلالاً فقال يا بلال: **«بم سبقتني إلىٰ الجنة؟ إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي»** فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ولا أصابني حدث قط إلا توضأت عنده» فقال رسول الله: **«بهذا»**(٣).

المحافظة على الصلاة:

قال تعالىٰ: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [الكوثر: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥**

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي والحاكم وابن خزيمة.

فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون: ٤-٥].

والآيات في الباب كثيرة جداً تبين مكانتها في الإسلام وفلاح المحافظين عليها وخسارة وبوار من تركها أو تهاون بها.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**»[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «قلت يا نبي الله أي الأعمال أقرب إلىٰ الجنة؟ قال: «**الصلاة علىٰ مواقيتها**»، قلت: وماذا يا نبي الله؟ قال: «**برُّ الوالدين**». قلت: وماذا يا نبي الله؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[2].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلىٰ المسجد أو راح أعدَّ الله له نزلاً كلما غدا أو راح**»[3].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**من صلىٰ البردين دخل الجنة**»[4].

وكذلك ما رواه مسلم من حديث معدان بن طلحة اليعمري «حينما لقي ثوبان - رضي الله عنه - فسأله عن عمل يعمله ويدخله الجنة فقال إني سألت رسول الله عن هذا فأوصاني بكثرة السجود»[5].

---

(١) رواه أحمد والطبراني وابن حبَّان بسند جيد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم.

بر الوالدين وصلة الرحم:

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٢١].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«رَغِم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه»**، قيل من يا رسول الله؟ قال: **«من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة»**[١].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «قلتُ: يا نبي الله، أي الأعمال أقرب إلىٰ الجنة؟ قال: **«الصلاة علىٰ مواقيتها»**، قلتُ: وماذا يا نبي الله؟ قال: **«بر الوالدين»**، قلت: وماذا يا نبي الله؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله»**[٢].

وعن أبي أيوب قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: دلني علىٰ عمل أعمله يدنيني من الجنة، ويباعدني من النار، قال: **«تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل ذا رحمك»**[٣].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلىٰ يا رب، قال فذلك لك»**[٤].

وفي الحديث: **«الوالد أوسط أبواب الجنة»**، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«الجنة تحت أقدام الأمهات»**.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

الجهاد في سبيل الله:

قال تعالىٰ: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤].

قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾ [محمد: ٤-٦].

قال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

عن أبي هريرة قال - عليه الصلاة والسلام -: «**تكفّل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرده إلىٰ مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة**»[١].

وعن عبد الله بن أبي أوفىٰ - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»[٢].

وعن المغيرة قال: «أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا: أنه من قُتل منا صار إلىٰ الجنة»[٣].

وعن جابر: «أن رجلاً قال أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟ قال: «**في الجنة**»[٤].

طلب العلم الشرعي الخالص لوجه الله:

قال تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري

(٤) رواه مسلم.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»**[١].

وقال ـ عليه السلام ـ: **«إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً بما يصنع طالب العلم»**.

وهذا معلوم ومجرب فكلما كان طالب العلم مجداً في طلبه أعقبه الله في قلبه إيماناً وخشوعاً وخضوعاً لله حتى أن هموم الدنيا لتهون أمامه.

خشية الله في السر والعلن:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فُعِل به ذلك. فأمر الله الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال يا رب خشيتك فغفر له»**[٢].

وفي رواية أخرى للبخاري زيادة بأنه قال: **«فإني لم أعمل خيراً قط»**, وهذا يُعد من أحاديث الرجاء الدالة على رحمة الله وسعة فضله، فرحمة الله سبقت غضبه، فهذا الرجل الذي لم يعمل خيراً قط غفر الله له ورحمه، ولكن لا تؤخذ أحاديث الرجاء قاعدة يُتكل عليها، ولذلك علق الزهري على هذا الحديث وحديث أبي هريرة: **«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً»** علق وقال:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

ذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل.

والشاهد في الحديث السابق قوله: «فغفر له» لأن المغفرة تعني دخول الجنة والنجاة من النار. وكذلك حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله.

حب كلام الله ـ عز وجل ـ:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: «كان رجلٌ من الأنصار يؤمهُم في مسجد قباء وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يَقرأ به، افتتح بـ«قل هو الله أحد» حتىٰ يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرىٰ معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترىٰ أنها تجزئك حتىٰ تقرأ بأخرىٰ، فإما تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرىٰ فقال: ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال: **«يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك علىٰ لزوم هذه السورة في كل ركعة؟»** فقال: إني أحبها فقال: **«حُبُّك إياها أدخلك الجنة»**[1].

والحب له مستلزمات وتوابع ومن أهم مستلزماته اتباع المحبوب وتقديمه علىٰ كل محبب للنفس وحب كلام الله ـ عز وجل ـ يستلزم حفظه وفهمه والعمل به والإيمان بمتشابهه، وقد ترك لنا التاريخ المشرق نماذج خالدة لسلفنا الصالح في حبهم للقرآن حتىٰ حجب أحاسيسهم أثناء تلاوته عن أي مؤثر خارجي، فمنهم من يُزف إلىٰ عروسه ليلة زواجه فيصلي ركعتين ويستفتحها بالبقرة ثم آل عمران والنساء وقد نسي زواجه وعروسه التي تنتظره ثم يسلم، ويريد أن يقوم يصلي فتناديه عروسه يا فلان أمالك فينا من حاجة فيقول: لقد نسيت لو ذكرتيني ذكرت. ولله در القائل: الحب يعمي ويصم، وآخر قائم

(١) رواه البخاري.

يصلي فيسقط جدار المسجد ويهرب الناس وهو قائم يصلي لم يدرِ بما حصل، وآخر إذا سجد جاءت الطير فوقعت على يده لأنه ثابت لا يتحرك، وآخر يقرر الأطباء قطع رجله لمرض أصابه فيعرضون عليه الخمر حتى يخفف عنه الألم فيرفض ويقول إذا رأيتموني أقرأ القرآن اقطعوا رجلي، فشرع بقراءة القرآن فقطعوا اللحم بالمشرط ونشروا العظم بالمنشار وهو لا يتألم؛ لأنه لا يَحسُ بما يجري به بسبب حبه للقرآن وتأثره به حتى عطل كل جارحة فيه، وأوقف الإحساس حتى هام بكلام الرب - عز وجل -.

الصبر على فقد الأولاد الذين لم يبلغوا الحنث:

قال - عليه الصلاة والسلام -: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار: «**لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبهم إلا دخلت الجنة، فقالت امرأةٌ منهن: أو اثنان يا رسول الله قال: أو اثنان**»[1].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**ما من مسلِمَيْن يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله وأبويهم الجنة. قال: يكونون على باب من أبواب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فيقولون: حتى يجيء آباؤنا وأمهاتنا فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم بفضل رحمة الله**».

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**ما من رجل يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل**»[2].

وعن عبد البر بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ بلغه وفاة ابن امرأة من الأنصار، فقام وقمنا معه فلما رآها قال: «**ما هذا الجزع؟**» قالت: يا رسول الله ما لي لا أجزع وأنا رقوب لا يعيش لها ولد، فقال لها النبي ﷺ: «**إنما الرقوب التي يعيش ولدها، أما تحبين أن ترينه على باب**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه ابن كثير وابن ماجة والطبراني.

الجنة وهو يدعوك إليها؟! قالت: بلىٰ كذلك»[1].

وخرَّج حماد بن سلمة عن أبي سنان قال: دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني جالساً علىٰ شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان، قلت: بلىٰ، قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مات ولد العبد قال الله ـ تعالىٰ ـ لملائكته: قبضتم ولد عبدي فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله ـ تعالىٰ ـ: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»**[2].

وقال أبو مسلم الخولاني: «لأن يولد لي مولود أحسن الله نباته حتىٰ إذا استوىٰ علىٰ شبابه وكان أعجب ما يكون إليَّ قبضه الله مني أحب إليَّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها».

قال أبو الأحوص: دخلنا علىٰ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير حسناً، فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم.

قلنا: إي والله لمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه إلىٰ سقف بيت له صغير قد عشش فيه خطاف وباض فقال: والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضت يدي من تراب قبورهم أحب إليَّ من أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه».

حفظ الفرج واللسان:

وحفظ الفرج: يكون من الزنا واللواط وغيرها، وحفظ اللسان يكون من الغيبة والنميمة والكذب والكلام الفاحش.

---

(١) أخرجه ابن كثير.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والطبراني.

عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال النبي ﷺ: **«من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة»**(١).

وفي رواية: **«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»**.

ويشهد له حديث رسول الله ﷺ لمعاذ: **«وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»**.

الحكم بالعدل:

قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ـ عز وجل ـ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا»**(٢).

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: **«إمام عادل»**(٣).

الإحسان:

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار، لو أساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة»**(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري

(٤) رواه البخاري.

البــر والصــدق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣].

وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً»**.

أربع خصال يسيرة تدخل الجنة:

قال ﷺ: **«من أصبح منكم اليوم صائماً؟»** قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنا. قال: **«فمن تبع منكم اليوم جنازة؟»** قال: أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنا. قال: **«فمن أطعم اليوم مسكيناً؟»** قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنا. قال: **«فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟»** قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنا. فقال ﷺ: **«ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة»**(١).

الصـبر:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

وقال تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

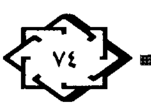
وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ **«اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض»**(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.



قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبته فصبر، عوضته منها الجنة»**(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الله ـ تعالىٰ ـ قال: **«ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»**(٢).

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلىٰ، قال: هذا المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: **«إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك؟»** فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها»(٣).

التوكل على الله:

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورىٰ: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) ﴾ [العنكبوت: ٥٧ ـ ٥٩].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»** قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال هم: **«الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلىٰ ربهم يتوكلون»**(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

معنىٰ التوكل علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ: هو تفويض الأمر لله، والاكتفاء به وكيلاً والوثوق بنصره وقدرته، ويجب أن لا يخلط بين التوكل والتواكل إذ لا تعارض بينهما، فالإنسان يعمل السبب، ثم يتوكل علىٰ الله كقوله ﷺ لصاحب الناقة **«اعقلها وتوكل»** وقوله ـ تعالىٰ ـ لمريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥].

وجذع النخلة لا يستطيع هزه العصبة من الرجال الأقوياء.

وقال الشاعر في هذا المعنىٰ:

توكل علىٰ الرحمن في الأمر كله ... ولا ترغَبَنَّ العجز يوماً عن الطلب

ألم ترَ أن الله قال لمريم ... وهزي إليك الجذع يَسَّاقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزِّهِ ... جنته ولكن كل رزقٍ له سبب

حسن الظن بالله ـ عز وجل ـ:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إلىٰ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إليَّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»**(١).

وهذا عام في حياة المسلم ويتأكد حين نزول الموت به قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**.

الرحمــة:

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد ١٧ـ١٨].

وعن أسامة بن زيد قال: «كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدىٰ بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً لها في الموت فقال الرسول ارجع إليها فأخبرها: **«أن لله ما أخذ وله ما أعطىٰ، وكل شي عنده بأجل مسمىٰ، فمرها**

---

(١) رواه مسلم.

فلتصبر ولتحتسب»، فعاد الرسول فقال: **«إنها قد أقسمت لتأتينها»**، قال: فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وانطلقت معهم فرُفع إليه الصبي، ونفسه تقعقع كأنها في شنةٍ، ففاضت عيناه فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: **«هذه رحمة جعلها الله في قلوب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»**(١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«من لا يرحم لا يُرحمْ»**(٢).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق مُوفق، ورجل رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»**(٣).

كفالة اليتيم:

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطىٰ»**(٤).

اليتيم: من مات والداه أو أحدهما قبل سن البلوغ.

الإحسان إلى البنات، ومن عال ابنتين حتى تبلغا:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت، فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال: **«من ابتلىٰ من هذه**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) البخاري ومسلم.

البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[١] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه»**[٢] .

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«من كن له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فاتقى الله وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى»** .

زيارة المسلم المريض:

قال عليه ﷺ **«من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع»**[٣] .

وفي رواية: قيل: يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: **«جناها»**[٤] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً»**[٥] .

إنظار الموسر والتجاوز عن المعسر:

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم، أتاه الملك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم، قيل له: انظر، قال: ما اعلم شيئاً غير إني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم، فأنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة»**[٦] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني .

(٦) رواه البخاري .

وفي رواية مسلم: «حُوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر فقال الله ـ عز وجل ـ نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه»(١) .

عتق الرقـــاب:

قال تعالىٰ: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)﴾ [البلد: ١١ ـ ١٣].

وقال ـ عليه السلام ـ: «أيما رجلٍ اعتق امرأً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه، عضواً منه من النار»(٢) .

وفي رواية أخرىٰ: «من اعتق رقبة مؤمنة، اعتق الله بكل إرب منها إرباً من النار» ، وفي رواية «حتىٰ يعتق فرجه بفرجه»(٣).

بناء المساجــد:

قال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من بنىٰ مسجداً لله بنىٰ الله له في الجنة مثله»(٤) وفي رواية «من بنىٰ مسجداً يبتغي به وجه الله بنىٰ الله له مثله في الجنة»(٥) .

وقال ـ عليه السلام ـ: «من بنىٰ لله مسجداً ولو كمفحص قطاةٍ بنىٰ الله له بيتاً في الجنة» .

حسن الخلق:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء،

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه البخاري.

وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وبيت في أعلىٰ الجنة لمن حسن خلقه»(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوىٰ الله وحسن الخلق».

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أثقل شئ في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق».

ترك المراء:

الحديث المتقدم.

ترك الكذب ولو كان مازحاً:

الحديث المتقدم.

وحديث: «ويل لمن يكذب ليضحك القوم ويل له ويل له».

التقوى:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوىٰ الله».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

طاعة الله ورسوله:

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

وقال ـ عليه السلام ـ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ» قالوا يا رسول الله ومن يأبىٰ؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ».

---

(١) أبو داود.

التـوبـة:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**(١).

قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة مكتوبة:

لقول النبي ﷺ **«من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت»**(٢).

إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل:

لقوله ﷺ: **«أيها الناس، أفشوا السلام، واطعموا الطعام، وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»**.

الصدق في الحديث والوفاء بالوعد وأداء الأمانة وحفظ الفرج وغض البصر وكف اليد:

لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم»**(٣).

صلاة اثنتي عشرة ركعة كل يوم وليلة تطوعاً:

والمقصود بها السنن الرواتب.

فعن أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ قال: **«من صلى في يوم وليلة ثنتي عشر ركعة بُني له بيتاً في الجنة: أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها،**

(١) ابن ماجة.

(٢) النسائي وابن السني وابن حبان وصححه الألباني وذلك لأن من قرأها ثم مات يكون قد مات على التوحيد، وفي هذه الآية اسم الله الأعظم إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى قيل هو: الحي وقيل القيوم وقيل: الله

(٣) ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وحسنه الألباني.

وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة»[١].

السماحة في البيع والشراء:

عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: **«أدخل الله ـ عز وجل ـ رجلاً الجنة كان سهلاً مشترياً وبائعاً وقاضياً ومقتضياً»**[٢].

الذهاب إلى المسجد والعودة منه:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»**[٣].

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: قوله ﷺ أعد الله له في الجنة نزلاً، النزل: ما يُهيأ للضيف عند قدومه.

الإكثار من السجود:

فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: **«سَلْ فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة فقال: أو غير ذلك، قلت: هو ذاك قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود»**[٤].

الحج المبرور:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**[٥].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**[٦].

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) البخاري في التاريخ الكبير.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه البخاري.
(٦) أحمد والطبراني.

ذكر الفراغ من الوضوء:

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ، الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»**(١).

عموم ذكر الله:

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ومستفيضة، فعن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: **«سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»**(٢).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»**، قالوا: بلى يا رسول الله قال: **«ذكر الله»** وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«سبق المفردون»**، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: **«الذاكرون الله كثيراً والذاكرت»** وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: **«خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بهما قليل، يسبح في دبر كل صلاة عشراً ويحمد عشراً ويكبر عشراً، فذلك خمسون ومائة باللسان وألف خمسمائة في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويسبح ثلاثاً وثلاثين فتلك مائة باللسان، وألف في الميزان»** فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

بيده قالوا: يا رسول الله كيف هما يسير، ومن يعمل بهما قليل؟ قال: **«يأتي أحدكم الشيطانُ في منامه فينومه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها»**[١].

ولا يوجد تعارض بين هذا الحديث والحديث الذي يحدد التسبيح بعد الصلاة بثلاثٍ وثلاثين والتكبير بثلاثٍ وثلاثين والتحميد بثلاثٍ وثلاثين. لأن كلا الحديثين واردان، فكلاهما وارد عن النبي ﷺ وقد جمع بعض العلماء بينهما فقالوا: الأولى أن يقدم الثلاثة والثلاثين فإن كان على عجلة من أمره فيجعلها عشراً والله أعلم.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»**[٢] وفي رواية: **«أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»**[٣].

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمد رسول الله، قال: أشهد أن محمد رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»**[٤].

---

(١) رواه النسائي وابن حبان وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

إحصاء وحفظ اسماء الله الحسنى:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»(١) وفي رواية أخرىٰ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لله تسعة وتسعون اسماً من حفظها دخل الجنة، وأن الله وتر يحب الوتر**»(٢).

وقد روىٰ الترمذي حديثاً حدد فيه هذه الاسماء حيث ساق بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوىٰ المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور**»(٣).

وتعيين هذه الأسماء لم يرد عن النبي ﷺ بل هي تفسير لأحد رواة الحديث، وقد أشار كثير من العلماء إلىٰ هذا فقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه، وأن الأسماء المعينة

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث غريب.

في الحديث حديث مدرج[1].

وقال **ابن عثيمين** ـ رحمه الله ـ لم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف. وإسناد الرواية التي ذكرها الترمذي ضعيف لسببين:

الأول: صفوان بن صالح أبو عبد الملك الدمشقي، قال ابن حبان: سمعت أبا جوصا يقول: كان صفوان بن صالح ومحمد بن مصفي يسويان الحديث. يعني يدلسان تدليس التسوية.

الثاني: الوليد بن مسلم القرشي مولاهم أبو العباس الدمشقي عالم الشام، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية. قال الدارقطني: كان الوليد يرسل يروي أحاديث عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعي، فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي عن نافع وعن عطاء.

قال العلماء: هذا أشر أنواع التدليس لأنه يجعل الإسناد مسلسلاً بالثقات، بينما يكون فيه من لا يُقبل حديثه.

ومعنى قوله: **«من أحصاها دخل الجنة»**.

للعلماء في تفسير أحصاها أقوال عدة منها:

قيل: حفظها، وفهم معناها. وهو رأي البخاري.

وقيل: يعدها حتى يستوفيها، ويثني عليه ـ سبحانه ـ بجميعها.

وقيل: أن معنى أحصاها أي: أطاقها لقوله تعالى: ﴿**عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ**﴾ أي: تطيقوه، وعلى هذا الرأي: أنه لا يكفي بأن يحفظها، بل لابد أن يعمل بمقتضاها، ويعتبر بمعانيها، فليزم نفسه بموجبها، فإذا قال: الرزاق لا يشك في الرزق ولا يخاف من أحد إمساكه؛ لأن الرزاق هو الله لا الخلق، وإن قال

---

(١) الحديث المدرج: هو الحديث الذي فيه جزء من قول النبي ﷺ وجزء آخر من قول الصحابي أو التابعي أو أحد الرواة.

الرقيب لا يعصي الله؛ لأن الله يراقبه وهكذا في بقية الأسماء.

طاعة الزوجة زوجها:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»[1]... وفي حديث آخر عندما ذهبت مجموعة من النسوة إلى رسول الله ﷺ فقلن له إن الرجال ذهبوا بالأجور بسبب الجهاد والجمع والجماعات فقال لهن - عليه السلام -: «**إن طاعة الزوج تعدل ذلك كله**».

إنفاق زوجين في سبيل الله:

لحديث أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته حَجَبة الجنة**» قال القاضي الهروي في تفسير هذا الحديث: قيل ما زوجان: قال: فرسان أو عبدان أو بعيران قال ابن عرفه: كل شيء قُرن بصاحبه فهو زوج.

الساعي على الأرملة والمسكين:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»[2].

الإكثار من سؤال الجنة:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**ما سأل الله عبدٌ الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلاناً يسألني فأدخلنيه**»[3].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**أكثروا مسألة الله الجنة، واستعيذوا به من النار فإنهما شافعتان مشفعتان، وأن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب**

---

(١) رواه أحمد والطبراني، وقال الألباني: حسن لغيره.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو نعيم، وأبو يعلى وقال: وإسناده على شرط الصحيحين.

عبدك هذا الذي سألنيك فأسكنه إياي، وتقول النار: يا رب عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فأعذه»(١).

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **«يقول الله ـ عزَّ وجل ـ: انظروا في ديوان عبدي، فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته، ومن استعاذني من النار أعذته»**(٢).

السلطان العادل المتصدق والرحمة ورقة القلب لكل مسلم وذو العيال المحتاج المتعفف:

فعن غياض بن حمار المجاشعي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«... وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»**(٣).

الصفات الموجودة في العشر آيات الأولى من سورة (المؤمنون):

لقوله ﷺ: **«قد أُنزلت عليَّ عشرُ آيات من أقامهن دَخل الجنة»** ثم تلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر آيات(٤).

الأصناف الموجودون في حديث (السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله):

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**(٥).

---

(١) رواه الحسن بن سفيان كما في «النهاية» وأبو نعيم في «صفة الجنة».
(٢) رواه أبو نعيم، وذكرها ابن القيم في «حادي الأرواح».
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه أحمد والترمذي.
(٥) رواه البخاري ومسلم.

المبحث الثالث:
أعمال تحرم دخول الجنة

الشرك بالله:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وعن جابر بن عبد الله قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**»(١).

الموجبتان: أي ما الذي يوجب دخول الجنة؟ وما الذي يوجب دخول النار؟

وعن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ كلمة وقلت أخرى: «**من مات يجعل لله نداً أدخل النار**»، وقلت أخرى: من مات لا يجعل لله نداً أدخل الجنة(٢).

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله - تعالى - لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول الله: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي**»(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فيقول الله: إني حرمت الجنة**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

على الكافرين»[١] .

وهذا تحريم أبدي لدخول الجنة والشرك بالله له صُورٌ متعددة منها:

أن يعبد غير الله أو يحب غير الله كقوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] ومنها إتباع الهوىٰ كقوله تعالىٰ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣] ومنها الرياء كقوله تعالىٰ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالىٰ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦ ﴾ [الماعون ٤-٧] .

قتل المؤمن بغير حق:

قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«ومن استطاع أن لا يُحال بينه وبين الجنة بملء كفه من دم إهراقه فليفعل»**[٢] .

قتل المعاهد:

قال تعالىٰ : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٧] .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : **«من قتل معاهداً لم يُرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسير أربعين عاماً»**[٣] .

وقوله : **«لم يرح رائحة الجنة»** دلالة علىٰ بعده عن الجنة حتىٰ إنه لا يشم رائحة الجنة رغم وجودها علىٰ بعد أربعين سنة .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري .

قاتل نفسه:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكيناً فحز به يده، فما رقأ الدمُ حتىٰ مات قال الله ـ تعالىٰ ـ بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة»**(١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تردىٰ من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردىٰ فيه خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تحسىٰ سُماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأبها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»**(٢).

وعن سهل بن سعد الساعدي قال: نظر النبي ﷺ إلىٰ رجل يقاتل المشركين وكان من أعظم المسلمين غناءً عنهم فقال: **«من أحب أن ينظر إلىٰ رجل من أهل النار فلينظر إلىٰ هذا»**، فتبعه رجل فلم يزل علىٰ ذلك حتىٰ جُرح فاستعجل الموت فقال بذبابه سيفه فوضعه بين ثدييه فتحامل عليه حتىٰ خرج من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: **«إن العبد ليعمل فيما يرىٰ الناس عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرىٰ الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها»**(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذب به يوم القيامة»(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أبو عوانه في مستخرجه من حديث ثابت بن الضحاك.

قطع حق المرأ المسلم باليمين الكاذبة:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«من اقتطع حق امرء مسلم بيمنه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة»** فقال له رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله قال: **«وإن كان قضيباً من أراك»**[١] ومعنىٰ الحديث: بأنه يقسم بالله العظيم أن هذا الشيء من حقه ليأخذه من صاحبه الحقيقي.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف علىٰ يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان، فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً...﴾ إلىٰ آخر الآية»**[٢].

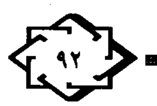
قطـــع الرحـــم:

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«لا يدخل الجنة قاطع»**[٣] ومعنىٰ الحديث: لا يدخل الجنة دخول ابتداء من قطع رحمه، وليس المقصود انتفاء الدخول الأبدي، لأن قطع الرحم من الكبائر ومعتقد أهل السنة في مرتكب الكبائر أنه تحت المشيئة إن شاء غفر له أو عذبه الله علىٰ قدر معصيته حتىٰ يطهره ثم يخرج من النار إلىٰ الجنة. والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري.



أذية الجار والتربص به:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»**[١] ومعنى الحديث: أن النبي ﷺ أقسم بنفي الإيمان الذي يُدخل الجنة، عمن يؤذي جاره، فإذا انتفى الإيمان كان معناه: تحريم الجنة. ويشهد على ذلك قوله ﷺ **«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»**[٢] وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما سئل عن امرأةٍ مكثرة من الصلاة والصيام لكنها مؤذية لجيرانها فقال: **«هي في النار»** وسئل عن امرأةٍ مقلة من الصلاة والصيام لكنها محسنة لجيرانها فقال: **«هي في الجنة»**.

تعذيب الناس بغير حق:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**[٣].

وعن عبد الله بن رافع مولى أم سلمه قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«يُوشك إن طالت بك مُدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر، يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله»**[٤] وفي رواية **«ويروحون في لعنته»**[٥].

الكاسيات العاريات المائلات المميلات:

الحديث السابق.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.

النـمّـام:

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أنه بلغه أن رجلاً ينم الحديث فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**»[١] والنمام عاص لله لأنه مرتكب كبيرة إن مات عليها ولم يتب كان تحت المشيئة فإن دخل النار طُهِّر منها ثم يكون مصيره إلى الجنة لأن مرتكب الكبيرة لا يكفر، ومن لا يكفر لا يخلد في النار.

الإنتساب إلى غير الأب هو يعلم ذلك:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**من ادَّعىٰ إلىٰ غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**»[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كافر**»[٣].

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعىٰ لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن أدعىٰ ما ليس له فليس منَّا، وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[٤].

الأمير الذي يموت وهو غاش لرعيته:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[٥] وفي رواية «**لم يجد رائحة الجنة**» وفي رواية «**ما من أمير يلي أمر المسلمين**» وفي رواية «**ما من والٍ يلي رعية من المسلمين**».

---

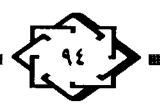
(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.



الكبـــر:

قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمطُ الناس»**(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»**(٢).

وعن حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت رسول الله ﷺ **«يقول ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار: كل عُتُلٍّ جواظٍ مستكبر»**(٣).

الشيخ الزاني:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ وملك كذاب، وعائل مستكبر»**.

والسبب في ذلك ضعف داعي المعصية في هذه الأصناف الثلاثة ومع ذلك فهي متمكنة منهم أشد التمكن الشيخ الكبير الذي يزني ولا شهوة له، والملك الذي يكذب وهو لا يخاف أحداً والضعيف الفقير صاحب الأسرة الذي يعولها يتكبر مع انتفاء أسباب الكبر لديه، وإنما تمكنت هذه المعاصي منهم لفساد نفوسهم وحبهم للمعصية بلا خوف من الله.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

الملك الكذاب:

الحديث السابق

العائل المستكبر:

الحديث السابق.

أن يحلف على سلعة أنه أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب:

لحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب...»**[1].

منع فضل الماء عن المحتاجين:

لحديث أبي هريرة المتقدم: **«ورجل منع فضل ماءٍ، فيقول الله يوم القيامة: اليوم امنعك فضلي؟ كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»**[2].

مبايعة الإمام لأجل الدنيا:

لحديث أبي هريرة **«ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفي وإن لم يعطه منها لم يفِ»** وفي بعض الروايات: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم»**[3].

المسبل:

والمقصود به إنزال الرداء أو السراويل أو ما بحكمه إلى أسفل الكعبين والإسبال له وجهان:

الأول: إسبال خيلاء:

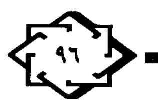
وهذا حرام وكبيرة من كبائر الذنوب بلا نزاع، والدليل على ذلك ما رواه

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.



البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ **«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**[١] وفيها أيضاً من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً»**[٢] قال النووي: قال العلماء: الخيلاء والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام[٣].

ويستثنى من تحريم إسبال الخيلاء: الإسبال في الحرب ومواجهه العدو، ودليل ذلك أن النبي ﷺ رأى بعض أصحابه يمشي بين الصفين يختال في مشيته فقال - عليه السلام -: **«إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»** قال البهوتي - رحمه الله -: «وذلك لأن الخيلاء غير مذموم في الحرب»[٤].

الثاني: إسبال لغير خيلاء:

وهذا له وجهان:

الأول: إسبال لحاجة مرض أو ستر عيب كقبح الساقين ونحوه فهذا لا بأس به كما نص على ذلك البهوتي - رحمه الله -.

قال الحافظ: ويستثنى من إسبال الإزار مطلقاً ما أسبله لضرورة كمن يكون بكعبيه جرح يؤذيه الذباب إن لم يُستر بإزاره حيث لا يجد غيره[٥]، وقد ورد ذلك عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه كان يسبل إزاره فقيل له في ذلك فقال: «إني حمش الساقين»[٦] أي دقيق الساقين.

الثاني: إسبال لغير حاجة مرض ونحوه، فالجمهور: على أنه مكروه وليس

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) المنهاج.

(٤) كشاف القناع.

(٥) فتح الباري/ ابن حجر.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة بسند جيد.

حرام، وهي رواية عن أحمد. قال الحجاوي: «ويكره أن يكون ثوب الرجل تحت كعبه بلا حاجة»[١] وجزم بذلك الموفق -رحمه الله- حيث قال: «ويكره إسبال القميص والإزار والسراويل؛ لأن النبي ﷺ أمر برفع الإزار، فإن فعل ذلك على وجه الخيلاء حرام»[٢] وهذا القول مشهور عن الفقهاء؛ قال السهارنفوري -رحمه الله-: «قال العلماء: المستحب في الإزار والثوب إلى أنصاف الساقين» والجائز بلا كراهه ما تحته إلى الكعبين فيما ينزل عن الكعبين فهو ممنوع منع تنزيه، وإن كان لخيلاء فهو ممنوع منع تحريم»[٣] وبه جزم جماعة منهم النووي في (المنهاج) والحافظ في (الفتح) حيث قال: «لا يحرم الجر بالإسبال إذا سَلِمَ من الخيلاء» والشوكاني في (نيل الأوطار) حيث قال: وظاهر قوله: (خيلاء) يدل بمفهومه أن جر الثوب لغير خيلاء لا يكون داخلاً في هذا الوعيد، ثم قال: وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث وعدم إهدار قيد الخيلاء المصرح به في الصحيحين، وقال: حمل المطلق على المقيد واجب، وهو ظاهر كلام ابن عبد البر -رحمه الله- حيث قال: «وهذا الحديث -يعني حديث ابن عمر- لا ينظر الله -عز وجل- يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء» يدل على أن من جر إزاره من غير خيلاء، ولا بطر: إنه لا يلحقه الوعيد المذكور غير أن جر الإزار والقميص وسائر الثياب مذموم على كل حال»[٤].

ودليل حكم الكراهة:

١- ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: «ومن كره الإسبال مطلقاً: احتج بعموم النهي في ذلك فعن أبي جرى جابر بن سليم الهجيمي قال: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئاً إلا صدروا

---

(١) الاقناع.

(٢) المغني.

(٣) بذل المجهود ١٦/ ٤١١.

(٤) التمهيد ٣/ ٢٤٤.



عنه، فقلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ قلت: عليك السلام يا رسول الله مرتين. قال: لا تقل: عليك السلام. عليك السلام تحية الميت! قلت: انت رسول الله؟ قال أنا رسول الله، الذي إذا أصابك ضرر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك وإذا كنت بأرضٍ قفرٍ أو فلاةٍ فضلت راحلتك فدعوته ردَّها عليك قال: قلت: أعهد إليَّ. قال: لا تسبنَّ أحداً. قال: فما سببت بعده حراً ولا عبداً ولا بعير ولا شاة. قال: لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليك وجهك إن ذلك من المعروف وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة[١].

٢ـ حديث ابن الحنظلية قال: قال رسول الله ﷺ **«نعم الرجل خريم الأسدي لولا طول جمته وإسبال إزاره»**[٢] ولأن الإسبال مظنة الخيلاء فكرُه كما كرر مظان سائر المحرمات[٣].

٣ـ حديث عبد الله بن عمر قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء فقال ـ عليه السلام ـ: **«يا عبد الله ارفع إزارك فرفعته. ثم قال: زد فزدت، فما زلت أتحراها بعد»**. فقال له بعض القوم: إلى أين؟ قال: **«إلى أنصاف الساقين»**[٤].

٤ـ حديث أبي بكر الصديق وهو أن النبي ﷺ قال: **«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»** فقال أبو بكر: أن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله ﷺ: **«إنك لست تصنع ذلك خيلاء»**[٥].

(١) رواه الخمسة إلا ابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٢) رواه أحمد وأبو داود.
(٣) شرح العمدة.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.

٥- قالوا أن النبي ﷺ قيد التحريم بالخيلاء، وأما حديث أبي هريرة: **«ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»**(١) فأجابوا عنه: بأن هذا الحديث مطلق وهو محمول على الحديث المقيد وحمل المطلق على المقيد واجب.

وقد ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه الأحاديث أمثال **الشيخ ابن عثيمين** حيث فصل في هذه المسألة فقال: إسبال الإزار إذا يقصد به الخيلاء فعقوبته أن لا ينظر الله يوم القيامة ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب عظيم. وأما إذا لم يقصد به الخيلاء فعقوبته أن يعذب ما نزل من الكعبين بالنار؛ لأن النبي ﷺ قال **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»** وقال: **«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**. فهذا فيمن جر ثوبه خيلاء، وأما من لم يقصد الخيلاء ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار»** ولم يقيد ذلك بالخيلاء ولا يصح أن يُقيد بها بناءً على الحديث الذي قبله لأن أبا سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ **«إزرة المؤمن إلى نصف الساق ولا حرج أو قال لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك فهو في النار، ومن جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**(٢) ولأن العملين مختلفان والعقوبتين مختلفتان، ومتى اختلف الحكم والسبب امتنع حمل المطلق على المقيد لما يلزم على ذلك من التناقض.

وأما من احتج بحديث أبي بكر فلا حجة له به من وجهين:

الأول: أن أبا بكر - رضي الله عنه - قال: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وذكره في كتاب الترغيب والترهيب. ونلحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ فرق بين القسمين في حديث واحد ما يدل على حرمة الأسبال مطلقاً.

أتعاهد ذلك منه فهو ـ رضي الله عنه ـ لم يرخ ثوبه اختيالاً منه بل كان ذلك يسترخي ومع ذلك فهو يتعاهده والذين يسبلون ويزعمون أنهم لم يقصدوا الخيلاء يرخون ثيابهم عن قصد فنقول لهم إن قصدتم إنزال ثيابكم إلىٰ أسفل من الكعبين بدون قصد الخيلاء عُذبتم علىٰ ما نزل فقط بالنار. وإن جررتم ثيابكم خيلاء عذبتم بما هو أعظم من ذلك لا يكلمكم الله يوم القيامة ولا ينظر إليكم ولا يزكيكم ولكم عذاب أليم.

الثاني: أن أبابكر ـ رضي الله عنه ـ زكاه النبي ﷺ وشهد له أنه ليس ممن يصنع ذلك خيلاء فهل نال أحدٌ من هؤلاء تلك التزكية والشهادة؟

وأفضل الأقوال جمعاً بين الأدلة أن نقول: الإسبال إذا قُصِد به الخيلاء يكون معصية عظيمة لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ فاعله ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب عظيم كما ورد هذا في الحديث.

وإن لم يقصد به الخيلاء، فعقوبته ما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار»** ولم يقيد ذلك بالحديث السابق.

المنان:

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»** قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: **«المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»**(١).

وفي رواية **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منَّة والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره»**(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

عدم حفظ اللسان من الحرام :

قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لمعاذ بن جبل عندما سأله : أو إنَّا مؤاخذون بما نتكلم به فقال له ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **«ويحك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»** .

إفساد المرأة على زوجها:

الوارد فيه حديثان : الأول : **«من أفسد امرأة على زوجها فالجنة عليه حرام»** .

الثاني : **«من أفسد امرأة على زوجها حكَّمه الله في حسناته يوم القيامة فهل يبقي منها شيئاً»** .

الديوث:

لقوله ﷺ : **«لا يدخل الجنة ديوث»** ، قالوا : ومن هو الديوث يا رسول الله : قال : **«الذي لا يغار على محارمه»** وفي رواية قال **«الذي يرضى الخبث في أهله»**[1] .

---

(١) رواه الإمام أحمد .

المبحث الرابع :
الصفات الخَلقيَّة والخُلقيَّة لأهل الجنة

أخبر النبي ﷺ أن من يدخل الجنة سوف تتغير خلقته، وتكون على خلقة أبينا آدم ـ عليه السلام ـ فأبونا آدم خلقه الله ـ عز وجل ـ بيده تكريماً له وجعله في أحسن صورة وأتم خَلْق، لا يقتصر الأمر على الصورة، بل يتعداها إلى مضمون الصورة، أعني بذلك المضمون : الأخلاق والطباع وإليك التفصيل :

أولاً : الصفات الخَلْقية

الطـول:

يبلغ طول الرجل من أهل الجنة ستين ذراعاً في السماء فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **«خلق الله ـ عز وجل ـ آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال له : اذهب فسلمْ على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يُحيونك؛ فإنها تحيتك وتحيّة ذريتك. قال : فذهب، فقال : السلام عليكم، فقالوا : عليك السلام ورحمة الله، فزادوا ورحمة الله قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن»**[1] .

العـرض:

أما العرض فمقداره سبعة أذرع. لما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : **«يدخل أهل الجنة ,وهم على خَلْقِ آدم ستون ذراعاً في سبعة أذرع»**[2] .

قال **ابن القيم** : وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد في المسند والبيهقي وابن أبي شيبة وابن عدي والطبراني وغيرهم.

فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات . . . ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخِلقة يصير طولاً مع دقة، أو غلظاً مع قصر وكلاهما غير مناسب، والله أعلم.

العمر:

أعمار أهل الجنة ثلاثٌ وثلاثون سنة، وهو عمر الفتوة وشرخ الشباب، فعن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ **«يُبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاثٍ وثلاثين سنة . . .»**[1].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ **«يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم: ستين ذراعاً بذراع الملك على حُسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة»**[2].

مُـرداً:

والأمرد هو الرجل بلا شعر في وجهه، فأهل الجنة لا لحى لهم في وجوههم ولا شوارب.

فعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة جُرداً مُرداً كأنهم مكحلون»**[3].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«يُبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين، ثم يُذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيُكسون منها، لا تبلى ثيابهم ولا يبلى شبابهم»**[4].

سواد العينين:

دلت عليها الأحاديث المتقدمة.

---

(١) رواه أبو داود وأبو نعيم والطبراني وقال الهيثمي: إسناد جيد
(٢) رواه ابن أبي الدنيا.
(٣) صححه الألباني.
(٤) سبق تخريجه.

انتفاء المخاط والبصاق والتغوط والبول:

والمخاط ما يخرج من الأنف من الأذىٰ والبصاق ما يخرج من الفم وهو (التفل) والتغوط قضاء الحاجة. وذلك لما رواه أبو هريرة «**لا يبصقون ولا يتمخطون، ولا يتغوطون**»(١).

انتفاء النوم:

وذلك لأن النوم أخو الموت، فهو غياب للعقل وتفويت لأوقات اللذة في الجنة؛ لذلك أهل الجنة لا ينامون فهم في يقظة دائمة، وانتباه سرمدي. فعن جابر - رضي الله عنه - قال: قيل: يا رسول الله؟ هل ينام أهل الجنة؟ قال: «**لا، النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون**»(٢).

الحسن والجمال:

فأهل الجنة بلغوا غاية الحسن ومنتهاه بل أن حسنهم لا نهاية له فهو يزيد علىٰ مر الدهور في ازدياد سرمدي، فما بالك بوجوه تنظر إلىٰ وجه ربها - عز وجل - ؟ هل يثبت جمالها أم يزيد؟ إن الوجوه التي يغشاها نور الله لحري بها النضارة والجمال أضعاف ما كانت عليه. قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ ودل علىٰ ذلك الحديث المتقدم «**يدخل أهل الجنة الجنة . . . وعلىٰ حسن يوسف**» وحديث عبد الله بن مسعود الطويل الذي يقول فيه عن الجنة أن النبي ﷺ قال: «**. . . فينطلق أمامه حتىٰ يفتح له القصر، قال: وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، كل جوهرة تفضي إلىٰ جوهرة علىٰ غير لون الأخرىٰ في كل جوهرة سُرر وأزواج ووصائف، أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حلّة يُرىٰ مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها أعراضة ازدادت في عينه سبعين**

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري مسلم.

(٢) رواه الطبراني والبزار وابن كثير، ورجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني.

ضعفاً عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازدت في عيني سبعين ضعفاً، فتقول له: والله وأنت لقد ازدت في عيني سبعين ضعفاً . . . »[١].

وقال كعب: «فيبرز لهم الرب - تبارك وتعالىٰ - فينظرون إليه، وتسفى عليهم الريح المسك، ولا يسألون الرب شيئاً إلا أعطاهم حتىٰ يرجعوا وقد ازدادوا علىٰ ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً، ثم يرجعون إلىٰ أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك»[٢].

وروىٰ أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة لسوقاً، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلىٰ أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»**[٣].

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمرة ليلة البدر»**[٤] وقال أبو هريرة **«والذي أنزل الكتاب علىٰ محمد أن أهل الجنة ليزدادون جمالاً وحسناً كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرماً»**[٥].

البكارة الدائمة في النساء:

لقوله ﷺ: «**أن الله - تعالىٰ - إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً**»[٦] وحديث أبي هريرة **«أن الرجل ليصلُ في اليوم إلىٰ مائة عذراء»**[٧] وحديث أبي هريرة أنه قيل:

---

(١) رواه الطبراني من طرق ورجال أحدهما رجال الصحيح وأبي خالد الدالاني ثقة.
(٢) رواه الأجري في «التصديق بالنظر» وقال محققه: إسناده صحيح موقفاً علىٰ كعب الأحبار.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم وله حكم الرفع، وخصوصاً أن لجزئه الأول شاهداً أخرجه مسلم.
(٦) رواه ابن أبي شيبة
(٧) رواه الطبراني ورجال أحد الروايتين رجال الصحيح ومحمد بن ثواب ثقة.

يا رسول الله أنطأ في الجنة؟ قال: **«نعم والذي نفسي بيده، دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً»**[١] ومنه تفسير السلف لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥].

قالوا: شغلهم افتضاض الأبكار.

وهذا مرويٌ عن ابن عباس وعكرمة ومقاتل وعبد الله بن مسعود والأوزاعي وأبو الأحوص وغيرهم.

لسانهم ولغتهم عربية:

لحديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ **«يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، علىٰ حسن يوسف، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثون سنة، وعلىٰ لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحلون»**[٢].

وقال ابن عباس «لسان أهل الجنة عربي»[٣].

وقال الزهري: «لسان أهل الجنة عربي».

الرشاقة وضمور البطن:

لقوله ﷺ: **«تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك، فيضمر بطنه»**[٤] وفي بعض الروايات **«وإذا البطن قد ضمر»**.

الحياة الدائمة بلا موت:

لقوله ﷺ **«يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كلٌ خالد فيما هو فيه»**[٥] وكذلك حديث ذبح الموت المتفق عليه.

---

(١) رواه أبو نعيم.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، ورجاله ثقات ولمعظمه شواهد.

(٣) النهاية.

(٤) رواه أحمد والنسائي، وقال الحافظ الضياء: وهذا عندي علىٰ شرط مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

القوة العظيمة في كل شيء:

لقوله ﷺ **«يُعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: يُعطى قوة مائة»**(١) وفي بعض الروايات: **«يُفضي إلى مائة عذراء»**. وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«إنّ الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»**(٢) وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«إنّ أحدهم ليُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة»**(٣).

رائحة عرقهم رائحة المسك:

فقد ثبت في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«أنهم يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون، إنما يتصرف طعامهم أنهم يعرقون، ويتجشأون كرائحة المسك الأذفر»**(٤).

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) رواه أبو نعيم والبيهقي بإسناد صحيح.

(٣) رواه أحمد والنسائي، وقال الحافظ الضياء: هو عندي على شرط مسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

ثانياً: الصفات الخُلُقية

سلامة الصدر من الغل والحقد:

لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧].

للمزيد ارجع لتفسير سورة الأنفال/ ابن كثير.

الذكر الكثير لله ـ عز وجل ـ:

قال تعالى: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[يونس: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤].

ولقوله ﷺ **«ونفسهم تحميد وتكبير وتهليل»**[١].

وقوله ﷺ: **«يُلهمون التسبيح والحمد كما يُلهمون النفس»**[٢] وفي رواية **«التسبيح والتكبير»**[٣] وللمفسرين في قوله ـ سبحانه ـ ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ **قولان:**

الأول: إن أهل الجنة إذا اشتهوا الطعام أو الشراب قالوا: **«سبحانك اللهم»** فيأتيهم.

الثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله في الدعاء قالوا: **«سبحانك اللهم»** ورجح هذا الألوسي.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

التحية بينهم السلام:

لقوله تعالىٰ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا ﴾ [مريم: ٦٢].

وهذا السلام لا يُتداول بينهم فحسب، بل يصدر من الله - عز وجل - إليهم ومن الملائكة أيضاً. قال تعالىٰ: ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يسن: ٥٨]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

انعدام الخوف والحزن:

لقوله تعالىٰ: ﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقوله: ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩].

انعدام التعب وانتفاؤه:

لقوله تعالىٰ: ﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨].

الرضا وعدم الطمع:

لقوله تعالىٰ: ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

ومعنىٰ رضوان المؤمنين عن الله - عز وجل - كما قال المفسرون: أي رضاهم بهذا الجزاء الذي أثابهم الله به. [1].

الضحك والسرور الدائمان:

لقوله تعالىٰ: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤].

وقوله: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٣٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩].

---

(١) (النكت والعيون) للماوردي و(روح المعاني)/ للألوسي.



الفصل الثالث

أوصاف الجنة

المبحث الأول: أبواب الجنة.
المبحث الثاني: ريح الجنة.
المبحث الثالث: تربة الجنة.
المبحث الرابع: أشجار الجنة.
المبحث الخامس: ثمار الجنة.
المبحث السادس: الزراعة في الجنة.
المبحث السابع: أنهار الجنة.
المبحث الثامن: العيون في الجنة.
المبحث التاسع: قصور الجنة وخيامها وغرفها.
المبحث العاشر: غلمان أهل الجنة.
المبحث الحادي عشر: آنية أهل الجنة.
المبحث الثاني عشر: أثاث أهل الجنة.
المبحث الثالث عشر: سوق أهل الجنة.
المبحث الرابع عشر: عدد الجنان.
المبحث الخامس عشر: درجات الجنة.
المبحث السادس عشر: مناخ الجنة.
المبحث السابع عشر: حيوانات الجنة.



المبحث الأول:
أبواب الجنة

قال تعالىٰ: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠].

وقال: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣].

وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

ورد ذكر أبواب الجنة في القرآن الكريم كما مرَّ ولكن بدون ذكر صفاتها وعددها وإنما ذكرت هذه في أحاديث المصطفىٰ ـ عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم ـ وسوف أورد بعضاً من هذه الأحاديث في هذا المبحث شارحاً لما أبهم منها وجامعاً بين ما ظاهره التعارض.

أ ـ عدد أبواب الجنة:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الذي رواه عتبة بن عبد: **«للجنة ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب»**(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من مات وهو يؤمن بالله، فإن للجنة ثمانية أبواب يدخل من أيهما شاء»**(٢).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من مات لا يشرك بالله شيئاً فتح الله له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء ولها ثمانية أبواب»**(٣).

وهذه الأحاديث وغيرها مما لم نذكره تبين أن عدد أبواب الجنة ثمانية فقط

---

(١) حديث حسن. أخرجه ابن المبارك وابن قتيبة. وابن حبان والدارمي والبيهقي والطبراني والإمام أحمد وغيرهم وحكم عليه الألباني بصحة إسناده.

(٢) في الإسناد الأحوص: وهو ضعيف الحفظ، ولكن الحديث حسن لطرقه.

(٣) صحيح لغيره.

وهذا رأي جمهور العلماء كما نصت عليه الأحاديث وخالفهم في رأيهم القرطبي حيث جعل للجنة أكثر من ثمانية أبواب واستدل بما رواه الترمذي من حديث عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ **«فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب»**[١] بزيادة من **«التبعيضية»** وهذا يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية أبواب، وقد جعلها القرطبي ثلاثة عشر باباً[٢] والأولى في ذلك تقديم الأحاديث الصحيحة على غيرها التي تؤكد أنها ثمانية فقط والله أعلم.

ب ـ سعة أبوابها:

روى الأصبهاني عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة»**[٣] وقال ابن المبارك: «أو كما بين مكة وبصرى».

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: **«ما بين مصراعين الجنة أربعين سنة»**[٤].

وعن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فقال في خطبته: **«وإن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وما منها باب إلا وهو كظيظ من الزحام»**[٥].

وفي الحديث الصحيح عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين»**[٦] وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن النبي ﷺ قال: **«الباب الذي يدخل منه أهل الجنة**

---

(١) الجامع الصحيح جـ١ ص٧٨.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ٢٨٦، والتذكرة ص ٤٥٧.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن حبان والنسائي والبيهقي وغيرهم.

(٤) حسن لغيره. أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى وعبد بن حميد في «المنتخب».

(٥) صحيح الإسناد.

(٦) صحيح: أخرجه الإمام أحمد والبيهقي وابن حبان وابن أبي داود وغيرهم.

مسيرة الراكب المشحوذ ثلاثاً ثم أنهم ليضغطون عليه حتىٰ تكاد مناكبهم تزول»[١] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **«وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً»**[٢] .

ونلحظ أن الأحاديث في ظاهرها شيء من التعارض بعضها يحدد المسافة بـ أربعين سنة وبعضها بـ سبع سنين وبعضها بثلاثة أيام ، ولا شك أن أحاديث المصطفىٰ ليس فيها تعارض بأي وجه من الوجوه ؛ لأنه لا ينطق عن الهوىٰ وأنه وحي يوحىٰ وواجبنا نحو هذا التعارض هو الجمع بين الأحاديث وإن تعذر ذلك نؤمن به إيماناً مطلقاً ونرد علمه إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ .

الجمع بين هذه الأحاديث:

في هذه الحالة نقدم أحاديث الصحيحين علىٰ غيرها وهي القاضية بأن المسافة أربعين سنة ولكن **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ جمع ووفق بينها حيث قال : «لما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه ، وسعة الباب بحسب وسع الجنة ، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب فإن أبوابها بعضها أعلىٰ من بعض»[٣] .

وقال أيضاً : وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته ، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عاماً ، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين ، وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً علىٰ طريقة دراج عن أبي الهيثم .

---

(١) ضعيف : أخرجه الترمذي والبيهقي قال عنه الترمذي : هذا حديث غريب ، وسألت محمد عن هذا الحديث فلم يعرفه وقد ضعفه الألباني وجعل الذهبي هذا الحديث من المناكير . وقال عنه البغوي : ضعيف منكر .

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» رواه عبد الله والطبراني وهو صحيح .

(٣) حادي الأرواح / ابن القيم .

قال الإمام أحمد: أحاديث دراج مناكير. وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف، وقال النسائي: ليس بالقوي، ثم قال: فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته، على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع، ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف، وقال في كتاب آخر - رحمه الله - عن الحديث الذي يُقدر المسافة بسبعين سنة قال: وقوله - عليه السلام -: **«ما بين البابين مسيرة سبعين سنة»** يحتمل أن يريد به أن ما بين الباب والباب هذا المقدار، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين:

الأول: أنه لم يصرح فيه راوية بالرفع إلى النبي ﷺ.

الثاني: أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير فيها وبطئه(1).

وأما حديثه - عليه الصلاة والسلام -: **«مسيرة الراكب المشحوذ ثلاثاً»**، فقد أجاب عنه ابن القيم بقوله: إن هذا الحديث مطابق للحديث المتفق عليه: **«إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى»** فإن الراكب المجد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهاراً يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه.

قلت: إن ظاهر الحديث يقول: **«ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً»** وهذا يدل دلالة واضحة بينة أن هذه المسافة المقدرة بسبعين سنة تكون من الباب إلى الباب وليس من المصراع إلى المصراع في الباب الواحد - والله أعلم - ويُحتمل أيضاً أن أبواب الجنة تختلف في السعة فبعضها أكبر من بعض، فقد يكون باب الجهاد أكبر من باب الريان، وباب الريان أكبر من الباب الذي يليه، ولا أقول كما قال **ابن القيم** - رحمه الله - بأن لكل جنة ثمانية أبواب تختلف عما تحتها لأن ظاهر الأحاديث الصحيحة تؤكد أن للجنة ثمانية أبواب فقط، وليس لكل مرتبة من الجنة ثمانية؛ لأن الجنة واحدة يدخلها المؤمن ثم

---

(1) زاد المعاد، ابن القيم.

يرتقي إلىٰ منزلته التي يستحقها وهذا ظاهر الآيات والأحاديث. قال تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠] ولم يقل: وأزلفت الجنان للمتقين.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«يُقال للمؤمن في الجنة اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»**.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله»**[١] وهذه الأدلة تبين وتؤكد أن للجنان كلها ثمانية أبواب فقط، وليس لكل جنة ثمانية أبواب.

وأما قول الألباني في قوله ﷺ: **«ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين»** قال تعليقاً علىٰ لفظ **«سبع سنين»** التي وقعت عند ابن حبان، قال: «ولعله خطأ مطبعي»[٢] فقد أخطأ الألباني في قوله؛ لأن ابن حبان لم يتفرد بتلك اللفظة، بل رواها أيضاً ابن أبي داود في (البعث) والبيهقي في (النهاية) وذكرها أيضاً ابن القيم في (حادي الأرواح) نقلاً عن ابن أبي داود، والواجب علينا في حال تعارض ألفاظ الأحاديث وتعذر الجمع بينهما الواجب أن نؤمن بالحديث علىٰ ظاهره ونعتقد أنه الحق الذي جاء من الذي لا ينطق عن الهوىٰ.

حلَق أبوابها:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر»**[٣] وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«... فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فاستفتح...»** وقد علق عليه ابن القيم بقوله: وهذا صريح في أنها حلقة حسية تُحرك وتقعقع.

---

(١) رواه البخاري وأحمد والبيهقي والحاكم وغيرهم.

(٢) قال ذلك لأن الكتاب اشتمل علىٰ أخطاء مطبعية كثيرة.

(٣) حديث صحيح.

لمن تفتح هذه الأبواب؟

للجنة ثمانية أبواب، كل باب منها مخصص لصنف من أهل الجنة، يدعون للدخول منه، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من كاظمي الغيظ دُعي من باب الكاظمين الغيظ، ومن كان من الراضين دُعي من باب الراضين، ومن كان يصلي الضحىٰ دعي من باب الضحىٰ.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان»**(١) وقد سأل أبو بكر الصديق النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ما علىٰ أحد يدعي من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعىٰ أحد من هذه الأبواب كلها؟ فقال ـ عليه السلام ـ: **«نعم وأرجو أن تكون منهم»**(٢) وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«ما من مسلم يتوفىٰ له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء أدخلوه»**(٣) وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: **«ما منكم من أحد يتوضأ ويسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»**(٤) وعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: أدخلي من أي أبواب الجنة شئت»**(٥)

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) حسن. رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني.

(٤) رواه مسلم.

(٥) حسن. أخرجه أحمد والطبراني.

آيات واردة في أبواب الجنة

قال تعالى: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴾ [سورة ص: ٥٠].

لماذا عبر الله ـ عز وجل ـ بقوله ﴿ مُّفَتَّحَةً ﴾ ولم يعبر بـ «مفتوحة»؟

أجاب القرطبي على هذا بقوله: «وإنما قال: ﴿ مُّفَتَّحَةً ﴾ ولم يقل مفتوحة، لأنها تفتح لهم بالأمر لا بالمس. قال الحسن: تُكلم: انفتحي، فتفتح، انغلقي، فتغلق. وقيل: تفتح لهم الملائكة الأبواب(١)».

إذن: تفتيح الأبواب لا يكون بواسطة أهل الجنة، بل تُفتح لهم بطريقة يعلمها الله ـ سبحانه وتعالى ـ زيادة في كرامتهم، سواء أكان التفتيح بالكلام أو بواسطة الملائكة أو بأي طريقة كانت، وأما قول الحسن فليس غريباً؛ لأنه وجد في العصر الذي نعيشه أبواب تفتح بالأشعة الكهرومغناطيسية وبعضها تفتح بالكلام وبعضها بالتصفيق، وإن كان هذا ممكناً في حياة الدنيا فالآخرة أفضل فهي التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال في صفة النار: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر: ٧١].

نلحظ في هاتين الآيتين ذكر الواو في قوله ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ وحذفها في قوله ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ فلماذا ذكر الله ـ عز وجل ـ الواو في صفة الجنة وحذفها في صفة النار؟ قالت طائفة من أهل العلم: أن الواو هذه «واو الثمانية» لأن عادة العرب أنها تجعل في العد الواو قبل الثمانية.(٢) ولكن هذا القول باطل،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥/ ٢١٩ أنظر قول الحسن في تفسير الطبري ٢٣/ ١١٢.

(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٨٥.

فقد جاء في القرآن ما يدل على أنها لا تستعمل في لغة العرب كذلك، مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]. فخلو المتكبر وهو ثامن اسم دال على بطلان ذلك القول، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين.

وقالت طائفة أخرى: (الواو) زائدة، والجواب الفعل الذي بعدها كما هو في الآية الثانية، وهذا أيضاً ضعيف كما حكم عليه العلامة ابن القيم الجوزية لأن زيادة الواو غير معروفة في كلامهم، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة.

ولابن القيم رأي في ذلك حيث قال: إن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيفاجئهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها فُتحت أبوابها بلا مهلة، فهذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبة، فإنها دار الإهانة والخزي، فلم يُستأذن لهم في دخولها، ويُطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته، ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها أن يفتحها لهم، ويتشفعون إليه بأولي العزم من رسله، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول: أنا لها، فيشفع إليه ـ سبحانه ـ في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لها، وأن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك إنما دُخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور وهي بخلاف الخان الذي يدخله من شاء.

قلت: إن من فضل الله ـ سبحانه ـ على المؤمنين الذين نالتهم رحمة الله وأمر بهم إلى الجنة أن الله يأمر الملائكة فتفتح الأبواب لهم قبل وصولهم إليها، وذلك للترحيب بهم ولئلا يقفوا على الأبواب وقوف السائلين ولكي يشموا

رائحة الجنة ويروا جمالها عن بعد كما يري الذاهب إلىٰ عرس أنواره المتلألئة عن بعد فيسر ويفرح. أما أهل النار نعوذ بالله من النار فإن أهلها إذا سيقوا إليها واحتشدوا تفتح أبوابها فجأة فتبغتهم فيرون العذاب مرة واحدة بلا تدريج يهون الأمر عليهم، وهم أشبه بالمجرمين الذين يُساقون إلىٰ السجن مكبلين بالأغلال والقيود، حتىٰ إذا انتهوا إلىٰ باب السجن فتح السجان الباب فجأة وزُجوا داخل السجن، وأغلق الباب وراءهم بسرعة إمعاناً في إذلالهم. والله أعلم.

*** مسألة:**

هل أبواب الجنة مفتوحة أم مغلقة؟

اختلف العلماء في هذه المسألة منهم من يرىٰ أنها مفتوحة، ومنهم من يرىٰ أنها مغلقة، قال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ: «وأما الجنة فإنها دار الله وكرامته ومحل خواصه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلىٰ صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من الرسل».

ويرىٰ علامة الرافدين: أن أبواب الجنة مفتوحة، ويعتبر الواو في قوله: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ للحال فيقول: «الواو للحال، والجملة حالية بتقدير (قد) علىٰ المشهور أي: جاءوها وقد فتحت أبوابها لهم ووقفوا منتظرين لهم وهذا كما يفتح الخدم باب المنزل للمدعو للضيافة قبل قدومه وتقف منتظرة له وفي ذلك من الاحترام والإكرام ما فيه»[1].

قلت: إن ما ذهب إليه ابن القيم هو الحق والله أعلم لأن النصوص تدل عليه. فأبواب الجنة تكون مغلقة قبل أن يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وهذا ظاهر الأحاديث التي تبين أن الجنة مغلقة الأبواب حتىٰ يقعقع بابها سيد الخلق نبينا محمد ﷺ ويفتحه لأمته ثم لباقي الأمم وبعد ذلك تكون مفتوحة لا تغلق زيادة في تكريمهم بخلاف أبواب النار التي تغلق بعد دخول أهلها فيها زيادة

---

(١) روح المعاني، الألوسي ٢٤/ ٣٤.

في النكال، وما يدل على أنها تكون مفتوحة بعد دخول أهلها ما رواه مسلم عن أبي سعيد البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ومثل له شجرة ذات ظل فقال ربي قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها، فقال الله ـ عز وجل ـ: هل عسيت أن فعلت أن تسألني غيره؟ قال: لا وعزتك فقدمه الله إليها. . . . فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها، وأشرب من مائها، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة، فيقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة فأكون تحت نجاف[1] الجنة أنظر إلى أهلها فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها فيقول: رب ادخلني الجنة فيدخله الجنة»**[2] والشاهد في الحديث قوله: **«فيرى أهلها»** وهذا دليل على أن أبوابها تكون مفتوحة وإلا فكيف يرى أهلها إن لم تكن مفتوحة. إذن نتوصل إلى أن أبواب الجنة مغلقة لا تفتح حتى يستفتحها النبي ثم بعد ذلك تبقى مفتوحة، وما عدا ذلك لا تفتح إلا في وقتين هما:

١ـ شهر رمضان:

لقوله ﷺ: **«إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار»**

٢ـ يوما الاثنين والخميس من كل أسبوع:

لقوله ﷺ: **«تفتح أبواب الجنة في كل يوم اثنين وخميس»**[3].

وبعد: هذا ما فتحه الله علينا في هذا الباب والمجال متروك لمزيد من البحث والله وحده أعلم بالصواب.

---

(١) «نجاف» قيل: هو أسكفه الباب، وقال الأزهري: هو درونده، يعني أعلاه.

(٢) رواه مسلم وأبو نعيم في «صفة الجنة»، وابن أبي شيبه في «المصنف».

(٣) متفق عليه.

*** مسألة:**

من أول من تُفتح له أبواب الجنة؟

أول من يدخل الجنة من العالمين هو الصادق المصدوق حبيبنا وسيدنا ونبينا محمد ﷺ لما ورد في الصحيح عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمدٌ. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»**[١] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها؟ وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي»**[٢] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها: مالك؟ ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأةٌ قعدت على أيتامي»**[٣] وأول من يدخل الجنة بعد النبي ﷺ من أمته هو أبو بكر الصديق لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«يا أبا بكر أنت أول من يدخل الجنة من أمتي»**[٤] أما ما جاء من أن عمر أول من يصافحه الحق، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة. فهو حديث منكر جداً؛ لأن فيه داود بن عطاء قال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال فيه الإمام أحمد: ليس بشيء.

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني بسند حسن عن عمر بن الخطاب.

(٣) رواه أبو يعلي والأصبهاني وفيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان، وقال يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

(٤) رواه أبو داود في سننه.

المبحث الثاني:
ريح الجنة

ريح الجنة ثابت عن النبي ﷺ في الكثير من الأحاديث، وريح الجنة هو عرفها الذي يدرك عن طريق الأنف، وهي رائحة عبقة زكية تملأ كل الجنة، ويدركها كل من في الجنة.

قال - عليه الصلاة والسلام -: **«من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً»**[١] وفي رواية **«سبعين خريفاً»** وقال - عليه السلام -: **«من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»**[٢].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»**[٣] وهذا القدر مرويٌ عن عبد الله بن عمرو أيضاً بإسناد صحيح[٤].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«إن رائحة الجنة تُوجد من مسيرة خمسمائة عام»**[٥].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجد ريحها، وإن ريحها**

---

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح.

(٢) رواه البخاري وأحمد والنسائي وابن ماجه.

(٣) رواه الطبراني بإسناد صحيح.

(٤) صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٥) رواه أبو نعيم والطبراني.

ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»[١] وفي بعض الروايات الضعيفة جداً عن جابر أن المسافة **«ألف عام»**[٢].

ولا تعارض بين هذه الروايات قال **ابن القيم**: وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه ثم قال: وريح الجنة نوعان: ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا يدركه العباد، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول، والله أعلم.

إدراك أنس بن النضر لرائحة الجنة:

ثبت في الصحيحين، عن أنس أن سعد بن معاذ: «مَرَّ بأنس بن النضر يوم أحد، فقال له: أين يا سعد؟ واهاً لريح الجنة، والله إني لأجد ريحها دون أحدٍ، فقاتل يومئذ، حتى قُتل، ولم يُعرف من كثرة الجراح، وما عرفه إلا أخته الربيع بنت النضر ببنانه، ووجد به بضعٌ وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية»[٣] قال ابن كثير: «فقد وجد أنس ريح الجنة في الأرض، وهي فوق السماوات، اللهم إلا أن تكون قد اقتربت يومئذ من المؤمنين»[٤] وقد تكون الجنة لم تقترب ولكن الرائحة وصلتهم من مكانها.

---

(١) صحيح، ورجاله ثقات من رجال الشيخين.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) صفة الجنة: ابن كثير.

المبحث الثالث:
تربة الجنة

التربة هي الطبقة الرملية المبثوثة على وجه الأرض والتي لها فوائد كثيرة منها الزراعة وغيرها، ولهذه التربة أنواعها وتحولاتها، وقد تتعفن هذه التربة وتنبعث منها روائح كريهة لا تُطاق وقد يقع عليها الماء وتصبح طيناً مؤذياً يجتنبه الناس وتتكاثر بها البكتيريا الضارة والنافعة.

أما تربة الجنة فهي مختلفة تماماً عن تربة الأرض المؤذية بل هي بحد ذاتها متعة للناظرين قد تشترك الحواس في التنعم بها من حيث رائحتها ومنظرها وملمسها إن أصل هذه التربة مبرأ من العيوب فلا يخرج منها ضرر وليس فيها نقص، بل طاب أصلها وطاب ما يخرج منها، فإن كانت تربة الأرض من الرمال فإن تربة الجنة من المسك الخالص الأبيض والزعفران.

روى أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال: **«دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[1] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»**[2].

وفي المسند عن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ سأل ابن صائد[3] عن تربة الجنة، فقال: درمكةٌ بيضاء، مسكٌ خالص، فقال رسول الله ﷺ: **«صدق»**[4].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قلنا يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: **«لبنةٌ ذهبٌ، ولبنةٌ فضةٌ، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ**

---

(١) جمع جنبذة: وهي القبة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) ابن صائد أو ابن صياد: صبي يهودي كان يدَّعي أنه يأتيه الوحي.

(٤) رواه الإمام أحمد وإسناده جيد.

والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفني شبابه»[1] .

*** مسألة:**

ورد في الأحاديث السابقة أن تربة الجنة من المسك الخالص، وفي بعض الأحاديث أنها من الزعفران. فكيف الجمع بين هذه الأحاديث؟

قال ابن كثير: فلعل بعض بقاعها ترابه المسك، وبعضها ترابه الزعفران.

وقال أيضاً: يحتمل معنيين:

الأول: أن يكون التراب من الزعفران، فإذا عجن بالماء صار مسكاً، والطين يُسمى تراباً، ويدل على ذلك قوله في اللفظ الآخر: **«ملاطها المسك»** والملاط: هو الطين، ويدل عليه حديث آخر: **«ترابها الزعفران وطينها المسك»** فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيبٌ آخر فصار مسكاً.

الثاني: أن يكون زعفراناً باعتبار اللون، ومسكاً باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء يكون، البهجة والإشراق لون الزعفران، والرائحة رائحة المسك.

وأما حديث النبي ﷺ: **«قلت ليلة أسري بي يا جبريل إنهم سيسألوني عن الجنة، قال فأخبرهم أنها من دُرَّة بيضاء وأن أرضها عقيان**[2]**»** فهذا حديث لا يُحتج به لأن في إسناده محمد بن عبد الله بن عُلاثه وقد جرَّحه علماء الحديث، فقال أبو حاتم: ذاهب الحديث، وقال أبو زرعة: واهٍ، وقال الدارقطني: متروك. وابن علاثة هذا متهم بالكذب؛ قال ابن حبان: لا يحلُّ الاحتجاج به يروي الموضوعات، وقال الأزدي: حديثه يدل على كذبه فمن خلال أقوال

(١) رواه أحمد في المسند.

(٢) أي: الذهب.

علماء الجرح والتعديل في ابن علاثة دل على عدم الاحتجاج بهذا الحديث الذي يقول: إن أرض الجنة من الذهب.

وحاول ابن القيم الجمع بين هذا الحديث والأحاديث التي قبله فقال: إن كان ابن علاثة حفظه، فهي أرض الجنتين الذهبيتين، فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما. والله أعلم.

لقوله ﷺ: **«جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتها وما فيهما»**.

المبحث الرابع:
أشجار الجنة وثمارها

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا﴾ [الإنسان: ١٤].

وقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٣].

وقال: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وقال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢].

هذه بعض الآيات الواردة في ذكر أشجار الجنة وثمارها، وما سميت الجنة بهذا الاسم إلا لأنها مستترة من كثرة الأشجار وما ذكرته الآيات إنما هو قليل مما يوجد هناك في الجنة، وقد ذكر ابن كثير كلاماً جليلاً جميلاً بين فيه عظم الثمار في الجنة، وقد استنتج أن الله نبه بالقليل على الكثير، وأخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩)﴾ حيث قال: «إذا كان السدر الذي في الدنيا لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة، وهو النبق، وشوكه كثير

والطلح الذي لا يراد منه في الدنيا إلا الظل، يكونان في الجنة في غاية من كثرة الثمار وحسنها، حتى إن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعاً من الطعوم والألوان، التي لا يشبه بعضه بعضاً، فما ظنك بثمار الأشجار التي تكون في الدنيا حسنة الثمار كالتفاح والنخل والعنب وغير ذلك؟ وما ظنك بأنواع الرياحين والأزاهير؟ وبالجملة فإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله من فضله»[١] .

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بذكر الكثير من أخبار أشجار الجنة وثمارها وصفاتها، التي لا تشابه ولا تماثل أشجار الدنيا إلا في الأسماء فقط. قال عليه السلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة: **«ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»**[٢] وسوف أعرض في هذا المبحث لأنواع الأشجار والثمار الواردة ذكرها في القرآن والحديث كل على حده:

١ـ شجرة طوبى:

قال تعالى: ﴿**طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ**﴾ [الرعد: ٢٩].

هي من أشجار الجنة، وقد أفرد ذكرها لعظمها وجمالها ومكانتها، حتى دعا الرسول لمن يعمل بعض الأعمال الصالحة بطوبى، وإن أدركت طوبى فقد أدركت الجنة. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«طوبى لمن وُجد في صحيفته كثير استغفار»** وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله: طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: **«طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»**: قال رجل: يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: **«شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»**[٣] وأخرج الإمام أحمد عن عامر بن

---

(١) صفة الجنة / ابن كثير.

(٢) أخرج الترمذي وابن حبان وابن أبي الدنيا وغيرهم وله شاهد موقوف له حكم الرفع أخرجه هناد في الزهد والإمام أحمد والبيهقي وقد صححه الألباني.

(٣) رواه أحمد في مسنده والخطيب في التاريخ وهو حديث صحيح بشواهده.

زيد البكالي أنه سمع عتبه بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فسأله عن الحوض، وذكر الجنة، فقال الأعرابي: وفيها فاكهة؟ قال: **«نعم، وفيها شجرة تُدعىٰ طوبىٰ»**، فذكر شيئاً لا أدري ما هو؟ قال: أي شجر أرضنا تُشبه؟ قال: **«ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك»**، قال النبي ﷺ **«أتيت الشام؟»** قال: لا قال: **«تشبه شجرة بالشام تُدعي الجوزة، تنبت علىٰ ساق واحدة، وينفرد أعلاها»، قال: ما عِظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة**[1] **من إبل أهلك ما أحطْت بأصلها، حتىٰ تنكسر ترقوتها**[2] **هرماً**[3] **قال: فيها عنب، قال: نعم، قال: فما عِظم العنقود؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع، ولا يفترُ**[4] **قال: فما عظم الحبة؟ قال: هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟ قال: نعم، قال: فسلخ إهابه فأعطاه أمك، قال: اتخذي لنا منه دلواً؟ قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتُشبعني وأهل بيتي؟ قال عليه السلام: نعم وعامة عشيرتك»**[5] وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: **«في الجنة شجرة يقال لها طوبىٰ، يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما شاء، قال: فتفتق له عن فرس بلجامه وسرجه، وهيئته كما شاء، وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وعن الثياب»**[6] وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً والطبري عن مجاهد قوله: **«طوبىٰ: شجرة في الجنة فيها حمل أمثال ثدي النساء فيها حلل أهل الجنة»** وثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها قال: ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«طوبىٰ شجرة في الجنة**

(١) أصل الجذع من أسنان الدواب ما كان منها شاباً فتياً، فهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة.
(٢) الترقوة: العظم الذي تُغره النحر والعاتق من الجانبين. . كما في المصباح.
(٣) الهرم: الكبر والضعف.
(٤) لا ينثني أو يحطُ.
(٥) رواه أحمد في المسند والطبراني وابن عبد البر ورجاله موثقون وله شاهد وقد صحح الإسناد القرطبي في التذكرة وابن حبان.
(٦) أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا بسند حسن. والحديث له حكم الرفع.

مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»(١) وهي شجرة ذات أغصان عظيمة كثيرة. روى الأصبهاني عن شهر بن حوشب قوله: **«طوبى شجرة في الجنة، كل شجر الجنة منها، أغصانها ترى من وراء سور الجنة»**.

٢ - الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام:

وهذه شجرة من ضمن الأشجار التي أخبرنا بها نبينا - عليه الصلاة والسلام - وهي شجرة هائلة عظيمة الخِلقه ومما يدل على عظمها قوله - عليه الصلاة والسلام -: **«أن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام وما يقطعها»**(٢).

وعن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤا إن شئتم﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**.

قال رسول الله ﷺ: **«ولقابُ قوسٍ أو سوطٍ في الجنة خير مما تطلع عليه الشمسُ وتغرب»**(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: **«بلغني أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطعها، ويلغني أن كعباً يقول: هو الظل الممدود الذي ذكره الله - عز وجل - في القرآن»**(٤).

٣ - سدرة المنتهى:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥] وقد سميت بسدرة المنتهى لأقوال منها أن الملائكة لا تتجاوزها بل تنتهي إليها، وقيل: إليها ينتهي ما يعرج من الأرواح

(١) رواه أحمد وهو صحيح بشواهده.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري وأحمد وغيرهم.
(٤) إسناده حسن لغيره.

فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها يُقبض منها الخبر» وكلا القولين في مصب واحد، والمعنى واحد إن شاء الله.

وقد عدها بعض العلماء من شجر الجنة أمثال الدكتور عمر الأشقر حين صنفها من ضمن أشجار الجنة وهذا مخالف لما عليه الأحاديث فهي شجرة خارج أسوار الجنة. لكنها بجانبها كما قال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ وكما ورد في الصحيحين قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ونبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم دخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»**[1].

ووجه الاستشهاد قوله **«ثم دخلت الجنة»** فهذا دليل على أنها خارج الجنة وليس داخلها.

وقال عنها ابن كثير في كتابه (صفة الجنة): وذكرنا في التفسير:

* أنه غشيها نور الرب ـ جل جلاله ـ، وأنه غشيها[2] الملائكة عليها مثل الغربان، يعني كثرة.

* وإنه غشيها فراش من ذهب، وغشيها ألوان متعددة.

* فما يستطيع أحد أن ينعتها من حسنها.

هذه أنواع الأشجار التي ذكرها نبينا محمد ﷺ وهي ليست كأشجارنا ولا تدركها عقولنا، ولا تحيط بها تصوراتنا، وسوف أعرض إن شاء الله لأنواع الأشجار الأخرى وثمارها المباركة التي باركها الله فلا تنقطع أو تنقص قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى»**[3]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) كذا موجود في طبعة «مؤسسة الكتب الثقافية»، ويبدو أن المعنى: وأن غشية الملائكة عليها مثل الغربان.

(٣) رواه الطبراني والبزار.

وأغصانها خضراء على مر الدهور.

قال تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ يعني: شديدة الاخضرار، ومن شدة اخضرارها تميل إلى السواد من الري.

وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي ذواتا غصون.

وقال سلمان الفارسي لجرير بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: «يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري، قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه، فقال: يا جرير إذا طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده، قلت: يا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاها الثمر»[1] وأشجار الجنة متعددة الأنواع وذات أغصان كثيرة متشابكة ومتفرعة، ذات ألوان كثيرة، منها ما هو معروف من ألوان الدنيا وما هو مجهول من ألوان الجنة، وهي تنبض بالحيوية متحركة كالكائن الحي ليست من الأخشاب بل هي من اللؤلؤ والذهب والفضة والجواهر الكريمة النفيسة التي هي من جواهر الجنة، وليست من جواهر الدنيا، فنسأل الله العظيم من فضله ونسأله رحمة من رحماته تبلغنا جنته فلولا رحمته ـ سبحانه ـ لهلكنا ولو اعتمدنا على أعمالنا لدخول الجنة لم تجر بنا، ولم توازِ نعمة الجنة، ولكن فضله ورحمته وكرمه هي التي تجوزنا الصراط حتى تدخلنا الجنة، فنسأل الكريم من فضله.

زيادة الأشجار في الجنة:

إن الجنة مليئة جداً بالأشجار، ولذلك سُميت (جنة) لأن كثرة الأشجار تسترها، وهذه الأشجار هي الحد الأدنى لنصيب كل فرد في الجنة، ولكن هل بالإمكان زيادة نصيب أهل الجنة من الأشجار أقول: نعم والدليل ما رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيت إبراهيم ليلة**

---

(١) رواه ابن أبي شيبه، والبيهقي وغيرهما.

أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة المياه، وأنها قيعان[١] **وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»**[٢].

روى الترمذي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة من الجنة»**[٣] ومدلول هذين الحديثين: أنه بأي ذكر لله يغرس له شجرة في الجنة. والله أعلم.

---

(١) جمع قاع: وهو المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته.

(٢) رواه الترمذي والطبراني وهو حسن بشواهده وقد حسنه الألباني وأورده في «الصحيحة».

(٣) رواه الترمذي وابن أبي شيبة وابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم وللحديث شواهد كثيرة تصححه.

المبحث الخامس:
ثمار الجنة

ثمار الجنة كثيرةٌ مباركة، وقد ورد ذكر بعض ثمار الجنة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مثل ثمر النخل والرمان والسدر والطلح والعنب، ولا يعني اقتصار ذكر هذه الثمار أنه لا يوجد في الجنة غيرها فالدنيا فيها من الفاكهة الأنواع الكثيرة التي لم يذكرها الله ـ عز وجل ـ ولا رسوله من ضمن فاكهة الجنة إن كان الأمر كذلك فالجنة أولىٰ بهذه الثمار وغيرها مما لا نعرفه ومما لا يوجد في الحياة الدنيا أصلاً لأن القرآن نزل بلغة العرب، وهو يخاطب العرب بحسب بيئتهم وهو بذلك يعطي رموزاً يدلل بها علىٰ أشياء أخرىٰ لم يذكرها، فليس من الحكمة أن يخاطب القرآن العرب بأشياء في بيئة غير بيئتهم لا يعرفونها فلذلك خاطبهم بالثمار التي يعرفونها وأهمل ذكر ثمار لا يعرفونها أفضل طعماً وأطيب ريحاً من التي عندهم، وهذا كثير في القرآن فنجده يخاطبهم بالإبل ويقول: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] مع أن الأرض فيها من الحيوانات ما هو أعجب من الإبل لكنَ القرآن لم يذكرها لأنها ليست في بيئتهم وبالتالي لا يعرفونها ونجده مرة أخرىٰ يخاطبهم بالجبال ومرة بالسماء إلىٰ آخره.

وقد استنتج الرازي لفتة بلاغية من ذكر الله ـ عز وجل ـ لفاكهتي السدر والطلح فقال: **«إن فيه بلاغة من حيث أن السدر ورقة في غاية الصغر وأن الطلح ورقة في غاية الكبر فأصحاب الجنة جمعت لهم سائر الأشجار التي تقع بين الطرفين، كما يُقال فلان ملك الشرق والغرب أي ملك ما بينهما»**[1] وقد قارن

(١) انظر التفسير الكبير ٢٩/ ١٦٢ .

الإمام الرازي أيضاً بين فاكهتي النخل والرمان الواردتين في القرآن وأن الله ذكرهما متقابلتين لأنهما يدلان على أنواع الفاكهة الأخرى. فقال: «وذكر نوعين وهما الرمان والرطب لأنهما متقابلان فأحدهما حلو والآخر غير حلو، وكذلك أحدهما حار والآخر بارد وأحدهما فاكهة وغذاء، والآخر فاكهة ودواء، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة، والآخر من فواكه البلاد الباردة، وأحدهما أشجاره في غاية الطول والآخر أشجاره قصيرة، وأحدهما ما يؤكل منه بارز وما لا يؤكل منه كامن، والآخر بالعكس، فهما كالضدين والإشارة إلى الطرفين تتناول الإشارة إلى ما بينهما»[1] وسوف أتناول في هذا المبحث الحديث حول ما ذكر في القرآن من فاكهة الجنة التي أولها:

النخل:

قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وقد ورد ذكر النخل في القرآن عشرين مرة وكان له نصيب في الحديث الشريف قال ـ عليه السلام ـ: **«من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة»**[2] وقد اشترى أحد الصحابة نخلة في الجنة بحائط له فروع فيه النخل فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في ذلك: **«كم من عذقٍ راح لأبي الدحداح في الجنة. قالها مراراً»**[3] وروى الأصبهاني عن سعيد بن جبير قوله: **«نخل الجنة كربها ذهب أحمر، وجذوعها زمرد أخضر، وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم**[4] **وحللهم ثمرها أمثال القلال والدلاء، أحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس له عجم»** زاد الحسين: **«أشد بياضاً من الفضة»** وقد روى ابن كثير في هذا الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وللحديث حكم الرفع إلى النبي ﷺ.

---

(١) التفسير الكبير ٢٩/ ١٣٤.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أحمد في المسند.

(٤) برودٌ عليها وشى مقطع «المعجم الوسيط».

السـدر:

ذكر الله ـ عز وجل ـ أن السدر من أشجار الجنة فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ [الواقعة: ٢٧ ـ ٢٨].

والسدر: شجر معروف في جزيرة العرب لكثرة منابته، ويتميز بصغر حجم ثمرته وكثرة شوكه. قال الراغب: «السدر: شجر قليل الفناء عند الأكل، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦].

والسدر: شجر كبير كثير الشوك، ينبت في المناطق الحارة، ويطلق عليه أحياناً اسم النبق[١].

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أقوالٌ للعلماء منهم من قال في معنىٰ ﴿مَّخْضُودٍ﴾: أنه مقطوع الشوك ومنهم من قال: أن ثمرها منضوم ومنضود.

فقد ذهب ابن عباس وقتادة والحسن وغيرهم في معنىٰ ﴿مَّخْضُودٍ﴾ إلىٰ أنه اللين الذي لا شوك فيه[٢].

وقالت طائفة أخرىٰ أن معنىٰ ﴿مَّخْضُودٍ﴾ أي المدلاة الأغصان[٣] لكثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب[٤].

وقد جمع ابن كثير بين هذه الآراء بقوله: «والظاهر أن المراد هذا وهذا فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة علىٰ العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله[٥].

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٧/ ١٠٣، والنكت والعيون، للماوردي ٤/ ١٧٠ والبحر المحيط ورح المعاني.

(٣) انظر تفسير النكت والعيون للماوردي ٤/ ١٧٠، وتفسير أبي السعود ٢٧/ ١٤٠ وروح المعاني، للألوسي.

(٤) انظر تفسير أبي السعود ٨/ ١٩٢، وروح المعاني للألوسي٢٧/ ١٤٠.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٨٨.

وقد ذكر ابن قيم الجوزية هذين القولين مع أدلة الفريق الأول الذي يقول معنىٰ ﴿مَّخْضُودٍ﴾ مقطوع الشوك فقال:

الأول: أن «الخضد» في اللغة: القطع، وكل رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه، فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد علىٰ مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عودٍ رطبٍ خضد بمعنىٰ مخضود، كقبض وسلب، والخضاد: شجر رخو لا شوك فيه.

والثاني: ما رواه عتبة بن عبدٍ السُلمي - رضي الله عنه - قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمُعك تذكر في الجنة شجر لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله يجعل مكان كلٍّ شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود»**[1].

وفي رواية ابن المبارك وابن أبي الدنيا والحاكم: **«قد خضد الله شوكه فجعل مكان كلٍّ شوكة ثمرة»**[2].

وقد انكروا علىٰ من قال: «المخضود» هو الموقر حملاً من الثمار، وقالوا: لا يُعرف في اللغة الخضد بمعنىٰ الحمل.

وقد تدخل **ابن القيم** في هذه المسألة وفصل بين القولين بقوله: «ولم يُصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول - يعني الفريق الأول - بل هو قول صحيح وأربابه ذهبوا إلىٰ أن الله - سبحانه وتعالىٰ - لما خضد شوكه وأذهبه، وجعل مكان كل شوكة ثمرة أو قرت بالحمل، والحديثان المذكوران يجمعان القولين، وكذلك قول من قال: المخضود الذي لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذىٰ فيه، فسره بلازم المعنىٰ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنىٰ المقصود تارة، وفرداً من أفراده تارة، ومثالاً من أمثلته، فيحكيها الجماعون

---

(١) (الملبود) أي المكتنز اللحم الذي لزم بعضه بعضاً فتلبد.

(٢) قال عنه الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

للغث والسمين أقوالاً مختلفة، ولا اختلاف بينهما»[1] .

إذن: السدر من أشجار الجنة، وقد ذكره من بين كثير من الأشجار لحكمة يعلمها الله قد تكون هي التي ذكرناها آنفاً أو قد تكون تدليلاً على إيذاء هذه الشجرة لمن تمتد يده عليها في الدنيا مع قلة ما تعطيه من ثمار أما في الجنة فهي بخلاف ذلك فهي بلا شوك وتعطي من الثمار الشيء الكثير المنضود المتراكم فوق بعضه البعض هذا في حق هذه الشجرة وسكت عن الباقي ليذهب الذهن فيها كل مذهب.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حق السدرة في الجنة: **«أليس الله يقول في سدر مخضود؟ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها على اثنين وسبعين لوناً، ما فيه لون يشبه الآخر»**[2] .

الطلح:

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩)﴾ [الواقعة: ٢٧-٢٩].

قال الراغب: «والطلح شجر الواحدة طلحة»[3] .

وقد اختلف في معنى الطلح إلى قولين فأكثر المفسرين قالوا: أنه الموز[4]، وهذا القول منقول عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب وعكرمة ومجاهد وغيرهم وهذه تسمية أهل اليمين للموز.

وقالت الطائفة الأخرى:[5] الطلح: كل شجر عظام طوال، وهو شجر البوادي الكثير الشوك.

---

(١) حادي الأرواح، ابن قيم الجوزية.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا وابن المبارك والبيهقي وهو صحيح وصححه الحاكم وله شاهد.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص٣٠٦ .

(٤) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٥) منهم: معمر بن المثنى.

قال مجاهد: أعجبهم طلح «وجّ» وحسنه، فقيل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[(١)] والمنضود: هو المتراكم فوق بعضه.

قال الطبري: «وقوله: ﴿مَّنضُودٍ﴾ يعني أنه قد نضد بعضه علىٰ بعض وجمع بعضه إلىٰ بعض»[(٢)].

وذهب السدي إلىٰ أن المنضود هو المصفوف[(٣)].

وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ تفسير النضيد بالورق وقالوا: إن ورقه متصلاً ببعضه. قال الرازي: «أن معنىٰ منضود: هو أن موز الآخرة ليس كموز الدنيا من حيث أن موز الدنيا يكون بين القضب وبين بعضها فرجه، وليس عليها ورق، وموز الآخرة يكون ورقه متصلاً بعضه ببعض فهو أكثر أوراقاً»[(٤)] والصحيح خلاف ذلك.

قال الشيخ سليمان رطروط: «والذي أراه أن المنضود يقصد به الثمر لا الورق، لأن سياق الآيات يدل علىٰ نِعَمِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ومنها أن الموز متراكم كثير وثمره أطيب من العسل، إذن ما الفائدة من كثرة الأوراق؟ وهل يكون التفاضل بين موز الدنيا والآخرة بكثرة الأوراق أم بكثرة الثمار ولذتها؟»[(٥)].

قلت: إن كلا الأمرين مقصودان فأشجار الموز في الجنة مكسوة بالثمار والأوراق علىٰ صورة تبهج القلب والعين لا نستطيع وصفها ولا تخيلها إلا من خلال الأخبار الواردة والتي نعتقد أنها مليئة بالثمار المتراكمة المنضودة والأوراق المتصلة من أوله إلىٰ آخره، لدرجة أن ساق الشجرة لا يبين من

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ١٤٠.
(٣) النكت والعيون، للماوردي ٤/ ١٧٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٨٨.
(٤) انظر التفسير الكبير ٢٩/ ١٦٣.
(٥) الجنة في القرآن الكريم، رطروط ص٦٧.

الثمار والأوراق قال ابن قتيبة: «هو الذي نضد بالحمل، أو بالورق والحمل من أوله إلىٰ آخره فليس له ساق بارز»[1] وقال مسروق: «ورق الجنة نضيد من أسفلها إلىٰ أعلاها وأنهارها تجري من غير أخدود».

العنب:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبأ: ٣١-٣٢].

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: «بينما نحن في صلاة الظهر إذا تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر فلما قضي الصلاة، قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في صلاتك شيئاً ما كنت تصنعه؟ قال: **«إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه»**[2].

وفي رواية ابن عباس - رضي الله عنه - أن الصحابة - رضي الله عنهم - في صلاة الكسوف قالوا: «يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك كعكعت»[3]، قال ﷺ **«إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»**[4] وحجم الحب من العنب كبير جداً وضخم دل عليه ما رواه أبوسعيد الخدري عندما سُئل النبي ﷺ عن حجم الحبة من العنب فقال - عليه السلام -: **«كأعظم دلو فَرَتْ[5] أمك قط»**[6].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة

---

(١) تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة.
(٢) رواه أحمد في مسنده.
(٣) تأخرت.
(٤) رواه البخاري.
(٥) يُقال: فريت الشيء أفريه فرية إذا شققته وقطعته للإصلاح.
(٦) رواه أبو نعيم الأصبهاني، وقال المنذري: إسناده حسن.

الصبح، فقال: «**إني رأيت الجنة عُرضت علي، ورأيت فيها دالية [١] قطوفها دانية حبها كالدباء**».

وفي المسند أن رجلاً سأل النبي ﷺ عندما كان يتحدث عن شجرة طوبىٰ فقال: أفيها عنب؟ قال: «**نعم، قال: فما عظم العنقود؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع، ولا يفتر**»، **قال: فما عظم الحبة؟ قال: هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟ قال: نعم، قال: فسلخ إهابه [٢]، فأعطاه أمك وقال: اتخذي لنا منه دلواً عظيماً؟ قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: نعم، وعامة عيشرتك**» [٣].

إذن: عنب الجنة لا يشبه عنب الدنيا لا في الشكل ولا الطعم ولا اللون إلا في الاسم فقط. قال الإمام الرازي: «والتنكير في قوله: ﴿وَأَعْنَابًا﴾ يدل علىٰ عظم حال تلك الأعناب» [٤].

الرمـان:

قال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وقد ورد ذكره في القرآن ثلاث مرات، وكانت هذه الثمرة مرغوبة عند العرب لكثرة خروجها في بلادهم واستخدامها غذاء ودواء.

ولهذا ذكر الله ـ عز وجل ـ من بين الكثير من فاكهة الجنة تماشياً مع البيئة أما ابن قيم الجوزية فقد اجتهد في ذلك وقال: «إن الله خص ذكر النخل والرمان من بين الفاكهة لفضلهما وشرفهما، كما نص علىٰ حدائق النخل والأعناب في سورة النبأ إذْ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها» [٥].

---

(١) دالية: جمعها دوالي وهو عنب أسود غير حالك وعناقيده أعظم العناقيد كلها.

(٢) جلده.

(٣) رجاله موثوقون وله عدة طرق وقد خرجه الإمام أحمد والطبراني وابن حبان وغيرهم.

(٤) التفسير الكبير، ٣١/ ٢٠.

(٥) حادي الأرواح، ابن القيم.

قلت: إني لا أوافق ابن القيم في ذلك فالأعناب والرمان والنخل ليست أحلىٰ الفاكهة ولا أطيبها بل هناك من أنواع الفاكهة التي تميل إليها النفس وتشتيها أكثر من العنب والرمان والتمر بل كان ذكر الله لهذه الأنواع من الفاكهة لأنها أطيب ما يجد العرب من أنواع الفاكهة في ذلك الوقت، وليست لشرفها علىٰ كل أنواع الفاكهة ثم إن هناك في الجنة من الفاكهة التي لم توجد في الدنيا والتي هي أفضل من التمر والعنب والرمان. . والله أعلم.

قال -عليه الصلاة والسلام-: **«ما من رمانة في الدنيا إلا وفيها حبة من رمان الجنة»**[(١)].

وذكروا عن علي بن أبي طالب أنه إذا أكل الرمان حرص أن يأكل كل حبة منها حتىٰ يصيب فص رمان الجنة.

وبعد. . ومع ذلك كله فثمارها دانية مذللة للآكلين قال تعالىٰ: ﴿**وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**﴾ [الرحمن: ٥٤]. وقال: ﴿**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً**﴾ [الإنسان: ١٤]. وهي دائمة لا تنقطع ولا تنقص.

قال تعالىٰ: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ [الرعد: ٣٥]. وهذه الثمار دائمة بخلاف فاكهة الدنيا التي تثمر في بعض الفصول وتفقد وتفقدها في بعضها.

قال -عليه الصلاة والسلام-: **«لما أهبط الله آدم من الجنة علمه صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير، وتلك لا تغير»**[(٢)] ولا يعني هذا أنها نفسها ومثل طعمها قال ابن عباس: «ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء» وقال مجاهد: «وأتوا به متشابهاً» في المنظر مختلفاً في الطعم[(٣)].

---

(١) لم أقف علىٰ إسناده.

(٢) رواه الطبراني في الكبير.

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة.

المبحث السادس:
الزراعة في الجنة

كثير من العرب والعجم يعتمدون على الزراعة بشكل رئيس في معيشتهم حتى أحبوا هذه المهنة، وكرسوا لها كل طاقاتهم وإمكاناتهم، فإن دخلوا الجنة يطلب بعض هؤلاء أو غيرهم الزراعة هناك مع أن أهل الجنة لا يحتاجون إليها؛ لأن الله قد كفاهم، كل ما يريدون، وما تشتهيه أنفسهم يجدونه بل يأتيهم أحياناً قبل أن يطلبوه، ولكن للأنفس لذاتها وشهواتها فإن طلب أحد أهل الجنة الزرع أعطاه الله إياه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] وقال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: **«أن النبي ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية إن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه ـ عز وجل ـ في الزرع، فقال له: أولست فيما شئت؟ فقال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فأسرع ويذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله ـ عز وجل ـ: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء»** فقال الأعرابي: يا رسول لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ»(١) فقد دل هذا الحديث على أن أهل الجنة يشتهون أشياءً كانت لهم في الدنيا كالزراعة وغيرها قال **ابن حجر العسقلاني** في (فتح الباري): «وفي هذا الحديث دلالة أن لأهل الجنة ما يشتهون فيها من أمور الدنيا كالزرع وغيره»(٢) وقال **ابن القيم**: «وهذا يدل على أن في الجنة زرعاً، وذلك البذر

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أنظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ٥/ ٢٧ .

منه، وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع. فإن قيل: فكيف أستأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه؟ قيل: لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده، وقد كان في غنيه عنه، وقد كُفي مؤونة لا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث، والله أعلم»[١].

وهذا لا يعني أن أهل الجنة جميعاً يزرعون، بل يدل على أن بعضهم يشتهي الزراعة فيأذن الله له، وإلا فالجنة ليست بدار كَدٍّ ونصب[٢].

---

(١) حادي الأروح، ابن القيم الجوزية.

(٢) الجنة في القرآن الكريم، رطروط.

المبحث السابع:
أنهار الجنـة

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٩].

قال ابن القيم: وهذا يدل على أمور:

أحدهما: وجود الأنهار فيها حقيقة.

الثاني: أنها جارية لا واقفة.

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم[١].

وقد ورد في القرآن ذكر أربعة أنواع من الأنهار: نهر الماء، ونهر اللبن، ونهر الخمر، ونهر العسل، وإليك تفصيل هذه الأنهار.

أنـهار المـــاء:

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. ولذلك بدأ به في الآية التي تتحدث عن أنهار الجنة لأن أهل الدنيا لا يستغنون عنه بأي حال من الأحوال وبما أن الجنة لا تشابه الدنيا بأي جزئية فقد ذكر الله سبحانه صفة الماء في الجنة بقوله: ﴿ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [محمد: ١٥] ويقال: أَسِنَ الماء إذا تغير. واختلف

(١) حادي الأرواح، ابن قيم.

العلماء في هذا التغير هل هو التغير في الطعم، أم في الرائحة؟ فقد ذهب بعض العلماء كابن عباس والحسن، فقالوا: «أنه متغير الطعم» والبعض الآخر كالضحاك والقرطبي وغيرهما: «أنه متغير الرائحة» وجمع أبو السعود والألوسي بين الرأيين فقالوا: «غير متغير الطعم والرائحة»[١].

ومعلوم أن القرآن ليس فيه حشو من الألفاظ، بل كل لفظة تدل على معنى فريد لا تدل عليها مرادفتها. إذن ما الفائدة من قوله تعالى: ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾؟ وهذه الأنهار جارية والأنهار الجارية لا يأسن، ولا يفسد فيها الماء؟

أجاب **ابن القيم** عن هذا التساؤل بقوله: قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال»[٢].

قلت: وقد يكون ذكر ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾ هنا زيادة في التأكيد على طهورية الماء وعدم تغيره إطلاقاً، مهما عرضت له من العوارض فالطهورية متأصلة به تأصلاً وثيقاً لا تنفك عنه.

وقد يكون فيه من الأعجاز العلمي الذي لم يكتشف بعد.

أنـهار اللـبن:

قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥] فقد نفى الله ـ عز وجل ـ آفة اللبن وهي فساده بتغير طعمه إلى الحموضة، وقد حاول بعض علماء المسلمين كابن جرير الطبري في فلسفة عدم تغير طعمه وفساده، بقوله «لأنه لم يجلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع ولكن خلقه الله ابتداء في الأنهار فهو بهيئة لم يتغير عما خلقه عليه»[٣].

---

(١) تفسير ابو السعود وروح المعاني.
(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.
(٣) تفسير الطبري.

ولا أوافقه بما ذهب إليه في تعليله؛ لأن الجنة دار كرامة الرب العظيم الذي قال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] وبقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وقد ذكر الله ـ سبحانه ـ أنهار اللبن لتعلق العرب به فهو قوتهم الذي يقتاتون عليه، ولأنه قليل عندهم لوجوده في ضروع صغيرة في أوقات محدودة وظروف ضيقة لذا ذكره الله ووصفه بأنه موجود بشكل أنهار جارية غير متغيرة. والله أعلم.

أنهار الخمر:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥]. وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ الخمر لشدة تعلق العرب به حتىٰ أن القرآن لم يحرمه مرة واحدة بل تدرج في التحريم كما هو معلوم حتىٰ لا يحدث للمسلمين ردة فعل يقول أحد الصحابة أنه لما نزلت آية التحريم سالت شوارع المدنية من الخمر؛ لأن الجميع اهرقوا زقاقهم وآنيتهم المملوءة بالخمور، وما سالت شوارع المدينة إلا لكثرة الشاربين للخمر حتىٰ أن أحد الشعراء يوصي إن مات بأن يدفن تحت شجرة العنب التي يصنع منها الخمر حتىٰ ترتوي عظامه منها بعد موته.

لذا ذكره الله ـ عز وجل ـ في القرآن علىٰ شكل أنهار كثيرة وفوق هذا فهي مطهرة منفي عنها أضرار الخمر التي ذكر بعضها ابن القيم بقوله: «الصداع والغول[1] والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو علىٰ شربها بل لا يطيب لشرّابها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وتدعو إلىٰ الزنا، وربما دعت إلىٰ الوقوع علىٰ البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة، وتلحق شاربها

(١) ما ينشأ عن الخمر من صُداع.

بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر، الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار، وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب! وأفقرت من غني! فأذلت من عزيز ووضعت من شريف! وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة! وفسخت مودة ونسجت عداوة! وكم فرقت بين رجل وزوجته، فذهبت بقلبه وراحت بلبه! وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبره! وكم أغلقت في أوجه شاربها باباً من الخير، وفتحت له باباً من الشر! وكم أوقعت من بلية وعجلت من منية.. فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد لكفى ـ وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة(١).

إن خمر الجنة لذيذٌ، بلغ غاية اللذة وكمال النعمة فهو جاري أنهارٌ ابتداءً لم يعصر بالأرجل بعد تعفنه: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧].

قال الألوسي في سبب ذكره بعد الماء واللبن: «إذا حصل الري والمطعوم تشوفت النفس إلى ما تلتذ به»(٢).

فتأمل أخي حال أصحاب الجنة وهم جالسون على الأسرة مع زوجاتهم الجميلات أو على ضفاف الأنهار أو متقابلين مع إخوانهم، والخدم يدورون عليهم بكؤوس الخمر المطهر، الذي بلغ نهاية اللذة، وهم يتضاحكون فرحين بما آتاهم ربهم، فهل نعمة هذا تعادل نعمة من شربه في الدنيا معرضاً نفسه

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) روح المعاني، الألوسي.

لغضب الرب ولمعاقبة القانون ولزوال عقله وماله وفساد أسرته وفوق هذا فهو قد ضحى بخمر الجنة بشربه خمر الدنيا. قال -عليه الصلاة والسلام-: **«من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة»**(١) إلا إن تاب فإن الله يفرح بتوبته ويحول ذنوبه إلى حسنات إن الله غفور رحيم.

أنهار العسل:

العسل من أفضل الأطعمة وألذها وأطيبها، وكان النبي ﷺ يحبه ويشربه باستمرار وجعل الله فيه الشفاء، حتى قال -عليه الصلاة والسلام- لمن جاء يشتكي بطن أخيه بعد أن وصف له النبي شرب العسل قال: **«صدق الله وكذب بطن أخيك»**، وقال: **«الشفاء في ثلاث... وذكر منها شربة عسل»** فهو قليل في الدنيا وباهض الثمن، وفوق ذلك يُعاني الناس من كثرة أساليب الغش فيه ولذلك عندما ذكره الله -عز وجل- نفى عنه هذه الآفات حيث أنه يجري أنهاراً ومصفى من الشوائب كالشمع وغيره، ومصفى أيضاً من الغش وشوائبه.

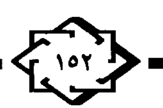
قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

قال القرطبي: «وقد صُفِّيَ من الشمع والقذى، خلقه الله كذلك لم يطبخ على نار، ولا دنسه النحل»(٢).

وعن سبب ذكره في نهاية الحديث عن أنهار الجنة، **«لما فيه من الشفاء في الدنيا مما يعرض من المشروب والمطعوم فهو متأخر بالرتبة»**(٣) قال **ابن القيم**: «ثم تأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس فهذا لشرابهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم وهذا لشفائهم ومنفعتهم»(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه وأبو داود والنسائي وأحمد في المسند.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
(٣) روح المعاني، الألوسي.
(٤) حادي الأرواح، ابن القيم.



*** مسألة :**

هل في الجنة هذه الأنهار فقط؟

هذه من أمور الغيب، وقد يكون هناك الكثير من الأنهار التي لم يذكرها الله ـ عز وجل ـ فهناك صنوف المشروبات التي هي أفضل من اللبن وأفضل من الخمر، لم يذكرها الله فقد يكون تركها لعدم معرفة العرب ـ آنذاك ـ بها وتركها لهم في الآخرة وذكر هذه الأنهار الأربعة لمعرفتهم بها.

مكان تفجر الأنهار:

إن المكان الذي تتفجّر منه الأنهار في أعلىٰ عليين في أعلىٰ منزلة من الجنة من الفردوس الأعلىٰ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الذي رواه أبو هريرة: **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله ـ عز وجل ـ للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنة وأعلىٰ الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنة»**[١].

قال **ابن تيمية:** أن الجنة كالقبة أوسطها وأعلاها الفردوس الأعلىٰ وفي رواية عبادة بن الصامت: **«والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجّر أنهار الجنة الأربعة والعرش فوقها، فإن سألتم الله فسألوه الفردوس الأعلىٰ»**[٢].

وعن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها، ومنها تفجّر أنهار الجنة»**[٣].

وروىٰ أبو نعيم الأصبهاني حديثاً ذكره أيضاً ابن القيم في (حادي الأرواح) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«أنهار الجنة تُفَجّر من تلال أو من تحت جبال المسك»**[٤] ولا تعارض بين الحديثين فقد تكون هذه التلال وجبال

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الطبراني والبزار.

(٤) أخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه والحاكم وابن أبي حاتم.

المسك في الفردوس الأعلىٰ، وتنفجر من تحتها الأنهار ثم تنزل من الفردوس إلىٰ باقي الجنان، والله أعلم بما خلق، وقبل النزول تجتمع علىٰ شكل بحيرات كبيرة جداً ثم تنشق منها الأنهار قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تنشق الأنهار بعدُ»**[١] قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«هذه الأنهار تشخب**[٢] **من جنة عدن في جونة**[٣] **ثم تصدع بعد أنهار»**[٤].

صفة جري هذه الأنهار:

هذه الأنهار تجري علىٰ وجه الأرض بلا أُخدود تشقها في الأرض، فهي تسيل وتجري علىٰ وجه الأرض مرتفعة عن مستواه في منظر جمالي لا يعلمه مداه إلا الله ـ عز وجل ـ فقد روىٰ أبو نعيم عن مسروق قوله: «أنهار الجنة تجري في غير أخدود».

وروىٰ عن أنس بن مالك أيضاً أن النبي ﷺ قال: **«لعلكم تظنون أن أنهار الجنة خدوداً في الأرض، لا والله، إنها لسائحة علىٰ وجه الأرض حافتاه قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر. قيل: يا رسول الله ما الاذفر؟ قال: الذي لم يُخلط»**[٥].

ورُوِيَ أيضاً أنه قيل لابن عباس: فما أنهارها؟ أو في خدةٍ قال: «لا، ولكنها تجري علىٰ الأرض مستكفه[٦] لا يستفيض ماؤها ها هنا، ولا ها هنا قال الله ـ تعالىٰ ـ لها: كوني، فكانت».

---

(٦) رواه الترمذي.

(٢) تسيل.

(٣) الحفرة المستديرة الواسعة.

(٤) رواه ابن مردويه، والبيهقي وابن كثير في صفة الجنة والدارمي وأحمد وغيرهم وفي الحديث كلام طويل.

(٥) رواه أيضاً ابن ابي الدنيا وذكره ابن القيم في حادي الأرواح.

(٦) محيطة.

أنهار أخرى في الجنة:

*** نهر الكوثر:**

قال تعالىٰ : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

وقد أختلف العلماء في الكوثر إلىٰ ستة عشر قولاً[١] وهذه الأقوال تدور علىٰ رأيين **الأول:** أنه نهر في الجنة و**الثاني:** الخير والفضائل الكثيرة.

روىٰ البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. فقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه »[٢].

والراجح أن الكوثر هو نهر في الجنة لتصريح الأحاديث الصحيحة بذلك فعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ حين نزلت عليه سورة الكوثر قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هو نهر وعدنيه ربي - عز وجل - عليه خير كثير**»[٣]. وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**أتيت علىٰ نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله - عز وجل -**» وقد روىٰ ابن جرير وابن كثير أن ابن عباس قال: «الكوثر هو نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري علىٰ الياقوت والدر أبيض من الثلج وأحلىٰ من العسل».

وقالت عائشة عن الكوثر: «هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه علىٰ دُرّ مجوف، آنيته كعدد النجوم» وقد ذكر ابن كثير في صفة الجنة عدة روايات وأحاديث صحيحة، تؤكد أنه (نهر) فهو إذن بلاشك نهر في الجنة لعموم

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

(٢) صحيح البخاري.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

الأدلة الصحيحة الصريحة.

وقد ورد فيه صفات كثيرة من الأحاديث منها أنه حافتاه من قباب اللؤلؤ المجوف ومن الذهب والفضة، تربته مسك أذفر، وحصباؤه اللؤلؤ، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر، آنيته كعدد نجوم السماء.

❖ نهر البيدخ[1]:

وهو نهر من جملة أنهار الجنة، ولا نعلم عنه كثيراً لورود حديث واحد يخبر عنه فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا الحسنة، فربما قال: **«هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قال: فإذا رأى الرجل رؤيا يسأله عنه، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرؤياه إليه، قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني دخلت الجنة، فسمعت وجبة أرتجت لها الجنة، فنظرت، فإذا قد جيء بفلان وفلان حتى عدت اثني عشر رجلاً، وقد بعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك ـ قالت فجيء بهم عليهم ثياب طلس[2] تشخب أوداجهم، قال: فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ، أو قال: نهر البيدح، قال: فغمسوا فيه، فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقالت: ثم أتوا بكراسي من ذهب، فقعدوا عليها فأتى بصفحة فيها بُسرة[3] فأكلوا منها، فما يقلبونها لشق إلا أكلوا من فاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول الله كان من أمرنا كذا وكذا وأصيب فلان وفلان حتى عد الاثني عشر الذين عدتهم المرأة، فقال رسول الله ﷺ: عليَّ بالمرأة فجاءت فقال: قصي على هذا رؤياك فقصت،**

---

(١) اضطربت المصادر في اسمه فقيل: البيدخ، والبينخ والبيدح، والبيدج، والسدخ ولا يهمنا هذا بقدر أهمية النهر.

(٢) ثياب وسخة.

(٣) تمر النخل قبل أن يُرطب.

فقال: هو كما قالت يا رسول الله»[١] .

وفي هذا الحديث دلالة على أن الجنة فيها أنهار سكت عنها نبينا ﷺ ولم يخبرنا عنها، فلولا رؤية هذا المرأة لم يخبرنا النبي ﷺ عن هذا النهر فهو نهر من جملة أنهار الجنة، سوف يُزال عنها الستار هناك في يوم المزيد، نسأل الله من فضله وجوده.

وروى أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة عن ابن عباس أنه قال: «إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار نابتات يتغنين بالقرآن، يقول أهل الجنة: اذهبوا بنا إلى نهر البيدخ فإذا جاءوا يتصفحون تلك الجواري، فإذا هوى أحدهم من الجواري شيئاً وضع يده على معصمها فاتّبعته، ونبتت مكانها أخرى[٢] وروى أبو هريرة نحوه عن النبي ﷺ ذكره أبونعيم أيضاً وروى أيضاً عن ابن المعتمر أنه قال: **«نُبئت أن في الجنة نهراً ينبت الجواري الأبكار»** وقد ذكر هذا النهر أيضاً ابن القيم الجوزية في (حادي الأرواح).

❖ نهر بارق:

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشهداء على بارقٍ، نهرٍ على باب الجنة فيه قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً»**[٣] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه ليس كل الشهداء على هذا النهر بل هم منازل كما أخبر بذلك نبينا ﷺ فمنهم من أرواحهم في حواصل طير خضر، تسرح

---

(١) رواه أحمد في المسند والنسائي وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي وصححه المقدسي وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. قال عنه أيمن الدمشقي: صحيح على شرط مسلم.

(٢) للحديث حكم الرفع إلى الرسول ﷺ لأنه مما لا يقال بالرأي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند وابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم، وقال ابن كثير في التفسير: إسناده جيد.

في الجنة، حيث شاءت، لحديث: «**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت**» ومنهم من يكون مقره على بارق نهر بباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة في الصباح والمساء. للحديث المتقدم.

ومنهم من تُحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره لحديث أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، مالي إن قُتلت في سبيل الله؟ قال: «**الجنة**» فلما ولى، قال: «**إلا الدَّين، سارني به جبريل**»[١] .

ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر: «**رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة**».

ومنهم من يكون محبوساً في قبره لحديث صاحب الشملة التي غلها[٢] ثم استشهد فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي ﷺ «**والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره**»[٣] ومنهم من يكرمه الله إكراماً خاصاً كجعفر بن أبي طالب، حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

(٢) أي سرقها من الغنيمة قبل القسمة.

(٣) فقه السنة، السيد سابق.

أنهار في الدنيا من أنهار الجنة

وهذه الأنهار هي: النيل والفرات وسيحان[1] وجيحان[2].

قال - عليه الصلاة والسلام -: **«ثم رفعت لي سدرة المنتهى قال: وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات عنصرهما»**[3].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«فجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات، والنيل، وسيحان، وجيحان»**[4].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة»**[5].

وقد حاول العلماء شرح هذه الأحاديث وتأويلها على عدة أقوال سأذكرها ثم أرجح بينها بما يظهر لي.

قال ابن كثير: أي مادتهما أو شكلهما، وعلى صفتهما ونعتهما، وليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

---

(١) سيحان: ويسمى سيحون أيضاً، ويعرف الآن بنهر «سرداريا» طولة ٢٠٩٠كم وينبع من جبال تيان شان بوسط قارة آسيا وهو موجود في الاتحاد السوفيتي. جيحان: ويسمى جيحون أيضاً، ويُعرف الآن بنهر «أموداريا» وينبع من جبال هندوكوش ويصب في بحر آرال ويجري في شمال أفغانستان وطوله ٣٥٢٣كم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن حبان والنسائي وغيرهم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وابن حبان والنسائي.

(٤) رواه الإمام أحمد بسند صحيح.

(٥) رواه مسلم وأحمد.

قال القاري: «إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة لما فيها من العذوبة والهضم ولتضمنها البركة الإلهية، وتشرفها بورود الأنبياء وشربهم منها»[١].

وقال الألباني: «ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة، فلا ينافي الحديث ما هو معلوم ومشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض فإذا لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، والتسليم للمخبر عنها»[٢].

ونقل الطيبي في (شرح المشكاة): «خص الأنهار الأربعة بالذكر لعذوبة مائها، وكثرة منافعها، كأنها من أنهار الجنة، ويحتمل أن يكون المراد بها: الأنهار الأربعة التي هي أصول أنهار الجنة وسماها بأسامي الأربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب، على سبيل التشبيه والتمثيل ليعلم أنها في الجنة بمثابتها وأن ما في الدنيا من أنواع المنابع والنعائم فنموذجات لما يكون في الآخرة، وكذا ما فيها من المضار المردية والمستكرهات المؤذية»[٣].

وقال القاضي عياض: «كون هذه الأنهار من الجنة أن الإيمان يعم بلادها وأن الأجسام المتغذِّية بمائها صائرة إلى الجنة، والأصح أنها على ظاهرها وأن بها مادة من الجنة مخلوقة موجودة اليوم عند أهل السنة، وقد ذكر مسلم في كتاب (الإيمان) في حديث الإسراء «**أن الفرات والنيل يجريان من الجنة**» وفي البخاري من أصل سدرة المنتهى.

وقال الطيبي في (شرح المشكاة): **أقول**: «سيحان» مبتدأ، و «كل» مبتدأ

---

(١) نقله عنه الشيخ ناصر في تعليقه على مشكاة المصابيح.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ١٨

(٣) شرح الطيبي على «مشكاة المصابيح».

ثان، والتقدير: كل منها و «من أنهار الجنة» خبر المبتدأ الثاني، والجملة خبر الأول، فإذا أريد التشبيه: قُدِّر من جنس أنهار الجنة، والفرق بين الوجه الأول والثاني أن المشبه في الأول: أنهار الدنيا، والمشبه به: أنهار الجنة، ووجه التشبيه: السلامة، والعذوبة، والهضم، والبركة، وفي الثاني على العكس وعلى هذا وجه التشبيه: الشهرة، والفائدة، والعذوبة، وفي الوجه الثالث وجه التشبيه: المجاور والانتفاع، سُميت أنهار الدنيا بأنهار الجنة لمجاورتها بالمؤمنين والانتفاع بها و «من» في «من أنهار الجنة» على الوجه الرابع يجوز أن تكون ابتدائية أي: مبتدأة ناشئة منها، أو اتصالية، أو تبعيضية[1].

وقال النووي: «في هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى، ثم يسيران حيث يشاء الله، ثم ينزلان إلى الأرض، ثم يسيران فيها، ثم يخرجان منها وهذا لا يمنعه العقل، وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد»[2].

قال ابن حجر: «والحاصل أن أصلها ـ يقصد سدرة المنتهى ـ في الجنة وهما يخرجان أولاً من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان، واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة»[3].

*** الترجيح في هذه المسألة:**

أقول: أن هذه الأنهار ليست أنهاراً من الجنة على وجه الحقيقة، وإنما الأحاديث الواردة فيها جاءت على سبيل التشبيه في البركة والكثرة وعدم الجفاف، فكما أن أنهار الجنة كثيرة لا ينضب ماؤها ويسعد من حولها فكذا هذه الأنهار الأربعة، وهذا هو وجه الشبه بينهما، أما قوله ـ عليه الصلاة

---

(١) شرح الطيبي على «مشكاة المصابيح».

(٢) فتح الباري، ابن حجر.

(٣) المصدر السابق.

والسلام ـ: **«أنها من أنـهار الجنة»** فهـذا نظير قـوله تعالىٰ: ﴿ **وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٣١] فالنسوة لا يقـصدن أنه ملك من الملائكة بل هو علىٰ سبيل التشبيه، ومثل قولك عن امرأة جـميلة: أنها من الحور العين بجامع الجمال في الكل فالحديث جاء من المجاز الذي عـلاقته التشبيه، ومما يؤكد هذا الكلام أن صفات الأنهار في الجنة تختلف عن صفات هذه الأنهار، لأن أنهار الجنة لا تأسن وهذه الأنهار تأسن وأنهار الجنة تجري في غير أخدود وهذه الأنهار لها أخدود إلىٰ غير ذلك من الصفات المخالفة فيما بينهما.

وقد سألت شيخي **الشيخ عبد الله السعد** ـ حفظه الله ـ عن هذه المسألة، فذكر لي أن معنىٰ ذلك هـو التشبيه، أي تشبيـه هذه الأنهـار المذكـورة بأنهار الجنة بجامع البركة والنفع، وقال: وإلىٰ هذا ذهب ابن كثير وغيره..

وبعد... فـهذا مـا هدأت له نفسي واطمـأنت إليه؛ لأنه لا يُوجد في الدنيا شيء مما هو في الجنة إلا الأسماء، كما قال ابن عباس ـ والله أعلم ـ.

المبحث الثامن:
العيون في الجنة

وكما أن الأنهار متعددة في الجنة، وكل شيء متعدد الأصناف والأنواع وكذلك العيون في الجنة فقد أخبر ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في القرآن بوجود ثلاث عيون في الجنة هي: عين الكافور وعين السلسبيل، وعين التسنيم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١].

وقال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠].

وقال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦].

وقال: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۝٥ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ۝٦﴾ [الإنسان: ٥-٦].

عين السلسبيل:

قال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ۝١٨﴾ [الأنبياء: ٣٧].

قال القرطبي: «تُسمىٰ بهذا الاسم عند الملائكة والأبرار وأهل الجنة»[(١)].

وقال ابن عباس والحسن: وعين السلسبيل والتسنيم من أرفع عيون الجنة[(٢)].

وقال ابن القيم في (حادي الأرواح): « فأخبر ـ سبحانه ـ عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً، إن شراب الأبرار يُمزج منها؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم» وسبب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

(٢) المصدر السابق.

تسميتها بهذا الاسم عدة آراء كلها تدور حول صفاتها المتعددة.

قال قتادة معنىٰ اسمها: أنها سلسة يصرفونها حيث شاءوا[(١)] وقال مقاتل: لأنها تنسل عليهم في مجالسهم وغرفهم وطرقاتهم[(٢)] وقال مجاهد: يعني سلسة السبيل، ومعناه «حديدة الجرية تسيل في حلوقهم انسلالاً»[(٣)] وقيل معناها: سل سبيلاً إليها وقد جمع ابن كثير والطبري بين كل هذه الآراء فهي كلها تتحدث عن جانب من جوانب هذه العين وما خفي أعظم.

وهذه العين ممزوجة بـ«الزنجبيل» والزنجبيل: شراب تعرفه العرب بطيب الرائحة وحرارته ولذته. وذهب بعض العلماء كمجاهد وقتادة: إلىٰ أن الزنجبيل إنما هو اسم لعين في الجنة ومنها شراب الأبرار.

ولكن هذا الرأي يخالف ظاهر الآية التي بينت أن عين السلسبيل تمزج بالزنجبيل. قال **ابن القيم**: «... فأخبر ـ سبحانه ـ عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة والطيب ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما علىٰ إثر الآخر حالة أخرىٰ أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدل كيفية كل منها بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها؛ فإن شرابهم مُزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولىٰ، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب أحدهما: مزج بالكافور، والثاني: مُزج بالزنجبيل»[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) النكتب والعيون، الماوردي.

(٣) تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة.

(٤) حادي الأرواح، ابن القيم.

قال ابن كثير: «فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر»[١].

عين التسنيم:

قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)**﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨].

وروىٰ أبو نعيم الأصبهاني عن وكيع: «التسنيم: عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين» وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها بهذا الاسم، فقيل: لأنها في مكان مرتفع من الجنة؛ لأن التسنيم معناه العلو ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه، وكذلك تسنيم القبور.

وقال قتادة: لأنها عين تجري في الهواء بقدرة الله ـ تعالىٰ ـ فتنصب في أواني أهل الجنة علىٰ قدر مائها، فإذا امتلأت أمسك الماء فلا تقع منه قطرة علىٰ الأرض ولا يحتاجون إلىٰ الاستقاء»[٢].

وقيل إنها سميت بذلك: «لرفعة من يشرب منها»[٣] وكل هذه الأقوال صحيحة فهي تصف جانباً من جوانبها وما خفي منها أعظم مما ظهر والله أعلم.

عين الكافور:

قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦)**﴾ [الإنسان: ٥-٦].

وقد اختلف العلماء في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿**كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾ هل هي اسم عين في الجنة أم أن ماء هذه العين ببرد الكافور أو ريحه أو طعمه؟

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) التفسير الكبير، الرازي.

(٣) روح المعاني، الألوسي.

قال الحسن: «ببرد الكافور وطعم الزنجبيل»[١] وقال قتادة: «إن المقصود ريح الكافور»[٢] وقال السدي: كأن طعمه طعم الكافور[٣] وقال ابن عباس: «إن ماء تلك العين يسمىٰ كافوراً»[٤].

وقد ذهب الرازي إلىٰ أن ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرده، ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته، فالمعنىٰ من ذلك الشراب يكون ممزوجاً بماء هذه العين»[٥] وجمع أبو السعود والألوسي بين هذه الآراء فقال: «كافوراً» أي: ماء كافور هو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده»[٦].

صفات هذه العيون:

لهذه العيون صفات كثيرة منها: أنها جارية لقوله تعالىٰ: ﴿**فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ**﴾ [الغاشية: ١٢]. وقوله: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ**﴾ [الرحمن: ٥٠] ومعنىٰ الجارية أن ماء هذه العيون يخرج بغزاره ثم يسيل ويجري علىٰ أرض الجنة. ومنها أنها نضاخة لقوله تعالىٰ: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ [الرحمن: ٦٦] فهي تنضخ بالماء وغيره.

روىٰ ابن أبي الدنيا عن جعفر عن سعيد فيهما عينان نضاختان قال: بالماء والفواكه[٧] وروىٰ أيضاً عن أنس بن مالك: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ قال: بالمسك والعنبر ينضخان علىٰ دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر علىٰ دور أهل الدنيا.[٨] ومنها أنها تتفجر بفعل أهل الجنة لقوله تعالىٰ: ﴿**يُفَجِّرُونَهَا**

---

(١) النكت والعيون، الماوردي.

(٢) النكت والعيون، الماوردي.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، والنكت والعيون، للماوردي.

(٤) تفسير الطبري وابن كثير وأبي السعود وروح المعاني للألوسي.

(٥) التفسير الكبير، الرازي.

(٦) تفسير أبي السعود وروح المعاني، للألوسي.

(٧) صفة الجنة، ابن أبي الدنيا.

(٨) المصدر السابق.

تَفْجِيراً ﴾[١] فقد روىٰ ابن أبي الدنيا قال: معهم قضبان الذهب حيث ما مالوا مالت معهم[٢]. وقال **ابن القيم**: قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم[٣].

وقال القرطبي: «يقال إن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلىٰ قصوره، وبيده قضيب يشير به إلىٰ الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله علىٰ مستوىٰ الأرض في غير أخدود، وتتبعه حيثما صعد إلىٰ أعلىٰ قصوره، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿ **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾ أي: يشققونها شقاً كما يفجر الرجل النهر ها هنا وها هنا إلىٰ حيث يريد»[٤].

وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد: «يفجرونها تفجيراً» يقودونها حيث شاؤوا، وتتبعهم حيثما مالوا مالت معهم».

وتحديد هذه العيون بالعدد فهي علىٰ اعتبار الأنواع لا العدد فأنواع العيون ثلاثة وأما عددها فلا يعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ والله أعلم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

المبحث التاسع:
قصور الجنة وغرفها وخيامها

قال تعالى: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال: ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ [الصف: ١٢] وقال عن امرأة فرعون: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ [التحريم: ١١].

مساكن أهل الجنة ثابتة بنص القرآن الكريم والحديث، ومن خلال تتبعنا لهذه النصوص تبين أن أنواع المساكن المذكورة والواردة في الكتاب والسنة ثلاثة أنواع هي: القصور والغرف والخيام.

وسوف أستعرض كل نوع من هذه الأنواع على حده شرحاً واستدلالاً وبياناً.

١ـ القصور:

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان: ١٠].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«بناء الجنة لبنة فضة ولبنة ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها[١] اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران..»**[٢]. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا فقلت: لأي قريش؟ قالوا: لعمر بن الخطاب»**[٣]

---

(١) الحصباء: الحصى الصغار.

(٢) رواه أحمد والطيالسي والحميدي والدارمي والبيهقي وهو صحيح بشواهده قال عنه الألباني: حسن وصحيح بشواهده.

(٣) رواه أبو نعيم.

وروى البخاري: أن المسؤول هو جبريل وزاد: **«فما منعني أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أعلم من غيرتك»**، قال: وعليك أغار يا رسول الله» وقال الأعمش: «إن في الجنة قصوراً من ذهب وقصوراً من فضة وقصوراً من لؤلؤ وقصوراً من ياقوت وقصوراً من زبرجد»[١].

وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ رأى رؤية وقد دخل الجنة ومعه ملكان، قال: **«فسما بصري صعداً، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء[٢] قال: قالا لي: ذاك منزلك، قال: قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله. قالا أما الآن فلا»**.

وفي الصحيح أن الرسول ﷺ قال: **«إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب [٣] فيه ولا نصب»**[٤].

*** مسألة:**

ما الحكمة من جعل مادة البيت من القصب؟

قال بعض العلماء: إنما كان بيتها من قصب؛ لأنها حازت قصب السبق في التصديق برسول الله ﷺ حين بعثه الله - عز وجل - كما يدل عليه حديث أول البعثة: **«أنها أول من آمن حيث قالت: وقد أخبرها خبر ما رأى فقال: لقد خشيت على عقلي، قالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ[٥] وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر»**.

قلت: لا دليل على قول العلماء وتعليلهم بهذا السبب فالأمر أوسع وأشمل لأن القصب أحياناً يكون أجمل وأنظر وأحل خاطراً من القصور، هذا في

---

(١) رواه ابن أبي شيبة وأبو نعيم.

(٢) الربابة البيضاء: السحابة البيضاء.

(٣) الصخب: الضجة.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) الكل: ما لا يقدر على العمل والكسب.

الدنيا والقصب من الخشب فكيف ببيت في الجنة من القصب فهو بلا شك نزهة للخاطر وجولة في مرابع الأنس خاصة وأن مادته ليست من الخشب بل هي من قصب اللؤلؤ. كما بين هذا حديث آخر، أن فاطمة - رضي الله عنها - قالت للنبي ﷺ: أين أمنا خديجة؟ قال: **«في بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب بين مريم وآسية امرأة فرعون»**، قالت: من هذا القصب؟ قال: **«لا من القصب المنظوم بالدرر واللؤلؤ والياقوت»**[1] قال ابن كثير: وأما ذكر مريم وآسية في هذا الحديث فيه إشعار أن رسول الله ﷺ سيتزوج بهما في الدار الآخرة.

والأحاديث في ذكر القصور وأنواعها وأوصافها وألوانها وحسنها كثيرة جداً وأكثر منها ما وقفت عليه من أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن يقلب نظره في قصور اليوم المبنية من الرخام والزجاج والكريستال وغيرها مما يبهج النفس ويسر الخاطر ويأخذ بشغاف القلب لتتوق نفسه إلىٰ سكناها ولو لفترة قصيرة، وهي من صنع البشر في دار الدنيا الآيلة للزوال فكيف بقصور الآخرة قصور الجنة التي بناها الله بقدرته، وبقوله كوني فكانت مبنية من مواد الجنة وهندسة الجنة، تُسكن أبد الآباد بلا خوف من مرض أو هَمٍّ أو موت وغير زائلة بل أنه ورد في الحديث أن جنة عدن بناها الله بيده كرامة لمن يسكنها، فما بالك بقصور هذه الجنة التي أبدعتها يد الله التي تليق بجلاله - سبحانه - بلا تكييف أو تمثيل - إن كانت كذلك فاطلق عنان العقل والخيال ليحلق في عبقرية وجمال الأثاث والتحف، ولن يبلغ العقل ولن يتصور ماهيته وكنه وحقيقة جمال هذه القصور وما فيها وفي الحديث الموقوف الحسن أن بعض سقوف الجنة نور يتلألأ كالبرق اللامع، لولا أن الله يثبت أبصارهم لأوشك أن يخطفها» فنسأل الله من فضله وجوده.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط.

كيف ينال المؤمن القصور في الجنة؟

الجنة حينما خلقها الله جعل فيها بيوتاً وقصوراً لأهلها فلا يمكن أن تكون الجنة بلا قصور، ولكن من أراد أن يكثر من هذه القصور ويزيدها في نصيبه من الجنة فعليه بما يلي:

١ـ بناء المساجد لوجه الله:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة»**(١).

٢ـ المحافظة على السنن الرواتب:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعاً بنى الله له بيتاً في الجنة»**(٢).

٣ـ قراءة القرآن:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«ما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وله وكيل في الجنة أن قرأ القرآن بنى له القصور وأن سبح غرس له الأشجار وإن كف كف»**(٣).

٤ـ قراءة سورة الإخلاص عشر مرات:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من قرأ «قل هو الله أحد» عشر مرات بُني له قصر في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاثة قصور في الجنة»**، فقال عمر: اذاً لتكثرن قصورنا فقال النبي ﷺ: **«الله أوسع من ذلك»**(٤).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري في تاريخه والديلمي عن أنس.

(٤) أخرجه الدارمي في مسنده عن ابن عقيل.

٥ ـ الصبر عند موت الأولاد:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إذا قبض الله ـ عز وجل ـ ابن العبد، قال للملائكة: ماذا قال عبدي؟ قالوا: حمدك واسترجع. قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه: بيت الحمد»**(١).

٦ ـ الإلحاح على الله بالدعاء في طلب هذه القصور.

وهذا لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وكل طلب في الدعاء يندرج تحت هذه الآية والاستجابة قريبة ممن يدمن الدعاء ويلج به فقد قال ﷺ: **«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»** وهذا باب عظيم في الدين غفل عنه كثير من الناس.

٧ ـ ذكر دعاء السوق:

لقوله ﷺ: **«من قال في السوق: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنةٍ ,ومحا عنه ألف ألف سيئةٍ، وبنى له بيتاً في الجنة»**(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

الغـرف

هي المكان العالي من القصر

قال الراغب: «الغرفة عليه من البناء»[١] .

وقال الألوسي: «الغرف جمع غرفة وهي العلية أي لهم علالي كثيرة جليلة بعضها فوق بعض... أي مبنية بناء يتأتي معه جرىٰ الأنهار من تحتها وذلك علىٰ خلاف علالي الدنيا»[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام: **«إن في الجنة لغرفاً يُرىٰ ظهورها من بطونها أو بطونها من ظهورها فقام أعرابي فقال يا رسول الله لمن هي؟ فقال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلىٰ بالليل والناس نيام»**[٣] .

وعند **ابن القيم** في (حادي الأرواح): أن الناس قالوا: يا رسول، ومن يطيق ذلك؟ قال: **«أمتي تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك: من لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشىٰ السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتىٰ يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلىٰ صلاة العشاء الأخير في جماعة فقد صلىٰ الليل والناس نيام اليهود والنصارىٰ والمجوس»**[٤] ثم قال **ابن القيم**: وهذا الإسناد وإن كان لا يُحتج به وحده، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روىٰ بإسنادين آخرين. وكذا قال: البيهقي.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٢) روح المعاني، الألوسي.

(٣) رواه الترمذي وابن أبي شيبة وابن خزيمة والبيهقي وغيرهم. وحسنه الألباني في الجامع وقد ورد هذا الحديث من رواية جمع من الصحابة، وهو صحيح بشواهده.

(٤) رواه البيهقي وأبو نعيم.

قلت: الغرف المذكورة في الآيات والأحاديث تطلق على شيئين:

الأول: الغرفة العلية من البناء لعموم ما ذكرناه ولقوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠] قال ابن القيم: أخبر - تعالى - أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأن ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض حتى كأنك تنظر إليها عياناً، ومبنية صفة للغرفة الأولى والثانية: أي لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها.

الثاني: منزلة من منازل الجنة. لقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ [الفرقان: ٧٥]. ولقوله ﷺ: **«إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**[١] والذين قالوا: إنها من منازل في الجنة اختلفوا على قولين:

الأول: إنها أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى منازل الدنيا[٢].

الثاني: إنها هي الجنة عامة، وسميت بذلك لارتفاعها[٣] وذهب إلى هذا القول: سعيد بن جبير والسدي والضحاك وغيرهم. والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي - والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، وتفسير ابن كثير، وروح المعاني، وأبي السعود.

(٣) انظر ما سبق.

الخيام

قال تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣)﴾ [الرحمن: ٧٢-٧٣]. وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون**[1] **يطوف عليهم المؤمن فلا يرىٰ بعضهم بعضاً»**[2] وقال ابن المبارك: حدثنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، قال: «الخيمة دُرةٌ مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب»[3].

وعن أبي الدرداء أنه قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة، لها سبعون باب، كلها من درٍّ»[4] وقول هذين الصحابيين له حكم الرفع لأن قولهما من أمور الغيب الذي لا يدخله الهوىٰ والرأي وحاشا هذين العلمين أن يقولا في أمور الآخرة ما ليس لهما به علم.

وهذه الخيام مساكن لأهل الجنة غير مساكن القصور والغرف بل هي مسكن مغاير تماماً ولا اعتبار لما ذهب إليه ابن بحر إلىٰ أن الخيام هي البيوت.

قال **ابن القيم**: أن هذه الخيام غير الغرف والقصور وأنها تضرب لهم خارج مساكنهم في البساتين وعلىٰ شواطئ الأنهار.

وإنما جعلت لهم الخيام من المساكن؛ لإتمام نعمة الله علىٰ أهل الجنة؛ لأن النفس تأنس أحياناً بالسكن في الخيام، وهذا أمرٌ مشاهد ففي أيام الربيع مثلاً

---

(١) أي: زوجات.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) موقوف اسناده علىٰ شرط البخاري.

(٤) موقوف رجاله رجال مسلم وله شاهد مرفوع.

يخرج الناس وحداناً وزرافات إلى المرابع والبراري، وينصبون الخيام طلباً للأنس والراحة والاستجمام وهذه الخيام من الحبال والشعر فكيف بالخيام التي هي من لؤلؤة واحدة كبيرة قد جوفت ونصبت في ساحات الجنان وعلى شواطئ الأنهار وفي البساتين تدخل وتخرج منها فتيات بلغن القمة في الجمال والحسن والرقة والسحر والأناقة والتكسر في القول والفعل متعلقات به لا يرين غيره ولا يفكرن بسواه في حياة لا موت فيها ولا فقر ولا ولادة ولا تعب ولا هم وغم يدورون في دائرة « لهم ما يشاءون فيها » .

معرفة أهل الجنة منازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة

لاشك أن أهل الجنة حينما يدخلونها سوف يعرفون منازلهم وسينطلقون إليها انطلاقاً منذ أن تطأ أول قدم لهم الجنة.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ [محمد: ٦].

وقد ذكر **ابن القيم** بعضاً من أقوال العلماء في هذه الآية فقال:

قال ابن عباس: هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلىٰ منازلهم.

وقال محمد بن كعب: يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة.

وقال مجاهد: يهتدي أهلها إلىٰ بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون، كأنهم سكنوها منذ خلقوا لا يسألون عنها أحداً.

وقال أبو عبيدة: بينها لهم حتىٰ عرفوها بغير استدلال.

وقال مقاتل بن حيان: بلغنا أن الملك الموكل بحفظ بني آدم يمشي في الجنة يتبعه ابن آدم حتىٰ يأتي أقصىٰ منزل هو له، فيعرفه كل شيء أعطاه الله في الجنة فإذا دخل إلىٰ منزلهِ وأزواجه انصرف الملك عنه.

وذهب الزجاج إلىٰ قول آخر في معرفة أهل الجنة بمنازلهم حيث قال: ﴿ **عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ من العُرْف: وهو الرائحة الطيبة.

علىٰ كل حال العبرة بالغاية وليست بالوسيلة فالغاية أن أهل الجنة إن دخلوا الجنة انطلقوا إلىٰ مساكنهم وأزواجهم ولا تُهمنا وسيلة الاستدلال بقدر أهمية الوصول.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**والذي بعثني بالحق، ما أنتم في الدنيا بأعرف**

بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة»[١].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أُذِن لهم بدخول الجنة، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزلة في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا»**[٢].

وإذا عُلم أن أهل الجنة يعرفون منازلهم ومساكنهم وأزواجهم في الجنة وجب الإيمان بذلك بلا سؤال عن كيفية الاستدلال.

---

(١) رواه الطبراني في (المطولات)وابن جرير في (التفسير) وأبو موسى المديني والبيهقي في (البعث والنشور) وتفسير ابن كثير وأبو نعيم في (صفة الجنة).

(٢) رواه البخاري.

المبحث العاشر:
غلمان أهل الجنة وخدمهم

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ١٤].

والغلمان في اللغة: مفرد غلام، وهو من طر شاربه. أي الصغير وغلمان الجنة يتميزون بميزات عن غيرهم منها الآتي:

١ـ كثرة أعدادهم.

٢ـ شدة جمالهم وبياضهم.

٣ـ التسابق لخدمة أهل الجنة.

٤ـ عدم الملل والتذمر من خدمة أهل الجنة.

٥ـ صغر سنهم.

٦ـ لا يكبرون ولا يموتون.

وقد اختلف العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ إلى قولين:

الأول: أنهم لا يهرمون ولا يتغيرون، وهو قول: الفراء وأبو عبيدة[1] وابن عباس.

الثاني: أنهم مسورون بالأسورة ومقرطون بالأقراط. وقالوا: أنها من الخلد، وجمعها خِلد وهي القرطة. وهذا اختيار ابن الأعرابي. واحتج أصحاب الرأي الثاني بحجتين:

---

(١) ذكره أبو عبيدة في (مجاز القرآن)، والفراء في (معاني القرآن).

الحجة الأولى: أن الخلود عام لكل من دخل الجنة، فلا بد أن يكون الوالدان موصوفين يتخليد مختص بهم، وذلك هو القرطة.

الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان[1]

أي: متقرطات بالفضة.

وقد جمع بعض العلماء بين هذين القولين فقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفي آذانهن القراطة.

ورجح ابن الماوردي رأياً ثالثاً فقال: «أنهم الباقون معهم لا يصبرون عليهم ولا ينصرفون عنهم بخلافهم في الدنيا»[2].

*** مناقشة هذه الآراء:**

الصحيح الذي يظهر لي في هذه المسألة هو الرأي الأول القائل: بأنهم لا يهرمون ولا يموتون لأسباب منها:

١ـ أن هذا القول هو قول أكثر المفسرين أمثال مقاتل ومجاهد والحسن والضحاك والكلبي.[3] وابن عباس بخلاف الأقوال الأخرىٰ.

٢ـ أن هذا التفسير تفسير ابن عباس، وابن عباس هو ترجمان القرآن وقد دعا له النبي ﷺ بقوله: **«اللهم علمه التأويل»**، قال ابن القيم: وقول ترجمان القرآن في هذا كاف.

٣ـ أن هذا قول العلماء المشهود لهم بالعلم من أمثال ابن القيم وابن كثير وغيرهم.

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) النكت والعيون، الماوردي.

(٣) غريب القرآن، ابن قتية، وروح المعاني، الألوسي وتفسير أبي السعود.

أصل وأساس هؤلاء الغلمان

اختلف في أصل هؤلاء الغلمان على عدة أقوال :

القول الأول: أنهم خُلقوا في الجنة ومن مادتها ولا يمتون إلى الدنيا بصلة . وقد ذهب إلى هذا الرأي أكثر العلماء والمفسرين أمثال ابن القيم وأبو السعود والألوسي والقرطبي وابن كثير .

القول الثاني: أنهم أولاد الكفار والمشركين الذين ماتوا صغاراً قبل التكليف وهو رأي سلمان الفارسي[1] .

القول الثالث: أنهم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغاراً قبل سن التكليف وهذا رأي علي بن أبي طالب وحسن البصري .

***مناقشة هذه الآراء:**

عند النظر في هذه الآراء يتبين أن الرأي الراجح - والله أعلم - هو الرأي الأول لعدة أدلة منها :

أن الله ذو فضل عظيم وكرم لا حدود له فهل يُعقل أن يجعل من يموت من أولاد المسلمين الصغار خدماً لأهل الجنة بالطبع لا ، لأن في ذلك إهانة وانتقاص لأوليائه في الجنة حيث أنه لا قرار لإنسان ولا كرامة له ما دام ابنه محكوم عليه بالخدمة للأسياد أبد الآباد ، فالله - عز وجل - كرّم أهل الجنة وأعلى قدرهم في كل شيء فيهم أولاً وفي ذريتهم وأزواجهم ثانياً لدرجة أن الله - عز وجل - يلحق الأدنى بالجنة بالأعلى فيها من الذرية والآباء قال تعالى : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١] ومنها أن النبي ﷺ أخبر أن من يدخل الجنة يكون عمره ثلاثاً وثلاثين وهذا العمر هو شرخ الشباب ويفعانه ويخرج عن

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي .

مسمىٰ الغلمان حيث أن الغلمان هم الصغار الذين هم دون العشرين بكثير.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة ولا يزيدون عليها أبداً»**[(١)] وفي حديث آخر: **«علىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثين سنة»**[(٢)] ورویٰ الإمام أحمد بن حنبل في المسند نحو هذا.

إذن: يتبين أن أي كبير أو صغير يموت في الدنيا ثم يدخل الجنة فإن عمره سوف يكون ثلاثاً وثلاثين سنة ولأن الغلمان دون هذا السن بكثير فهذا دليل علىٰ أنهم ليسوا من أهل الدنيا بل خُلقوا من الجنة لخدمة أسيادهم في الجنة قال **ابن القيم**: «والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقين من الجنة كالحور العين خدماً لهم وغلماناً»[(٣)] وقال أيضاً: «وهؤلاء غير أولادهم فإن من تمام كرامة الله ـ تعالىٰ ـ لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلماناً لهم»[(٤)].

أما أصحاب الآراء الأخرىٰ فقد استدلوا بالآتي:

حديث عائشة ـ رضي الله عنه ـ حينما قالت: «توفىٰ صبي فقلت: طوبىٰ له عصفور من عصافير الجنة فقال ﷺ: **«أن الله ـ تعالىٰ ـ خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً»**[(٥)] وفي رواية: **«خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»** وحديث أنس عن النبي ﷺ قال: **«سألت ربي اللاَّهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنة»**[(٦)] يعني الأطفال.

ويُرد علىٰ هذين الدليلين بما يلي:

بالنسبة للحديث الأول: نقول إنه أجمع من يعتد به من علماء الإسلام أن

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا كما في «النهاية» وابن أبي داود وابو نعيم والطبراني.

(٣) حادي الأرواح.

(٤) المصدر السابق.

(٥) صحيح مسلم.

(٦) رواه ابن أبي شيبة والدارقطني.

من مـات مـن أولاد المسلمين دون سن التكليف أنهم مـن أهل الجنة وقـد نقل ذلك الإمام النووي ـ رحمه الله ـ.

ويحتمل أن النبي ﷺ نهى عائشة عن المسارعة في الحكم بغير دليل، ويحتمل أيضاً أنه ﷺ قال: هذا قبل أن يعلم أن أولاد المسلمين من أهل الجنة فلما علم قال ذلك في قوله: **«ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة؛ بفضل رحمته إيَّاهم»** قال الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث: **«أجمع من يُعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفاً، وتوقف فيه من لا يُعتد به لحديث عائشة»**[1].

أما الحديث الآخر الذي رواه أنس، فهو حديث ضعيف قال عنه ابن الجوزي: «حديث لا يثبت وله عدة طرق» قال ابن القيم عن طرق هذا الحديث: «وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واهٍ، وفضيل بن سليمان متكلم فيه، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف».

أما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم في النار تبعاً لآبائهم.

الثاني: التوقف وترك أمرهم إلى ربهم.

الثالث: أنهم من أهل الجنة ـ وهو الصحيح ـ الذي ذهب إليه المحققون.

واستدلوا بأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] ومنها حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله وأولاد المشركين، قال: **«وأولاد المشركين»**[2].

---

(١) صحيح مسلم شرح النووي.

(٢) رواه البخاري.

* لفتــة:

ما سبب تشبيههم باللؤلؤ المنثور بدل اللؤلؤ المنظوم؟

يبدو من الوهلة الأولىٰ أن السبب جمالي ولكن القرآن يحمل في طياته عدة معاني وفوائد وكنوز لغوية معنوية فقد ذكر الماوردي في النكت والعيون سببين وفائدتين :

الأولى: للدالة علىٰ كثرتهم .

الثاني: صفاء ألوانهم وحسن مظهرهم .

ويأبىٰ ابن القيم إلا أن يشارك ويدلىٰ بدلوه في هذه المسألة حيث علل لذلك بسببين :

الأول: للدلالة علىٰ أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم .

الثاني: أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولاسيما علىٰ بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهىٰ من كونه مجموعاً في مكان واحد»[1] .

فلك أن تتخيل مدىٰ جمال منظر اللؤلؤ المنثور علىٰ بساط أحمر أو أخضر فما بالك أن كان منثوراً علىٰ أرض الجنة ففيه من الجمال والروعة والرونق ما لا يكون في حالة نظمه .

ومعلوم أن كل شئ نفيس صغير الحجم أن كان مبثوثاً أفضل منه منظوماً وهذا وارد في اللغة وقد استعمله الشعراء في أشعارهم بكثرة حتىٰ أن كثيراً من المؤلفين اسموا كتبهم به أمثال : كتاب (الدر المنثور) وكتاب (نثر الدر) وغيرها من الكتب .

وقال المتنبي :

ولقد نثرتهم فوق الأحيدب نثرةً   كما نثرت فوق العروس الدراهمُ

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم .

المبحث الحادي عشر:
آنية أهل الجنة

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة ١٧-١٨].

وبحصر الآيات التي ورد فيها ذكر آنية أهل الجنة يتبين أن آنية الجنة المذكورة في القرآن الكريم أربعة أنواع هي: الصِّحَاف، والأباريق، والأكواب، والكؤوس.

وللعلماء أقوال في إيضاح هذه الآنية وبيان ماهيتها، وهذه الأقوال بلا شك ليست وصفاً دقيقاً لما هي عليه في الجنة بل تقريب للأذهان كي يتصورها وليس الوصف كالعيان فهي تحف من صنع الخالق سبحانه قد أحسن صنعها واتقانها فكانت غاية في الحسن والجمال والكمال ليتلذذ الشارب بنظره لها ولمسة لمعدنها قبل شربه بها وهذا مشاهد وملموس في الحياة الدنيا فليس سواء من يشرب بآنية من فخار قديم ومن يشرب بقوارير «الكريستال» فالشراب في الثانية بلا شك ألذ وأشهى وأطيب. أعود إلى الحديث عن آنية أهل الجنة فأولها:

الصِّحاف:

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾.

وهي إناءٌ يوضع فيه الطعام، وفسره بعض العلماء «بالقصعة العريضة»[1] وقال الليث: الصحفة قصعة مُسْلنطحة عريضة، والجمع صِحاف، وذكر ابن

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

منظور: أن الصفحة تشبع الخمسة، والقصعة تشبع العشرة[(١)].

معدنها:

وصِحاف أهل الجنة من الذهب الحر لقوله ﷺ: **«لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تاكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»**[(٢)].

وهذا لا يعني أن كل صحاف الجنة من الذهب فقد ورد عنه ﷺ أنها في بعض الجنان من الفضة لقوله ﷺ: **«جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما، وما فيها، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيها»**[(٣)].

الأباريق:

قال تعالى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾**﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٨] والأباريق: جمع إبريق، وهو إناء يوضع فيه الشراب وهذا الأبريق له صفات تميزه عن غيره من الآنية قال فيه البخاري: «الأباريق ذات الآذان والعراء»[(٤)] وذكر ابن القيم: «بأنها الأكواب التي لها خراطيم، وقال القرطبي: «الأباريق: التي لها عرى وخراطيم، واحدها إبريق» وقال الألوسي: «أباريق: جمع أبريق، وهو إناء له خرطوم، قيل: وعروة»[(٥)].

وسبب تسميته بهذا الاسم لأنه براق يلمع قال ابن القيم: «إبريق: إفعيل من البريق، وهو الصفاء، فهو الذي يبرق لونه من صفائه، والعرب تُسمى السيف إبريقاً لبريق لونه ومنه قول ابن أحمر:

تَعَلَّقَ إبريقاً وأَظْهرَ جَعْبَةً ... لِيُهْلِكَ حياً ذا زُهاء وجامِلِ

ويقال: امرأة إبريق إذا كانت براقة.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور

(٢) صحيح مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) صحيح البخاري.

(٥) روح المعاني، الألوسي.



معدنها:

ومعدن هذه الأباريق من الفضة ـ كما نص على ذلك ابن القيم ـ وهذه الفضة في صفاء القوارير يُرى من ظاهرها ما في باطنها.

وهي في الجنة بكثرة وكذلك على الحوض لقوله ﷺ: **«وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»**(1).

حاصلة:

أن الأباريق آنية أكبر من الأكواب وتُميز عنها بالعرى التي تُقبض منها وبالخراطيم التي ينسكب منها الماء، وهي ملازمة للأكواب؛ لأن الأكواب تملأ من الأباريق.

الأكواب:

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨)﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ [الإنسان: ١٥].

والأكواب: هي الآنية التي يُسكب فيها الشراب من الأباريق ويشرب منها مباشرة وللعلماء في تفسير وشرح هذه اللفظة عدة آراء كلها تصب في مصبٍ واحد.

ذكر البخاري في صحيحه أن الأكواب: «ما لا أذن له ولا عروة» وقال ابن قتيبة: «الأكواب: الأباريق التي لا عرى لها»(2) وقال أبو عبيدة: «الأكواب:

---

(١) صحيح البخاري.

(٣) تفسير غريب القرآن.

الأباريق التي لا خراطيم لها»[١] وقال الراغب: «الكوب: قدح لا عروة له وجمعه أكواب»[٢] وقال الفراء: «الكوب: المستدير الرأس الذي لا أذن له» وقال أبو إسحاق: «هو إناء مستدير لا عروة له»، وذهب القرطبي وابن كثير وابن القيم وأبو السعود إلىٰ أنها الأكواب التي لا خراطيم لها ولا آذان.

وقال مقاتل: «هي أوانٍ مستديرة الرأس ليس لها عرىٰ» وقال الألوسي: «آنية لا عرىٰ لها ولا خراطيم، والظاهر أنها الاقداح»[٣] وذكر الماوردي عن قتادة: «الكوب: المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق: الطويل العنق الطويل العروة»[٤].

وبعد.. هذا حشد من أقوال أهل العلم نلحظ أنها تتوافق في كثير من جوانبها.

قلت: الأكواب: هي أوانٍ بقدر الكف أو تزيد قليلاً تكون بعروة أحياناً وأحياناً بدون عروة وهي مختلفة الأشكال والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ ومعنىٰ قوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أن الماء في الأكواب علىٰ قدر ري الشارب لا تنقص عن إروائه أو تزيد وهذا إنما يكون للكوب فقط وهو الذي نستخدمه في حياتنا اليومية غير أن أكواب الجنة تختلف عنها لأنها من أواني الجنة.

لفتة بلاغية:

ولفظة (الكوب) استعملت فيه مجموعة، ولم يأت بها مفردة لأنه يتهيأ فيها ما يجعلها في النطق من الظهور والرقة والانكشاف وحسن التناسب كلفظ (أكواب) الذي هو الجمع[٥].

---

(١) مجاز القرآن.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٣) روح المعاني، للألوسي.

(٤) النكت والعيون، الماوردي.

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ مصطفىٰ صادق الرافعي.



معدنها:

معدن هذه الأكواب من الذهب الخالص والفضة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ**﴾ وهنا محذوف تقديره من ذهب، قال القرطبي: «ذكر الذهب في الصحاف، واستغنىٰ به عن الإعادة في الأكواب».

وهذا كثير في القرآن وفي كلام العرب كقوله تعالىٰ: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥] أي: والذاكرات الله كثيراً. وقوله تعالىٰ: ﴿**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾ [التوبة: ٣]. أي: ورسوله بريئ من المشركين، وهو ما يسمىٰ في اللغة إيجاز الحذف.

وأما معدن الفضة فدليله قوله تعالىٰ: ﴿**وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦)**﴾ والقوارير: هي الزجاج قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغيرهم: «بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرىٰ ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا»[1].

ومعنىٰ هذا الكلام: أن الأكواب في الجنة من الفضة التي علىٰ هيئة الزجاج، وهذا يستحيل وجوده في الدنيا؛ لأن جزيئات الفضة غير قابلة للتمدد لدرجة الشفافية عما ورائها من الشراب ولكنها واقعة في الجنة بقدرته ـ سبحانه ـ وبقوله «كن» وهذا الشيء العجيب سوف يكون ممتعاً للعين والنفس، وعجيبة من عجائب الله التي لا تنقضي.

وهذا لا يعني أنه لا يوجد من الأكواب في الجنة إلا هذين المعدنين بل هناك من المعادن من الزجاج ومن غيرها ما لا يعلمه إلا الله ولكن لكثرة هذين المعدنين ذكرهما الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وقد بين بعض ذلك الماوردي وقد قال الشيخ سليمان حسن: «إن في الجنة أكواباً من الفضة وأكواباً من الزجاج

---

(١) تفسير ابن كثير.

الخالص، ولكنه في بياض الفضة»[1].

وأما ما نقله الماوردي من تفسير ابن عباس قوله: «قوارير كل أرض من تربتها» وأرض الجنة الفضة، فلذلك كانت قواريرها الفضة»[2].

فهذا الكلام لا أوافقه عليه؛ لأنه بذلك قعد قاعدة، الواقع خلافها فمثلاً أرضنا هذه من تراب فرأينا من القوارير الأنواع الكثيرة الذهب والفضة والنحاس والزجاج وغيرها وأرض الجنة ليست من الفضة فقط بل فيها من المواد الأخرىٰ كاللؤلؤ مثلاً وغيرها وعلىٰ هذا فقد يكون من أنواع القوارير والأكواب هناك من اللؤلؤ أو من أي مادة من مواد أرض الجنة والله أعلم.

---

(١) الجنة في القرآن الكريم، سليمان حسن رطروط.

(٢) النكت والعيون، الماوردي.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾

للعلماء فيها آراء:

الأول: أنها مخلوقة، وذهب إلى هذا الراغب بقوله: «الوضع: عبارة عن الإيجاد والخلق»[1].

الثاني: أنها موضوعة في أيديهم للتلذذ بها. قال الماوردي: «أي موضوعة في أيديهم للاستمتاع بالنظر إليها، لأنها من ذهب وفضة».

الثالث: لأنها مستعملة على الدوام لشربهم منها. قاله الماوردي.

الرابع: أي أنها موضوعة بين أيديهم. قاله الألوسي.

الخامس: أي أنها موضوعة على حافات العيون.

قلت: إن جميع آراء العلماء صحيحة وهي كلها تخدم معنى واحد خلا الرأي الأول فهذه الأكواب موضوعة بكثرة في كل مكان على المائدة وعلى العيون والأنهار في القصور والحدائق وفي كل مكان لتكون جاهزة تحت الطلب لا يحتاج أهل الجنة إلى طلبها وانتظار قدومها وهذا فيه من كمال اللذة الشيء الكثير، ولذلك جعلها الله صفة لازمة لهذه الأكواب. فقال: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ وأما من ضعف كونها موضوعة للاستمتاع فكلامهم مردود عليهم لأنها موضوعة للشرب أصلاً وبما أنها تحفة أيضاً استلزم ذلك الاستمتاع بالنظر إليها لعجيب صنعتها والله أعلم بالصواب.

الكؤوس:

قال تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات: ٤٥].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

واختلف المفسرون في بيان معنى الكأس على ثلاثة أقوال:

الأول: هو الإناء إذا كان فيه خمر فقط.

الثاني: هو الإناء إذا كان مملوءاً بأي نوع من الأشربة.

الثالث: هو الإناء الذي لا عروة ولا خرطوم له، وهو أصغر من الكوب.

نقل الألوسي عن اللغويين أن: «إناء الخمر لا يُسمى كأساً حقيقية إلا وفيه خمر فإن خلا منه فهو قدح»[(١)] ونقل ابن قيم الجوزية عن أبي إسحاق قوله: «الكأس: الإناء إذا كان فيه خمر» ثم قال ابن القيم: والمفسرون فسروا الكأس بالخمر، وهو قول: عطاء والكلبي ومقاتل حتى قال الضحاك: كل كأس في القرآن فإنما عُني به الخمر.

وقد روى الطبري عن الضحاك والسدي أنَّ الكأس عند العرب: «كل إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأساً ولكنه إناء»[(٢)].

وذهب أبو السعود إلى أن: «الكأس لا تُسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة»[(٣)].

وقال الراغب: «الكأس: الإناء بما فيه من الشراب، وسمى كل واحد منهما بانفراده كأساً يقال: شربت كأساً، وكأسٌ طيبة يعني بها الشراب»[(٤)].

الترجيـــح:

رجح الشيخ سليمان رطروط بين هذه الأقوال بقوله: «وعلى هذا فإن الكأس يطلق على كل إناء لا عروة له ولا خرطوم، وهو أصغر من الكوب وغالب الأقوال أن الإناء المملوء خمراً يُسمى كأساً ولكن إذا كان يُستعمل للماء أو لغيره من الأشربة، لا نطلق عليه كأساً، وما ذهب إليه المفسرون من

---

(١) روح المعاني، الألوسي.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) تفسير أبي السعود.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

أن الكأس في الآيات الكريمة إنما يستعمل فقط للخمر غير دقيق، بل يُستعمل للأشربه جميعاً في الجنة ومن ضمنها الخمر قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾ [الإنسان: ١٧]. لذا لا أرىٰ من المناسب أن نقصر لفظ الكأس في القرآن علىٰ الإناء المملوء خمراً»[1].

ونخلص مما ذُكر آنفاً أن الآنية في الجنة كثيرة جداً مختلفة الأجناس والأنواع من هذه الآنية والصحاف والأباريق والأكواب والكؤوس وهي التي ذكرت في القرآن الكريم، وهذه الآنية أعدها الله ـ عز وجل ـ كي يستعملها أهل الجنة في أكلهم وشربهم ومعادن هذه الآنية متنوعة منها الذهب والفضة وغيرها مما أخفاه الله. والله أعلم.

---

(١) الجنة في القرآن، سليمان رطروط.

المبحث الثاني عشر:
أثاث أهل الجنة

قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ١٣-١٦].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

هذه بعض الأثاث التي ذكرها الله -عز وجل- في الجنة، وما ذاك إلا أن القصور والدور والبساتين لا تكتمل ولا تطيب إلا بأثاثها وباستقراء الآيات وتتبعها يتبين أن أثاث الجنة التي أخبر عنها أنواع هي: السرر والأرائك والفرش والنمارق والزرابي والعبقري.

أما السرر:

فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة].

وقال: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤].

وقال: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣].

قال الراغب: «السرير الذي يجلس السرور إذا كان ذلك لأولي النعمة وجمعه أسرة وسرر...»[1].

ولهذه السرر صفات كثيرة ذكر الله منها ثلاث صفات هي أنها: موضونة، ومرفوعة، ومصفوفة.

والوضن في اللغة: النضيد والنسج المضاعف. قال ابن قتيبة وغيره: «موضونة: منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض»[2] فالوضن النسج المحكم، قال الراغب: «الوضن: نسج الدرع، ويُستعار لكل نسج محكم» قال: «على سرر موضونة ومنه الوضين وهو حزام الرحل»[3].

وروى البيهقي والطبري وابن أبي شيبة عن ابن عباس قوله: «مرمولة بالذهب» وقال مجاهد: «موصولة بالذهب»[4] ومعنى مرمولة وموصولة: يعني منسوجة به وذكر ابن القيم في الحادي: أن موضونة: منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدُّر والياقوت والزبرجد، وقال ابن عباس: «سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدَّرر والياقوت»[5] وقال نحوه أبو السعود في تفسيره.

إذن: هذه السرر مصنوعة ومنسوجة بقدرة «كن» صناعة متقنة تفوق حدود الخيال وفوق هذه الصناعة الفائقة فهي مزينة بالجواهر من اللؤلؤ والدرر والياقوت مما يأخذ بشغاف القلوب أعدت لإسعاد من يجلس عليها من أهل الجنة.

ومن هذه الصفات أنها «مرفوعة» وللمفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٤) تفسير مجاهد وتفسير الطبري.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره.

أقوال: قيل: «أنها مرفوعة القدر شريفة»، وقيل: «عالية وسميكة» قال الكعبي: «طول السرير في السماء مائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتىٰ يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع مكانه»[1].

وقال الطبري: «مرفوعة: ليرىٰ المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوله ربه من النعيم والملك فيها ويلحق جميع ذلك بصره»[2] ولا أرىٰ خلافاً بين تفسيري العلماء، فهذه الأسرة تجمع كلا التفسيرين فهي شريفة رفيعة القدر والقيمة وعالية مرتفعة. والله أعلم.

ومن صفات هذه السرر أيضاً أنها: «مصفوفة».

قال ابن جرير وغيره: «جُعلت صفوفاً»[3] وهذه الصفوف أنها متقابلة كما قال ابن كثير: «معنىٰ مصفوفة: أي وجوه بعضهم إلىٰ بعض»[4] واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤]. وهذا فيه من كمال اللذة الشيء الكثير لئلا يقابل بعضهم ظهور بعض وبقي أن أنوه إلىٰ أن هذه الأسرة لم تعد للنوم كأسرة الدنيا بل هي للنعم ومسامرة الأحبة من الإخوان، ولمضاجعة الحور العين والحديث معهن، وغيرها من الوظائف المخفاة فقد وردت بعض الآثار إلىٰ أن هذه الأسرة تسير بأصحابها في الجنة. والله أعلم.

أما الأرائك:

قال تعالىٰ: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٦].

قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ [الكهف: ٣١].

قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) تفسير الطبري، وأبي السعود، وروح المعاني، للألوسي.

(٤) تفسير ابن كثير.

فسر العلماء هذه اللفظة «الأرائك» بأنها قباب الأقمشة التي تعلق فوق السرير وتظلله.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم: «الأرائك» هي السرر تحت الحجال ونقل ابن القيم عن مجاهد عن ابن عباس قوله: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة فإن كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة، فإذا اجتمعتا كانت أريكة[1].

وقال الألوسي: «إن كلام الأكثرين يدل على أن السرير وحده لا يُسمى أريكة... والحجال: كالقبة موضع يزين بالثياب والستور والأسرة للعروس...»[2].

وقال ابن القيم: «ها هنا ثلاثة أشياء»:

أحدهما: السرير.

الثانية: الحجلة وهي البشخانة التي تُعلق فوقه.

الثالث: الفراش الذي على السرير، ولا يُسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله.

وفي الصحاح: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجله، والجمع الأرائك...»[3].

إذن الأرائك: جمع أريكة وهي السرير إذا كان معلق فوقه قطعة من القماش الجميل الذي يتصل به ويزينه.

---

(١) رواه البيهقي والسيوطي، وذكره ابن القيم في «حادي الأرواح».

(٢) روح المعاني، الألوسي.

(٣) حادي الأرواح، ابن القيم.

أما الفرش:

فقد قال تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

والفرش في اللغة هي: ما يُفرش ويبسط علىٰ الأرض للجلوس عليه وفرش الجنة تفوق حدود تصور العقل الإنساني لأنها لم توجد للوقاية من أوساخ الأرض ولا للوقاية من ألم الجلوس علىٰ الأرض؛ لأن هذا منتفىٰ في الجنة بل أوجدها الله لزيادة نعيم أهل الجنة وإدخال البهجة والفرح والسرور علىٰ قلوبهم وعيونهم.

ولابن القيم استنباط حسن من الآية الكريمة: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ حيث قال: وهذا يدل علىٰ أمرين:

أحدهما: أن ظهائرها أعلىٰ وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة.

الثاني: يدل علىٰ أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة..»(١).

قال ابن كثير في جمال هذه الفرش: «فإذا كان البطائن من إستبرق، فما ظنك بالظهائر؟! وروىٰ ابن أبي الدنيا عن سعيد قال: ظواهرها من نور جامد.

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال بعض العلماء: المقصود بهذه الآية ليست الفرش التي يجلس عليها وإنما هي المقصود: النساء في الجنة؛ لأن الفراش يُكنىٰ به عن النساء والمقصود بالآية: نساء مرفوعات القدر والمكانة.

وقال البعض الآخر: إن المقصود بها الفرش التي يُجلس عليها.

قلت: أن الراجح في هذه الآية أن المقصود بها الفرش التي يجلس عليها

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

ويدل عليه الآتي :

ورود أحاديث تفسر معنىٰ هذا الارتفاع حيث قال ـ عليه السلام ـ في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ : **«ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام»**(١) .

وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ **«ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض»**(٢) .

وقد روىٰ ابن أبي الدنيا عن معاذ بن هشام الدستوائي قال : وجدت في كتاب أبي بخط يده ، عن القاسم عن أبي أمامة في قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : **«لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً»**(٣) .

وقال بعض أهل العلم في تفسير هذه الأحاديث أن معناه : أن هذه الفرش تفرش في درجات الجنة .

قال الترمذي : أن معناه : «الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض»(٤) .

قال ابن كثير : «ومما يقوي هذا ما رواه عبد الله بن وهب عن عمرو عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : «ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض» ثم قال : وهذه الفرش موجودة في كل محل وموطن مهيأة لاحتمال الاحتياج إليها في ذلك الموضع» .

قلت : من ذا الذي أحاط بكنه الجنة وبكل ما فيها ، فقد تكون هذه الفرش مرفوعة فوق جبال الجنة أو مرفوعة فوق أي شئ عالٍ في الجنة أو قد تكون

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه أحمد والترمذي والبيهقي ، وذكره الهيثمي في «موارد الظمآن» .

(٣) إسناده رجاله ثقات .

(٤) صفة الجنة ، ابن الكثير .

مرفوعة عالياً فوق الهواء بدون أن يكون تحتها شيء كل ذلك جائز فالجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . والله أعلم .

وأما النمارق:

قال تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ [الغاشية : ١٥] .

ومفردها : «نُمرقة» بضم النون، وقيل : نمرقه[١] بالكسر .

وهي : «الوسائد» وهذا قول : ابن عباس، وعكرمة، وابن قتيبة، والسدي والضحاك، والثوري، وقتادة، وغيرهم .

قال الطبري وغيره : وإلى هذا المعنى ذهب المفسرون[٢] .

ومعنى مصفوفة : أي أن هذه الوسائد مصفوفة بجانب بعضها البعض صفاً هندسياً متناسقاً جميلاً مبهجاً، ولذلك عُرفت بصفتها التي أطلقها الله عليه وهي «مصفوفة» ولذلك فإن الشيء إذا عُرف بصفة دل على تمكن هذه الصفة منه والتصاقها به إلتصاقاً لا ينفك عنها . والله أعلم .

ولذلك قال الكلبي : هي وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض .

أما الزرابي:

قال تعالى : ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ .

جمع مفردها : «زرب» ومعناها : البُسُط .

قال الراغب : والزرابي جمع زرب وهو ضرب من الثياب محبر منسوب إلى موضع وعلى طريق التشبيه أو الاستعارة قال : ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[٣] وهذه البُسُط ليست مصفوفة بترتيب بل هي مبثوثة بثاً، يبهج الخاطر، ويسر الناظر، فلو تأمل المتأمل الصورة الجمالية لبُسطٍ مبثوثة بكل مكان في بستان ملئ

---

(١) قول الفراء .

(٢) تفسير الطبري .

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب .

بالورود والخضرة والأشجار والثمار لوجدها أفضل من أن تكون مبسوطة بترتيب علىٰ نسق معين، ففي الأول جمال وسرور ما لا يكون في الثاني.

ونلمح من هذه الآية ما يدل علىٰ كثرة هذه البسط؛ لأن الشيء إذا بُثَّ دل علىٰ كثرته في كل مكان، ولذا قال ابن قيم الجوزية: «فتامل كيف وصف الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الفرش بأنها مرفوعة والزرابي بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة، فرفعُ الفرش دال علىٰ سمكها ولينها، وبث الزرابي دال علىٰ كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخرة وجوانب، ووصف المساند يدل علىٰ أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة تُصف في وقت دون وقت»[1].

أما الرفرف:

فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

وفي تفسير هذه اللفظة اختلف العلماء علىٰ أقوال عدة فمنهم من قال: أنها البسط، وقيل: أنها الوسائد، وقيل: فضول المجالس للفرش، وقيل: هو قماش يطرح علىٰ ظهر الفراش للنوم عليه. وقيل: إنها رياض الجنة.

قلت: وعند تقليب النظر في هذه الأقوال والتأمل في الأدلة والرجوع إلىٰ قواميس اللغة تبين لي أن المقصود بهذه اللفظة ـ والله أعلم ـ أنها قماش خفيف جميل المظهر والملمس يكون فوق الفرش وغيره وهو ما يُعرف الآن بـ «الشراشف».

والدليل علىٰ ذلك اشتقاق اللفظ فهو مأخوذ من: «رفَّ الشيء» إذا تحرك ولذا قال ابن القيم: «أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب، فمنه الرفرف في الحائط»[2] ولذلك يُقال للطير: رفرف الطير إذا حرك جناحيه، والشيء

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

الذي يرفرف لا يكون إلا خفيفاً رقيقاً بعيداً عن السماكة، وفي الحديث يوم وفاة النبي ﷺ: «فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة»[١]، ويقال عن العين: رفت العين إذا تحركت.

إن علمنا ذلك عرفنا أن الشيء لا يرف إلا إن كان رقيقاً دقيقاً وهذا لا يكون إلا في «الشراشف» لخفتها ورقتها، وقد ذهب إلىٰ هذا الشيخ سليمان رطروط حيث قال: «والذي أرجحه أن الرفرف هو الثياب الذي يغطي بها فراش السرير ويُنام عليها، أو يسمىٰ بوقتنا الحاضر (بالشراشف)»[٢].

وقد استبعد سليمان رطروط باقي التفاسير الأخرىٰ حيث قال: «والقول بأن الرفرف: الفرش أو البُسُط أو الوسائد بعيد؛ لأن تلك النعم قد ذكرها الله بأسمائها بالزرابي والنمارق، واختلاف الأقوال في تحديد معناها دال علىٰ عدم الاتفاق علىٰ أن المقصود بالرفرف البسط أو الوسائد، أما قول سعيد بن جبير: أنها رياض الجنة، وهو مأخوذ من رف النبت يرف إذا صار غضاً نضيراً، وعند ذلك يكون المعنىٰ أن أهل الجنة متكئين علىٰ العشب الأخضر، واعتقد أن هذا فيه بعد، ولا يوجد فيها ميزة كبيرة» والله أعلم.

أما العبقري:

قال تعالىٰ: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

وهذه الكلمة منسوبة إلىٰ «عبقر» وعبقر وادي يسكنه الجن بكثرة، ويقال في الرجال الأشداء الأقوياء: كأنهم جن عبقر، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال حين ذكر عمر: «لم أر عبقرياً يَفرِي فَرْيه»[٣].

قال الراغب: «عبقر: قيل: هو موضع للجن يُنسب إليه كل نادر من إنسان

(١) ذكره ابن الأثير، والقرطبي، وابن الجوزي.

(٢) الجنة في القرآن الكريم، رطروط.

(٣) رواه البخاري.



وحيوان وثوب»[١] .

وقال ابن قيم الجوزية: وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب، ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم، وهذا هو الأصل، ثم صار العبقري اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفته.. ثم رأينا أشياء كثيرة نُسبت إلى عبقر غير البُسُيط والثياب كقوله في صفة عمر: «عبقرياً»[٢].

والمقصود بـ «العبقري» هنا في الآية هي: جياد البسط وأفاضلها، فالبسط إذا بلغت القمة في جمالها ونعومتها ودقة حياكتها وسُميِّت «بالعبقري».

وقد فسر ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي والضحاك وغيرهم: أن العبقري: البسط الحسان[٣].

وذكر ابن القيم تفسيراً آخر لابن عباس هو أنها: البسط والطنافس، وقال الكلبي: هي الطنافس المجملة.

وقال الألوسي في روح المعاني: «فسره الأكثرون بعتاق الزرابي» والزرابي هي البسط كما بينت هذا سابقاً.

وقد سُئل الحسن البصري عنها فقال: «هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها»[٤] وقال ابن كثير في صفة الجنة: «والعباقر: عتاق البسط، أي جيادها وخيارها وحسانها، وقد خوطب العرب بما هو عندهم أحسن، وفيها أعظم مما في النفوس وألذ من كل صنف ونوع وبالله المستعان.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٣) تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.

(٤) تفسير ابن كثير.

خلاصة القول:

إن أثاث الجنة كثير منها ما ذكره الله ـ وهو الذي بينته ـ ومنها ما سكت عنه وجعله مفاجأة، يُكشف عنها الستار هناك في يوم الخلود يوم الكرامات، يومٌ قال الله عنه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] أثاث لا يعرف كنهه إلا الله ـ عز وجل ـ وقد كشف شيئاً يسيراً من جوانبه لا تحيط به العقول حين قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«المقسطون على منابر من نور»** فكيف يكون هذا النور، ثم كيف يحمل صاحبه هذا ما لا نعلمه بل نَكِلُ أمره إلى الله ليكشفه لنا في الجنة، ويكشف ما خبأه من أثاث، لم يخطر على قلب بشر، ولم يدر في خياله، من الأرائك، والفرش، والزرابي، والنمارق، والعبقري، وإن وصفناها فهي مغايرة تماماً لما هي عليه في الجنة، فالموجود في الجنة لا يشابه الموجود في الدنيا إلا في الأسماء أما المسميات فهي مغايرة لما نعرفه. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»**(١).

نسأل الله التقلب على هذا الأثاث في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر.

---

(١) سبق تخريجه.

المبحث الثالث عشر:
سوق أهل الجنة

جاءت أحاديث كثيرة بطرق أكثر بينت بعض جوانب هذا السوق وبعض صفاته، وهي بلا شك لا تصف جميع صفاته وجوانبه، فالكرامة فيه خارج حدود العقل وفوق سقف البيان لا يصفها قلم ولا يبينها ببيان وهو من الذي قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: **«فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يُباع فيه ولا يشترى»**[1].

ومن أبرز صفات هذه السوق:

- أنها سوق لا يُباع فيها ولا يشترى، يأتيها أهل الجنة كل جمعة.
- تهب عليهم ريح طيبة، وتدخل بيوتهم يزيدون جمالاً كثيراً فيها.
- فيها كثبان من المسك يجلس عليها أهل الجنة.
- فيها صور الرجال والنساء إن اشتهى الرجل صورة دخل فيها.
- يجتمع فيها أهل الجنة ويتعارفون.

وهذه السوق ليست كأسواق الدنيا، تُعرض فيه البضائع للبيع والشراء، وإنما سمي سوقاً لاجتماع الناس فيه كما تجتمع في أسواق الدنيا.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة لسوقاً، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم**

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي عاصم في كتاب «السنة».

بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازدتم بعدنا حسناً وجمالاً»(١).

وقد اشتاق أصحاب النبي ﷺ إلىٰ هذا السوق كما ورد عن أبي هريرة حينما لقي سعيد بن المسيب فقال أبو هريرة له: «أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة».

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «المراد بالسوق: مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنىٰ يأتونها كل جمعة، أي: في مقدار كل جمعة أي أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار، . . . وخص ريح الجنة بالشمال، لأن ريح المطر عند العرب، كانت تهب من جهة الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشامية، وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة أي المحركة؛ لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيرها من نعيمها»(٢).

ورونٰ أحمد: **«أن في الجنة لسوقاً فيها كثبان المسك، فإذا خرجوا إليها هبت الريح»**(٣).

وعن سعيد بن المسيب ـ رضي الله عنه ـ أنه لقي أبا هريرة، فقال أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أوفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: **«أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة ويجلس أدناهم ـ وما فيهم دنيٌّ ـ علىٰ كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي أفضل منهم**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم، النووي.

(٣) رواه أحمد في المسند.

مجلساً» ، قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا؟ قال: «**نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟**» قلنا: لا، قال: «**فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم، لا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضره محاضرة حتىٰ يقول: يا فلان بن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيذكره بعض غدراته، فيقول: بلىٰ، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلىٰ؛ بمغفرتي بلغت منزلتك هذه، قال: فبينما هم علىٰ ذاك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا شيئاً مثل ريحه قط، قال: ثم يقول ربنا ـ عز وجل ـ: قوموا إلىٰ ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيجدون سوقاً قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلىٰ مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر علىٰ القلوب، قال: فيُحمل لنا ما اشتهينا ليس يُباع ولا يشترىٰ، وفي ذلك السوق يلقىٰ أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال: فيقبل ذو البزة[1] المرتفعة، فيلقىٰ من هو دونه ـ وما فيها دنيٌ ـ فيروعه ما يرىٰ عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتىٰ يتمثل عليه أحسن منه، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرفُ إلىٰ منازلنا، فتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحباً وأهلاً بحبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا ربنا الجبار ـ عز وجل ـ فحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا**»[2] .

أما ما رواه الترمذي، قائلاً: حدثنا أحمد بن منيع وهناد قالا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لسوقاً ما فيها شراء، ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهىٰ الرجل صورةً دخل فيها**»[3] فيفهم من هذا الحديث أن

---

(١) البزة: الهيئة.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي عاصم في «السنة».

(٣) رواه الترمذي، وهناد، وعبد الله بن أحمد في «الزوائد» وأبو بكر بن أبي شيبه كلهم عن طريق عبد الرحمن بن إسحاق.

الرجل قد يشتهي صورة الرجل ويدخل فيها، وهذا لا يصح ولا يقبله عقل ولا منطق ولا ذوق، فالجنة طاهرة مطهرة، لا يدخلها إلا طيب ولا يُعمل فيها إلا طيب.

وهذا الحديث أرىٰ أنه لا يصح - والله أعلم - عن النبي ﷺ إن كان المعنىٰ المقصود ما ذكرته آنفاً، وإن كان غير ذلك فالحديث معلول وقد تكلم العلماء فيه كثيراً فقال الترمذي عنه بعدما رواه: حديث غريب - يعني ضعيف.

وقال ابن كثير: «ويحمل معناه علىٰ أن الرجل إنما يشتهون الدخول في مثل صُور الرجال، وكذلك النساء، ويكون مفسراً بالحديث المتقدم وهو الشكل، والهيئة، والبشرة، واللباس، كما ذكرنا في حديث أبي هريرة في سوق الجنة: «فيقبل ذو البزة المرتفعة، فيلقىٰ من دونه فيروعه ما عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي من حديثه حتىٰ يتمثل عليه أحسن منه، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها».

ثم قال ابن كثير: هذا إن كان قد حفظ لفظ الحديث، والظاهر أنه لم يحفظ، لأنه قد تفرد به عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث، وهو أبو شيبة الواسطي، ويقال الكوفي.

قال الإمام أحمد عنه: ليس بشيء، منكر الحديث، وكذبه في روايته عن النعمان بن سعد، عن المغيرة بن شعبة أحاديث رفعها.

وقد ضعفه يحيىٰ بن معين، ومحمد بن سعد، ويعقوب بن سفيان، والبخاري، وأبو داود وأبو حاتم، وأبو زرعه، والنسائي، وابن خزيمة وابن عدي، وغيرهم.

وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في «الموضوعات»، وفي الحديث علة أخرىٰ أيضاً وهي جهالة النعمان بن سعد.

وللحديث شاهد من حديث جابر، لكنه لا يقوىٰ بهذا الشاهد؛ لأن في

إسناده «جابر بن يزيد الجعفي» وهو متهم بالكذب وقد تعقب السيوطي[١] وابن حجر وابن الجوزي في حكمه عليه بالوضع، وقد وصف الزبيدي تعقب ابن حجر بـ «الدَّنْدَنَة »[٢]، وقد أصاب الزبيدي؛ لأن جابر متهم بالكذب كما أسلفنا، فلا يصلح شاهداً أصلاً، وقد حكم عليه ابن كثير بأنه ضعيف جداً. وقال: «ومثل هذا الرجل - يعني عبد الرحمن - لا يُقبل منه ما تفرد به، ولا سيما هذا الحديث فإنه منكر جداً، واحسن أحواله أن يكون سمع شيئاً ولم يفهمه جيداً، وعبر عنه بعبارة ناقصة.

أما الألباني: فقد اكتفىٰ بتضعيفه فقط، ولعله إنما حكم بضعفه لشاهده من حديث أبي هريرة والله أعلم، وعلىٰ فرضية صحته فيكون معناه ما نقله الطيبي في «شرح المشكاة» عن بعض العلماء فقال - رحمه الله -: يحتمل الحديث معنيين:

أحدهما: أن يكون معناه عرض الصور المستحسنة عليه فإذا اشتهىٰ وتمنىٰ صورة من تلك الصور المعروضة عليه، صوَّرة الله تعالىٰ بشكل تلك الصورة بقدرته.

الثاني: أن المراد من الصورة الزينة التي يتزين الشخص بها في تلك السوق، ويتلبس بها ويختار لنفسه من الحُلي والحلل والتيجان، يقال: لفلان صورة حسنة أي شارة حسنة وهيئة مليحة.

---

(١) اللآلي، للسيوطي.
(٢) الإتحاف.

المبحث الرابع عشر:
عدد الجنان

قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال عز وجل: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ [الرحمن: ٦٢].

وقال ـ عليه السلام ـ: **«جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم، إلا رداء الكبرياء، على وجهه، في جنة عدن»**[1].

إن الجنة كلمة تطلق على كل الجنان وما اندرج تحتها من أنواع وألوان النعيم، فالجنان كثيرة جداً يؤكد ذلك ما ورد عن المعصوم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أن في الجنة **«مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»**، وقوله ـ عليه السلام ـ لأم حارثة بن سراقة: **«أهبلت؟ أجنة واحدة هي؟! إنها جنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى»**[2].

ودلت الأدلة من الآيات والأحاديث ـ وهو معتقد أهل السنة والجماعة ـ أن عدد الجنان أربع وهي للخائفين من الله.

ولا اعتبار لما ذهبت إليه فرقتا الخابطية والحدثية من المعتزلة واخوان الصفا من أن للثواب دارين:

دار فيها أكل وشرب وجنات وأنهار، ودار فوق هذه الدار ليس فيها أكل ولا شرب، بل ملاذ روحانية وروح وريحان[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني.

أو قولهم: أن الجنان ثمانية أنواع:

جنة الميراث، وهي الرتبة الإنسانية، وجنة عدن وهي الرتبة الملكية، وجنة الخلد، وهي العوالم الفلكية، والجنة العالية، وهي العوالم الروحانية المجردة عن العوالم الجرمانية، وجنة الفردوس، وهي العوالم النفسانية، وجنة النعيم وهي عالم العلم، وجنة الرضوان، وهي عالم العقل، وجنة المأوىٰ، وهي عالم الأمر الإلهي الذي بدأت منه العوالم وإليه تعود[١].

إن هذا الكلام مردود جملة وتفصيلاً، ولا أساس له من الصحة إذ لا أصل له ولا دليل يقوم عليه بل هو صادر ونابع من أهوائهم الفاسدة.

إن أعلىٰ منزلة في الجنة هي الوسيلة وهي للنبي ﷺ وهو فيها يأكل ويشرب وله أزواجه فيها، فهو يجمع بين المتعتين الروحانية والجسمانية.

وأما قول الفراء: أن الجنة واحدة، فثني لرؤوس الآي[٢] فلا اعتبار له أيضاً وهو غير مقبول؛ لأن القرآن ليس بالشعر، فينصب الاهتمام به علىٰ القالب البنيوي ويُهمل المضمون الأهم بل هو حقائق يخدمه اللفظ ويبينه.

والجنتان الواردتان بالذكر أولاً أفضل من الجنتين الواردتين لاحقاً، ومن قال أن الجنتين في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أفضل من سابقتهما[٣] اعتماداً علىٰ تفسير (الدون) بدون العرش أي أقرب وأدنىٰ إلىٰ العرش فقد أخطأ لأسباب:

الأول: أن هذا الرأي مخالف لرأي جمهور المفسرين.

الثاني: أن «دون» في اللغة بمعنىٰ تحت وليست بمعنىٰ فوق.

الثالث: أن الله بدأ بذكر ووصف الجنتين الأوليين لفضلهما وشرفهما علىٰ

---

(١) الإنسان في فكر أخوان الصفا، عبد اللطيف محمد العبد.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

(٣) ذهب إلىٰ هذا الضحاك ومحمد الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول».

الثانيتين والفضل للمتقدم» .

الرابع: أن هذا وارد بنص الحديث المتقدم الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري : «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما**» .

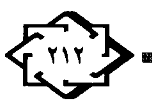
الخامس: سياق التفضيل القرآني لهما، فقال: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ أي أغصان وأصناف، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما، بل اكتفى بذكر خضرتها فقط بقوله : ﴿**مُدْهَامَّتَانِ**﴾ .

السادس: قوله تعالى : ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ**﴾ وعن الأُخريين قال : ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ ولاشك أن الجريان أكثر من النضخ .

السابع: قال في الأولين : ﴿**فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ**﴾ وقال في الأُخريين : ﴿**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾ ولاشك أن الأولى أفضل لاحتوائها صنفين من كل فاكهة .

الثامن: وصف الحور العين في الأولين بقوله : ﴿**قَاصِرَاتُ**﴾ : اسم فاعل، وفي الأخريين بقوله : ﴿**مَّقْصُورَاتٌ**﴾ : اسم مفعول، قال ابن القيم : ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها .

وأنا أخالف ابن القيم هنا: لأن مفهوم كلامه عن الحور العين في الجنتين الثانيتين أن الله لو لم يقصر طرفهن لنظرن إلى غير أزواجهن، فهذا كلام لا يصح، إذ أن الجنة طيبة لا يسكنها إلا طيب، وهي مخلوقة على ما أراده الله -عز وجل- من الكمال والنزاهة ثم أن هذه الصفة ليست من صفات الحور العين، بل هن عفيفات متحببات لأزواجهن طاهرات مطهرات، كما بيّنت ذلك الآيات والأحاديث، وقد استدل ابن القيم على تفضيل الأولين على الآخريين من عشرة اوجه ذكرها في كتابه حادي الأرواح .



وبعد: إن هاتين الجنتين يجب الإيمان بهما لورودهما في الكتاب والسنة دون الخوض في تفاصيل، ليس لدينا علم عنها، بل نؤمن بظاهر الآية أن لكل خائف جنتين، أما عن تفاصيل هاتين الجنتين فلا نبحث بها بلا دليل، وقد ذكر ابن القيم خلافاً حول هاتين الجنتين هل هن لكل أهل الجنة يشتركون بهن أم لكل واحد من أهل الجنة جنتان خاصتان به؛ وقد رجح الرأي الثاني لما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: **«الجنتان بستانان في عرض الجنة، كل بستان مسيرة مائة عام»**[1] والجنتان الأوليان للمقربين السابقين والأُخريان لأصحاب اليمين.

رویٰ سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: **«هاتان للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين»**[2].

والذي أراه والله أعلم. أن مكان هاتين الجنتين ليس في ملك ونصيب أهل الجنة، وإنما هي في مكان ما في الجنة غير داخل في نصيب أحد، والدليل علىٰ ذلك ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ في الحديث المتقدم وما رواه الترمذي أيضاً أن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة جنتين من فضة..»** وذكر الحديث فدل علىٰ أنهما في مكان ما غير داخلَين في ملك أحد من الناس.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره، وفي «التذكرة» وقال ذكره المهدویٰ والثعلبي أيضاً من حديث أبي هريرة.

(٢) التذكرة، القرطبي.

المبحث الخامس عشر: درجات الجنة

قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].
وقال تعالى: ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٢١].
وقال: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: ٧٥].

والدرجات: جمع درجة، والدرجة هي المنزلة.

والمقصود بالدرجات في الآيات السابقة هي منزلة أهل الجنة في الجنة، وهي متفاوتة بقدر تفاوت أهلها في العبادة.

ودرجات الجنة كثيرة، جاء في الصحيح إنها مائة درجة، فقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة»**[١] والدرجة الواحدة منها واسعة وكبيرة جداً. فقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: **«إن الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في أحداهن لوسعتهم»**[٢] وهذه الدرجات متباعدة جداً ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام»**[٣].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه أحمد في المسند والحاكم والترمذي ورجاله ثقات، وقد صححه الألباني في «الصحيحة».

وأعلىٰ درجات الجنة اطلاقاً هي «الفردوس» وأعلىٰ من الفردوس منزلة هي «الوسيلة» وهي لا تكون إلا لعبد واحد هو نبينا محمد ﷺ وقد رجاها كما في الحديث الصحيح: **«ثم سلوا لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو»**(١).

ولكل إنسان منزلة في الجنة هي نصيبه، وقد يرتقي من منزلته إلىٰ منزلة أعلىٰ منها، وهو ميت لمغفرة الله ذنوبه وزيادة حسناته، بسبب استغفار ودعاء ولده له. روىٰ أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: **«إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنّىٰ لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»**(٢) وكما ذكرنا آنفاً أن الفردوس أعلىٰ الدرجات المائة، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، ولا فوقها إلا العرش، وهي وسط الجنة، ومنها تتفجر أنهار الجنة، وهذه المنزلة قريبة جداً وتنال بعدة أمور منها:

الشهادة في سبيل الله، ومنها المداومة علىٰ سؤال الفردوس كما جاء في الحديث مع العمل لها من الإيمان وتصديق المرسلين، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«بلىٰ والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**(٣) ومنها الشفاعة من النبي أو من المؤمنين في زيادة درجات بعض أهل الجنة، ومنها الجهاد في سبيل الله. كما جاء في الحديث، ومنها أن يسأل الله الشهادة بصدق لقوله ﷺ: **«من سأل الله الشهادة بصدق بَلّغهُ الله منازل الشهداء، ولو مات علىٰ فراشه»** والفردوس منزلة الشهداء وقد أخبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أكثر من موضع أن أهل الجنة يتراءون كما يُرىٰ الكوكب الدري الغارب في الأفق، فإن عُلم ذلك وجب العمل والطموح لتحصيل الدرجات العلا وعدم

---

(١) رواه البخاري والترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه أحمد في «المسند» والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٣) رواه أحمد وهو علىٰ شرط البخاري.

القنوع بالدرجات الدنيا من الجنة وليس فيها درجة دنيا، بل هي جنة عالية، صحيح أن الزحزحه عن النار ودخول الجنة فوز كما أخبر الله عنه ولكن نفس المؤمن تواقة إلى العلا.

فعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه، قلت: يا رسول الله ألا أخرج فأوذن الناس؟ قال: لا ذر الناس يعملون، وإن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس، وعليها يكون العرش وهي أوسط شيء في الجنة، ومنها تفجر أنهار الجنة، وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»**(١).

*** مسألة:**

جاء في الأحاديث أن المسافة بين الدرجتين مسافة مائة عام، وجاء في بعضها أن المسافة خمسمائة عام فكيف الجمع بينهما؟

قال ابن القيم: «ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة، لاختلاف السير في السرعة والبطء، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريباً، للإفهام ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مائة درجة في الجنة، ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، أو أبعد ما بين السماء والأرض، قلت: يا رسول الله لمن؟ قال: للمجاهدين في سبيل الله»**(٢).

قلت: وقد تكون المسافة بين الدرجات متفاوتة، بعضها مائة عام، وبعضها خمسمائة عام. والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) أبو نعيم في «صفة الجنة»، وله طريق آخر أوله: **«يا أبا سعيد من رضي بالله رباً...»** ورواه مسلم والنسائي والبيهقي.

المبحث السادس عشر: مناخ الجنة

قال تعالى: ﴿لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

قال - عليه الصلاة والسلام - في وصف مناخ الجنة: **«تُحبس الشمس والقمر ولا ترون منها واحداً»** فَسُئل - عليه الصلاة والسلام -: فبما نُبْصِر؟ قال: **«بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك قبل طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال»**[١].

وقال **ابن القيم** وروينا عن طريق البخاري عن الزميل بن سماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة بعدما كُفَّ بصره، فقال: يا ابن عباس، ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قلت: فما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها، ليس فيها شمس ولا زمهرير[٢]. وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«عليكم بالبياض فإن الله خلق الجنة بيضاء، فليلبسه أحياؤكم، وكفنوا فيه موتاكم»**[٣].

وفي الجنة أيضاً نسمات لطيفة بريح طيبة تُعرف به، وفسر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦] أي طيبها لهم من العرف وهو الطيب وهذا الطيب منتشر في كل مكان. وقال - الصلاة وعليه السلام -: **«من ادعى إلى غير أبيه لم يُرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين عاماً»** وفي بعض الروايات مسيرة سبعين عاماً، وفي بعض مائة، وبعضها أربعين، وبعضها خمسمائة عام

---

(١) رواه أحمد في المسند، وقال الهيثمي: رواه عبد الله والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات، والإسناد الآخر مرسل.

(٢) في سنده كلام للبخاري، والنسائي، وابن الجوزي، وأحمد، وابن معين، وغيرهم.

(٣) رواه أبو نعيم، وفي سنده كلام، وللحديث طرق وشواهد.

وقد جمعت بين هذه الروايات في المسافة في أبواب متقدمة يُرجع لها.

وقد أفرد ابن كثير باباً في كتابه صفة الجنة وأسماه: «ذكر نور الجنة وبهائها، وطيب فنائها، وحسن منظرها في وقتي صباحها ومسائها».

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«ما من غدوة[١] من غدوات الجنة ـ وكل الجنة غدوات ـ إلا يُزَف إلى ولي الله زوجة من الحور العين أدناهن التي خلقت من الزعفران»**[٢].

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]. قال: «ليس في الجنة بكرة ولا عشي، ولكن على قدر ما يعرفون في الدنيا من الغداء والعشاء» قال الطيبي: ويراد بقوله: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ الديمومة، كما تقول العرب: أنا عند فلان صباحاً ومساءً لا يقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة وقال الضحاك فيها: «جعل الله ـ تعالى ـ لأهل الجنة ساعات تدور كما تدور أيام الدنيا في غير شمس ولا قمر، ولا ليل، ولا نهار إلا نور الآخرة، وجعل فيها البكرة والمقيل والعشي، لأن البكرة، والمقيل، والعشي، ألذ ما يكون الناس فيها فأراد الله ـ تعالى ـ أن يشهي أولياءه، ويلذذهم بالرزق ليأتيهم غدوة وعشياً».

وعند أبي نعيم في «صفة الجنة» أن زهير بن محمد قال فيها: «ليس في الجنة ليل، بل هم في نور أبداً»[٣].

وجو الجنة معتدل لا حرٌّ ولا برد، فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «إن الجنة سجسج[٤] لا قرٌّ فيها ولا حر، لهم فيها ما اشتهت أنفسهم»[٥] وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «لا يجدون الحر ولا البرد».

---

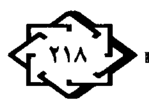
(١) الغدوة بداية الصباح الباكر.

(٢) أخرجه أبو نعيم وابن أبي حاتم، وابن عدي.

(٣) أخرجه الطبري أيضاً بإسناد جيد.

(٤) أي معتدل لا حر ولا برد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة وعنه عبد الله بن أحمد في «الزهد» وعبد الملك بن حبيب الأندلسي في «وصف الفردوس» والحسين المروزي وأبو نعيم كلهم عن طريق أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن عوسجه عن علقمة عن ابن مسعود.



المبحث السابع عشر:
حيوانات الجنة وطيورها

ورد في أحاديث المصطفى ﷺ ذكر لدواب وطيور الجنة، ومن خلال استقراء الأحاديث الواردة في هذا الشأن نخلص بأن البهائم التي ذُكِرت هي:

١ـ الخيل. ٢ـ الإبل.

٣ـ الثور الذي يأكل من أطراف الجنة. ٤ـ الشياه.

٥ـ الماعز. ٦ـ الطيور.

والأدلة على هذه الأجناس الآتي:

دليل الخيول:

أن أعرابي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحب الخيل، أفي الجنة خيل؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن أدخِلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان، فحُملتَ عليه، ثم طار بك حيث شئت»**[1].

وفي حديث آخر عن أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله إني حُبب إلى الخيل فهل في الجنة خيل؟ فقال: **«والذي نفسي بيده، إن في الجنة لخيلاً وإبلاً هفافة ترف بين خلال ورق الجنة»**[2].

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا همام عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبدالله ابن عمرو قال: **«في الجنة عتاق الخيل، وكرائم النجائب يركبها أهلها»**[3].

---

(١) رواه الترمذي والطبراني وأبو نعيم.

(٢) رواه أبو نعيم وابن كثير.

(٣) موقوف رجاله ثقات وأخرجه ابن كثير وابن المبارك في «الزهد».

دليل الإبل:

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه الناقة في سبيل الله. فقال: **«لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة»**[١].

وفي حديث آخر: أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ فقال: **«إن يدخلك الله الجنة، يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»**[٢]. وفي حديث آخر عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة لخيلاً وإبلاً هفافة»**[٣].

دليل الثور:

ما رواه ثوبان في صحيح مسلم أن يهودياً سأل الرسول ﷺ فقال: ما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: **«زيادة كبد الحوت»**. قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ فقال: **«يُنحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها»**[٤].

دليل الشاة:

ما رواه عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«الشاة من دواب الجنة»**[٥].

دليل الماعز:

أن النبي ﷺ قال: **«أحسنوا إلى المِعْزَى، وأميطوا عنها الأذى، فإنها من دواب الجنة»**[٦].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي والألباني.

(٢) أخرجه الترمذي ،وأحمد، وابن أبي شيبه، والبيهقي، وغيرهم.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) صحيح بشواهده. أخرجه ابن ماجة، وابن عدي، والألباني في «الصحيحة» عن أبي هريرة.

(٦) أخرجه البزار والخطيب في تاريخه

دليل الطيور:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: سُئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ فقال: **«ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلىٰ من العسل، فيه طيرٌ أعناقها كأعناق الجُزُر»**[1] فقال عمر: إن هذه لناعمة فقال - عليه الصلاة والسلام -: **«آكلها أنعم منها»**[2].

قلت: إن دواب الجنة وطيورها كثيرة لا يعلمها إلا الله. قال تعالىٰ: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]. فجاءت كلمة ﴿طَيْرٍ﴾ بصيغة الجمع ومعنىٰ (ما) في الآية اسم موصول بمعنىٰ (الذي) فقد يشتهي أهل الجنة طيوراً معينة من بين أنواع الطيور الكثيرة في الجنة.

وقد يكون في الجنة حيوانات وبهائم لم يذكرها النبي ﷺ لأن الملاحظ في الأحاديث أن النبي ﷺ لم يذكر الخيل والإبل إلا عندما سُئل عنها فأجاب عمّا سُئل عنه فقط, وإنما كان التركيز علىٰ الإبل والخيل؛ لأنها من واقع البيئة التي يسكنها الناس آنذاك فمن غير المعقول أن يخاطب الناس في ذلك الوقت بأشياء لم يعرفوها؛ لأن عامل التأثر سوف ينعدم ثم إن الخيل والإبل ليست بأفضل الحيوانات في الدنيا لا شكلاً ولا فائدة فهناك في الدنيا ما هو أفضل منها كالطواويس مثلاً وهي موجودة في الدنيا فمن باب أولىٰ أن تكون في الجنة حيوانات أخرىٰ من حيوانات الدنيا الجميلة أو حيوانات الجنة التي لا يوجد في الأرض من جنسها والله أعلم بالصواب.

---

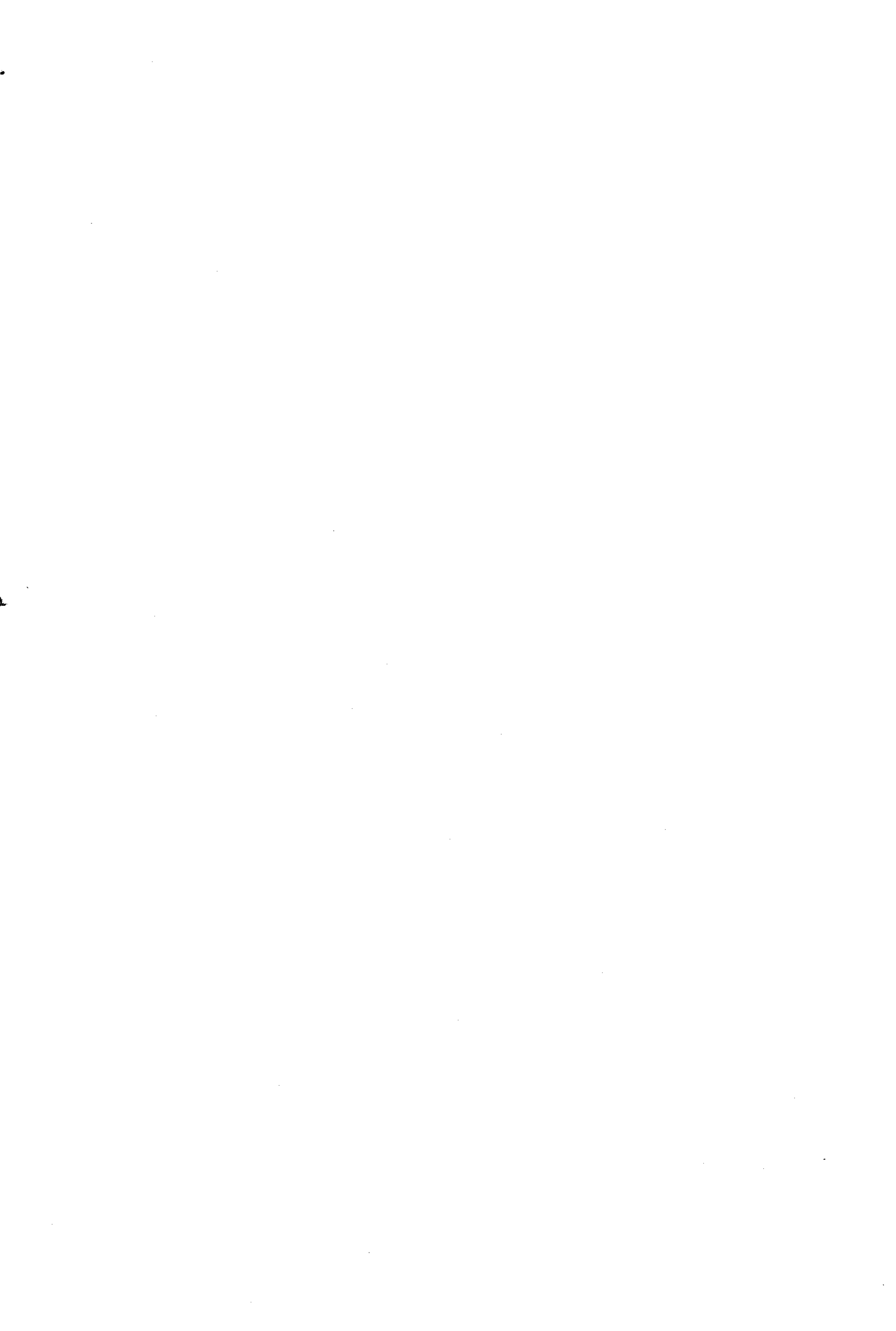
(١) الجزر: الجمال.

(٢) رواه الترمذي وقال عنه الألباني: سنده حسن.

الفصل الرابع

النعيم الروحي والجسدي في الجنة

- المبحث الأول: نعيم الجنة للروح والجسد معاً.
- المبحث الثاني: النعيم الروحي .
  - المطلب الأول: رؤية الله ـ سبحانه ـ.
  - المطلب الثاني: تكليم الله ـ عز وجل ـ.
  - المطلب الثالث: رضوان الله ـ عز وجل ـ.
  - المطلب الرابع: تزاور أهل الجنة.
  - المطلب الخامس: الطمأنينة وزوال الخوف.
  - المطلب السادس: نزع أوضار القلوب وغلها.
- المبحث الثالث: النعيم الجسدي.
  - المطلب الأول: طعام أهل الجنة.
  - المطلب الثاني: شراب أهل الجنة.
  - المطلب الثالث: لباس أهل الجنة.
  - المطلب الرابع: زوجات أهل الجنة.
  - المطلب الخامس: جماع أهل الجنة.
  - المطلب السادس: الولادة في الجنة.
  - المطلب السابع: حلي أهل الجنة.



المبحث الأول:
نعيم الجنة للروح والجسد معاً

إن نعيم الآخرة يشمل الروح والجسد معاً، وهذا هو الأصل وعليه مذهب السلف والخلف من الصحابة والتابعين وكل العلماء في مختلف العصور والأمصار، وكل ما يُعتد برأيه، وقد استفاضت الأدلة وتنادت وتعاضدت وأخذت بأعناق بعضها، فأثبتت ذلك، فالقرآن والسنة مليئان بالأدلة التي تبين أن نعيم الجنة يشمل الروح والجسد، والآيات التي تتحدث عن أكل أهل الجنة وشربهم وزواجهم ولبسهم وغيرها كثيرة جداً.

قال تعالى: ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [المرسلات: ٤٣]. وقال: ﴿ **وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ** ﴾ [الطور: ٢٠] وقال: ﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾ [الحج: ٢٣] وقال: ﴿ **وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ** ﴾ [الكهف: ٣١] وقال: ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا** ﴾ [الحج: ٢٣] وقال: ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ** ﴾ [الزخرف: ٧١] وغيرها من الأدلة الكثيرة فالأكل والشرب والزواج واللباس والحلي والآنية إنما هي حِسّية، والحسيَّة لا تكون إلا للمحسوس الذي هو الجسد، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك**»(١) وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**»(٢) وقوله ﷺ في صفات أهل الجنة: «**يدخل أهل الجنةِ الجنةَ جُرداً مُرداً بيضاً جعادً مكحلين، أبناء ثلاث**

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) رواه الطبراني بسند صحيح.

وثلاثين، وهم على خلق آدم: ستون ذراعاً في عرض سبعة اذرع»[١] ولا شك أن هذه الصفات خاصة بالجسد دون الروح، وقد أثبت **شيخ الإسلام ابن تيمية** أن النعيم في الآخرة مادي ومعنوي حيث قال: «والأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب الله وسنة رسوله، وإجماع المسلمين، وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب، كما وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وكذلك أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون، لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد»[٢].

وقال في موضع آخر: والمسلمون أثبتوا جميع أنواع اللذات، سمعاً، وبصراً، وشماً، وذوقاً، ولمساً، للروح والبدن جميعاً، وكان هذا هو الكمال، لا ما يثبته أهل الكتاب ومن هو شرٌ منهم من الفلاسفة الباطنية، وأعظم لذات الآخرة لذة النظر إلى الله ـ سبحانه ـ»[٣].

وقد خالف ذلك الفلاسفة أمثال: الفارابي في كتاب (المدينة الفاضلة)، وابن سينا في رسالة (النجاة) وابن رشد في (تهافت التهافت)، وابن مسكويه وأبو الهذيل العلاف والسهرودي وإخوان الصفا في رسائلهم وبعض الصوفية، وقد سمى ابن تيمية هؤلاء المخالفين بالباطنية والمنافقين[٤] وأوجب قتلهم ووصفهم الغزالي بالزنادقة[٥].

وقول هؤلاء الفلاسفة إنما هو ناتج من محاولتهم التوفيق بين آراء فلاسفة الغرب الضالين وبين ما جاء به الإسلام فأولوا أدلة القرآن والسنة وجعلوها تابعة للآراء فَضَلوا وأضَلوا، وشبهتهم في ذلك أن لذات الجسد إنما هي لذات

---

(١) رواه أحمد في المسند.

(٢) فتاوى ابن تيمية.

(٣) فتاوى ابن تيمية.

(٤) فتاوى ابن تيمية.

(٥) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة/ محمد الغزالي.

حيوانية متى ما ترفعت الروح عنها خلصت لدرجة الروحانية التي عليها الملائكة الكرام.

يقول الفارابي في كتابه (المدينة الفاضلة): «فإذا حصلت مغادرة للمادة غير المتجسمة ارتفعت عنها الأعراض التي تعرض للأجسام من جهة ما هي أجسام فلا يمكن فيها أن يُقال أنها تتحرك ولا أنها تسكن، وينبغي حينئذٍ أن يُقال عليها الأقاويل التي تليق بما ليس بجسم.. وكذلك يرتفع عنها كل ما كان يلحقها ويعرض لها بمقارنتها بالأجسام»[1].

وقال ابن سينا: «على مقدار تقهقر القوى الإنسانية والحيوانية، يكون الإحساس والشعور بتلك اللذة... فالسعادة الأخروية عند تخلص النفس عن البدن، وآثار الطبيعية، وتجرده كامل اللذات ناظراً نظراً عقلياً إلى ذات من له الملك الأعظم، وإلى الروحانين الذين يعبدونه، وإلى العالم الأعلى وإلى وصول كماله إليه واللذة الجليلة عند ذلك، والشقاوة الأُخروية عند ذلك، وكما أن تلك السعادة عظيمة جداً، فكذلك الشقاوة التي تقابلها أليمة جداً»[2].

ووصف ابن رشد الذين يقولون بالنعيم الروحي والجسدي في الجنة بالزنادقة فقال: «والذين شكّوا في هذه الأشياء، وتعرضوا لذلك وأفصحوا به، إنما هم الذين يقصدون إبطال الشرائع، وإبطال الفضائل وهم الزنادقة الذين يرون أن لا غاية للإنسان إلا التمتع بالذات هذا مما لا يشك أحد فيه»[3].

وقد استدل هؤلاء على رأيهم بعدة أدلة، كلها فلسفية واهية ضعيفة، لا تثبت أمام عصف الآيات والأحاديث فمن أدلتهم ما يلي:

---

(١) المدينة الفاضلة، الفارابي.

(٢) رسالة أضحوية في أمر المعاد، ابن سينا.

(٣) تهافت التهافت، ابن رشد.

الدليل الأول:

أن العلماء والفلاسفة وأصحاب العقول في الدنيا يفضلون اللذة الروحية أو العقلية، كلذة العلم وقهر الأعداء وغيرها على الملذات الحسية والجسمية مثل الأكل والشرب والنكاح»[١].

الدليل الثاني:

إن الشرائع والأديان عندما ذكرت أن هنالك نعيماً مادياً وروحياً في الجنة، وذلك لترغيب الناس في الثواب وتخويفهم من العقاب، ولإقناعهم بالدين لأن عقولهم لا تقوى على فهم أن النعيم روحاني فقط[٢].

الدليل الثالث:

قالوا: إن البعث يوم القيامة يكون للأرواح دون الأجساد، وما دام الأمر كذلك، فالنعيم أو العذاب للروح دون الجسد[٣].

---

(١) النجاة، ابن سينا.

(٢) رسالة أضحوية في أمر المعاد، ابن سينا.

(٣) تهافت التهافت، ابن رشد.

الرد على أدلتهم

نقض الدليل الأول:

نقول لاشك أن اللذة المعنوية أفضل من اللذة المادية، ولكن الإنسان محتاج لكليهما، وهؤلاء الفلاسفة والعلماء وأصحاب العقول الذين يفضلون اللذة المعنوية على اللذة المادية لاشك انهم يحبون اللذات المادية كالأكل والشرب والجماع والنساء والملك وغيرها، بل يقول أعلم الناس، وأعقل الناس نبينا محمد ﷺ: **«حُبب إليّ من دنياكم النساء والطيب»**(١) وكلاهما لذةٌ مادية.

إذن: لا مجال لإنكار اللذات المادية والتعسف في ردها بل هي موجودة في الجنة ولكن أفضل اللذات في الجنة هي اللذات المعنوية كرؤية الله ورضاه الدائم ومحادثته.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ـ عز وجل ـ»**(٢) وقوله ﷺ: **«إن الله يقول لأهل جنته يا أهل الجنة، فيقولون لبيك يا ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: الا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»**(٣).

نقض الدليل الثاني:

نقول: إن هذا الدليل باطل من وجوه: أن القرآن والكتب السماوية ذكرت أن هناك نعيماً مادياً وآخر روحياً، فإن كان النعيم في الجنة روحياً فقط فما

---

(١) رواه النسائي وأحمد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح مسلم.

الداعي لذكر النعيم الجسدي، أهو العبث؟ وما الدليل على أن النعيم المادي لا وجود له؟ وهل تفسير آيات الكتاب حسب الأهواء؟ إذن لأصبحت الكتب والأحكام في التحريم والتحليل والعقائد، أيضاً مثاراً للشك والارتياب والتبديل.

وإذا كان الناس لم يصلوا إلى مرحلة الفهم للنعيم الروحاني، فلماذا يُذكر مع النعيم الجسدي، وكيف يخاطب الله الناس بما لا يفهمونه، ولا يعلمونه؟ وإذا كانوا يفهمون هذا الجزاء، فلماذا لم يقرر سبحانه أن النعيم كله روحاني؟

وإذا كانت عقول الناس قاصرة عن فهم وإدراك النعيم الروحاني الذي لهم في الجنة فمعنى هذا أن الشرائع مازالت ناقصة غير مكتملة، ولابد من نزول أنبياء جدد لكي يصلوا بالناس إلى مرحلة الفهم بأن النعيم روحاني ومادي.

وهذا مناقض للقرآن الذي هو خاتم الكتب والرسالات حيث قال ـ سبحانه ـ: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وهذا مخالف أيضاً لطبيعة الرسالات السماوية، فمن المعلوم أن النسخ بين الأنبياء إنما يقع في الأحكام الشرعية الفقهية، ولا يقع في العقائد والأخبار وإلا لكان تصور كل نبي عن الله مخالفاً لتصور الآخر، وهذا باطل؛ لأن رسالة الأنبياء واحدة وغايتهم واحدة[١].

نقض الدليل الثالث:

أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تثبت أن البعث إنما هو للأرواح والأبدان معاً، والآيات القرآنية مستفيضة في مناقشة الكفار في إعادة الأجساد والعظام التي أصبحت تراباً، بأنها سوف تعود بل إن عدم القدرة على إعادة الأجساد كانت إحدى شبهات الكفار ضد الإسلام وضد الأديان كافة، وقد بين القرآن بما لا يمكن الشك معه بآيات صريحة واضحة أن العودة إنما تكون

(١) الجنة في القرآن الكريم، سليمان رطروط.

للأبدان والأرواح معاً قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)﴾ [يس: ٧٨-٧٩]. وغيرها من الآيات الكثيرة دليلهم هذا مردود عليهم[١].

وقد كفرهم **شيخ الإسلام ابن تيمية** وأوجب قتلهم كما ذكرنا آنفاً فقال: «وأما المنافقون من هذه الأمة الذين يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لتفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل: القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلىٰ الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم من: كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف، كأصحاب رسائل أخوان الصفا وغيرهم، أو منافق. وهؤلاء كلهم كُفار، يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان، فإن محمداً ﷺ قد بين ذلك بياناً شافياً قاطعاً للعذر وتواتر ذلك عن أمته خاصها وعامها.. ويجب علىٰ ولي الأمر قتل من أنكر ذلك، ولو أظهر التصديق بألفاظه»[٢].

قلت: وكذلك أهل النار العذاب واقع علىٰ الروح والجسد معاً كما جاءت النصوص بذلك. قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]. وقال تعالىٰ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] وقد أخبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أن ضرس الكافر في النار مثل جبل أحد، وأن جلودهم مسيرة ثلاثة أيام، وأن بعضهم يُعظم حتىٰ يصبح ركن من أركان النار ولا حول ولا قوة إلا بالله»**.

---

(١) الجنة في القرآن، سليمان رطروط.

(٢) فتاوىٰ ابن تيمية.

لطيفة :

قال الشعراني : «فإن قيل : فهل اللذات الأخروية حسية أم عقلية أم خيالية؟ فإن هذا السؤال ضل فيه كثير من الناس .

فالجواب عن ذلك هو : أن تعلم يا أخي أن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ، والآخرة خيرٌ وأبقىٰ ، فلا يجوز أن تتقاصر لذاتها عن لذات النفس في الدنيا ولذات الدنيا من ثلاثة أوجه : حسي ، خيالي ، عقلي ، فيمكن أن يخلق الله ـ تعالىٰ ـ لأهل الجنة إدراكات أُخرىٰ زائدة علىٰ هذه المدارك يدركون بها ما أخفي لهم من قرة أعين فضلاً من الله ونعمة»[1] .

---

(١) اليواقيت والجواهر ، الشعراني .

المبحث الثاني:
النعيم الروحي

المطلب الأول: رؤية الله في الجنة

لقد أثبتت الآيات وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في رؤية الله ـ عز وجل ـ في الجنة، وهذه الأحاديث في الصحاح وغيرها ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ وقد تلقاها المسلمون في كل العصور بالقبول واستقرت واتفقت عليها الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، ولم يخالف ويكذب بها إلا من ضلوا الطريق وجانبوا السبيل أمثال الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم ممن ضلَّ في أسماء الله وصفاته.

قال **ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ في أحاديث رؤية الله ـ عز وجل ـ: «وهذه الأحاديث وغيرها في الصحاح، وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول، واتفق عليها أهل السنة والجماعة، وإنما يكذبها أو يُحرِّفها الجهمية، ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله ـ تعالىٰ ـ وبرؤيته وغير ذلك وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة»[1].

والأدلة على ذلك كثيرة متنوعة منها:

١ـ قوله تعالىٰ: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)** ﴾ [القيامة: ٢٢ـ٢٣].

فهذه آية صريحة في إثبات رؤية الله ـ عز وجل ـ في الآخرة، وقد أجمع العلماء علىٰ ذلك، والنظر له عدة استعمالات كما ذكره شارح الطحاوية وابن القيم[2] وهي:

أ ـ إنْ تعدىٰ بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالىٰ: ﴿ **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ**

---

(١) ابن تيمية: الفتاوىٰ.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

ب - فإن تعدىٰ (بفي) فمعناه التفكير والاعتبار كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ج - فإن تعدىٰ (بإلىٰ) فمعناه المعاينة بالبصر كقوله تعالىٰ: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

ومنه قول امرئ القيس:

نظرت إليها والنجوم كأنها　　　مصابيح رهبان تشب لقفال

قال أبو الحسن الأشعري: «ولما قَرَن الله النظر بذكر الوجه أراد ذكر العينين اللتين في الوجه» وقد خَطَّأَ الأزهري مجاهداً[1] حينما قال: «إن النظر في هذه الآية انتظار ما لهم عند الله من الثواب»[2].

وقال الجويني: «والنظر إذا عُدىٰ بـ«إلىٰ» اقتضىٰ رؤية البصر»[3].

قال النَّسفَي في تفسير هذه الآية: «وحمل النظر علىٰ الانتظار لأمر ربها أو الثواب لا يصح لأنه لا يقال: نظرت فيه أي تفكرت ونظرته وانتظرته، ولا يُعدىٰ بـ(إلىٰ) إلا بمعنىٰ الرواية مع أنه لا يليق الانتظار في دار القرار»[4] وهذا أمر صحيح لأن الانتظار ينقص اللذة وأهل الجنة لا ينتظرون الشيء بل يأتيهم بمجرد اشتهائهم للشيء كما دلت الآثار علىٰ ذلك.

قال أبو الحسن الأشعري: «معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت مع العيش السليم والنعيم المقيم.. وإذا كان هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أُتوا به مع خطوره ببالهم»[5].

---

(١) عظم المنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، الأهدل.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

(٣) لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة.

(٤) تفسير النسفي.

(٥) الإبانة عن أصول الديانة/ أبو الحسن الأشعري.

وقد أخرج أبو العباس السراج في تاريخه عن الحسن بن عبد العزيز الجروي، وهو من شيوخ البخاري سمعت عمرو بن أبي سلمه يقول سمعت مالك بن أنس، وقيل له: يا أبا عبد الله، قول الله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يقول قوم: ينظر إلىٰ ثوابه، فقال: كذبوا فأين هم عن قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] (١).

وقال القرطبي عن تفسير هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

الأول: من النضرة التي هي الحسن والنعمة.

الثاني: من النظر.

أي وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة إلىٰ خالقها ومالكها ناظرة أي تنظر إلىٰ ربها وعلىٰ هذا أجمع جمهور العلماء(٢).

وقال الشوكاني: «هذا من النظر إليه. هكذا قال جمهور أهل العلم، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلىٰ ربهم كما ينظرون إلىٰ القمر ليلة البدر»(٣).

وقال أبو الفداء ابن الكثير: «وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام»(٤).

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: «في تفسير هذه الآية «تنظر إلىٰ وجه ربها»(٥).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر.
(٢) تفسير القرطبي.
(٣) فتح القدير، الشوكاني.
(٤) تفسير ابن كثير.
(٥) أخرجه ابن مردويه.

وقال عكرمة: «تنظر نظراً»[١] وهذا مروي عن كثير من السلف أمثال ابن عباس، والحسن، وابو بكر الصديق، وأبو موسىٰ الأشعري، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن مالك وزيد بن وهب، وغيرهم.

٢ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

وقد فسر كثير من العلماء «الزيادة» بالنظر إلىٰ وجه الله ـ تعالىٰ ـ وهذا هو القول الراجح.

فعن ابن مسعود قال: «أما الحسنىٰ فالجنة، وأما الزيادة فالنظر إلىٰ وجه الله»[٢].

وقد رُوىٰ عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم روايات في تفسير «الزيادة» معظمها أنها النظر إلىٰ وجه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ[٣].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول ـ تبارك وتعالىٰ ـ تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم ـ عز وجل ـ ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾»**[٤].

وعن صهيب تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادىٰ منادٍ يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يُثقل الله موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، وينجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر يعني إليه ولا أقر لأعينهم»**[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير.

(٢) أخرجه أسباط بن نصر في تفسيره كما في حادي الأرواح.

(٣) عظم المنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، الأهدل.

(٤) صحيح مسلم.

(٥) رواه ابن ماجة.

ومما يؤكد ذلك ما ذكره القرطبي في تفسيره عن أبي بن كعب قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الزيادتين في كتاب الله في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **«النظر إلى وجه الرحمن»**، وعن قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] قال: **«عشرون ألفاً»**[1].

وذكر ابن القيم حديثاً عن أنس أنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **«للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة، والزيادة وهي النظر إلى وجه الله ـ عز وجل ـ»**[2].

وهذا مرويٌ عن جمهور السلف أمثال: ابن جرير، وأُبي بن كعب، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، والطبري، وابن خزيمة، وقتادة، وأبي بكر الصديق، والحسن، وغيرهم، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين وأئمة الدين إلى يومنا هذا.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ أقرأه هذه الآية: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ **قال: والله ما نسخها منذ أنزلها، يزورون ربهم ـ تبارك وتعالى ـ فيُطعمون ويُسقون ويُطيبون ويُحملون، ويرفع الحجاب بينه وبينهم، فينظرون إليه وينظر إليهم ـ عز وجل ـ، وذلك قوله:** ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾»[3].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قول الله:** ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾

(١) أخرجه الترمذي الحكيم وذكره القرطبي في تفسيره.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه، ونسبة للدارقطني في الرؤية.

قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلىٰ شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتىٰ يحتجب عنهم، ويبقىٰ نوره وبركته عليهم في ديارهم»(١).

٥ ـ «اللقاء» في الآيات الكريمة:

قوله تعالىٰ: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ**﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا**﴾ [الكهف: ١١٠] وقوله: ﴿**لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾ [الرعد: ٢]، وقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ**﴾ [البقرة: ٢٢٣] وقوله: ﴿**مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ**﴾ [العنكبوت: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ٤٦].

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «أما اللقاء، فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته ـ سبحانه وتعالىٰ ـ واحتجوا بآيات اللقاء علىٰ من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية والمعتزلة»(٢).

وقال أيضاً: «إن لقاء الله لم يستعمل في لقاء غيره، لا حقيقة ولا مجازاً، ولا استعمل لقاء زيد في لقاءِ غيره أصلاً، بل حيث ذكر هذا اللفظ فإنما يراد به لقاء المذكور إذ ما سواه لا يشعر اللفظ به فلا يدل عليه».

وقال تلميذه ابن القيم: «أجمع أهل اللسان علىٰ أن اللقاء متىٰ نُسب إلىٰ الحي السليم من العمىٰ والمانع اقتضىٰ المعاينة والرؤية»(٣).

وقال ثعلب: «أجمع أهل اللغة علىٰ أن اللقاء ها هنا لا يكون إلا معاينة، ونظراً بالأبصار».

وفي الصحيح عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أرسل

---

(١) رواه ابن ماجه وله طرق.

(٢) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية.

(٣) حادي الأرواح، ابن القيم.

إلىٰ الأنصار، فجمعهم في قبة، وقال لهم: «**اصبروا حتىٰ تلقوا الله ورسوله فإني علىٰ الحوض**» فهذا تفسير من النبي ﷺ بمعنىٰ اللقيا وهي المشاهدة بالبصر حيث دلهم علىٰ مكانه(١).

وعن أبي موسىٰ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»(٢).

وحديث أنس في قصة بئر معونة: «**إنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا، وأرضانا**»(٣).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية**»(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لقيني رسول الله ﷺ وأنا جنب فأخذ بيدي فمشيت معه حتىٰ قعد، فانسللت وأتيت الرَّحل، فاغتسلت، ثم جئت وهو قاعد فقال: «**أين كنت يا أبا هريرة**» فقلت له فقال: «**سبحان الله إن المؤمن لا ينجس**» فهل يكون لقاء العدو، ولقيني بدون معاينة الأبصار؟!!.

٦- قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

في هذه الآية دليل علىٰ رؤية الله - عز وجل - في الجنة؛ لأن الله خص الكفار بالحجب عنه فيفهم منه أن المؤمنين غير محجوبين، وهو معنىٰ الرؤية والحمل علىٰ كونهم محجوبين عن ثوابه وكرامته خلاف الظاهر وبالتالي لا يُعتد به(٥).

قال الشافعي: «لما حَجب قوماً بالسخط، دل علىٰ أن قوماً يرونه بالرضا. ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن أدريس - يعني نفسه - أنه يرىٰ ربه في المعاد لما عبده في الدنيا»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري.
(٥) عظم المنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، الأهدل
(٦) تفسير القرطبي.

وقال الباقلاني تعليقاً على هذه الآية: «تخصيصاً منه برؤيته للمؤمنين والتفرقة فيما بينهم وبين الكافرين».

وقال الزجاج: «في هذه الآية دليل على أن الله ـ عز وجل ـ يُرىٰ في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسئت منزلة الكفار بأنهم يحجبون»[١].

وقال مالك ـ رضي الله عنه ـ: «لما حجب أعداءه لم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه»[٢].

وهذا مروي عن كثير من السلف أمثال: الحسن، وابن المبارك، والنووي، وغيرهم. وقد نقل النووي[٣] إجماع السلف على وقوعها في الآخرة للمؤمنين دون الكافرين.

وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاتكم قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا»**[٤].

وفي رواية **«إنكم سترون ربكم عياناً»** ومعنى التشبيه في قوله: **«كما ترون»** ليست تشبيهاً للمرئي وإنما هي كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي، ومعناه: ترون رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«هل تضارون في القمر ليلة البدر؟»** قالوا: لا يا رسول الله قال: **«هل تضارون في الشمس ليس دونها**

---

(١) تفسير القرطبي.
(٢) تفسير القرطبي.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم.
(٤) أخرجه البخاري.

سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فإنكم ترونه كذلك، فيجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها ـ (شك إبراهيم) ـ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونها فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوىٰ الرسل يومئذ اللهم سلم سلم»(١).

وعن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه»(٢).

١٠ ـ وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن»(٣).

١١ ـ وفي حديث الشفاعة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... فيأتون عيسىٰ فيقول لست هنا لكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتون فاستأذن علىٰ ربي في داره، فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول: ارفع يا محمد، وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعط...»(٤).

١٢ ـ وعن ابن خزيمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ أقسم بالله ـ وأكد جواب القسم بالنون ـ بأنهم سيرونه كما يرون القمر ليلة البدر».

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه البخاري.

١٣ ـ أن الله ـ عز وجل ـ تجلى للجبل، والجبل من مخلوقات الله غير المكلفة، فما المانع من أن يتجلى لعباده المؤمنين المكلفين في الجنة؟

١٤ ـ طلب موسى رؤية الله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فإن كان هذا مستحيلاً، لا يقع، فكيف يطلب موسى وهو من الأنبياء هذا الطلب المستحيل الذي يقتضي منه جهل هذا النبي بالله وعدم معرفته؟ وهذا منفي عن الأنبياء فهم أعرف الناس بالله ـ جل شأنه وتبارك ـ. فهذه الآية تدل على إمكانية رؤية الله في الجنة؛ لأن موسى ما طلب هذا الطلب إلا لعلمه بوقوعه في الآخرة.

١٥ ـ وعن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ علمه دعاء، وأمره ان يتعاهد به أهله كل يوم. وهو حديث طويل الشاهد: «**أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة..**»[1].

وقد ذكر **ابن القيم** في كتابه (حادي الأرواح) في هذا الباب حشداً هائلاً جداً من الأدلة الدالة على رؤية الله ـ عز وجل ـ مما لم يدع شكاً في النفس ولا وساوس في الخاطر.

١٦ ـ وهناك دليل عقلي اسْتُدِلَّ به على إمكانية رؤية الله وهو: أنه ـ تعالى ـ موجود، والموجود لا تستحيل رؤيته إنما تستحيل رؤية المعدوم[2].

وقد استدل ابن قيم الجوزية بهذه الآية على إثبات رؤية الله ـ عز وجل ـ من سبعة أوجه هي:

الأول: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه بل هو عندهم من أعظم المحال.

---

(١) رواه أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد.

(٢) الإنصاف، الباقلاني.

الثاني: إن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكره عليه ولهذا لما سأل نوح ربه نجاة ابنه انكر عليه سؤاله وقال: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: ٤٦].

الثالث: أن الله ـ تعالىٰ ـ قال له: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ ولم يقل: لا تراني، أولا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، وهذا يدل علىٰ أنه ـ سبحانه ـ مرئي، ولكن موسىٰ لا تتحمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوىٰ البشر فيها عن رؤيته ـ تعالىٰ ـ.

الرابع: وهو قوله تعالىٰ: ﴿**لَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾ [الأعراف: ١٤٣] فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذين خُلقوا من ضعف؟

الخامس: أن الله ـ سبحانه ـ قادر علىٰ أن يجعل الجبل مستقراً، وذلك ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ فإذا جاز أن يتجلىٰ للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلىٰ لرسوله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله أعلم موسىٰ أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسىٰ وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولىٰ بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما»[1].

وذكر **ابن تيمية** في مصنف له وابن **القيم** في (حادي الأرواح) أن لأهل السنة والجماعة في مسألة الرؤية ثلاثة أقوال هي:

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

القول الأول: أن لا يراه إلا المؤمنون .

القول الثاني: أن يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم . ثم يحتجب عن الكفار ، فلا يرونه بعد ذلك .

القول الثالث: يراه المنافقون دون الكفار ، وهذه الأقوال في مذهب أحمد وهي لأصحابه .

أدلة من نفى رؤية الله يوم القيامة والرد عليها

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأعراف: ١٠٣] قالوا: فلما عطف الله بقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ وكان قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ علىٰ العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة كان قوله ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ دليلاً علىٰ أنها لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة كعموم قوله ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف علىٰ الآخرة»(١).

وقد رد أبو الحسن الأشعري علىٰ هذا الاستدلال بقوله: «يجب إذا كان عموم القولين واحد، وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب، لأن الله ـ عز وجل ـ قال: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وقال: ﴿أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥] فأراد أبصار القلوب التي يقصد بها المؤمنين والكافرين. ويقول أهل اللغة: فلان، بصير بصناعته يريدون بصير العلم، ويقولون: قد أبصرته بقلبي، كما يقولون قد أبصرته بعيني، فإذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف علىٰ الآخر وجب عليهم بحجتهم أن الله ـ عز وجل ـ لا يدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب؛ لأن قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾.

وقال أيضاً: «فإن قال قائل منهم إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب، قيل له زعمت هذا وقد سمىٰ أهل اللغة بصر القلوب بصراً كما سموا بصر العين بصراً، وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في

(١) الإبانة، أبو الحسن الأشعري.

الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم يجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب»[١].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ ما نصه «فيه أقوالٌ للأئمة من السلف، أحدهما لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن . . . إلى أن قال: وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية: إنه لا يرى في هذه الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم تلا ذكر أدله في ذلك»[٢].

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾: «إنما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة كما قاله أكثر العلماء، ولم ينفِ مجرد الرؤية لأن المعدوم لا يُرى، وليس في كونه لا يُرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً، وإنما المدح في كونه لا يُحاط به وإن رُئي كما أنه لا يُحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يُحاط به فكذلك إذا رُئي لا يحاط به رؤية، فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحاً وصفة كمال، وكان دليلاً على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها»[٣].

ومما يؤكد أن معنى «الإدراك» الإحاطة بالشيء وليس المشاهدة بالأبصار قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] فقال موسى «كلا» فإن كان معنى «الإدراك» المشاهدة بالعيان لم يقل موسى

---

(١) الابانة، أبو الحسن الأشعري.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) الرسالة التدمريَّة، ابن تيمية.

«كلا» وإنما المقصود بالإدراك الإحاطة بهم والغلبة، ثم إن المشاهدة بالإبصار مختلفة عن الإدراك فالأبصار: رؤية بالعين فقط أما الإدراك: فهو الإحاطة بالشيء المرئي بكل تفاصيله وكافة جزئياته، فالشمس تُرىٰ بالعين ولكن رآئيها لا يدركها علىٰ ما هي عليه، وقل مثل ذلك في القمر والسماء وغيرها من المخلوقات.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ووجه استدلالهم: أن «لن» كلمة تدل علىٰ التأبيد كما هو مشهور في كتب اللغة عن الزمخشري المعتزلي ومن نحا نحوه وهذا غير صحيح من وجوه:

الوجه الأول: أن الزمخشري معتزلي بل من رؤوس المعتزلة، وحرف معنىٰ «لن» لينفي رؤية الله بما يتماشىٰ مع عقيدته المنحرفة، فقد قال في كشافه: «ثم تَعْجَبُ من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة[1] مذهباً، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفه[2] فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم»:

لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورىٰ فتستروا بالبلكفة

وقال أيضاً: «أنه ما كان طلب الرؤية إلا يكبت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم واعلمهم بالخطأ، ونبههم علىٰ الحق، فلجوا وتمادوا في لجاجهم، وقالوا: لابد ولن نؤمن لك حتىٰ نرىٰ الله جهرة، فأرادوا أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ليتيقنوا وينزاح عنهم ما

(١) يعني إثبات رؤية الله في الآخرة.
(٢) يعني قولهم: بلا كيفية.

دخلهم من الشبهه فلذلك قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ﴾[(١)].

وقال أكبر من ذلك واشنع حينما حكم على صفات الله بأنها مخلوقة، فقد كتب في مقدمة كتاب (الكشاف) حينما ألفه ما نصه: «الحمد لله خالق القرآن» فنصحه المقربون له بأن يغير هذه الكلمة حتى يستفيد من كتابه أكبر قدر من الناس، وحتى لا يهجره الناس، فغيرها بعد أن كتبها.

الوجه الثاني: أن «لن» ليست لتأبيد النفي كما قالوا، ودليل ذلك قوله تعالى عن اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] لأن اليهود سوف يتمنون الموت يوم القيامة بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] إذن «لن» ليست لتأبيد النفي.

الوجه الثالث: أنها لو كانت تفيد التأبيد لما كان يحسن ذكر لفظ الأبد بعدها إذ يكون ذكره بعدها تكراراً والأصل عدمه ولكن ذكر الأبد بعدها واقع في أفصح الكلام، قال تعالى: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠] وقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾.

الوجه الرابع: أنها لو كانت للتأبيد لم يُقيد منفيها باليوم في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

الوجه الخامس: أنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاز ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ وهذا يدل دلالة واضحة على أنها ليست للتأبيد المطلق.

وهذا الرأي هو رأي النحاه قال ابن مالك ـ رحمه الله ـ في الألفية.

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا

قال أبو الحسن الأشموني[(٢)]: «فأما «لن» فحرف نفي تختص بالمضارع

---

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري.

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.

وتخلصه للاستقبال وتنصبه كما تنصب «لا» الاسم نحو لن اضرب ولن أقوم فتنفي ما أثبت بحرف التنفيس ولا تفيد تأبيد النفي ولا تأكيده خلافاً للزمخشري».

وقال ابن هشام: [1] «ولا تفيد «لن» توكيد النفي خلافاً للزمخشري في كشافه، ولا تأبيده خلافاً له في أُنموذجه وكلاهما دعوىٰ بلا دليل».

وفي حاشية الخضري[2]: «لن» حرف ينفي المضارع وينصبه ويخلصه للاستقبال».

وبعد .. فإن القرآن والسنة مملؤان بالأدلة المؤكدة لرؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وهذا واضح لمن كان له أقل نصيب من العقل، ولم يخالف في هذا إلا المتبعون لأهوائهم الرادون للحق أمثال الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وغيرهم، وما ذاك إلا لضلالتهم في صفات الله، وردهم للحق بتأويل صفات الله عن ظاهرها، وقد جرد علماء السنة سيوفهم في وجوههم، وهتكوا أستارهم حتىٰ تعرت عقائدهم المفضوحة بالحق الذي أراده الله ـ عز وجل ـ ودفعوهم بالحجج والأدلة المقنعة، لكنهم لم يرعووا؛ لهوىٰ في نفوسهم واستكباراً علىٰ الحق، فما دعا العلماء للرد عليهم وبيان فساد معتقدهم.

فقد ذكر القرطبي وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يُرىٰ، فقال مالك: «السيف السيف»، وقال الإمام أحمد: «من قال: أن الله لا يُرىٰ فهو كافر» وقال الأوزاعي: «إني لأرجو أن يحجب الله جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ فَجحد جَهْمٌ وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه».

(١) في مغني اللبيب مع حاشية محمد الأمير.

(٢) حاشية الخضري علىٰ شرح ابن عقيل.

قال صاحب النونية:

ويرونه ـ سبحانه ـ من فوقهم	نظر العيان كما يُرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره	ينكره إلا فاسد الإيمان
وهي الزيادة قد أتت في يونس	تفسير من قد جاء بالقرآن
فيرونه من بعد كشف حجابه	جهراً روى ذا مسلم ببيان
أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه	وخطابه في جنة الحيوان
وأشد شيء في العذاب حجابه	ـ سبحانه ـ عن ساكني النيران

المطلب الثاني:
تكليم الله - عزوجل - لأهل الجنة

قال تعالىٰ: ﴿ولَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

قال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ: فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً، إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك ـ تعالىٰ ـ الله عما يقولون.

وقال تعالىٰ: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يسن: ٥٨].

وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية فقال: «**بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرّب ـ تعالىٰ ـ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾**»[(١)]، وقال محمد بن كعب القرظي: إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة، فيسلم علىٰ أهل الجنة فيردون عليه السلام ـ قال القرظي: وهذا في كتاب الله ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ فيقول: سلوني فيقولون: ماذا نسألك أي رب؟ قال: بلىٰ سلوني. قالوا: نسألك رضاك. قال: رضائي أحلكم دار كرامتي . . . »[(٢)]. قال الألوسي: «يُقال لهم قولاً من جهة رب رحيم أي:

---

(١) رواه ابن ماجة وابن أبي حاتم.

(٢) أورده ابن جرير من طرق، وذكره ابن كثير في تفسيره.

يسلم عليهم من جهته - تعالىٰ - بلا واسطة تعظيماً لهم»[١].

وقد أخبر النبي وصرح في أكثر من حديث عن تكليم الله - عز وجل - لأهل الجنة فقال - عليه الصلاة والسلام -: **«ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»**[٢]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«ولا يبقىٰ أحد في المجلس إلا حاضره الله محاضرة فيقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا. . . »**[٣]، وقال أيضاً - عليه الصلاة والسلام -: **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب»**[٤]، وقد جاء هذا من طريقين طريق عدي بن حاتم وطريق بريدة. وفي حديث لأبي هريرة قوله ﷺ **«يقول - تبارك وتعالىٰ - للعبد: ألم أكرمك وأسودك؟»**.

وقال البخاري في صحيحه: باب «كلام الرب مع أهل الجنة» ثم روىٰ فيه حديثين الأول عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: قال النبي ﷺ: **«إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»**، ثم ذكر حديث الرجل الذي يطلب من الله أن يزرع وأذن له بالزراعة.

---

(١) روح المعاني، الألوسي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجة وابن أبي عاصم.

(٤) رواه البخاري.

المطلب الثالث:
رضوان الله -عز وجل-

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

قال ابن كثير: أي يحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم بعده أبداً، ومعنى أكبر: أي أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، وقال -عليه الصلاة والسلام-: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله -عز وجل-: هل تشتهون شيئاً فأزيدكم؟ قالوا: يا ربنا ما خير ما أعطيتنا؟ قال: رضواني، أكبر»**[(١)]. وقال -عليه السلام-: **«إن الله -عز وجل- يقول لأهل الجنة: ... الا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»**[(٢)].

ونلاحظ في الآيات التي تتحدث عن نعيم الجنة ورضوان الله يكون رضوان الله في آخر الآية لعظم شأنه، وأنه أفضل من كل نعيم في الجنة، ولذلك قال بعض العلماء: شيء من رضوان الله أعظم من الجنات وما فيها من النعيم المقيم. قال الألوسي في الآية الخامسة عشرة من سورة آل عمران: «وقد بدأ -سبحانه- هذه الآية أولاً بذكر المقر وهو الجنات، ثم ثنى بذكر ما يحصل به الإنس التام وهو الأزواج المطهرة، ثم ثلث بذكر ما هو الإكسير

---

(١) رواه البزار وقال الحافظ الضياء المقدسي: هذا عندي على شرط مسلم.

(٢) رواه مسلم.

الأعظم والروح لفؤاد الواله المغرم، وهو رضا الله ـ عز وجل ـ»[(١)].

إن العبد إذا ضمن رضا خالقه الذي يحبه، والذي بيده الخير والشر والجنة والنار والبطش الشديد، إذا ضمن رضاه وحل عليه الرضا سوف تستقر نفسه ويأمن من كل خوف، لأن المدبر للأمور، قد رضي عنه فلا يخاف بعد الرضا من شيء أبداً. قال صاحب المنار في تفسير الآية المائة والتاسعة عشرة من سورة المائدة: «بيان للنعيم الروحي بعد ذكر النعيم الجسماني، فإن رضا الله ـ تعالى ـ ورضاهم عنه هو غاية السعادة الأبدية في نفسه، وفيما يترتب عليه من عطاياه تعالى وإكرامه، ومن كونهم يكونون ناعمين بذلك الإكرام مغتبطين به، إذ لا مطلب لهم أعلى منه فتمتد أَعناقهم إليه، وتستشرف قلوبهم له حتى يتوقف رضاهم عليه»[(٢)].

قال الزمخشري في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: «إنما كبر عن ذلك كله، لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة، ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته، والكرامة أكبر أصناف الثواب؛ لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم، وإنما يتهنأ له برضاه كما يتنغص عليه بسخطه، ولم يجد لها لذة وإن عظمت».

وقال الطيبي: وأكبر أصناف الكرامة رؤية الله ـ تعالى ـ، ونكّر «رضوان» في التنزيل إرادة للتقليل، ليدل على أن شيئاً يسيراً من الرضوان خير من الجنان وما فيها.

ولصاحب المفتاح رأَي آخر في «رضوان» حيث قال: والأنسب أن يحمل على التعظيم، وأكبر على مجرد الزيادة مبالغة لوصفه بقوله: «من الله» أي: رضوان عظيم يليق أن يُنسب إلى من اسمه (الله) معطي الجزيل، ومن لا يكتنه

---

(١) روح المعاني، الألوسي

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا.

كنهه، ومن عطاياه الرؤية وهي أكبر أصناف الكرامة، فحينئذٍ يناسب معنى الحديث الآية، حيث أضافه إلى نفسه، وأبرزه في صورة الاستعارة، وجعل الرضوان كالوفود النازلة على الملك الأعظم ويؤيد هذا التأويل قوله ﷺ: **«يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ لأهل الجنة «تريدون شيئاً أزيدكم. . .؟»** إلى قوله: **«فيرفع الحجاب، فينظرون إلى وجه الله ـ تعالى ـ، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم»** فحينئذ لا يصح أن يُقال في الآية: ورؤية قليلة من الله أكبر.

المطلب الرابع :
تزاور أهل الجنة

ثبت بمفهوم الآيات وبالأحاديث أن أهل الجنة يتزاورون قال تعالىٰ : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٥-٢٧].

وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيشتاق الإخوان بعضهم إلىٰ بعض، فيسير سرير هذا إلىٰ سرير هذا، وسرير هذا إلىٰ سرير هذا، حتىٰ يجتمعا جميعاً فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متىٰ غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا»**[1].

وفي حديث حارثة عندما سأله النبي ﷺ عن حقيقة إيمانه فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلىٰ وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلىٰ عرش ربي بارزاً وإلىٰ أهل الجنة يتزاورون فيها فقال - عليه الصلاة والسلام -: **«عبدٌ نور الله قلبه»**[2].

الطريقة التي يتزاورون بها :

جاءت الأحاديث أنهم يتزاورون وهم علىٰ الإبل والخيول كما أورد ذلك ابن القيم وابن كثير وغيرهم، فقد أوردوا أحاديثاً ضعيفة في مجملها وبعضها موقوف، ورد فيها صفات هذه الإبل والخيول بأنها من ياقوت، أزمتها الدُّر الأبيض، برحال الذهب، وأعنتها السندس والاستبرق، ونمارقها ألين من الحرير مدُّ خطاها مد أبصار الرجال وإن خطامها وزمامها خير من الدنيا وما فيها.

---

(١) أخرجه البزار، والعقيلي، وابن أبي الدنيا، وذكره ابن كثير، في «صفة الجنة».

(٢) أخرجه البزار، والبيهقي، وذكره ابن كثير في «صفة الجنة» وغيرهم.

* **مسألة :**

هل يزور الأعلى من هو أدنى منه أو الأدنى من هو أعلى منه؟

لم يرد بحدود علمي حديثٌ عن النبي ﷺ في هذا الشأن إلا حديث واحد رواه الطبراني وذكره ابن كثير عن أبي أمامه قال: سُئِل النبي ﷺ أيتزاور أهل الجنة؟ قال: **«يزور الأعلىٰ الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلىٰ إلا الذين يتحابون في الله، يأتون منها حيث شاؤوا على النوق محتقبين الحشايا»** ولكن هذا الحديث ضعيف جداً، لا يصح الاحتياج به؛ لأن في سنده بشربن نُمير قال عنه الهيثمي «متروك» ولم يتابع إلا من جعفر بن الزبير الحنفي، ولكن جعفراً متروك الحديث أيضاً.

وقد ذكر ابن كثير عن حميد بن هلال قوله: **«بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلىٰ الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلىٰ»**(1).

قال ابن كثير: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن صاحب الرتبة السافلة لا يصلح له أن يتعداها، وليس فيه أهليه لذلك.

الثاني: لئلا يرىٰ من النعيم ما هو فوق ما هو فيه، فيحزن لذلك وليس في الجنة حزن.

قلت: أن هذا من الأمور الغيبية فلا ينبغي الخوض فيها بتوسع، بل نثبت الزيارة، وأنهم سيلتقون ويتحادثون ويتسامرون ويضحكون، ويتذكرون، ولكن كيف وأين الله أعلم، فقد تكون الزيارة في مكان ما في الجنة، لا يكون تابعاً لأحد منهم لئلا يرىٰ بعضهم أزواج بعض، فقد ورد في بعض الآثار أن

---

(1) أخرجه ابن المبارك وذكره ابن كثير وعزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» للدورقي، وحميد بن هلال العدوي عالمٌ ثقة توقف فيه ابن سيرين لدخوله في عمل السلطان، من الطبقة الثالثة، وروىٰ له أصحاب الكتب الستة.



أهل الجنة تأتيهم سحابة وتقول لهم: ماذا تريدون أن أمطر عليكم؟ فيتمنى بعضهم جواري، فتمطرهم بالجواري، وهذا المجلس بلا شك من مجالس الزيارة، لأنهم مجتمعون فيه وقد يكون هذا المجلس في مكان آخر من الجنة أُعد خصيصاً لزيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً. والله أعلم.

المطلب الخامس:
الطمأنينة وزوال الخوف

الطمـأنينة هي: «السكون بعـد الانزعـاج»(١)، وأصل الأمن هـو طمـأنينة النفس وزوال الخوف(٢).

والخوف هو: «توقـع مكروه عن إمارة مظنونـة أو معلومـة كـمـا أن الرجـاء والطمع توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة، ويضـاد الخـوف: الأمن ويستعمل ذلك في الأمـور الدنيـوية والأخـروية»(٣)، وقـال تعـالىٰ عن أهل الجنة: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، والفـزع هو أشـد درجـات الخـوف. قـال عنه الراغب: «هو انقبـاض ونفـار يعتري الإنسـان من الشيء المخيف»(٤).

والطمأنينة الناتجة عن الأمن من أولىٰ الأوليات التي لا غنىٰ للإنسان عنها، وهو مطلوبه الأول، إذ بـه يأمن ويطمـأن علىٰ حيـاته ومـاله وعـرضـه، ولذلك قـدم إبراهيم ـ عليـه السـلام ـ الأمن علىٰ الرزق في الدعـوة التي دعـا بهـا ربه فـقــال: ﴿وَإِذْ قَـالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْـعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّـمَـرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] وقـد وعد الله ـ سبـحـانه ـ أهل الجنة ـ ووعده حـق ـ بأنه يأمنهم من الخوف والفـزع فقال سبـحانه: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨] قـال ابن كـثير: «وهذا نداء من الله عز وجل يوم القـيـامة لـعبـاده

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

المسلمين أن لا يخافوا بل عليهم الإطمئنان والسكينة»[1] والآيات كثيرة في هذا الباب كقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] قال ابن كثير: أي آمنين من كل خوف وفزع ولا تخشوا من إخراج ولا انقطاع ولا فناء[2]. وقال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ [الإنسان: ١١] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

إن الأمن والطمأنينة من ألزم لوازم الجنة فقد روى الإمام أحمد أن النبي قال: **«يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبداً، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبداً»** فإن كان أهل الجنة يَصُحّون للأبد ويعيشون للأبد وفي شباب دائم لا يعتريه هرم ولا موت فهم في أمن لا يعتريه خوف أبداً؛ لأن أسباب الخوف منتفية انتفاءً مطلقاً جملة وتفصيلاً، فلا سبيل لوجوده؛ لأن الخوف إنما يكون من مرضٍ أو هرم أو موت يأتي فجأة أو خوفٍ من مفارقة مكان مهيأة فيه أسباب الرزق لم تتهيأ في غيره، وهذه كلها منتفية بلفظ الحديث المتقدم.

---

(١) تفسير ابن كثير، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، وروح المعاني، الألوسي.
(٢) تفسير ابن كثير.

المطلب السادس :
نزع أوضار القلوب وغلها

إن المقرر والمعلوم أن الجنة طاهرة لايدخلها إلا طاهر، وطيبة لا يدخلها إلا طيب، وأنه لا وجود للخبث فيها، وأن أهل الجنة قبل دخولها سوف يتطهرون ويقتص بعضهم من بعض، حتىٰ تهدأ أنفس المظلومين بالاقتصاص من الظالم ثم بعد ذلك يُنشؤون من جديد نشأة جسدية ونفسية، تخرج كل مرض من قلوبهم، وسوف يدخلون الجنة وما في قلب أحد منهم علىٰ أحد شيء من غل أو بغض أو حسد، ولذلك قال أبو أمامة «لا يدخل مؤمن الجنة حتىٰ ينزع الله ما في صدره من غلٍّ، حتىٰ ينزع منه مثل السبع الضاري»[1].

إن أهل الجنة إذا خلصوا من جميع المحطات المهولة التي سوف يمرون بها بدءاً من سكرات الموات ومروراً بالصراط علىٰ متن جهنم حتىٰ يُحبسوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار لهو جدير بأن يزرع المحبة فيما بينهم، وجدير بالفرحة والانبهار بالنجاة أن تجعلهم إخواناً متحابين، لأن رحمة الله أحاطتهم وأنجتهم. إن كان الأمر كذلك أفلا يرحمون بعضهم بعضاً؟ ثم إن الله قد تكفل بأن ينزع ضغائن القلوب من صدورهم نزعاً لا يبقىٰ منه شيء، فقال ـ عز شأنه ـ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] ونلحظ أن الأية قد اشتملت علىٰ عدة ألفاظ وصيغ لها دلالات عميقة:

الأولى: قوله: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ فقد استخدم ـ سبحانه ـ هذه اللفظة ليؤكد أن نزع الغل من الصدور إنما يكون نزع بالكامل، لا يبقىٰ منه شيء مطلقاً، لأن النزع هو: اجتذاذ الشيء وإزالته من جذوره، فلا يبقىٰ منه أدنىٰ جزئية. قال

(١) انظر تفسير ابن كثير.

الراغب: «ونزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب»[1] فدلالة هذه اللفظة أقوىٰ في التعبير من دلالة باقي الألفاظ من مثل: أذهبنا، وأبدلنا، وأزلنا.

الثانية: قوله: ﴿إِخْوَانًا﴾ ليؤكد معنىٰ النزع وأنهم بلغوا من المحبة والألفة ما بلغه الإخوان من محبتهم وإلفتهم، ولذلك لم يستخدم أداة التشبيه في الإخوان، ويقول: «كالإخوان» بل قرر وأثبت أخوتهم الحقيقية التي لا تزول، والفرق واضح بين «أصدقاء علىٰ سرر متقابلين» وبين «إخواناً علىٰ سرر متقابلين».

الثالثة: قوله: ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ وهذا فيه دلالة علىٰ شدة المحبة والاحترام والتقدير الذي بينهم، بحيث إنهم يتقابلون بالأوجه، ولا يعطي أحد منهم قفاه للآخر مبالغة في التقدير والمحبة والأنس.

الرابعة: قوله: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ فقد جاءت هذه الجملة بصيغة الماضي للدلالة علىٰ تأكيد تحققها وكأنها قد وقعت بالفعل، وهي كما قال الألوسي: للإيذان بتحقيقها، والفرق واضح وبين من الناحية البلاغية بين ورود الجملة بصيغة المضارع وورودها بصيغة الماضي الذي كان.

وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في بيان ذلك: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتىٰ إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة**»[2]، وقال أبو أمامة: يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتىٰ إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل، ثم قرأ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٢) رواه البخاري.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن الغل على أبواب الجنة كمبارك الإبل إذا نُزع من صدور المؤمنين»**[١] وعن ابن عمير أنه قال: «إنهم ليتلاحظون على باب الجنة كما يتلاحظ الثيران، ثم ينزع الغل من قلوبهم، فإذا دخلوا الجنة فشربوا ما فيها، أذهب ما في بطونهم وقلوبهم من أذى وقذى، ثم قرأ: ﴿ **طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ [الزمر: ٧٣][٢].

فيا له من نعيم روحي عظيم أن يعيش الإنسان حياة أبدية سرمدية في مكان لا عداوة فيه وقلوب نظيفة من الغل والحقد والشحناء والبغض، لا يحمل عليه أحد في قلبه شيء ولا يحمل هو على أحد في قلبه شيء يعيشون إخواناً متحابين متآلفين يشتاقون إلى بعض ويتزاورن ملوكاً على سرر متقابلين في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة»

(٢) المصدر السابق.

المبحث الثالث:
النعيم الجسدي

طعام أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

وقال: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٤٣].

وقال: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٣].

وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢].

وقال: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١].

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون. قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس»**[1].

قال الراغب: في هذا الحديث إشارة عجيبة، لأنه إذا أمكن أن يأكل دود القز أطعمة تتعفن، فيخلف جشاءً طيباً يبقى أطول مدة فلا يلحقه فساد، فكيف ينكر أن يتناول أهل الجنة طعاماً معرى عن العفونات والاستحالات فيخلف منه مسك؟ والذي يستبعده بعض الناس من ذلك هو أنهم يريدون أن يتصوروا أبداناً متناولة لأطعمة لا استحالة فيها ولا تغير لها ولا يكون فيها فضولات وتصور ذلك محال، وذلك أن التصور هو إدراك الوهم خيال ما أدركه من الحسن الحسي وما أدركه الحس جزؤه لا كله كيف يمكنه تصوره؟

---

(١) رواه مسلم.

ولو كان للإنسان سبيل إلى تصور ذلك لما قال الله تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ولما قال - عليه الصلاة والسلام - مخبراً عن الله - تعالى -: «**أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» وجملة الأمر يجب أن يكون معلوماً أن النقصانات منتفية عن الجنة؛ لأنها من الأعدام، وليس في الجنة أعدام، إذ هي في غاية الكمال والتام.

وعن زيد بن الأرقم - رضي الله عنه - قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «**نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة**» قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذى، قال: «**تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه**».

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنك لتنظر إلى الطير يطير في الجنة فتشتهيه، فيخر بين يديك مشوياً**»[1].

وعن بكر بن عبد الله المزني قال: «إن العبد ليشتهي اللحم في الجنة، فيجيء طائر، فيقع الطائر بين يديه فيقول: يا ولي الله أكلتَ من الزنجبيل، وشربت من السلسبيل، ورتعت بين العرش والكرسي، فكلني»[2] وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً**»[3] وقال عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧١]. قال: «ما من أهل الجنة أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه»[4].

---

(١) رواه البزار، وابن عدي، والعقيلي، وابن أبي الدنيا، وغيرهم، وقد ضعفه: المنذري وابن حجر وخالفهم العراقي وصحح إسناده، وللحديث شاهدان مرفوعان عن ميمونة وأبي سعيد.

(٢) صفة الجنة، ابن أبي الدنيا.

(٣) أخرجه البيهقي وابن الأبار وابن مردوية.

(٤) أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا وغيرهما.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في الكوثر: **«هو نهر أعطانيه ربي، أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر»**. قال عمر: يا رسول الله. إنها لناعمة! قال: **«آكلها أنعم منها»**[1] وفي بعض الروايات أن القائل: أبو بكر الصديق حينما قال: أنها لناعمة يا رسول الله. قال: **«أنعم منها من يأكلها، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر»**[2].

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي والطبري والبيهقي والحاكم وغيرهم وهو صحيح الإسناد، وفي بعض طرقه أن القائل هو أبو بكر الصديق.

(٢) رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما.

المطلب الأول:
أول طعام يأكله أهل الجنة

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ لما قدم المدينة: «وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ قال: **«زيادة كبد الحوت»**(١).

وفي صحيح مسلم من رواية أبي أسماء عن ثوبان: أن يهودياً سأل رسول الله ﷺ فقال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: **«زيادة كبد الحوت»**، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: **«يُنحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها»** قال: فما شرابهم عليه؟ قال: **«من عين تُسمى سلسبيلا»**، قال: صدقت وهذا اليهودي حبر من أحبار اليهود، وصدقه لأن لديه علم من الكتاب وهو مطابق لقوله ﷺ.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«تكون الأرض يوم القيامة خبزة**(٢) **واحدة يتكفؤها**(٣) **الجبار بيده، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة»** فأتى رجلٌ من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، **«ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟»** قال: بلى، قال: **«تكون الأرض خبزة واحدة يوم القيامة ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟»** قال: بلى، قال: **«إدامهم بالام**(٤) **ونون**(٥) **قال: ما هذا؟ قال: ثورٌ ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً»**(٦).

---

(١) رواه البخاري، وأحمد.

(٢) المراد الرغيف.

(٣) يقلبها ويميلها، وقيل: يضمها «بصفة تليق به»

(٤) دل التفسير من اليهود على أنه اسم للثور (فتح الباري).

(٥) أي الحوت.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

* شبهة:

إنَّ ما مضىٰ من الأدلة تدل دلالة قاطعة علىٰ أن النعيم في الجنة واقع علىٰ الروح والجسد معاً بخلاف القائلين[1] بأن النعيم واقع علىٰ الروح فقط، وفيه دلالة علىٰ تلذذ أهل الجنة بالمطعومات وطعام أهل الجنة هذا لا بسبب جوع أو لحاجة الجسد إلىٰ الغذاء، وإنما هو للتلذذ بهذه النعمة، وكون أهل الجنة لا يجوعون والواحد منهم يُعطىٰ قوة مائة رجل في الأكل، فهذا لا يدعو للعجب أو الاستغراب والاشتباه، كلاً فالله ـ عز وجل ـ خالق السبب والمسبب ـ سبحانه ـ فهو قادر علىٰ إزالة السبب، وقد أثبت هذا ابن القيم ـ رحمه الله ـ بقوله: «فليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر، فإن قيل: فأين يُشوىٰ اللحم في الجنة، وليس فيها نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يُشوىٰ بـ (كن) وأجاب آخرون بأنه يشوىٰ خارج الجنة ثم يأتىٰ إليهم، والصواب أنه يشوىٰ في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام، علىٰ أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئاً» وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الألوة**» و(المجامر): جمع مجمر وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه. و(الألوة): العود المطري، فأخبر أنهم يتجمرون به، أي يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم الرائحة، فالأطعمة والتجمر تستدعي أسباباً تتم بها، والله ـ سبحانه ـ خالق السبب والمسبب، وهو رب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو. وكذلك جعل لهم ـ سبحانه ـ أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه وذاك سبب انضاجه وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئُه لخروجه رشحاً وجشاءً، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من

(١) كالمعتزلة والفلاسفة.

الحرارة ما ينضجها ويجعل ـ سبحانه ـ أوراق الشجر ظلالها، فرب الدنيا والآخرة واحد وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه في الدنيا والآخرة والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف، ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله ـ سبحانه ـ على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة، وربما حمله ذلك على الأفكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم وإلا فليست قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك، ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب ـ سبحانه وتعالى ـ فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعُدِنا بها إذا تأملها اللبيب، ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها، ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قيء الذباب أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسبابٍ أخر، ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لُعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من إخراجه من اكمام تنشق عنه شجر هناك قد أُودع فيها وأُنشأ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود. وبالجملة فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه وعلى توحيده بالربوبية والألوهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار تجد هذه أدل شيء على تلك، شاهدة لها، وتجدهما من مشكاةٍ واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك

واحد فبعداً لقوم لا يؤمنون»(١).

إذن: يجعل الله - عز وجل - في الآخرة من القوانين المختلفة عن قوانين الدنيا التي لا تكون إلا بأسبابها والأمثلة على ذلك كثيرة في الآخرة فالشمس تدنو من رؤوس الخلائق قدر ميل ولا تحرقهم وأهل الموقف يقفون آلاف السنين بلا أكل أو شرب أو نوم ولا يموتون وأهل النار يعذبون ولا يموتون فالله قادر على ذلك بقوله «كن فيكون».

*** شبهة:**

وليس لطعام أهل الجنة وقت محدد يرزقونه ثم ينقطع عنهم إلى الوقت الذي يليه بل هو دائم كثير يأكلون منه في كل الأوقات قال تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)** ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣] وأما قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ [مريم: ٦٢]. فهذا لا يدل على تحديد حصولهم على الطعام بوقت محدد. كلا وإنما هو كقوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ [الإنسان: ٢٥] والمراد: أذكر ربّك في كل أوقاتك. وهو كمثل قولهم: «فلان يأكل ليل نهار» يقصدون كثرة أكله بكل وقت.

وقد ذكر الله - عز وجل - بعض المطعومات وأهمل ذكر غيرها ليس لأن الجنة لا يوجد فيها إلا هذه الأصناف المذكورة بل هي من قبيل ذكر بعض الأصناف، وترك ذكر الباقي، وأشار إليه بقوله: ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ** ﴾ [فصلت: ٣١] وكذلك لتشويق المؤمنين بعدم المذكور. قال تعالى: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

فـائـدة:

قال تعالىٰ: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١].

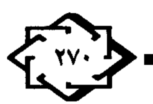
لماذا قدم الله - عز وجل - الفاكهة على اللحم مع أن المتعارف عليه حين الأكل تقديم أكل اللحم على الفاكهة؟

قال الألوسي معللاً سبب ذلك أنه: «للإشارة إلىٰ أنهم ليسوا بحالة تقتضي تقديم اللحم كما في الجائع فإن حاجته إلىٰ اللحم أشد من حاجته إلىٰ الفاكهة. . ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل واللحم يدفعها غالباً»[1].

قلت: وقد يكون السبب لكثرة أنواع الفاكهة هناك فهي أنواع مختلفة وألوان كثيرة ومذاقات متنوعة تتلذذ بها العين وتشتاق لها النفس، أما اللحم فجنس واحد ولو اختلفت أنواعه ومذاقاته وطرق انضاجه فقدمها الله لمحبة النفس لها وتفضيلها على ما سواها وما في الجنة شيء مفضول. . . والله أعلم.

---

(١) روح المعاني، للألوسي.



المطلب الثاني:
شراب أهل الجنة

قال تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين: ٢٥-٢٦].

وقال تعالى: ﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ [الطور: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٥-٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإنسان: ١٧-١٨].

وقال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -: **«أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون»**(١).

وقد صح عن النبي ﷺ: «أن في الجنة أنهاراً من ماء وأنهاراً من عسل وخمر ولبن، وما جعل الله ذلك إلا لشرب أهل الجنة وتلذذهم بهذه الأشربة ليس ناتجاً بسبب الظمأ؛ لأن الظمأ ودَّعُوة حينما وردوا على حوض الحبيب - عليه الصلاة والسلام - الذي قال عنه: **«من ورد فشرب منه لم يظمأ بعده أبداً»**(٢)، وشراب أهل الجنة فيه من اللذة والنكهة ما لا يقدر عظمته إلا خالقه - عز وجل -، وما يوجد من أنواع العصائر والمشارب والمركبات في الدنيا ما هي إلا تذكرة للمؤمن لما ادخره له الله هناك في الجنة فإن كانت هذه موجودة في

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري.

الدنيا فوجودها في الجنة مع كمالها أولى».

فشراب أهل الجنة بلغ النهايات في اللذة من ناحية الطعم واللون والرائحة التي تبقى على خِلْقَتِها دون أي تغيير يطرأ عليها، ولذلك سماه الله - عز وجل - «طهوراً» وسماه أيضاً «لذة للشاربين» وقال: «كأساً دهاقا» ومعنى دهاقاً أي: تباعاً كما قاله كثيرمن المفسرين قال ابن عباس: «هي المتتابعة الممتلئة»، وهذا دلالة على لذته ومحبة النفس له.

وعن قوله تعالى: ﴿مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾.

فقد اختلف العلماء في هذا الرحيق هل المسك ممزوجة معه، فأصبحت تذاق في أول الكأس ووسطه وآخره؟ أي: ختمت المسك عليه، أم أن هذا الرحيق خالص ولكن المسك يأتي طعمه في آخر الكأس؟أي تكون سلافة كأس الرحيق مسكاً خالصاً.

الصحيح في ذلك - والله أعلم - أن المسك يكون في نهاية الكأس فقط أي أن الإنسان يشرب كأساً من رحيق خالص ثم في نهاية الكأس يأتي طعم المسك.

قال أبو عبيدة في تفسير الآية: أن له ختاماً، أي: عاقبة ختامه مسك وأنشد لابن مقبل:

مما يُفتق في الحانوت ناطقها   بالفُلْفلِ الجونِ والرمان مختومُ

فتأول الختام على العاقبة، وليس على الختم الذي هو الطبع، ولا يستقيم أن يتأول المختوم في الآية صفة الرحيق على معنى الختم الذي هو الطبع، لقوله: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥].

وأما قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فخاتم اسم فاعل من ختمهم أي: صار آخرهم(١).

---

(١) المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي.

إذن: سلافة[١] الكأس تكون من المسك، ولذا قال مسروق في هذه الآية «الرحيق: الخمر المختوم، يجدون عاقبتها طعم المسك»[٢].

(١) السلافة هي: حثالة الكأس، وما يترسب في آخره.

(٢) رواه سعيد بن منصور كما في «الدر المنثور»، وابن أبي شيبة في «المصنف» وغيرهما.

صفات هذه المشارب

الخمــر:

كان العرب مولعين بالخمر، فنهاهم الله ـ عز وجل ـ عنها بالتدرج لشدة تعلقهم بها، وما كان تحريمها إلا لضررها بإذهابها للعقل وضررها على الجسم، ووعد الله ـ عز وجل ـ تاركها بخمر الجنة المغاير لخمرة الدنيا، فمن مميزات خمر الجنة التي ذكرها الله لنا أنها لا تذهب العقل ولا تسبب الصداع.

قال تعالى: ﴿ **لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾ [الصافات: ٤٧].

قال ابن عباس في معنى «غول»: ليس فيها صداع، وفسر الراغب «النزف»: بأنه ذهاب العقل، وهذا الخمر لا ينتج عنه حين الشرب أقوال ولا أفعال شيطانية آثمة ولا ينتج عنه أي نسبة من اللغو، قال تعالى: ﴿ **يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ** ﴾ [الطور: ٢٣]. ولون هذه الخمرة أبيض لقوله تعالى: ﴿ **بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ** ﴾ [الصافات: ٤٦]. وهي كثيرة غزيرة جارية لقوله تعالى: ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ** ﴾ [الصافات: ٤٥]. وقال: ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨)** ﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٨]. وقد عقَّب الألوسي على قوله تعالى: ﴿ **وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ** ﴾، فقال: «وصف به خمر الجنة تشبيها لها بالماء لكثرتها حتى تكون أنهاراً جارية في الجنان»[1]. وهي لذيذة الطعم بخلاف طعمها في الدنيا الذي لا تقبله النفوس. لقوله تعالى: ﴿ **لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ** ﴾.

---

(١) روح المعاني، الألوسي.

العسل:

ومن مشارب الجنة أيضاً العسل الذي ينطوي على صفات لا تتوافر في عسل الدنيا، فمن هذه الصفات التي أخبر الله عنها: أنها صافية من أي شائبة وهي لذيذة تشتهيها النفوس بخلاف العسل في الدنيا لأن العسل الصافي في هذه الدنيا، لا يستطيع شاربها الأكثار منها، لأنه حارق للحلق، وهذا العسل لم يخرج من أفواه الحشرات لسببين:

الأول: أن الجنة مطهرة مادياً ومعنوياً، ولذا امتنع خروجه من أجواف الحشرات، لأن ذلك منقص لشاربه إن تذكر مصدره.

الثاني: أن وجوده في الجنة على شكل أنهار جارية، والحشرات لا تنتج هذه الكمية الكبيرة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

فهو مشروب مبارك في الدنيا والآخرة، والأحاديث على ذلك مستفيضة كثيرة، فنسأل الله من فضله.

اللبن:

وهو من المشارب التي أُولع بها العرب، لأنه من صميم بيئتهم، ولذلك أخبر الله ـ عز وجل ـ عنه بأنه من ضمن مشارب المؤمنين في الجنة، ويكون فساد اللبن في تغيره إلى الحموضة، وهذا يعرفه العرب، لأنه غذاؤهم لذا أخبر الله عنه بأن من خصائصه هناك في الجنة أنه لا يتغير طعمه للحموضة وإلا فهو له صفات ومميزات كثيرة، ذكر الله منها ما يعرفه العرب، فإن كان في الدنيا قليل فهو في الجنة كثير يجري أنهاراً، وإن كان في الدنيا يفسد ويتغير إلى الحموضة فهو في الجنة لا يتغير إطلاقاً، بل يبقى على حاله، قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥].

المــاء:

الماء سيد المشروبات قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. والماء موجود في الجنة علىٰ شكل أنهار جارية وعيون فائضة وهو أفضل بكثير من ماء الدنيا فإن كانت مياه الدنيا متفاوتة في الأفضلية في الطعم والرائحة واللون مثل تفاوت المياه الجوفية عن بعضها ومياه الجبل عن مياه السهل إن كان هذا واقع في الدنيا فتفضيل ماء الجنة ومغايرته لمياه الدنيا ثابت من باب أولىٰ. قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: ١٥].

*** مسألة:**

وصف الله ـ عز وجل ـ أنهار الجنة بأنها جارية، ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن إذن، فما فائدة قوله تعالى:﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾ ؟

الجواب: علىٰ ذلك ذكره ابن القيم بقوله: «قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أُخذ منه شيء وطال مكثه أَسِن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك، ولو طال مكثه ما طال»(١).

قلت: وقد يكون له سبب آخر لأجله قال تعالىٰ: ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾ فقد يكون فيه من الإعجاز العلمي الذي لم يُكتشف حتىٰ الآن فقد يتوصل العلماء إلىٰ أن الماء الجاري يأسن لطروء بعض من البكتيريا أو الجراثيم، فقد يأتي زمان تتضح فيه بعض الأَسرار لم تُكشف بعد.... والله أعلم.

ومن الأشربة أيضاً أن هناك عيناً ممزوجة بالكافور والزنجبيل، وأَترك الحديث في ذلك للعلامة ابن القيم حيث يقول في الآيتين الكريمتين: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٥ـ٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: ١٧ـ١٨]. يقول: «إن الله

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

أخبر عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً، وأن شراب الأبرار يُمزج منها لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فَمُزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨] فأخبر الله ـ سبحانه ـ عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما علىٰ إثر الآخر حالة أخرىٰ أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراد، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذِكْر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها فإن شرابهم مُزج أولاً بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولىٰ وأنها نوعان لذيذان من الشراب أحدهما مزج بكافور والثاني مزج بالزنجبيل»[1].

وليس شراب أهل الجنة مقتصر علىٰ هذه الأصناف فقط بل هي أشربة كثيرة جداً ومتنوعة، وجميع هذه الأشربة يصفها الله ـ عز وجل ـ بقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. أي مطهر لهم من كل أذىٰ ونقص.

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

المطلب الثالث:
لباس أهل الجنة

الوارد في كتاب الله - عز وجل - أن لباس أهل الجنة ثلاثة أنواع هي: الحرير، والسندس، والاستبرق، لقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣].

فالحرير هو: ما رَقَّ من الثياب[١].

والسندس هو: رقيق الديباج[٢].

والاستبرق هو: ثخين الديباج[٣]، وقيل هو: الديباج المنسوج بالذهب[٤].

ونقل ابن القيم في (حادي الأرواح) عن الزجاج قوله: «السندس والاستبرق هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته، والتذاذ الجسم به».

وقال الزمخشري: وقد جمع الله - سبحانه - بين الإستبرق وهو غليظ الديباج، والسندس وهو دقيق الديباج للجمع بين النوعين[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ تدل على أن كل لباس أهل الجنة من الحرير، ولكنه مختلف النوع فبعضه رقيق وبعضه غليظ، وبعضه بلون غير اللون الآخر، وقد يكون اللباس من غير الحرير ومن غير هذه الأنواع الثلاثة، ويكون ذكرها في الآيات على سبيل التغليب والكثرة فلباس الجنة غير

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٢) غريب القرآن، ابن قتيبة، وتفسير الطبري.

(٣) غريب القرآن، ابن قتيبة.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، وروح المعاني، الألوسي.

(٥) الكشاف، للزمخشري.

محصور بأنواع ثلاثة بل فيها من الأنواع الكثير فلهم ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ومع هذا فإن حرير الجنة وسندسها واستبرقها لا يشبه ولا يماثل مسمياته في الدنيا، ولا بأدنى جزئية منه؛ لأن أدق جزئيات الحرير وفصها ناتج وصادر من حشرة مستقبحة (دودة القز) أما أصل حرير الجنة فهو من مكان عالٍ قدره، من الجنة العالية الطيبة فكان بأكمل صورة وأحسن حال.

ألوان هذه الثياب:

أما ألوان الألبسة في الجنة فهي لا تختص باللون الأخضر الوارد بقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١] بل الألوان مختلفة، ولا تدل الآية على الحصر لورود أدلة أخرى تدل على أن الألوان كثيرة ومختلفة، فعن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: **«ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها، فيأخذ من أي ذلك شاء، إن شاء أبيض وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن»**(١).

وعن ابن عباس قوله في وصف شجرة في الجنة: «فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها، فانفلقت عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان ثم تنطبق كما كانت»(٢).

وروت عبدة عن أبيها أنه قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة تلبس ثنتين وسبعين حلة لها اثنان وسبعون لوناً، إن أدنى لونها لون شقائق النعمان تجمعه بين اصبعيك»(٣) ثم إن العقل يحتِّم ذلك، ويدل عليه فلا يُعقل ألا يكون في الجنة سوى اللون الأخضر، لأنه لو كان كذلك لمجَّته العين وملته النفس، وقد

---

(١) صفة الجنة، ابن أبي الدنيا، وعزاه السيوطي في «الدّر المنثور» إلى أبن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا.

خص اللون الأخضر لأنه خفيف على البصر مهدئ للنفس، وقد ثبت أثر هذا اللون على النفسية المضطربة أثراً إيجابياً في إرجاعها إلى الهدوء والطمأنينة، وهو معلوم عند أهل الاختصاص، قال القرطبي: «وخص اللون الأخضر بالذكر لأنه الموافق للبصر، لأن البياض مبدد للنظر ومؤلم للعين، والسواد يُذم والخضرة بين البياض والسواد»[١].

مصدر هذه الثياب:

إن ثياب أهل الجنة لا تُنسج ولا تُخاط بل هي تُخلق خلقاً كامناً في ثمار الجنة فإن أراد أهل الجنة اللباس خرجت هذه الألبسة من الثمار حُللاً بعد حلل وألواناً بعد ألوان وأشكالاً بعد أشكال ويختار منها ما أراد ويلبسه.

فعن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقاً تُخلق أم نسجاً تُنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«م تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً!»** ثم قال رسول الله ﷺ: **«أين السائل؟»** فقال: ها هو ذا يا رسول، فقال: **«لا بل تشقق عنها ثمار الجنة، بل تشقق عنها ثمار الجنة، بل تشقق عنها ثمار الجنة»**[٢].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً قال: يا رسول الله، وما طوبى؟ فقال: **«شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، وثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»**[٣].

وعن ابن عباس قوله: «فيها شجرة ـ يعني الجنة ـ فيه ثمر كأن الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان ثم تنطبق فترجع كما كانت»[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي، وانظر تفسير أبي السعود.

(٢) حسن بشواهده. أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما وله شواهد كثيرة، وأحد أسنادي أحمد حسن.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده وغيره وهو صحيح بشواهده.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا وغيره.

وقال أبو هريرة: «في الجنة شجرة يقال لها طوبىٰ، يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما شاء، قال: فتتفتق له عن فرس بلجامه وسرجه وهيئته كما شاء، وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وعن الثياب»[1].

وفيما مر دلالة علىٰ شدة نعومة هذه الثياب لأن ثمار الجنة طرية ومن شدة طراوتها أنها تذوب في الفم، فإن كانت هذه الثمار كذلك فإن ما يصدر عن الأصل مماثل له في الطبيعة، والعرب إن أرادت أن تصف شيئاً باللیونة شبهته بالورود والورد من جنس الثمار. قال صفي الدين الحلي:

سَحَبَ السّحابُ لها الذيولَ فالبست ... من حُلّةِ الأزهارِ خيرَ لباسِ

وهذه الثياب لا تبلىٰ ولا تتقادم فَتُسحق؛ لأن العوارض السلبية التي تعرض للثياب منتفية في الجنة، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلىٰ ثيابه ولا يفنىٰ شبابه، له في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر»**[2].

بقي أن ألفت الانتباه إلىٰ أنه إذا كانت أزياء وموديلات الألبسة في الدنيا تجمل الرجل والمرأة، وكل تصميم يضفي مسحة جمال لا توجد في غيره فإن وجود هذا في الجنة أولىٰ وألزم، ففيها من الأشكال والأزياء والتصاميم ما يفوق العقل وينفذ حدود الجمال، وكلما لبس لباس بدا وبدت في أحسن صورة وأكمل حال، ثم إن هذا اللباس ليس لدفع حرٍّ ولا برد، وإنما هو للزينة والتجمل وستر العورات، وهذا اللباس من شدة جماله ورونقه ونعومته وإشراقه لو نزل إلىٰ الدنيا لما حمله أحد ولمات كل من ينظر إليه، فعن شريح بن عبيد قال: قال كعب: «لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة نُشر اليوم في الدنيا

(١) أخرجه الطبري وغيره بسند حسن وللحديث حكم الرفع.

(٢) رواه مسلم.

لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم»(١).

قال صاحب النونية:

ولباسهم من سندس خضر ومن	استبرق نوعان معروفان
وما ذاك من دود بنى من فوقه	تلك البيوت وعاد ذو طيران
لكنها حلل تشق ثمارها	عنها رأيت شقائق النعمان
سبعون من حلل عليها لا تعـ	ـوق الطرف عن مُخ ورا الساقان
لكن يراه ورا ذا كله	مثل الشراب لدى زجاج أوان

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا بسند مرسل.

المطلب الرابع :
زوجات أهل الجنـة « الحور العين »

تعريف الحور:

الحور في اللغـة : جمع أَحْور وحَوْراء ، وهي شـدة بيـاض العين مع شـدة سوادها ، وقد كثـرت أقوال العلمـاء في تعريف الحـور ، لكنها بمجملها تدور علىٰ جمال العين وحسنها وكبرها ، وسوف أسرد بعضاً من أقوالهم ، وأرجح بينها مع الحديث عن إيحاءات هذه المعاني :

قيل : الحـور هو ظهـور قليل من البيـاض في العـين من بين السـواد ، وذلك نهاية الحسن من العين[1] .

وقال ابن قتيبة : «حور : شديدات البياض ، وشديدات سواد المقل»[2] .

وقـال صاحب تاج العـروس : الحور : «أن يشـتد بيـاض بياض العين وسـواد سوادها ، وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حواليها»[3] .

وقـال مـجاهد : «الحـوراء التي يُحـار فـيهـا الطرف من رقـة الجلد وصـفـاء اللون»[4] . وروىٰ نحـو ذلك ابن أبي الدنيا عن أسـامه بن زيد بن أسلم عن أبيه قوله : الحور : التي تحار فيها الطرف ، وعِين : حِسان الأعين .

قال مقاتل : الحور البياض الوجوه[5] .

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب ص١٣٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن ص٤٤٣ .

(٣) تاج العروس ، الزبيدي ٣/ ١٦٠ .

(٤) رواه مجاهد في تفسيره ٢/ ٥٩٠ والطبري ٢٥/ ٨٢ .

(٥) القرطبي ١٦/ ١٥٢ .

وذكر البخاري في صحيحه تعليقاً على قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] قال ابن عباس: حور سود الحدق[1]. وقال في كتاب الجهاد والسير: «باب الحور العين وصفتهن يُحار فيها الطرف شديدة سواد العين: شديدة بياض العين»[2] وتوقف الأصمعي في التعريف وقال: ما أدري ما الحور العين؟

أما العين فهي جمع كلمة عيناء وهي كبيرة العين من النساء، فيقال: «لبقر الوحش أعين وعيناء لحسن عينها، وجمعها عِين، وبها شبه النساء وقال: قاصرات الطرف عين وحور عين»[3].

وفسر ابن قتية عِين على أنهن واسعات العيون[4].

وقال مقاتل: «العين حسان الأعين»[5].

وقال ابن منظور: «والعين جمع عيناء، وهي الواسعة العين»[6].

وقال الطبري: «العيناء المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العين»[7].

وهي صفة جمال ومدح تتميز بها المرأة.

قال الشاعر:

بياض وجه مع عيون ظبا ... بسوادها فتكامل الحسن

وقال الشاعر:

نواعم أبكاراً كأن عيونها ... عيون ظِباء أو عيون صوار

---

(١) فتح الباري ٨/ ٦٢٤.

(٢) المصدر السابق ٦/ ١٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٤) تفسير غريب القرآن ص٣٧١.

(٥) اللسان/ مادة «حور»، والقرطبي في تفسيره.

(٦) لسان العرب/ ١٣/ ٣٠٢.

(٧) تفسير الطبري.

والراجح في الحور: أنها العين شديدة بياض البياض، وشديدة سواد السواد، ولذا يقول ابن القيم في ذلك: «والصحيح أن الحور مأخوذ من الحَوَرِ في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، وليست اللفظة مشتقة من الحيرة، فأصل الحور البياض، والتحوير التبييض»[1].

ويمكن الجمع بينهما فتقول: الحور من النساء هي التي تجتمع فيها صفات خمس: واسعة العين، شديدة بياض البياض، وشديدة سواد السواد، فاترة الأجفان، بيضاء الجسد.

قال ابن القيم: «إن الحور مأخوذ من الحَوَر في العين وهو: شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين... ولا تُسمىٰ المرأة حوراء حتىٰ يكون مع حور عينها بياض لون الجسد»[2].

أما «العين» فلا تطلق إلا علىٰ ذوات الأعين الواسعة الفاترة الكحيلة رقيقة الحاجب طويلة الأهداب[3]، وقد ذكر ابن القيم نحو ذلك في (حادي الأرواح).

قال البحتري:

بحمرتٍ في خدود البيض مشربة وفترة في جفون الأعين الحور

ممَ خلقت الحور؟

ورد في المادة التي خُلِقت منها الحور أحاديث كثيرة، بعضها صحيح وبعضهاضعيف وأخرىٰ موضوعة، وقد وردت أحاديث أيضاً موقوفة علىٰ بعض الصحابة تحدد المادة التي خُلِقت منها الحور وهي بمجملها - باستبعاد الموضوع منها - تُبين المادة المخلوقة منها: وهي مادة الزعفران فعن أبي أمامة -

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجنة في القرآن، سليمان رطروط.

رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**خلق الحور العين من الزعفران**»[1] وقد تعقبه ابن القيم وأثبت أن هذا الحديث موقوف على ابن عباس.

وقد أخرج أبو نعيم الأصبهاني بسند ضعيف عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة ريقها، وخلقت الحوراء من الزعفران**»[2].

وعن أبي سلمه عن عبد الرحمن: «**إن لولي الله في الجنة عروساً لم يلدها آدم ولا حواء ولكن خلقت من الزعفران**» أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وقد روى هذا عن صحابيين جليلين هما ابن عباس وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ.

وقد روى ابن الديلمي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**الحور العين خلقن من تسبيح الملائكة فليس فيهن أذى**» وسأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أي شيء خلق الله الحور العين؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**من ثلاثة أشياء: أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر وأعلاهن من الكافور وشعورهن وحواجبهن سواد خط من النور**»[3].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**سألت جبريل ـ عليه السلام ـ فقلت: أخبرني كيف يخلق الله الحور العين؟ فقال لي: يا محمد يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران مضروبات عليهن الخيام وأول ما يخلق الله منهن نهداً من مسك آذفر أبيض عليه يلتئم البدن**»[4].

وقال عبد الله بن عباس: «**خلق الله الحور العين من أصابع رجلها إلى ركبتها**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم ٢٩٠ وأبو نعيم برقم ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

(٢) ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» ٣/ ١٢٣.

(٣) اخرجه الترمذي، وذكره القرطبي في «التذكرة».

(٤) ذكره القرطبي في «التذكرة».

من الزعفران ومن ركبتها إلىٰ ثدييها من المسك الأذفر ومن ثدييها إلىٰ عنقها من العنبر الأشهب ومن عنقها إلىٰ رأسها من الكافور الأبيض» .

قال الشاعر :

عـرضت إلىٰ وجـه الحبيب وراعني غــزال عليــه زعــفــران مــضــرج

والحاصل: أن الحور العين كرامـة من الله العظيم ، والعظيم إذا أعطىٰ وإذا قـال خذوا أجـزل ، والجنة طاهرة مطهـرة لا يسكنـهـا إلا طـاهر ، ومن جـملة ساكنيها الحور العين ، فطهرهن الله ـ عز وجل ـ من النقائص والأنتان والأذىٰ فخلقهن خلقاً آخر جعل مادته مطهـرة جميلة وهي الزعفـران ، زعفـران الجنة وليس زعفران الدنيا ولا يوجد في الجنة شيء مما يوجد في الدنيا غير الأسماء ، فنساء الدنيا وهن مخلوقات من الطين والدم المحشو بالأذىٰ والنقـائص نراها في أكـمل صورة وأحسنها فتفتن من يراهـا من الرجال ، وتأخـذ بمجامع قلبه ، فـما بـالك بالحور هنـاك؟ ! وقد خلقن مـن زعفـران الجنة ولذا يقـول ابن القـيم : «وإذا كـانت الخلقة الآدمـية التي هي مـن أحسن الصـور وأجـملهـا مـادتهـا من تراب وجاءت الصـورة من أحسن الصـور ، فما الظن بصورةٍ مخلوقـةٍ من مادة الزعفران الذي هناك؟ ! » .

تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ** ﴾ [يس : ٥٥] :

ذهب حبـر القـرآن ابن عبـاس ، وابن مـسـعـود وسعـيـد بن المسيب والحسن وقـتـادة وغيرهم في تـفـسير هذه الآية أن شـغلهـم «افـتـضـاض الأبكار» ورجح القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن هذا التفسير .

فقد روىٰ ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ، في قوله : في شـغل فـاكـهـون قال : «شـغلهـم الافـتـضـاض»[1] ، وكـذا روىٰ مثله عن ابن

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ، وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» .

عباس، وذكر[1] ابن القيم عن عكرمة في تفسيره لهذه الآية. قال: «في افتضاض الأبكار» وعن الأوزاعي في تفسيره لهذه الآية قال: «شغلهم افتضاض الأبكار»[2].

وقال مقاتل: «شُغلوا بافتضاض العذارىٰ عن أهل النار، فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم»[3].

وقال أبو الأحوص: «شُغِلوا بافتضاض الأبكار علىٰ السرر الحجال».

وقال بعضهم: «بافتضاض الأبكار علىٰ ضفاف الأنهار».

قلت: والذي أراه والله أعلم: أن كلمة شغل عامة وافتضاض الأبكار من ضمن شغلهم فالأكل شغل والشرب شغل والتزاور شغل وتقليب الأنظار والأبدان في النعم شغل.. الخ، فالجنة نعيمها غير محدود، وبالتالي كل تنعم بهذا النعيم يسمىٰ شغلٌ قال تعالىٰ: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة:١٧] فالله أعلم ما يخفي لأهل جنته من الكرامات التي يشتغلون بها.

ولكن تفسير عمالقة التفسير لهذه الآية: «بافتضاض الأبكار» دلالة علىٰ عظيم هذا النعيم ومحبة النفس له، فكل يوم مع فتاة من الحور أجمل وأبهىٰ من أختها في شكل جديد وزينة جديدة يجالسهن ويلاعبهن ويفتض بكارتهن بلا حساب.

---

(١) في كتابه حادي الأرواح.

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» رقم ٣٦١.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره، وعزاه لسعيد بن المسيب وغيره بلفظ: «أصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصي ومصيرهم إلىٰ النار وما هم فيه من أليم العذاب وإن كان فيهم أقرباؤهم وأهلوهم»

أوصاف أخرى متنوعة

شفافية التكوين البدني وبراعة حسنهن:

قال تعالىٰ : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن : ٥٨] من جماليات الحور صفاء البشرة وشفافيتها لما وراءها من اللحم والعظم ، وهو أشبه بشفافية الزجاج بل أبهىٰ وأجمل ، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في شفافيتها : **«كما يرىٰ الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء»**[١] ، وقد أخطأ كثير من الناس حينما ظنوا في هذه الصفة أنها صفة منافية للجمال ، تمجها النفس قياساً بنساء الدنيا ، وما هذا إلا من شدة جهلهم ؛ لأن نساء الجنة مغايرات في خَلْقِهِنَّ كل المغايرة عن نساء الدنيا ومطهرات من الدم ؛ لأنه نجس والجنة لا نجس فيها ، فهن مخلوقات من الزعفران والمسك وغيره ـ كما مر ـ فإن شَفَّ الجلد عما وراءه من اللحم والعظم إنما هو قمة الجمال لأن الرجل في الجنة يقلب نظره في جمالها الداخلي والخارجي ، ولذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الذي رواه أبو هريرة **«لكل امرئ منهم زوجتان ، كل واحدة منها يرىٰ مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن»**[٢] ووجه الاستشهاد في الحديث أن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيَّن العلة من هذه الشفافية بالبدن بقوله : **«من الحسن»** إذن هذه صفة حسن وجمال حكم بها من لا ينطق عن الهوىٰ ، وليس راءٍ كمن سمع .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ يبين كيفية الشف عما وراءها : **«وإنه لينظر إلىٰ مخ ساقيها كما ينظر أحدكم إلىٰ السلك في قصبة الياقوت»**[٣] ، وقد علق عليه

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) حسن : أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم وله شواهد عند الترمذي والبيهقي ، وغيرهم ، وقد حسنه الألباني في «غاية المرام» .

الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ وقال: «ولا يظن ظان أن هذه الصفة قبيحة مقززة تشمئز منها النفوس، بل هي صفة جمال خلقها الله وأرادها جمالاً...».

وليست هذه الصفة بالجلد فقط بل هي شاملة لكل أنسجة أعضائها الداخلية والخارجية، فقد صح عن النبي ﷺ: **«وكبدها له مرآة»**[١].

وقال أيضاً: **«وأنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلىٰ يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها»**[٢]. قال ابن عباس: «إذا أَقبلت يرىٰ كبدها من رقة ثيابها وجلدها»، وشفافية الجلد لا تتنافىٰ مع ما ورد في بعض الأحاديث من أن الرجل يرىٰ وجهه في صدرها فهو مع شفافيته عاكس أيضاً من رقة الجلد وبضاضة البشرة وصفاء اللون ـ كما سيأتي ذكره ـ وروىٰ ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن عكرمة أنه قال: «إن الرجل من أهل الجنة يرىٰ وجهه في وجه صاحبته، وترىٰ وجهها في وجه، ويرىٰ وجهه في نحرها، وترىٰ وجهها في نحره، ويرىٰ وجهه في ساعدها، ويرىٰ وجهه في ساقها وترىٰ وجهها في ساقه»[٣].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«فينظر وجهه في خدها أصفىٰ من المرآة»**[٤].

قال الشاعر:

وحوراء من حور الجنان مصونة ... يرىٰ وجهه في وجهها كل ناظر

فمن خلال الوصف الذي انطوت عليه سياقات الأخبار الصحيحة الواردة في لون الحور العين ووصف بدنها ندرك مغايرة الخِلْقَة التي عليها الحور عن خِلْقة نساء الدنيا تماماً، فإن كان مخ الساق يبين من وراء اللحم بحيث يعطي

---

(١) الحديث جزء من الذي قبله.

(٢) أخرجه أبو نعيم وغيره.

(٣) روىٰ هذا الأثر أيضاً ابن المبارك في «الزهد».

(٤) رواه الإمام أحمد وابن حبان وأبو يعلىٰ.

صورة شفافية فهذا يدل على أن تكوين أنسجة نساء الجنة يختلف عن تكوين أنسجة نساء الدنيا بمعنى أنه خَلقٌ خاص يُرجَح أن يكون نورانياً. والله أعلم.

قال سبط التعاويذي:

وخلائق مثل النجوم تخالها   مخلوقةً من جوهر شفافِ

وقال العباس بن أحنف:

فالجسم من لؤلؤ والشعر من ظلم   والنشر من مسكه والوجه من نور

عرباً أتراباً:

عرباً: جمع عَرُوب، وهي المرأة المتحببة لزوجها، وحسنة التبعل. وقال ابن الأعرابي: «العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه»[١]. وقال ابن القيم في بيانها: يريد حسن موافقتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقيل: الغنجات، وقيل: المتغلمات، وقيل: العواشق، وقيل: المتحببات من الضرائر والمجتمعات على طاعته ورضاه.

والصحيح أن كل هذه الصفات تندرج تحت العُرُب بل وأكثر من ذلك، وعن شدة حبهن واشتياقهن لأزواجهن ما ورد عن أحمد بن الحواري أنه قال: «سمعت أن أبا سليمان يقول: تبعث الحوراء من الحور الوصيف من وصائفها فتقول: ويحك اذهب فانظر ما فُعل بولي الله فتستبطئه، فتبعث وصيفاً آخر فتستبطئه، فتبعث وصيفاً آخر، فيأتي الأول فيقول: تركته عند الميزان، ويأتي الثاني فيقول: تركته عند الصراط، فيأتي الثالث فيقول: دخل باب الجنة فيستقبلها الفرح، فتقوم على باب الجنة، فإذا أتى اعتنقته فيدخل خياشيمه من ريحها ما لا يخرج أبداً»[٢].

أما أتراب: أي متساويات في السن، كما قال ابن عباس، وأنس،

---

(١) لسان العرب مادة «عرب»، ابن منظور.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا.

ومجاهد، والحسن وعكرمة، وقتادة، وغيرهم.

والأتراب في اللغة كما قال ابن منظور: «اللِّدة السِّن» وقد فسر ثعلب هذه اللفظة فقال: «الأتراب هنا الأمثال، وهو حسن إذ ليس هناك ولادة» وقال القرطبي: «أتراب، أي على سن واحدة»

وذكر عن ابن عباس: «أن الأتراب يكون للآدميات في الجنة»[١]، وقال القرطبي في التذكرة: «ذكر أن الآدميات في الجنة على سن واحدة، وأما الحور العين فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهت أنفس أهل الجنة»[٢].

*** مسألة:**

ما سبب كونهن أتراب على سن واحدة؟

أجاب بعض العلماء بأن هذا أبلغ في المحبة؛ لأن التحاب بين الأقران أرسخ وقال صاحب الفتوحات الإلهية في ذلك: «وهو آكد في الائتلاف»[٣].

والذي أراه - والله أعلم - أن سبب ذلك: هو العدل الإلهي؛ لأن توحد الأعمار خاص بنساء الدنيا - الآدميات - اللآتي دخلن الجنة، فإن كانت إحداهن صغيرة والأخرى أكبر منها لوقر في نفسها شيء من ذلك ولحزنت، ولكن الله - عز وجل - أعدل العادلين جعلهن على سنٍ واحدة ليزيل الحزن ودواخل النفوس في الجنة، ويكون أعمار الآدميات في الجنة ثلاثاً وثلاثين سنة شرخ الشباب وفوق ذلك فهنَّ ملكات الحور وأفضل منهن.

قال ابن قيم الجوزية: «والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء»[٤].

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٥ .

(٢) هذا فصل في كتاب «التذكرة» للقرطبي.

(٣) الفتوحات الإلهية، الجمل ج٤ .

(٤) حادي الأرواح، ابن القيم.

*** مسألة:**

ما سبب تسميتهن بـ «أتراب»؟

وسبب ذلك أحد أمرين:

الأول: تشبيهاً بالتساوي والتماثل في الترائب التي هي ضلوع الصدر، لأن ضلوع الصدر متساويات.

الثاني: لسقوطهن معاً في وقت واحد على تراب الأرض حين الولادة ومسهن التراب في الوقت نفسه(١).

وعن أم سلمة في حديثها الطويل أنها قالت: قلت يا رسول الله: أخبرني عن قوله: «عرباً أتراباً» قال: **«هن اللاتي قبضن في الدنيا عجائز رمصاً(٢) شمطاً(٣) خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارىٰ(٤) عرباً متعشقات محببات، أتراباً علىٰ ميلاد واحد»(٥).**

وفي النونية:

وهي العروب بشكلها وبدلّها	**وتحبب للزوج كل أوانِ**
وهي التي عند الجماع تزيد في	**حركاتها للعين والآذان**
لطفاً وحسن تبعل وتغنج(٦)	**وتحببٍ تفسير ذي العرفان**

وقال:

أتراب سنٍ واحد متماثل	**سن الشباب لأجمل الشبان**

---

(١) ذكر هذا الألوسي في «روح المعاني» ج٢٣، وانظر تفسير «النكت والعيون» للماوردي ج٣.

(٢) رمصاً: الرمص هو، وسخ أبيض جامد يجتمع في موق العين.

(٣) شمطاً: الشمط هو، الشيب.

(٤) عذاري: جمع عذراء وهي المرأة البكر.

(٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وابن كثير في «صفة الجنة».

(٦) الغنج: بالضم وبضمتين وكغراب الشكل وهي التكسر في الحديث، وقيل: ملاحة العينين.

كواعب :

الكواعب : جمع كاعب، وهي الناهد.

والكاعب من النساء في اللغة : هي مستديرة الثدي . قال ابن منظور : «وكعبت الجارية . . . . . . نهد ثديها»[١] .

وقال الراغب : «وامرأة كاعب، تكعب ثدياها»[٢] .

وقال ابن كثير : «كواعب : أي نواهد، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكاراً عرب أتراب»[٣] .

وأصل اللفظة من الاستدارة . قال ابن القيم : المراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلىٰ أسفل، ويسمين نواهد .

قال الألوسي : «كواعب جمع كاعب، وهي المرأة التي تكعب ثدياها واستدارا مع ارتفاع يسير، ويكون ذلك في سن البلوغ وأحسن التسوية»[٤] .

والحاصل : أن المرأة الكاعب هي مستديرة النهد مع صِغَرٍ فيه بقدر ملء قبضة اليد ووصف الله ـ عز وجل ـ لهن «كواعب» دلالة علىٰ ارتفاع قدر هذه الصفة وشدة جمالها لأن الأثداء إن كانت صغيرة مستديرة قائمة يكون لها من الجمال ما لا يكون للأثداء المتدلية اللاحقة للبطن ولذا قال ابن القيم في نونية :

لا الظهر يلحقها وليس ثديها ... بلواحق للبطن أو بدوان
لكنهن كواعب ونواهد ... فثديهن كألطف الرمان

وقال أبو تمام :

كواعب أتراب لغيداء أصبحت ... وليس لها في الحسن شكل ولا ترب

---

(١) لسان العرب ج١ .
(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب.
(٣) تفسير ابن كثير ج٤ .
(٤) روح المعاني، ج٣٠ .

وقال عبيد بن الأبرص:

وفوق الجمال الناعجات كواعب مناميص أبكارٌ أوانس بيض

قاصرات الطرف:

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦].

وقال: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢].

في الآيات السابقة يخبر الله ـ عز وجل ـ عن الحور العين بصفة من صفاتها، وإذا عُرِفَتْ الذات بصفة من صفاتها كان ذلك دلالة على اشتهارها وتميزها بهذه الصفة مثل أن تتحدث عن امرأة بها صفات كثيرة منها البياض، فتقول جاءت البيضاء وذهبت البيضاء وتحدثت البيضاء، فهذا دلالة على شدة بياضها وتميزها بها والحور العين متميزات بكل الصفات فالله ـ عز وجل ـ تحدث عنهن وأخبر عنهن بصفة من هذه الصفات فقال: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ومعنى هذه الصفة كما فسرها العلماء أنهن: «عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن»[1]. وقال الراغب: «قاصرتُ الطرف لا تمد طرفها إلى ما لا يجوز»[2] وقال ابن قتيبة: «قاصرات الطرف: أي قصرن أبصارهن على الأزواج، ولم يطمعن إلى غيرهم»[3] أما مجاهد فقال: «مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ»[4].

أما **ابن القيم** فقد لخص هذه الأقوال بقوله: «المفسرون كلهم على أن المعنى يقصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، وقيل: قصرن طرف

(١) تفسير القرطبي وابن كثير وغيرها.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٤٠٥، الراغب.
(٣) تفسير غريب القرآن ص٣٧١.
(٤) رواه الطبري في تفسيره وابن أبي شيبه وأورده السيوطي في «الدر المنثور».

أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلىٰ غيرهن، وهذا صحيح من جهة المعنىٰ، وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلىٰ الفاعل لحسان الوجوه، وأصله قاصر طرفهن، أي ليس بطامح متعدٍ»(١) ومعنىٰ كلامه أن الحور يقصرن طرفهن علىٰ أزواجهن، فلا ينظرن إلىٰ غيرهم، وهذا رأي الأغلب من المفسرين، أو يقصرن طرف أزواجهن عليهن فلا ينظرون إلىٰ غيرهن لشدة جمالهن، وهذه الصفة «قصر الطرف» ليس بسبب الحواجز والحبس حتىٰ لا ينظرن إلىٰ الرجال، وإنما بسبب العفة في النفس والطبع المجبولة والمخلوقة عليه. فأكبر نعيم للحور في الجنة ـ بعد رؤية الله ـ رؤية الزوج ومجالسته وملاعبته. . . نسأل الله من فضله.

وقد مدح العرب النساء القاصرات الطرف فقال العباس بن الأحنف:

من القاصرات الطرف أما وشاحها فيبكي وأما الحجل منها فصائم

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وغضيض الطرف مكسال الضحىٰ أحور المقلة كالريم الأغن

وقال امرؤ القيس:

من القاصرات الطرف لو دب محولٌ من الذر فوق الإتب منها لأثّرا

مبرآت من رذائل الخَلْقِ والخُلُق:

وهذه صفة يندرج تحتها صفات كثيرة؛ لأن الله خلقها فقال لها: كوني كاملة بكل شيء، فكانت كما أراد الله كاملة خَلقاً وخُلقاً فلو سار الفكر وهام في خياله لما أدرك جزءاً مما عليه الحور من جمال الطباع والهيئة شكلاً ومضموناً. فهن مبرآت من: الغضب والغيرة والكذب والنظر لغير الأزواج والكره والملل والبصاق والمخاط والحيض والعرق والنتن والقيء والبول والغائط والنفاس والقذىٰ وغيرها من صفات النقص في المرأة، فهي مبرأة

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

منها مخلوقة في أجمل صورة كما بينت ذلك الآيات والأحاديث.

قال - تعالىٰ - في ثلاث سور متتاليات [البقرة، وآل عمران، و النساء]: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال ابن عباس: «مطهرة من القذر والأذىٰ»(١)، وقال مجاهد: «لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن»(٢) وعن عبد الله قال: «... لا مرحات ولا دفرات ولاسخرات ولا طماحات».

ومعنى هذا:

لا مرحات: نَفْيٌ للمرح الزائد عن حده الذي يذهب بوقار المرأة وهيبتها وحسن سمتها.

ولا دفرات: الدفر، هو النتن. أي غير منتنات بل مطهرات.

ولاسخرات: أي غير مستهزءات، فالاستهزاء، صفة ذم للمرأة.

ولا طماحات: أي لا تمتد أبصارهن إلىٰ غير أزواجهن، ولكن قاصرات الطرف.

قال ابن القيم في النونية:

وإذا انحدرت رأيت أمراً هائلاً	**ما للصفات عليه من سلطان**
فخذان قد حفًا به حرساً له	**فجنابه في عزةٍ وصيان**
لا الحيض يغشاه ولا بولٌ ولا	**شيء من الآفات في النسوان**

وقال العباس بن الأحنف:

بأحسن صورة وأتم خلق	**يُزين حسنها دلٌ مليح**

وعن إسحاق بن عبد الله قال: بلغني أن الولي يقول في الجنة: أشتهي العين، فيقال له: فإنهن حور عين، فيقول: اشتهي البياض، فيقال: كأنهن

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٦٦.

(٢) تفسير القرطبي.

بيض مكنون، فيقول: أخشى أن يكون في وجهها كلف، فيقال له: كأنهن الياقوت والمرجان، فيقول: أخشى أن تكون خفيفة، فيقال له: حور مقصورات في الخيام، فيقول: إني غيور، فيقال له: لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان»[١].

وقال مالك بن دينار: «جنات النعيم بين جنات الفردوس وجنات عدن، وفيها جواري خُلقن من ورد الجنة، قيل: ومن يسكنها؟ قال: الذين هموا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي»[٢].

وهذه الحور لا تزيد على مرِّ الدهور إلا جمالاً وتحبباً لزوجها.

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: «يقعد الرجل من أهل الجنة مع زوجته فتناوله الكأس، فتقول: لأنت منذ ناولتك الكأس أحسن منك قبل ذلك سبعين ضعفاً، قال: وعليها سبعون حلة ألوانها شتى، يرى منها مخ ساقها» رواه ابن أبي الدنيا في (صفة الجنة).

مشرقة البشرة ساطعة النور:

ومن الصفات التي تتصف بها الحورية إشراقة البشرة وسطوع نورها، فهي مشعة بذاتها ونورها أشد من ضوء الشمس، وقد يقع كثير من الناس في سوء فهم لهذه الصفة، ويلتبس عليه الأمر فيها فيظن أن الحور العين - إن كانت أشد ضوءاً من الشمس - يظن أنها محرقة لمن يلمسها أو مجهرة لمن يراها وينظر إليها، وأن البصر لا يحتمل رؤيتها وهذا غير صحيح؛ لأن من يدخل الجنة ينشئة الله نشأة أخرى، تتحمل جمال ونور الجنة والنعيم فيها، بل تتحمل رؤية الله - عز وجل - تحملاً لم يتحمله الجبل والذي خرج للجبل إنما هو قيد أنملة من نور وجه الله - جل جلاله وتقدست اسماؤه -، ثم إن للجنة قوانينها

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة».

(٢)رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة».

المغايرة لقوانين الدنيا بكل شيء، والنبي ﷺ حينما بين هذه الصفة عبر بلفظ «الضوء» ليزيل ما يلتبس بالذهن من حر الشمس المؤذية فقال - عليه الصلاة والسلام -: **«لَسَدّ ضوؤها ضوء الشمس»** وهناك فرق واضح وبون شاسع بين ضوء الشمس النير، وحر الشمس المحرق.

قال - عليه الصلاة والسلام -: **«لو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت من السماء لَسَدّ ضوؤها ضوء الشمس، ولَوُجِد ريحها بين الخافقين، ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها»**[1]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **«يسطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»**[2] وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«فبأي بنان تعاطيه لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤه ضوء الشمس»**[3].

وعند البخاري أن النبي ﷺ قال: **«لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً»**[4].

وعن سعيد بن جبير، قال: سمعت ابن عباس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض»[5].

وقد روى ابن أبي الدنيا بسنده عن جعفر بن محمد، قال: لقي حكيم حكيماً بالموصل، فقال له: «تشتاق إلى الحور العين؟ فقال: لا قال: فاشتق إليهن فإن نور وجوههن من نور الله - عز وجل -، فغشي عليه، فحُمل إلى منزله فأقمنا نعوده شهراً».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الحديث فيه مقال.

(٣) أخرجه الطبراني في إسناده عن أنس، وأخرجه الهيثمي.

(٤) رواه البخاري..

(٥) حادي الأرواح، ابن القيم، ابن أبي الدنيا، الترغيب والترهيب.



وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال: لو أن يداً من الحور دُليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت يدها فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله وتاجه بياقوته ولؤلئه وزبرجده»[1] وذكر ابن وهب ـ كما مر ـ عن محمد القرظي: «لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر، فكيف المسورة؟!»[2].

ويضاف إلى نورها المشع بذاته نور ما تلبسه من الحلي والجواهر من الذهب واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والتيجان والملابس أيضاً، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«وإن عليهم لتيجاناً إن أدنى لؤلؤة فيه لتضيء ما بين المشرق والمغرب»**[3].

ريحها الطيب بلا عطورات ولا مستحضرات:

بينت الأحاديث الكثيرة هذه الصفة فالحور العين بخلاف نساء الدنيا فنساء الدنيا تفرز أجسادهن روائح نتنة من العرق وغيره، أما الحور العين فهي تفرز الأطياب والأرياح الجذابة، ما بالك بامرأة خلقت من زعفران الجنة ثم تعرقت؟! قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«يأكل أهل الجنة، ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك»**.

وفي المسند أن رجلاً من أهل الكتاب سأل النبي ﷺ عن تصريف الطعام بعد أكله فقال: **«تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك»** ومعنى الرشح: العرق.

وروى البخاري ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: **«لو اطلّعت امرأة من**

---

(١) رواه ابن المبارك في «زيادات الزهد» ورواه ابن أبي الدنيا، الترغيب والترهيب.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه في «حلي أهل الجنة»

نساء **أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً»**(١)، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في ريحها: **«لوجد ريحها من بين الخافقين»**، وعند الإمام أحمد زيادة **«ولطاب ما بينهما»** ومما مضى من الأحاديث يتبين أن الحوراء تتمتع بريح طيبة وبشكل دائم يرشح من جسدها، وما ذاك إلا لكمالها، ولأنها خلقت من مادة الجنة، وهذا لا يمنع من وجود الطيب في الجنة والتطيب منه فقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة صحيحة. . . والله أعلم.

قال الشاعر(٢):

مناصبها بيض وأجفانها خضر ... وأحداقها صفر وانفاسها عطر

ارتفاع قدرهن:

قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

والمراد بالفرش في هذه الآية النساء؛ لأن الفرش محل النساء، وقد ورد عند العرب تسمية النساء بالفرش، وهذا كثير في كلامهم ويُسمى في علم البلاغة بـ «المجاز المرسل» وعلاقته المحلّية أي أن الفرش محل النساء، والرفع كلمة شاملة يندرج تحتها رفعهن على غيرهن من نساء الدنيا، فيكن مرفوعات عن الدنس والنقص وكافة العيوب، ويشمل أيضاً رفعهن في قلوب أزواجهن لشدة حبهم لهن والميل إليهن.

عذوبة ريقهن:

ومن الصفات المحمودة التي تُمدح بها المرأة (عذوبة الريق) وهو أفضل ما يكون في النساء الصغيرات، وأفسد وأسوأ ما يكون في النساء الكبيرات، وقد تغنى به الشعراء، وتمناه الأمراء حتى قال الشعراء فيه:

مفلجة الأنياب لو أن ريقها ... يداوي به الموتى لقاموا من القبر

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) البيت لأبي النواس.

وقال الثاني:

ولو أنها تفلت في البحر والبحر مالح لأصبح ماء البحر من ريقها عذباً

وقال الآخر:

تولد نور النور من نور وجـهـها وما زج طيب الطيب من خالص العطر
فلو وطئت بالنعل منها على الحصى لأعشبت الأحجار من غير ما قطر
ولو شئت عقد الخصر منها عقدته كغصن من الريحان ذي ورق خضر
ولو بصقت بالبحر شهد لعابها لطاب لأهل البر شرباً من البحر

وقد رغب فيه النبي ﷺ ففي بعض الروايات في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لجابر بن عبد الله: **«مالك وللعذارى ولعابها»** أي مَصَّ ريقها، وفي هذا تفضيل للعاب البكر على الثيب، وقد ثبت أن النبي ﷺ: **«كان يمص لسان عائشة»** - رضي الله عنها -.

والحور العين أفضل بلا شك من كل نساء الأرض، وهي بلاشك تمتلك هذه الصفة، وقد ورد حديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة ريقها»**(١) ومما يزيد من عذوبة ريقهن جمال موضع ذاك الريق جمالاً حسياً ومعنوياً، وجمال الفم امتدحته العرب وعَدُّوه من أساسيات الجمال عند المرأة.

قال الشاعر:

متبسم عن لؤلؤ متلألئ ونواعم مثل البدور حسان

وقال الشاعر:

إنما يضحك عن لؤلؤ منظماً أو برداً أو أقاحي

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» برقم ٣٨٦، وابن أبي الدنيا في «الترغيب والترهيب»، والحديث فيه كلام.



وقالوا في امتداح الكلام الخارج من الفم:

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

كأن في فيها وفي طرفها ... سواحر أقبلن من بابل

صفات أخرى من القرآن

١ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) ﴾ [الواقعة: ٢٢ـ٢٣].

في هذه الآية وصف للحور العين، وهو أن أهل الجنة يُزَوجون بحور عين يشبهن اللؤلؤ المحفوظ، الذي لم تمسه الأيدي وغيرها من الغبار وغيره فهو أشد صفاءً وتلألؤاً، ولك أن تتخيل بهاء وجمال اللؤلؤ وشدة لمعانه قبل إخراجه من الأصداف.

٢ـ قوله تعالىٰ: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠].

وهذه إحدىٰ صفات الحوراء، وهي أن الحور العين يتمتعن بصفتين:

الأولى: أنهن ﴿ خَيْرَاتٌ ﴾ أي: خَيِّرات الأخلاق بكل ما تحمل هذه المفردة من معاني ودلالات خلوقة مع نفسها وخلوقة مع زوجها ومع باقي لداتها من الحور خلقها الله وفطرها علىٰ كمال الخلق الذي تمدح به المرأة، فلا يصدر منها إلا كل خير.

الثانية: ﴿ حِسَانٌ ﴾ أي جميلات حسان الوجوه والأبدان تحمل كل مقاييس الجمال الحسية من الشعر حتىٰ أخمص القدمين. قال القرطبي في التذكرة «الخيرة: ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره، واختيار الله لا يشبه اختيار الآدميين، ثم قال: حسان فوصفهن بالحسن فإذا وصف خالق الشيء شيئاً بالحُسْن فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن؟».

قال أبو هلال العسكري:

حسان الوجوه كالرياض أنيقة   تخيط لها كف الغمام وتنسج

٣ـ قوله تعالىٰ: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢].

أي محبوسات ومستورات في الخيام، والخيمة درة مجوفة وحبسهن حبس

صيانة وتكريم، وهذا الحبس ليس صفة دائمة، وإنما مؤقتة حتىٰ يدخل زوجها الجنة، فتنصدع عنهن الخيام، فيخرجن منها أو قد يكون الحبس لهن مؤقتاً إن دعت الحاجة إليه كأن يزوره أخ له من جنة أخرىٰ والله أعلم.

قال القرطبي: «وقد بلغنا في الرواية: أن سحابة مُطرت من العرش فخلقهن من قطرات الرحمة ثم ضرب علىٰ كل واحدة خيمة علىٰ شاطئ الأنهار، سعتها أربعون ميلاً وليس لها باب، حتىٰ إذا حل ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المؤمنين من الملائكة والخدم لم تأخذها»

قال أبو اسحاق الألبيري:

مَقْصورةٌ في قُبةٍ مِنْ لُؤلؤٍ ... دُخِرت ثَواباً للمُصَابِ الصابرِ

٤ ـ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقد ذكر الله هذه الصفة في ثلاثِ سور متتاليات هي (البقرة وآل عمران والنساء) فقال: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي مطهرات من كافة النقائص من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد والعرق النتن وكلمة «مطهرة» تحمل المعنىٰ الحسي كما مر، وتحمل أيضاً المعني المعنوي من أنها مطهرة من رذيل الخلق والله أعلم.

٥ ـ ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨].

أي من صفات الحور أنهن قاصرات أعينهن وأنفسهن وقلوبهن علىٰ أزواجهن فقط، لا ترىٰ أحداً مثله ولا تتطلع إلىٰ غيره، قد ملأ عينها وقلبها فزهدت عن غيره من الرجال، ولفظ الآية يدل علىٰ ما ذهبنا إليه ورجحناه في مبحث عدد أزواج الجنة في أن عدد أزواج أهل الجنة أكثر من زوجتين، فقد قال تعالىٰ: ﴿قَاصِرَاتُ﴾ وهذه اللفظة جمع تأنيث تدل علىٰ أن لأهل الجنة أكثر من زوجتين، والله أعلم بالصواب.

قال صاحب النونية:

من قاصرات الطرف لا تبغي سوىٰ	**محبوبها من سائر الشبان**
قصرت عليه طرفها من حسنه	**والطرف في ذا الوجه للنسوان**
أو أنها قصرت عليه طرفه	**من حسنها فالطرف للذكران**
يا مطلق الطرف المعذب في الألىٰ	**جُردن عن حسن وعن إحسان**
قَبُحت خلائقها وقُبِّح فعلها	**شيطانة في صورة الإنسان**

٥ - ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [ص: ٥٢].

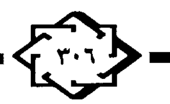
في هذه الآية أضاف - سبحانه - صفة إلىٰ الصفة السالفة، وهي أن أعمارهن متساوية في سنٍ واحدة، بنات ثلاثٍ وثلاثين سنة شرخ الشباب وعنفوانه وهذا خاص بنساء الدنيا من المؤمنات اللاتي دخلن الجنة بخلاف الحور العين اللآئي خُلقن من الجنة كما ذكر سابقاً، والله أعلم بالصواب.

وقد سألت أم سلمة النبي ﷺ عن بعض هذه الصفات مما أشكل عليها في حديث رواه الطبراني حيث قالت «قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالىٰ: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ قال: **«حُور: بيض، عيْن: ضخام العيون، وشفرُ**[1] **الحوراء بمنزلة جناح النسر»** قلت: أخبرنيِ عن قوله تعالىٰ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾[2] قال: **«صفاؤهن صفاءُ الدُّرِّ الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي»** قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ قال: **«خيرات الأخلاق حسان الوجوه»** قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال: **«رقتهن كرقة الجلدِ الذي رأيت في داخل البيضة بما يلي القشرة وهو الغرقي»** قلت: يا رسول أخبرني عن قوله: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ قال: **«هن اللآتي قُبضن في دار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارىٰ**

---

(١) حرف الجفن الذي ينبت عليه الهُدب.

(٢) في الطبراني ومجمع الزوائد **«كأنهن لؤلؤ...»**.



عُرباً متعشقات محببات، أتراباً على ميلادٍ واحد» قلت يا رسول الله: نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: **«بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارةِ[١] على البطانة»** قلت: يا رسول الله بماذا؟ قال: **«بصلاتهن، وصيامهن وعبادتهن، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي مجامرهن[٢] الدُّرّ وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس[٣]، ونحن المقيمات فلا نظعنُ[٤] أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط[٥] أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا»**[٦] .

قال **ابن القيم الجوزية** في وصف الحور العين: «وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، فللوردِ والتفاح ما ألبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسنِ وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حُبَّها فقل ما تشاء في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً، وتكبيراً، وتسبيحاً، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين،

---

(١) ظهارة الثوب: هو ما يظهر للعين منه ولا يلي الجسد، وهو خلاف البطانة.

(٢) المجامر: جمع: مجمر. وهو الذي يوضع فيه الجمر للبخور.

(٣) البؤس: شدة الحزن.

(٤) الظعن: الارتحال.

(٥) السخط: الكراهية للشيء، وعدم الرضا به.

(٦) رواه الطبراني.

ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمسُ ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم. ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها. قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحدٍ سواه. وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه. إن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته، أطاعته. وإن غاب عنها حفظته، فهو معها في غاية الأماني والأمان. هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثورا. وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً، وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر؟ وإن سألت عن الحدق فأحسن سوادٍ في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان؟ وإن سألت عن النهود فهن الكواعب نهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر، وإن سألت عن حسن العشرة، ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس منتقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة.

وحديثُها السحرِ الحلالُ لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرر
إن طال لم يملل وإن هي حدثت ... ودَّ المحدثُ أنها لم توجز(١)

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع ؛ وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع ، وإن قبلت فلا شيء أشهىٰ إليه من ذلك التقبيل ، وإن نوَّلت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل(٢) .

ورویٰ ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم الثقفي ، قوله كان عيسىٰ بن زاذان ربما رَقَّ في مجلسه فيبكي ويضم إليه عمار بن الراهب ثم يقول بصوته الحزين :

حسبك يا عمار من دار قلعة ... جنان بها الخيرات يرفلن في الحلل
ويمشين هوناً في الجنان أمامهم ... خيامٌ من الدُّرِّ المجوف في الطلل
إذا برزت حوراء حف بها إليها ... وأشرقت الفردوس والقوم في شغل
تفاكه أزواج لكل مكرم ... علىٰ فرش الديباج والعيش قد كمل
وطافت بها الولدان من كل جانب ... ونودي ولىٰ الله يجزىٰ بما عمل

قال : فكان يحتضنه ثم يتباكيا حتىٰ يسقط هذا هنا مغشياً عليه وهذا ها هنا مغشياً عليه .

قال سليمان حسن في وصف الحور العين : «هنَّ عذارىٰ لم يمسسهن ولم يجامعهن إنس ولا جان مطهرات ومنزهات عن الجماع ، وأما أجسادهن فبيضاء شفافة مشربة بصفرة كالمرجان واللؤلؤ المستخرج من الأصداف ، أما وجوههن فهي في غاية الجمال والبهاء فهي بيضاء مُشربة بحمرة الياقوت وصفاء المرجان ، أما العيون : فجميلة النظرات واسعة الأحداق شديدات سواد المقل شديدات البياض فاترات الجفون رقيقات الحواجب مما يجعلها

---

(١) البيتان لابن الرومي .
(٢) حادي الأرواح ، ابن القيم .

تأخذ العقول والألباب، وهن في سن الشباب فلسن بالعجائز المترهلات الأجسام، ولا بصغيرات السن، وهن كواعب ناهدات الأثداء، وفوق تلك الصفات الجسدية صفات معنوية لا تقل أهمية عن تلك الصفات الجسدية فهن عرب قاصرات الطرف».

وبعد . . . هذه بعض صفات الحور وما كتبنا وسطرنا إنما هي لمحات وإضاءات لبعض جوانب صفات الحور التي أرجو منها حصول الأجر، وإمتاع القارئ والسامع وتأجيج وإضرام نار الشوق في قلبه ليطلبها، وما ذاك إلا بطاعة الله ورسوله.

*** مسألة:**

كيف نجمع بين ما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: **«إن أقل ساكني الجنة النساء»**[1] وما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال: **«لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان»**[2].

الجمع بين هذين الحديثين واضح والإشكال منتفي إذا عُلم أن الزوجتين من الحور العين اللاتي خلقن في الجنة، وأن المقصود بأقل ساكني الجنة من النساء، المقصود بهن نساء الدنيا بالنسبة إلى الرجال.

أما حديث النبي ﷺ: **«فيدخل الرجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله ـ تعالى ـ، واثنتين من ولد آدم لها فضل على من أنشأ بعبادتهما في الدنيا»**[3] فهذا حديث ضعيف، قال عنه الحافظ في الفتح: «واضطرب في سنده مع ضعفه»[4] وقال عنه المحقق ابن القيم: «ولا يُعرف إلا من حديث اسماعيل بن رافع، وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعه، وقال عنه الدارقطني وغيره:

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي.

(٤) الفتح، ابن حجر.

متروك الحديث، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر، وقال أيضاً: الرجل الذي روىٰ القرظي عنه لا يُدرىٰ من هو».

ومما يدل علىٰ أن نساء الدنيا أقل أهل الجنة ما رواه أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت، قال: «كنا مع عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ في حج أو عمرة، حتىٰ إذا كنا بمر الظهران، فإذا امرأة في هودجها، قال: فمال فدخل الشِعْب فدخلناه معه، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في هذا المكان، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان»**[1].

وقد أجاب القرطبي عن هذا الإشكال فقال: «يُحتمل أن يكون هذا في وقت كون النساء في النار قبل الشفاعة وقبل خروجهن من النار، وبعد الشفاعة وخروج الموحدين من النار حتىٰ لا يبقىٰ أحد في النار ممن قال: لا إله إلا الله، ففي هذه الحالة تكون النساء في الجنة أكثر، وحينئذٍ يكون لكل واحد منهم زوجتان من نساء الدنيا، أما الحور العين فقد تكون لكل واحد منهم الكثير منهن»[2].

وقد وفق ابن حجر العسقلاني بين هذين الحديثين أيضاً فقال: «أنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفيُ أكثريتهن في الجنة لكن يشكل علىٰ ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر **«اطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنيها النساء»**، ويحتمل أن يكون الراوي رواه بالمعنىٰ الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكُنَّ أقل ساكني الجنة وليس ذلك بلازم لما قدمته، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة»[3] والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلي، وصححه الألباني.

(٢) التذكرة، للقرطبي.

(٣) فتح الباري، ابن حجر.

زينة الحور

إن الحور العين قد بلغت غاية الجمال ومنتهىٰ الحسن وبدون أي زينة لأنها المستغنية بجمالها عن المجُمَلات والمحُسنات كيف لا وهنَّ صنع الخبير الذي أتقن كل شيء؟ والمقصود من خلقها هو إظهار الجمال ورمزه حتىٰ يتمتع بها من يدخل الجنة، وفوق كل ما أعطاها الله ـ عز وجل ـ من الجمال وتقاسيمه والملاحة والحسن فهي تتزين بزينة تزيد من حسنها وجمالها وجاذبيتها وهذه الزينة ليست من الزينات المعهوده التي تتزين بها نساء الدنيا، فقد وصف ـ عليه الصلاة والسلام ـ النَّصِيفَ الذي تلبسه علىٰ رأسها بأنه خير من الدنيا وما فيها، وكيف بك وأنت ترىٰ وتملك حوراً يُحار الطرف بجمالها اللامحدود وقد تزينت بزينة الجنة وحليها، ويمكننا أن نجمل هذه الزينة بالآتي:

أساور الذهب والفضة:

قال تعالىٰ: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ [الكهف: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [الحج: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان: ٢١].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن أبا أمامة حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم، وذكر حلي أهل الجنة فقال: **«مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر عليهم أكاليل من درٍّ وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مكحلون»**.

وعن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: **«لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوؤه ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم»** فإن كان الرجال يسورون فإن النساء يدخلن معهم

في الحكم بل هو من باب أولىٰ .

وذكر ابن أبي وهب عن محمد بن كعب القرظي ، أنه قال : «والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر فكيف المسورة»[١] .

وروىٰ ابن أبي الدنيا حديثاً عن كعب الأحبار : «أن لله ملكاً منذ يوم خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلىٰ أن تقوم الساعة ، ولو أن قُلباً من حلي أهل الجنة أُخْرِج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعدها عن حلي أهل الجنة»[٢] .

وقد تكون هذه الأساور من الذهب الخالص أو من الفضة الخالصة أو من الذهب المطعم بالفضة أو الفضة المطعمة بالذهب أو من الذهب واللؤلؤ كما بينا ذلك بالتفصيل في مبحث : حلي أهل الجنة .

قال الشاعر [٣] :

وحلوا من أساور من لجين ومن ذهب وعسجدة كريم

أساور اللؤلؤ:

قال **ابن القيم** : يحتمل أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً الذهب المرصع باللؤلؤ واستدل بقوله تعالىٰ : ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا** ﴾ [الحج : ٢٣] وهذا علىٰ احتمال جر كلمة «لؤلؤ»[٤] .

اللؤلؤ:

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : **«وإن أدنىٰ لؤلؤة لتضيء ما بين المشرق والمغرب»** .

---

(١) ذكره القرطبي في «التذكرة»، وابن كثير في «صفة الجنة» ومحمد بن كعب القرظي تابعي ثقة .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» .

(٣) البيت لأمية بن الصلت .

(٤) للاستزاده راجع «حادي الأرواح» لابن القيم في مبحث «ذكر لباسهم وحليهم» .

الدُّرُّ والياقوت:

لحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «**مكللون بالدُّرِّ عليهم أكاليلٌ من در وياقوت متواصلة**»[1] والحور العين داخلات في هذا الحكم مفهوماً لأن النساء أولىٰ بالزينة من الرجال، ثم إن النساء من أهل الدنيا اللاتي دخلن بعملهن الجنة هن من الحور بل أفضل من الحور وهن ملكات الحور العين، وقد وعدهن الله بالزينة المذكورة بالقرآن والسنة، فأصبحن داخلات حكماً تحت مظلة الزينة التي يلبسها أهل الجنة.

قال الشاعر:

بالدُّرِّ والياقوتِ زين نَحرُها ... ومفصَّل من لؤلؤ وزبرجد

التيجان:

فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**وإن عليهم التيجان**»[2] وسياق الحديث عن الرجال ولكن مما لا شك فيه أن النساء داخلات في حكمه وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في وصف هذه التيجان: «**وإن عليهم لتيجاناً وإن أدنىٰ لؤلؤة فيه لتضيء ما بين المشرق والمغرب**» وقد فصلنا الحديث فيه في مبحث حلي أهل الجنة.

قال الشاعر:

لها تَاجُ مرجانٍ وإكليل لؤلؤ ... وترْنِيم نشوان وصُفْرةُ عاشقِ

وقال الآخر:

علىٰ خصرها منه وشاح مفصل ... وفي رأسها تاجٌ وفي جِيدها سمط

النَّصيف:

وهو الوشاح الذي تلبسه المرأة علىٰ رأسها.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو نعيم وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد والبيهقي وابن أبي داود وأبو يعلىٰ والترمذي، وقال الهيثمي: اسناده حسن وأخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الأسناد ووافقه الذهبي.

فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ **«ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها»**(١).

وعند الإمام أحمد زيادة **«ومثلها معها»**، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ **«ولنصيف امرأةٍ من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها»**(٢).

ولا تعارض بين الحديثين؛ لأن كل شيء في الجنة أفضل من الدنيا وما فيها فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»** فإن كان الأمر كذلك فالنصيف أفضل من الدنيا وما فيها أضعافاً كثيرة فقد عبر النبي ﷺ كما عند البخاري: أنه أفضل من الدنيا وما فيها، وعبر في حديث آخر لم يخرجه البخاري لكنه صحيح أنه خير من الدنيا ومثلها معها. والله أعلم.

وروى ابن أبي الدنيا: **«... لو أخرجت الحورية نصيفها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها»**(٣)، فإذا كان هذا الجمال في النصيف الذي تلبسه الحورية على رأسها وتتزين به خير من الدنيا ومثلها معها فكيف بجمال من تلبس النصيف؟!

ونَصيفُ إِحْداهُنَّ وهوُ خِمارُها ... ليست له الدُّنيا مِن الأثمانِ

اللباس:

لا شك أن اللباس من جملة ما تتزين به الحور العين، وهذا اللباس ليس المقصود منه اتقاء الأذى من برد وحر، وإنما المراد منه التزين وستر العورات، وإن كنا نرى اليوم ما تنتجه أيدي البشر من الأقمشة والموديلات التي تتزين بها المرأة ويزيد من جمالها، ويبرز محاسنها ومفاتنها بل لقد بلغ كثير من

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الإمام أحمد، وهو صحيح بشواهده.

(٣) رواه البزار، وابن أبي الدنيا.

التصاميم مبلغاً حرك الصبا في الشيخ الكبير، ويجعل من تلبسه كأنها حوراء تدلت من الجنان إن كان هذا صنع البشر فما قولك بصنع رب البشر الذي قدر وصمم لباسها؟ واختار القماش اختياراً مغايراً لأقمشة الدنيا بل بلغ الغاية في الرقة والنعومة حتىٰ إنك لتجمع سبعين ثوباً بين أصبعيك من رقتها، وَصَمَّم تصميماً فاق كل تصميم، وأراد بذلك تزيينها لزوجها، ولو حلقنا بأخيلتنا في لباسها في كل سماء لا نستطيع تصوره إطلاقاً فهو فوق حدود الفكر وخارج نطاق العقل البشري فما ظنك بلباس قال عنه ﷺ أنه يخرج من ثمار الجنة، وقال: **«لو نشر ثوبٌ من ثياب أهل الجنة في الأرض لصعق من ينظر إليه وما تحملته أبصارهم، ثم ما مدىٰ نعومة الثوب الواحد إن كان سبعين ثوباً تجمع بين أصبعين»**.

فعن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خَلْقاً تُخْلق أم نسجاً تنسج؟ فضحك بعض القوم فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مَّ تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً؟»** ثم أكب رسول الله ﷺ فقال: **«أين السائل؟»** قالوا: ها هو ذا يا رسول الله، قال: **«لا بل تشقق عنها ثمار الجنة، بل تشقق عنها ثمار الجنة، بل تشقق عنها ثمار الجنة»**[1].

وعن أبي سعيد الخدري أن رجلاً قال: يا رسول الله، وما طوبىٰ؟ قال: **«شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، وثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»**[2].

وفي ذلك دليل علىٰ شدة نعومتها وطراوتها لأن ثمار الجنة تذوب في الفم قبل المضغ من طراوتها، فإن كانت كذلك فإن اللباس الذي يخرج منها يأخذ صفات الأصل الذي انبثقت منه وخرجت من بطنه، فيكون ناعماً لدرجة لا تتصوره العقول.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»، والنسائي وله شواهد كثيرة، وهو حسن بشواهده.

(٢) صحيح بشواهده.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«وأنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل شقائق النعمان من طوبىٰ فينفذها بصره حتىٰ يرىٰ مخ ساقها من وراء ذلك»**(١).

وعن أبي المهزم قال: قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان»(٢).

وروىٰ ابن المبارك في (زيادات الزهد) بسند صحيح **«أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شفكم هذا، يُرىٰ مخ ساقها من وراء اللحم»**

قال صفي الدين الحلي:

سَحَبَ السَّحَابُ لَها الذيول فألبست ... مِنْ حُلَّة الأزهارِ خَيْرَ لباسِ

وهذه الملابس ليست لوناً واحداً فحسب بل هي ألوان كثيرة ألواناً بعد ألوان منها ما هو معروف في الدنيا، ومنها ما هو من ألوان الآخرة التي لا نعرفها قال ابن عباس في ذلك: «فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرّمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان ثم تنطبق فترجع كما كانت»(٣).

وعن عبده عن أبيها أنه قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة تلبس ثنتين وسبعين حلة، لها اثنان وسبعون لوناً، إن أدنىٰ لونها لون شقائق النعمان تجمعه بين أصبعيك تقرأ في صدر زوجها أنت حبي، ويقرأ في صدرها أنت حبي وأنا حبك»(٤).

وهذه الألوان لا تتنافىٰ مع الشفافية، قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله

---

(١) رواه أحمد في «المسند» وغيره.

(٢) رواه ابن أبي شيبه، وابن المبارك، والسيوطي، وابن أبي الدنيا.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا وغيره.

(٤) رواه أبن أبي الدنيا.

عنه ـ: «إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيُرىٰ بياض ساقها من ورائهن»(١) وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«للمؤمن زوجتان يُرىٰ مخ سوقهما من فوق ثيابها»**(٢).

وهذه الملبوسات متنوعة منها: الحرير ومنها الاستبرق ومنها السندس، بل قد ورد في بعض الأحاديث أنهن يلبسن الفضة كما مر بنا سابقاً: «من أن حورية لابسة ثوباً من فضة يتثنىٰ معها كلما تثنت» كما أن هناك أنواعاً من الملبوسات مما استأثر الله بعلمه وهناك أحاديث كثيرة واردة في هذا الباب سوف نتحدث عنها في مبحث لباس أهل الجنة إن شاء الله.

وهناك من الزينة التي لم نكن نعرف مثلها في الدنيا مندرجة تحت قوله تعالىٰ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وتحت قوله ﷺ **«فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر»**.

غـــادةٌ ذات دلال ومَـــرَح	يَجد الناعتُ فيها ما اقْتَرح
خُلقت من كُلِّ شيء حَسنٍ	طَيبٍ فالّيتُ فيها مُطرح
زَانها اللهُ بَوجْه جَمَعت	فيه أوصافُ غريبات المُلح
وَبعين كحْلها من غَنْجها	وبخد مسْكُه فيه رشَح
نَاعِمٌ تجري علىٰ صَفَحتِه	نَظرَةُ المُلكِ ولألاءُ الفَرح

---

(١) رواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا.

(٢) رواه أحمد، وابن عدي، وأبو نعيم من طريق معاذ بن هشام.

لذة غناء الحور والطرب في الجنة

ثبت غناء الحور في الجنة بأدلة كثيرة فقد فسر بعض العلماء قوله تعالىٰ: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] باللذة والسماع وسوف يغنين بأصوات جميلة رخيمة ناعمة غناءً لو سمعت به الجوامد لتفجرت أحاسيس وأهتزت طرباً ونشوة ولو سمعه الإنسان لأنساه كل شيء ورمىٰ له سمعه وقلبه وطرب له كل الطرب، كيف لا وأداة الغناء ذلك الفم العذب الطاهر؟ فتستقر له النفس ويبهج القلب ويسكن الخاطر حتىٰ إن النبي ﷺ لم يصفه وصفاً كاملاً؛ لأنه فاق الوصف وتجاوز حدود الحسن فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ بياناً لذلك: **«ليغنين بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط»** فترك المجال للعقول لتسرح في آفاق تصوره هذا هو عطاء الله وهذا هو الفرح والطرب الحقيقي فليت من يستمع الغناء المحرم في الدنيا يقف مع نفسه وقفة صادقة، ويدخل معها في حوار صادق يقارن فيه بين لذة غناء الآخرة وغناء الدنيا، ويحكم عقله وقلبه ودينه، ويتبع الأفضل لقد خلق الله الموسيقىٰ ولم يرد لنا سماعها وإنما وجدت امتحاناً وابتلاءً فمن منع نفسه هذه النشوة واللذة الشيطانية أبدله الله هناك في الجنة سماعاً طيباً ولذة حقيقية، ليس من طريق الآلات الموسيقية وأصوات أهل الدنيا المقززة وإنما من عدَّة طرق كل طريق أفضل من غيره وسأعرض أدلة الغناء في الجنة مع مصادر الطرب فيها مع العلم بأن مصادر الطرب غير محدودة بما سأذكره وإنما هناك مصادر كثيرة لا يعلمها إلا الله ـ عز وجل ـ فعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ **«إن في الجنة مجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات**

فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له»[١]. وعن أنس بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ **«إن الحور يُغنينَ في الجنة: نحن الجواري الحسان خُلقنا لأزواج كرام»**[٢]. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ينظرن بقرتِ أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه»**[٣] وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه ورجليه ثنتان من الحور العين تغنيان بأحسن صوت يسمعه الأنس والجن وليس بمزامير الشيطان»**.

قال بهاء الدين زهير:

حُلْو الثَّنَايا والتَّـثَنِّي إنْ خَطَر ... مِنْ أَطْربِ النَّاسِ غِنَاءً وَوَتَر

أما أنواع الطرب فهي كما ذكرت آنفاً متعددة بعضها أخبرنا به وبعضها خُبِّأ مفاجأةً ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وهذه المطارب بعضها تقوم مقام الموسيقى الساحرة التي تختلف عن مزامير الشيطان بكل شيء ولا تشترك معها بأي وجه من الوجوه ومن هذه المطارب ما رواه ابن أبي الدنيا أن رجلاً من قريش قال لابن شهاب: هل في الجنة من سماع فإنه حُبب إليَّ السماع؟ قال: «إي والذي نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات يتغنين بالقرآن، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً

---

(١) صحيح بشواهده. رواه الترمذي، وابن أبي شيبه، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» وأبويعلى والبيهقي، وقد صححه الألباني في الجامع.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ (٧/ ١٦) وأبو داود وأبن أبي الدنيا والبيهقي وابن كثير في صفة الجنة وغيرهم.

(٣) صححه الألباني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني.

فأجبن الجواري، فلا يدري أأصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر».

ومعنىٰ الأثر: أن غصون الشجر وثمارها تصطفق ويضرب بعضها بعضاً بسبب ريح تهب عليها فتحدث بذلك صوتاً جميلاً يفوق الخيال ويزيد من جماله غناء الحور أثناء هذا الصوت فيجتمع صوتان بلغا القمة في الحسن والجمال.

ومنها أيضاً قول عبده بن أبي لبابة «إن في الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ، فيرسل الله ـ عز وجل ـ ريحاً فتصفق فيسمع لها أصوات لم يُسمع ألذ منها».

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «في الجنة شجرة علىٰ ساق، قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم ويقول يذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ـ عز وجل ـ ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا»[١].

وقال سعيد بن أبي سعيد الحارثي: «حُدِّثت أن في الجنة شجرة آجاماً من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ، فإذا اشتهىٰ أهل الجنة أن يسمعوا صوتاً حسناً بعث الله ـ عز وجل ـ علىٰ تلك الآجام ريحاً فتأتيهم بكل صوت يشتهون»[٢].

ومنها أيضاً: غناء الحور الرخيم فلا يظن أحد أن غناءهن خالٍ من الطرب فهذا غير صحيح لأن أصوات الحور يفوق بطربه وجماله أصوات المعازف الموسيقية ما ظهر منها وما لم يظهر، فالله ـ عز وجل ـ هو الذي خلق الأصوات في الدنيا والتي منها أصوات الموسيقىٰ التي يطرب لها من كان قلبه خالياً من حب الله ورسوله هو نفسه الذي خلق أصوات الحور العين وحكم بحسنه وتفوقه، وجعله يفوق بآلاف المرات ـ إن صح التعبير ـ أصوات الموسيقىٰ وهذا يكون في حديثها بلا غناء فكيف إن غنت؟ أم كيف بأصواتهن إن غنين بأصواتٍ جماعية

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا.

(٢) المصدر السابق.

مختلفة المدود والحركات وقد نقل السيوطي عن بعض أهل العلم: أن في الجنة نهراً يسمىٰ العرفل ينبت علىٰ شاطئ ذلك النهر الحور العين ثم يأخذن أيديهن بأيدي بعض ويغنين جميعاً فتستثير شجرة طوبىٰ لتلك الأصوات.

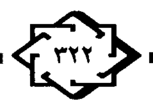
ومن جماليات الغناء أيضاً أنهن أحياناً يجتمعن صفين متقابلين علىٰ حافة نهر في الجنة، فيغنين ويرددن علىٰ بعضهن، فتصور جمال هذا الموقف والمنظر ودل عليه حديث موقوف عن أبي هريرة «أن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارىٰ قيام متقابلات يغنين بأصوات حتىٰ يسمعها الخلائق ما يرون في الجنة لذة مثلها».

ومما يدل علىٰ جمال نغمة أصوات الحور ما نقله ابن القيم عن الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير: «إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة إلا ورَدَّت».

ومن الطرب أيضاً في الجنة سماع أصوات الملائكة الكرام وهم يسبحون الله ويحمدونه ويمجدونه. روىٰ ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن محمد المنكدر قال: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أَسمعوهم تحميدي وتمجيدي» وقال شهران بن حوشب «إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي فأسمعوا عبادي، فيأخذون أصواتاً من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط»(١).

ومن الطرب أيضاً في الجنة: سماع صوت داود الجميل وهو يمجد الرب ـ سبحانه ـ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودي يا داود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا**

(١) ذكره ابن كثير في «النهاية» ٢/ ٥١٠.



فيرتفع صوت داود يعم أهل الجنة فذلك» قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٠]. وروىٰ نحوه الإمام أحمد في الزهد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

ومنه أيضاً أصوات الولدان في الجنة، فإن الله ـ عز وجل ـ جعلهم علىٰ صورة بالغة الحسن والجمال لإبهاج قلوب المؤمنين في الجنة، ووصفهم بأنهم لؤلؤاً منثوراً وهم صغار السن وإن كانوا كذلك فمن باب أولىٰ أن تكون أصواتهم حسنة تريح النفس وتبهج الخاطر وهذا أمر متأتىٰ في الدنيا فأصوات الأولاد ناعمة رخيمة فكيف يمتنع في الآخرة والله أعلم.

ومنه أيضاً صوت إسرافيل ـ عليه السلام ـ، قال الأوزاعي: بلغني أنه ليس من خلق الله ـ عز وجل ـ أحسن صوتاً من إسرافيل ـ عليه السلام ـ فيأمره ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فيأخذ في السماع فما يبقىٰ ملك مقرب في السماوات إلا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله ـ عز وجل ـ: **«وعزتي وجلالي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري»**[1].

ومن الطرب أصوات الأصوات في الجنة من العصافير والأطيار وخرير الأنهار وحفيف الأشجار وضحكات أهل الجنة وحسن حديثهم وغيرها مما يعلمه الله ولا نعلمه.

ومن الطرب أيضاً: ما أخفاه الله ـ عز وجل ـ وجعله مفاجأة، فالجنة لا حدود لنعيمها أطلاقاً وكل يوم وأهل الجنة في شيء جديد وأمرٍ حميد قال تعالىٰ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

ومن الطرب: ما ذكره السيوطي أن الله ـ عز وجل ـ يقول: **«يا حبيبي يا محمد ارق المنبر واقرأ طه ويس، فيرقىٰ المنبر فيقرأهما فيزيد في الحسن علىٰ صوت داود ـ عليه السلام ـ سبعين ضعفاً فيضطرب القوم والكرسي من تحتهم وقناديل**

---

(١) رواه أبن أبي الدنيا بحديث رقم ٢٦٤.

العرش وكذلك الملائكة تموج من الطرب، وكذلك الحور العين والولدان ولا يبقى ذو روح إلا طرب من صوت النبي ﷺ[1].

ومن الطرب أيضاً وهو أفضله وأعظمه وأحسنه هو كلام وصوت الله ـ سبحانه وتعالى ـ. فعن عبد الله بن بريدة قال: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار ـ جل جلاله ـ فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدُّرِّ والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد فلم تقرَّ أعينهم بشيء، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد»[2] وقد ذكر السيوطي أن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «عند ذلك يتلو الرب ـ جل جلاله ـ سورة الرحمن وفي رواية سورة الأنعام فإذا سمعوا قراءة الحق ـ جل جلاله ـ غابوا عن الوجود وطربت الأملاك والحجب والستور والقصور والأشجار وصفقت الأوراق وغردت الأطيار وتماوجت الأنهار بقراءة العزيز الجبار، واهتز العرش طرباً ومال الكرسي عجباً ولم يبق في الجنة شيء إلا واهتز حنيناً واشتياقاً إلى الله ـ تعالى ـ» وفي الخبر: أن أهل الجنة يتمنون أنهم لا يأكلون ولا يشربون إذا سمعوا قراءة الرب ـ جل جلاله ـ بل يريدون التلذذ بذلك الحسن وحلاوته. والله أعلم.

*** مسألة:**

هل غناء الحور العين فقط بالكلمات الواردة في الأحاديث التي مرت آنفاً أم أنها متعددة الألفاظ والتراكيب ومتجددة؟

والجواب على ذلك أن غناء الحور ليس محصوراً بما مَرّ بألفاظ الأحاديث فقط بل هو كثير ومتعدد ومتلون بحسب المواقف والأحوال، فأحياناً بالتسبيح

---

(١) لم يذكر لذلك دليلاً ولكن نقلناه استئناساً بقول عالم كبير من علماء المسلمين.

(٢) ذكره ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح».

والتحميد والتهليل، وأحياناً بما مرَّ بألفاظ الأحاديث وأحياناً بالتغزل بزوجها وذكر محاسنه وغيرها. . . وغيرها. . . وغيرها، والدليل على ذلك الأحاديث الكثيرة المتنوعة في غناء الحور العين سأعرض بعضاً منها استدلالاً بما أقول:

قول شمر بن عطية الذي رواه عنه أبو نعيم الأصبهاني: «إن في الجنة أنهاراً تنبت الجواري يمجدن الله» فهذا تمجيد لله.

وقول ابن عباس: «إن في الجنة نهراً يُسمى البيدخ، عليه قباب من ياقوت تحته جوارٍ نابتات يتغنين بالقرآن» وهذا غناء بالقرآن وقد روى نحوه ابن أبي الدنيا عن ابن شهاب وما رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير.

إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: «أنت حبي وأنا حبك ليس دونك مقصد، ولا وراءك معدل».

وقال أبو هريرة عندما سُئل عن غناء الحور العين فقال: **«إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب -عز وجل-»** فبين أبو هريرة أن الغناء تحت مشيئة الله وجعله متعدداً، ولم يقصره على شيء واحد.

وفي الصحيح عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **«إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات . . . وإن ما يغنين به نحن خيرات حسان أزواج قوم كرام . . . وإن مما يغنين به نحن الخالدات فلا يمتنه . . .»** [1] وجه الاستشهاد في هذا الحديث قوله -عليه السلام-: **«وإن مما يغنين به»** فـ**«من»** هنا تبعيضية والتقدير: **«وإن بعض ما يغنينه»** فجعل الألفاظ الواردة بعضاً من الكل والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه.

الحور تسرح في الجنة وليست مقصورة على سبيل الدوام

قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ومعنىٰ مقصورات: أي محبوسات وهنا يبرز سؤال: هل معنىٰ ذلك أنهن لا يخرجن من البيوت، وأنهن مداومات للقصر حتىٰ أصبح القصر في الخيام[1] صفة تلازمهن، ولا تنفك عنهن؟ لقد دخل الشيطان علىٰ النساء بشبهٍ كثيرة منها هذه المسألة حتىٰ إني سمعت أسئلة مباشرة من نساء يسألن بعض أهل العلم ويقلن: هل معنىٰ هذا أن الحجاب مقدرٌ علينا في الجنة مثل الدنيا، لقد خالفنا شهواتنا ومجتمعنا وتعرضنا للنقد والمحاربة والاستهزاء لأجل الحجاب استجابة لله ولرسوله علىٰ أمل نيل رضا الله والفوز بالجنة والتنعم بها، ثم إن دخلنا الجنة صرنا محبوسات في الخيام، لا نخرج منها؟ فأقول في هذه المسألة مستعيناً بالله:

أن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا وقوانينها مغايرة لقوانين الدنيا، وأن المرأة إن دخلت الجنة فإنها تنعم بنعيم لا تقدره العقول، وبالتالي كل نقص تخاف منه المرأة لا يوجد في الجنة، فكل ما تشتهيه تحصل عليه قبل النطق به، وأما قوله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ يكون ذلك ـ والله أعلم ـ للحور اللواتي خلقن من الجنة، وهن مقصورات في الخيام، يعني القصور إلىٰ حين دخول أزواجهن الجنة مبالغة في حفظهن من أعين، كل شيء من الملائكة والولدان والخدم، ويدل علىٰ ذلك ما رواه ابن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خلق الحور العين إنشاءً فإذا تكامل خلقهن ضربت الملائكة عليهن الخيام» وروىٰ ابن كثير في صفة الجنة: إن أبا الأحوص قال

---

(١) الخيام: هي البيوت. قال ابن جرير: قد يُسمىٰ العرب هوادج النساء خياماً.

عند قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ بلغنا في الرواية أن سحابة أمطرت من العرش، فخلقن من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الأنهار، وسعتها أربعون ميلاً، وليس لها باب حتى إذا حلَّ ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة؛ ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها»[1] أما المرأة من الدنيا فلا ينطبق عليها ذلك بل تدخل الجنة وتسرح كيف تشاء في جنة نصيب أدنى أهلها مثل الأرض عشر مرات وورد في الأثر: أن نصيب أقل ساكنيها من يسير في ملكه ألفي عام لا يقطعها فإن كان الأمر كذلك فإن هذه المساحة المتسعة لا يدخلها الرجال بل هي خاصة بصاحبها والتزاور يكون في أماكن غيرها أو فيها ولكن بمكان بعيد عن نسائه وبالتالي لا حرج ولا ضير إن خرجت المرأة من خدرها وقصرها وتنعمت، كما نصت الأحاديث الكثيرة على ذلك من أن الحور يغنين على ضفاف الأنهار وتحت الأشجار، وأن الرجل يسير بملكه وتناديه حوراء «ألك حاجة؟» ولبعض العلماء رأي في قوله ﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾ فقد ورد عن مجاهد أنه قال: مقصورات الأنفس والأعين إلا على أزواجهن، لا يرون بهم بدلاً. وقد روى ابن أبي الدنيا عن اسحاق بن إبراهيم، أخبرنا يحيى بن يمان عن أسامة بن زيد عن أبيه قال: «لا مشرفات ولا متطلعات»[2].

فالجنة ليس فيها حبس ولا كتم للحرية ولا منع تجوال بل هم في نعيم وتنعم وشغل قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ ومعنى شغل ـ كما مر ـ كلمة عامة لكل تنعم في الجنة، وكونهن مقصورات لا يعني ذلك أنها صفة سلبية مستكرهة، وإنما صفة جمال قال **ابن القيم**: أن الله ـ سبحانه ـ وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات، وذلك أجمل في الوصف، ولا يلزم من

---

(١) رواه ابن كثير برقم (١٩٥).

(٢) برقم ٣٣٣.

ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، كما أن نساء الملوك ودونهن من النساء المخدرات المصونات لا يمنعهن أن يخرجن في سفرٍ وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه، فَوَصْفُهن اللازم لهن القصر في البيت، ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.

إذن الخيام تفيد التستر والخلوة والصيانة ووضع المرأة في الجنة مثل الرجل من الحرية والتجوال وزيارة الأخوات لبعضهن بعضاً، وهذا لكل الحور العين ويتأكد في حق المرأة من الدنيا إن دخلت الجنة والله أعلم.

الحور ترى زوجها وهو في الدنيا وتدعو له

تقع الجنة هناك فوق السماوات السبع، فبينها وبين الأرض مسافات فلكية أسطورية، لا تدركها العقول ولا يعلمها إلا الخالق - سبحانه - والحور تسكن هذه الجنة، فهل ترىٰ الحور وهي في الجنة زوجها وهو في الدنيا؟ وإن كانت تراه فكيف يتأتىٰ هذا وبينهما هذه المسافة السحيقة؟. فأقول مستعيناً بالله: نعم ترىٰ الحور العين زوجها وبينهما كل هذه المسافة، فتراهُ جيداً وتتابعه وتفرح إن عمل عملاً صالحاً وتحزن إن عمل عملاً سيئاً، وتدعو له وتخاصم لأجله وتفاخر به، أما كيفية الرؤية وما هيَّتها فلا نسأل عنها بل نؤمن بها كما آمن السلف بلا سؤال عن الكيفية؛ لأن الذي أخبر به هو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوىٰ وتكون هذه الرؤية بأمر الله عز وجل وقدرته بقوله كن فيكون فقد ورد في الصحيح حادثة وقعت لعمرَ بن الخطاب وهو يخطب الجمعة فقد كشف الله الحجب له فرأىٰ سارية قائد جيش المسلمين وهو يجاهد في أقصىٰ الأرض وقد أحاط به العدو فوجهه عمر من علىٰ المنبر فقال: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل فسمع سارية توجيه عمر، فلجأ إلىٰ الجبل وقاتل حتىٰ نصره الله، وهذا ثابت في كتب العقيدة في إثبات كرامات الأولياء وكذلك استجد في هذا العصر من المخترعات الجديدة التي تؤكد إمكانية ذلك من مثل النقل التلفزيوني والأقمار الاصطناعية وغيرها التي تمكن الرؤية من مسافات بعيدة جداً، فإن كان هذا متأتياً في حق المخلوق فإنه أولىٰ في حق الخالق - سبحانه - حاصله: أن الحوراء في الجنة يُكشف لها الحجب، فترىٰ زوجها في الدنيا ودل علىٰ ذلك أحاديث كثيرة فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في**

الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: **لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»**[١] وروي أنه يقال للمرأة من أهل الجنة وهي في السماء: **«أتحبين أن نريك زوجك من أهل الدنيا؟»** فتقول: نعم. فيكشف لها عن الحجب ويفتح الأبواب بينها وبينه حتىٰ تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتىٰ تستبطئ قدومه وتشتاق المرأة إلىٰ زوجها الغائب، عنها ولعله يكون بينه وبين زوجته في الدنيا ما يكون بين النساء من مكالمة أو مخاصمة فتغضبه زوجته التي في الدنيا فيشق ذلك عليها يعني «الحور» وتقول ويحك دعيه من شريك إنما هو معك ليالٍ قلائل»[٢].

وأخرج ابن كثير في كتابه (صفة الجنة) عن عكرمة «أن الحور العين ليدعون لأزواجهن وهم في الدنيا، يقلن: اللهم أعنه علىٰ دينك، وأَقْبل بقلبه إلىٰ طاعتك، وبلغه إلينا بعزتك يا أرحم الراحمين» وقد ذكر السيوطي في كتابه (الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان) أن الحور العين إذا اشتقن أن يرين ساداتهن في الدنيا يخرجن من أبواب القصور، فيقول لهن رضوان: أُدخلن منازلكن فيقلن: لا ندخل حتىٰ نرىٰ سادتنا. فيخرجهن رضوان إلىٰ أعلىٰ الجنان فتنظر كل حوراء إلىٰ سيدها وهو لا يعلم، فإذا وجدته يصلي في ظلام الليل تفرح وتقول: استدم رفع الله درجتك وتقبل طاعتك وجمع بيني وبينك فإذا وجدته غافلاً حزنت ثم تراجعن إلىٰ منازلهن حزينات. وعن سلام بن مسكين، قال: سمعت ثابتاً يقول: «إن الله - عز وجل - يحاسب عبده يوم القيامة ونساء، أهل الجنة مستشرفات فإذا سرح الرعيل الأول، يستشرفنه: يا فلانة هذا والله زوج فلانة، هذا والله زوجي»[٣].

---

(١) اسناده حسن ورواه الترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند.

(٢) رواه ابن ذهب.

(٣) إسناده صحيح.

فـإن كن يَطَّلِعن علىٰ الحساب ويَرَينه فـهـذا لا يمنع أيضـاً اطلاعـهن علىٰ أزواجهن في الدنيا وقد عقد ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه (حادي الأرواح) فصلاً أسماه «في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن» ذكر فيه قصة أخرجها ابن أبي الدنيا في كتابه (صفة الجنة) أنه: «كان شاب بالعراق يتعبد، فخرج مع رفيقٍ له إلىٰ مكة فكان إن نزلوا فهو يصلي، وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائيا، فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيجك إلىٰ ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من الحور العين مرخية شعرها عليها ثوب من فضة ينثني معها كلما تثنت، فقالت: جد إلىٰ الله في طلبي فقد والله جددت إليه في طلبك، فهذا الذي تراه في طلبها»[1] وقد نص بعض أهل العلم وذكروه في كتبهم أن الحور العين ربما تظهر للشهيد إذا أصيب قبل نزوع روحه كرامة من الله.

ولبعض الحور ميزة على غيرهن:

تتفاضل الحور فيما بينها من الناحية الجمالية، وقد جاء في ذلك بعض الأخبار التي بينت بعضاً منها وهي:

الحوراء العيناء:

قال أبو هريرة: «إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء، إذا مشت مشىٰ حولها سبعون ألف وصيف وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر»[2].

الحوراء لعبة:

روىٰ ابن أبي الدنيا في كتابه (صفة الجنة) عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» حديث رقم ٣٦٠.

(٢) ذكره القرطبي في «التذكرة». وابن كثير في «صفة الجنة».

ـ قال: «إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة كل حور الجنان يعجبن بها، يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك لجدوا، بين عينيها مكتوب: من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضى ربي ـ عز وجل ـ»[١].

وفي حديث أن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة حوراء يقال لها لعبة لو بصقت في البحر لعذب البحر كله مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي ـ عز وجل ـ»**[٢].

حورٌ يتباهى أهل الجنة بها من حسنها:

قال عطاء السُلمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوقنا فقال له: «يا عطاء إن في الجنة حوراً يتباهى بها أهل الجنة من حسنها لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا عن آخرهم من حسنها»[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا. وله حكم الرفع إلى النبي ﷺ لأنه من أمر الغيب... والله أعلم

(٢) لم أقف له على سند يؤصله... والله أعلم به.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا، قال عنه محققه: رجاله ثقات إلا محمد بن صالح الضبي لم أقف له على ترجمة.

مهور الحور العين

جعل الإسلام للمرأة حق تُستحل به، وهذا الحق هو المهر والغاية منه كرامةً للمرأة وإرضاءً لها تطيب به نفساً، وهذا المهر رمزٌ دافعه معنوي لا كما يفهمه الناس اليوم، ولذا قال النبي ﷺ لأحد أصحابه: **«التمس ولو خاتماً من حديد»** وكلما كانت المرأة جميلة ذات حسب ونسب أو غنىٰ أو غيرها إزداد المهر وغلىٰ، ولذا قال الشاعر:

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

وهذه الأمور تجري علىٰ نساء الدنيا أما نساء الآخرة ـ الحور العين ـ فقد بلغن من الجمال والجاذبية والسحر ما لا تبلغه نساء الدنيا كلهن مجتمعات فإن كان الأمر كذلك فهل يكون لهن مهر؟ وإن كان لهن مهر فكم يكون وهل هو مادي أم معنوي؟

لقد وردت أحاديث كثيرة تبين مهر الحور العين، فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«من كظم غيظاً وهو قادر علىٰ أن ينفذه دعاه الله علىٰ رؤوس الخلائق، حتىٰ يخيره من الحور أي شاء»**[1] ومن هذا المهر، قوله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه واحدة منهن زُوج من الحور العين حيث شاء: رجل ائتمن أمانة خفية شهية فأداها من مخافة الله ـ عز وجل ـ، ورجل عفا عن قاتله، ورجل قرأ في دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات»**[2]، ومن هذا المهر، قوله ﷺ حينما سُئل عن مهور الحور العين فقال: **«إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين»**[3] ومن هذا المهر أيضاً قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب: **«يا عليٌّ إعطِ الحور العين مهورهن**

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة.

(٢) رواه ابن السني وأبو الشيخ.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير وابن النجار والضياء كما في «كشف الخفاء».

وصداقهن» فتساءل علي بن أبي طالب: يا رسول الله وما مهور الحور العين وصداقهن؟ فقال ـ عليه السلام ـ: **«إماطة الأذى وإخراج القمامة من المسجد، فذلك مهور الحور العين يا علي»**[١].

وقال أبو هريرة: «يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير، ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسوة»[٢].

وله أيضاً: «مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز»[٣].

قلت: إن مكان الحور العين في الجنة وهنَّ من مستلزماتها والجنة لها ثمن بلا شك، وثمنها العمل الصالح، والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٣٢] والعمل الصالح المقبول كثير متعدد، وهو جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والنيات، فإن أتى المسلم بهذه الأعمال الصالحة كان طريقة إلى الجنة ممهداً فإن دخل الجنة حصل بلا شك على الحور العين، إذن مهر الحور العين هو كل عمل صالح أريد به وجه الله ـ سبحانه ـ إضافة إلى ذلك الأحاديث المذكورة أعلاه، ولذا قال أبو هريرة: «يتزوج أحدكم فلانه بنت فلان بالمال الكثير، ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسوة»

قال الشاعر:

يا خَاطِبَ الحورِ في خدرها ... وطَالباً ذَاك عَلَى قَدْرِها
انْهض بجدٍ لا تَكُن وانيا ... وجَاهِد النَّفسَ عَلَى صَبْرِها
وَجَانب الناسَ وارفُضهم ... وحَالف الوحْدة في ذكرِها
وَقم إذَا اللَيْل بَدا وجْهُه ... وَصُم نَهاراً فَهْو مِنْ مَهْرِها
فَلَو رأتْ عَينَاك إقْبَالها ... وَقَد بَدتْ رُمَّانَتا صَدرِها

---

(١) رواه ابن شاهين في «الترغيب» وابن النجار والديلمي عن علي بن أبي طالب.

(٢) التذكرة، «القرطبي».

(٣) ذكره الثعلبي، والقرطبي في «التذكرة».



وَهي تَمـــاشي بَين أترابِهـــا　　وَعـقـدها يشـرق في نَحـرِها
لَهَـــانَ في نَفْـسِـك هَذَا الَّذي　　تَرَاه في دُنيـــاك من زَهرِها

وذكر القرطبي في كتابه (التذكرة) قصة رجل ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة فذكر عن محمد بن النعمان المقري أنه قال: «كنت قاعداً عند الجلا المقرني بمكة في المسجد الحرام، إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار[1] خَلِقَه، فقام إليه الجلا، ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا فقال: هل تعرفون من هذا الشيخ؟ فقلنا لا، فقال: هذا الشيخ ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما أكملها رآها في المنام في حليها وحللها، فقال: لمن أنت؟ فقالت: أنا الحوراء التي ابتعتني من الله ـ تعالىٰ ـ بأربعة آلاف ختمة هذا الثمن، فما نحلتي أنا منك؟ قال ألف ختمة، قال الجلا: فهو يعمل فيها بعد».

وروىٰ عن سحنون أنه قال: «كان بمصر رجل يقال له: سعيد، وكانت له أم من الصالحات المتعبدات، وكانت إذا قام من الليل يصلي تقوم والدته خلفه، فإذا غلب عليه النوم ونعس، تناديه والدته: يا سعيد، أنه لا ينام من يخاف النار، ويخطب الحور الحسان، فيقوم مرعوباً» نسأل الله العظيم أن يلحقنا بالصالحين ويرزقنا حبهم وييسر لنا ما يسره لهم من العمل الصالح الموصل إلىٰ جنات النعيم.

قال سبط بن التعاويذي:

فَاجعَل قُبولَكَ واهتِزَازكَ مَهْرهَا　　واظْفــر بعَلْقٍ في الثّناء ثمِين

---

(١) أطمار: مفردها «طمر» وهو الثوب البالي.

عدد الزوجات في الجنة

حدد ربنا ـ عز وجل ـ عدد الزوجات المسموح به في الحياة الدنيا بأربع زوجات فقط وحرم تجاوزه، أما في الجنة فالأمر يختلف تماماً عما هو عليه في الدنيا، وقد أشار القرآن إلى التعدد ولم يحدده بعدد، وأشار إلى ذلك بقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [النساء: ٥٧] وقد جاءت أحاديث كثيرة تؤكد التعدد ـ إن صح التعبير ـ وأن الرجل في الجنة يملك أكثر من زوجة، ولكن هذه الأحاديث الصحيحة اختلفت في العدد، ولا يوجد حديثان صحيحان مختلفان البتة، وإن وجد ذلك تحتم الجمع بينهما إن استطعنا وإلا نكل علمه إلى الله ـ عز وجل ـ ونؤمن به على ظاهره لأن الرسول ـ عليه السلام ـ لا ينطق عن الهوى، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا تباغض بينهم ولا تحاسد لكل امرئ زوجتان من الحور»**[1] وورد في صحيح مسلم: **«أن لكل منهم زوجتين اثنتين»** ولم يصرح أنهما من الحور العين أو من نساء الدنيا، وفي حديث آخر يصرح بأنهما من الحور العين وهذان الحديثان يحددان الزوجات باثنتين فقط، وفي حديث آخر بسند صحيح عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: **«للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة ويُجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتان وسبعون زوجة من الحور**

---

(١) رواه البخاري.

العين ويشفع في سبعين من أقربائه»[١].

وهناك عدة أحاديث تفيد أن الزوجات في الجنة اثنتان وسبعون زوجة ولكن بعضها لا يخلو من الطعن، فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من عبدٍ يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة، ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قُبُل شهي وله ذكر لا ينثني»**[٢]، قال هشام بن خالد: «من ميراثه من أهل النار يعني رجالاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون» وروى أبو نعيم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة، فقلنا: يا رسول الله أوله قوة على ذلك؟ قال: إنه ليعطى قوة مائة»** وروى أبو نعيم أيضاً عن أبي هريرة قال: «قيل يا رسول الله: أنصل إلى نسائنا في الجنة؟ قال: **«إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»**[٣].

والجمع بين هذه الأحاديث أنه لعل أقل عدد من الزوجات في الجنة اثنتان، وكلما ارتفعت منزلة الرجل في الجنة كلما ازداد عدد زوجاته كما مر بنا أن للشهيد اثنتين وسبعين زوجة، فالمفاضلة في الجنة تكون بكل شيء نسبة وحجماً، أو ربما يكون تخصيص العدد باثنتين يقصد به من نساء الدنيا المؤمنات اللاتي دخلن الجنة - وهن أفضل من الحور العين بكل شيء - ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً»**[٤] فكلمة أهلون

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه بسند صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي في «البعث والنشور» وأبو نعيم في «صفة الجنة» والفريابي في «النهاية»

(٣) حديث «حسن» وقد رواه الطبراني والبزار والخطيب وقال عنه المقدسي: «ورجاله عندي على شرط الصحيح».

(٤) رواه البخاري في التفسير باب «حور مقصورات بالخيام»، ورواه مسلم في باب «صفة خيام الجنة».

«ملحقة بالجمع» ولم يحدد الجمع، وبذلك أخرج التثنية الواردة آنفاً، ولم يجعل العدد هنا للشهيد فقط كما مر بل جعلها عامة لكل مؤمن فقال: «للعبد المؤمن فيها» وهذا ما اطمأنت له نفسي كثيراً بعد جمع الأدلة ومقارنتها والجمع بينها، ويؤكد ذلك ما رواه أبو هريرة مرفوعاً في صفة أدنى أهل الجنة منزلة: **«وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا»**(١) ويقويه ما رواه أبو هريرة في حديث مرفوع: **«فيدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم»**(٢).

ويقويه حديث أبي سعيد الذي رفعه: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم وثنتان وسبعون زوجة»**(٣) ويقويه حديث المقدام بن معد كرب: **«للشهيد ست خصال وفيه: ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين»**(٤).

ويقويه حديث أبي أمامة: **«ما أحد يدخل الجنة إلا زوجه الله ثنتين وسبعين من الحور العين وثنتين من أهل الدنيا»**(٥) ولعل هذه الأحاديث وغيرها مما مر بنا يقوي بعضها بعضاً وتكون بمرتبة الحسن المقبول.

أما ما رواه البيهقي من حديث عبد الله بن أبي أوفى الذي يرفعه: **«إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء أو أنه ليفضي إلى أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب»**(٦) ففي سنده علة وهي وجود راوٍ لم يُسمَ فإن صح الحديث وكان محفوظاً فلعله من فضل الله العظيم الذي يكون لبعض أهل الجنة، أو يكون معناه مبنى على اللفظ الآخر **«ليفضي»** لان هذه اللفظة لا تعني التزويج

---

(١) رواه الإمام أحمد وفي سنده شهر بن حوشب وفيه مقال.

(٢) ابن حجر في «فتح الباري».

(٣) أخرجه الترمذي.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه بسند صحيح.

(٥) سنده ضعيف جداً وهو يسند الأدلة السابقة ويقويها.

(٦) رواه البيهقي في «البعث»، وأبو الشيخ في «العظمة»

فقـد تكون هذه الآلاف من الحـور من الزيادة من غـير الزوجات الـتي سـوف نتحدث عنها في فصل مستقل إن شاء الله ـ تعالىٰ ـ، قال ابن حجر في هذا الحديث: «وأكثر ما وقفت عليه من ذلك ما أخرجه أبو الشيخ في «العظمة والبيهقي في (البعث) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ ثم ذكر الحديث وقال: وفيه راوٍ لم يُسم ثم قال ابن حجر ترجيحاً وجمعاً بين هذه الأحاديث: والذي يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحدٍ منهم زوجتان»[1] وقال بعض العلماء: يُحتمل أن تكون التثنية نظيراً لقوله: جنتان وعينان ونحو ذلك، والمراد تثنية التكثير والتعظيم نحو: لبيك وسعديك.

وحاول ابن القيم الجمع بين هذه الأدلة فقال: «والأحاديث الصحيحة إنما فيها: أن لكل منهم زوجتين» وليس في الصحيح زيادة علىٰ ذلك أما ما ورد في الأحاديث الدالة علىٰ أكثر من ذلك فإما أن يُراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة علىٰ الزوجتين، ويكونون في ذلك علىٰ حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان، وإما أن يُراد به أنه يُعطىٰ قوة من يجامع هذا العدد» وأجاب عن الحديث الذي رواه الترمذي عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **«يُعطىٰ المؤمن قوة كذا وكذا من الجماع»** قيل يا رسول الله: أو يطيق ذلك؟ قال: **«يُعطىٰ قوة مائة»** قال: لعله من رواة: يفضي إلىٰ مائة عذراء رواه بالمعنىٰ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر.

للرجل في الجنة نساء كثيرة غير زوجاته

من فضل الله ورحمته أنه لم يجعل لأهل الجنة زوجاتهم فقط من النساء فحسب، بل جعل لهم زيادة على ذلك فأكرمهم بجواري وفتيات من فتيات الجنة يتسرون ويتلذذون بهن لأن الجنة مليئة بالمفاجآت السارة وبكل جديد، ولذا قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] فكلمة ﴿مَزِيدٌ﴾ هنا نكرة والنكرة تفيد العموم، فالمزيد في الآية هو: رؤية الله ـ عز وجل ـ، ويندرج تحت مظلة المزيد أيضاً كثير من المفاجآت التي ألمح الله لها بقوله: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ولاشك أن هذا من النعيم؛ حتى لا يمل الرجل ـ وليس في الجنة ملل ـ وإنما هذا من كمال النعيم لأن النفس مجبولة على حب كل جديد ففي كل لحظة وفي كل زمن قصير ومديد يرى شيئاً جديداً من ملكه ولذا قال ـ عز شأنه ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] فنعت الله ـ عز وجل ـ هذا النعيم والملك بالكبير، والأدلة على هذا كثيرة، فقد أخرج ابن كثير في (صفة الجنة) عن أبي سعيد مرفوعاً: **«أن الرجل في الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أين يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فيلتفت فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤةٍ عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام ويقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل شقائق النعمان[1] من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»**[2].

(١) شقائق النعمان: زهر أحمر جميل ناعم وهو معروف عند العرب.

(٢) رواه الإمام أحمد وابن حبان وأبو يعلى وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري، وحَسَّن اسناده الهيثمي في «المجمع».

وقد أفرد أبو نعيم في كتابه (صفة الجنة) فصلاً بذلك، وسماه: «ذكر نهر من أنهار الجنة يُنبت الجواري الأبكار» فأخرج فيه حديثاً عن شمر بن عطية قال: **«إن في الجنة أنهاراً تنبت الجواري، يمجدن الله ـ عز وجل ـ بأصوات لم تسمع الأذان بمثلها قط، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الكاسيات فلا نعرىٰ ونحن الطاعمات فلا نجوع، ونحن الناعمات فلا نبأس، فما من أحد من أهل الجنة يعجبه منهن شيء فيأخذ بيدها إلا مالت معه، وأنبت الله ـ عز وجل ـ مكانها مثلها»**(١).

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «إن في الجنة نهراً يُسمىٰ البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته، جوارٍ نابتات يتغنين بالقرآن، يقول أهل الجنة: اذهبوا بنا إلىٰ البيدخ، فإذا جاؤوا يتصفحون تلك الجواري، فإذا هوىٰ أحدهم من الجواري شيئاً وضع يده علىٰ معصمها فتتبعه، وينبت الله مكانها أخرىٰ»(٢).

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الرجل من أهل الجنة لينعم مع زوجته في تكاة واحدة سبعين عاماً فتناديه أجمل منها وأبهىٰ من غرفة أخرىٰ: أما آن لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها ويقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللاتي قال الله ـ تعالىٰ ـ: ولدينا مزيد، فيتحول إليها ينعم معها سبعين عاماً في تكاة واحدة، فتناديه أبهىٰ منها وأجمل من غرفة أخرىٰ: أما آن لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها ويقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللاتي قال الله تعالىٰ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] فيتحول إليها فينعم معها في تكاة واحدة سبعين عاماً فهم كذلك يزورون»**(٣)، وعن ثابت قال: «صاحب الجنة يتكئ سبعين سنة إتكاءة لذة، وعنده أزواجه وخدمه فإذا أزواج له لم يكن يراهن،

(١) قال عنه الأستاذ المحقق «علي رضا بن عبد الله»: اسناده جيد إلىٰ شمر بن عطية.
(٢) اسناده موقوف جيد، وللحديث حكم الرفع إلىٰ رسول الله لأنه مما لايُقال بالرأي.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا وغيره.

فيقلن له: يا فلان لك أن يكون لنا منك نصيب»(١) وروى أيضاً عن أبي طيبة الكلاعي قال: «إن السحابة لتظل السرب من أهل الجنة فتقول: ماذا أمطركم؟ فما أحد يريد شيئاً إلا أسالته عليه وحتى أن بعضهم ليقول: أمطرينا كواعب أترابا»(٢). وعن كثير بن مرة قال: «إن من المزيد أن تمرّ السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئاً إلا أُمطروا» قال: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولن أمطرينا جواري من بنات، وكتب ابن القيم: «أمطرينا جواري مزينات»(٣).

ومما يدل أيضاً على الزيادة هي نصيب الكفار من الحور العين يرثها المؤمنون إذا دخلوا الجنة وقد أخبر الله بذلك في كتابه العزيز فالوراثة تكون للجنة وما فيها.

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من النساء، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها»**(٤).

وعن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنُجب، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ـ عز وجل ـ فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية فتنسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي**

---

(١) اسناده صحيح.

(٢) اسناده صحيح.

(٣) من رجال اسناده «نعيم» وهو ضعيف ولكنه قد تُوبع فالإسناد صحيح إن شاء الله.

(٤) رواه الترمذي والطبراني.

مفارقهم وفي رؤوسهم، ولكل رجل جُمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل، وفيما سوى ذلك من الثياب ثم ينقلبون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله ـ تعالى ـ، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتُك وحبُك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما علمت أن الله قال: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]. **فيقول بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة»**[١].

انتفاء الغيرة بين الزوجات في الجنة:

إن من الخطأ أن تُقاس قوانين الدنيا وما يدور فيها بأمور الآخرة وما يدور في الجنة ولإيضاح هذه المسألة أضرب مثالاً بالمشقة والجهد والضرر الناتج عن محاولة التحديق والنظر إلى الشمس وقت الظهيرة، لاشك أن الناظر لهذا سيعاني أشد المعاناة، وربما فقد بصره بسبب التحديق في الشمس، ولكن الحال في الجنة تختلف تماماً؛ لأن أهل الجنة سينظرون إلى ربهم عياناً بياناً وشدة أنوار الرّب لا تُقاس بتاتاً ولا بأي جزئية بنور الشمس وأهل الجنة سيتحملون الرؤية ويتحملون أنوار الرب الذي لم يتحمل الجبل منه قدر أنملة وما ذلك إلا أن الله ـ تبارك وتعالى ـ سوف ينشئهم نشأة أخرى غير التي كانوا عليها في الدنيا وهذه النشأة تكون خارجية تشمل الجسد وما يتعلق به، وداخلية تشمل النفس وما يتعلق بها، وقد أخبر الله ـ تبارك وتعالى ـ عن جزئية من هذا التغير الداخلي فقال: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾** [الحجر: ٤٧] ومن هذا الغل (الغيرة) التي ستُنزع فلا يبقى لها أثر.

إن الله سيغير القلوب والنفسيات وسينزع منها كل غل وحسدٍ وبغضاء

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا موقفاً كما في «النهاية» «والترغيب والترهيب».

وشحناء وتنافس شيطاني حتىٰ الغيرة ينزعها من النفوس نزعاً، فيكونون إخواناً يحبون لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم، وقد أكد الله هذا التغير بقوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥] فقوله: ﴿إِنشَاءً﴾، مفعول مطلق مؤكد لهيئة الفعل فإنه ـ سبحانه ـ سوف يغير أجسادهن ونفسياتهن إلىٰ الكمال، وقد مر بنا في الحديث الصحيح أن مجتمعاً من الحور العين يجتمعن ويغنين بأصوات جميلة ويستعملن في غنائهن ضمير الجمع المتكلم (نحن) ولا يستعملن ضمير المفرد المتكلم (أنا) وفي هذا إشارة ودلالة علىٰ حبهن المتناهي لبعضهن وتقريراً لأخوَّتهن البعيدة كل البعد عن الغيرة والأنانية، ثم إن الغيرة منتفية في بعض بيئات الدنيا بين الزوجات، فما المانع من انتفائها في الجنة، بل إن الرجل في كل الأحوال إن عدل بين زوجاته ولم يُفضل واحدة علىٰ أخرىٰ لم يكن للغيرة مكان بل الأمر يتعدىٰ ذلك إلىٰ الإلفة والمحبة بين الزوجات وهذا مشاهد ومجرب.

إن نساء الدنيا إن دخلن الجنة أصبحن ملكات الحور العين وهن بلا شك أجمل بكثير من حوريات الجنة، بل إن الحوريات سوف يتصاغرن عندهن ويخضعن لهن ونساء الدنيا بلا شك الأقرب إلىٰ قلب زوجها في الجنة وهن المفضلات لديه علىٰ غيرهن فإن أرادته الواحدة منهن في أي لحظة عطف الله قلب زوجها عليها، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ والله يخبر بذلك عن أهل الجنة من الرجال والنساء، لأن النساء داخلات في الخطاب القرآني وليس الخطاب للرجال دون النساء، فإن أرادت شيئاً تحقق لها بخلاف إرادة الحورية التي خُلِقت في الجنة ونستطيع أن نقول أن الغيرة منتفية لأسباب:

الأول: إرادة الله لذلك فالله إن أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ والتعبير

(بنزعنا) له دلالات كثيرة في إزالة هذه الصفة بحيث لا يترك أثراً لها في القلب بل ينزعها من جذورها فكأنما لم تكن، ويترتب على ذلك المحبة والإلفة فيما بينهم، ثم قال (إخواناً) لبيان ما ستؤول إليه الحال بعد إزالة ونزع الغل.

الثالث: أن هناك من اللذائذ وعظيم النعم في الجنة الشيء الكثير الذي لا ينفد وهو أفضل بكثير من طلب الزوجة أو طلب الزوج، وليس نعيم الجنة مقتصر على الجنس فقط بل هناك من النعيم ما يجعل صفة الغيرة صفة متنحية بل لا توجد أساساً ومن هذه النعم العظيمة رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ في الجنة فهو الحبيب الأعظم الذي شغف القلوب وتطلعت إليه الأفئدة قبل العيون وأهل الجنة يتلهفون إلى رؤيته ـ تبارك وتعالى ـ والرؤية كما بينها النبي ﷺ إنها أفضل من نعم الجنة كلها، ثم إن هناك من النعيم غير هذا النعيم كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»** فليس الزوج هو النعيم الوحيد في الجنة واللذة اليتيمة فيها.

الرابع: أن الغيرة لها أسباب قريبة وأسباب بعيدة أما الأسباب البعيدة فهي منتفية؛ لأن الله يريدها منتفية وسينزعها من القلوب، أما الأسباب القريبة فهي أيضاً منتفية لأن الغيرة من أسبابها تفضيل بعض الزوجات على بعض والكره بين الزوجات فهذا منتفي فإن انتفت الأسباب انتفى المُسبب، فالحور العين من نساء الدنيا إن أرادت زوجها، فإن الله يسيره إليها ويعطف قلبه عليها فيجالسها ويحادثها ويلاعبها في الوقت الذي يكن فيه بقية الحور متنعمات بنعيم الجنة الذي لا حد له ولا نهاية.

الخامس: حبس إبليس اللعين مؤجج النيران ومروج الفتن والأحقاد والعداوات، فلا تسأل عن بيئة وعن مجتمع حُرم على إبليس وعلى الأبالسة من شياطين الإنس والجن وفوق هذا لا يدخلها إلا طيب نظيف القلب قد نزع

الله من قلبه كل ذرة من الخبث وأبدلها بالألفة والمحبة والرحمة.

السادس: أن الحور العين من نساء الدنيا ـ كما بينا ـ أفضل من الحور العين اللاتي خلقن في الجنة بكل شيء في الجمال والنعيم ومحبة الزوج لهن وخضوع الحور العين لهن إن كان الأمر كذلك فإن الغيرة منتفية لأن الحوراء من نساء الدنيا تعلم مكانتها من زوجها، ثم إن هذا أمر مشاهد في الدنيا فإن السيدة إن كان لزوجها إماءً وجوار فإنها لا تغار منهن لأنها بمكانة عالية لا يرتقين إليها وكل في قدره.

السابع: إن العقل يثبت هذا ولا ينكره لكثرة وقوعه في الدنيا فقد رأينا وبلغنا أن كثيراً من الزوجات متآلفاتٍ ومتحابات كالأخوات لوجود العدل والتربية فإن كان هذا موجوداً في الدنيا فما المانع من وجوده في الجنة على أكمل وجه وأحسن حال.

تفسير بعض الآيات الواردة في الحور العين

❖ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤]:

الطمث في اللغة هو: دم الحيض والافتضاض، والطامث هي الحائض، وطمث المرأة إذا أفتضها، ولعلماء اللغة والتفسير في معنى (الطمث) آراء سوف أجملها وأُعلق عليها.

قال ابن قتيبة: «الطمث: النكاح بالتدمية. ومنه قيل للحائض: طامث»[١].

وقال الفراء: «الطمث: الافتضاض وهو النكاح بالتدمية»[٢].

وقال غيره: «طمثها: بمعنى وطئها على أي الوجوه كان»[٣].

أما الألوسي في كتابه (روح المعاني) فقد قال: «الطمث يستعمل في الأصل لخروج الدم، ثم أطلق على جماع الأبكار لما فيه من خروج الدم ثم عَمَّ لكل جماع».

وقد فصل الماوردي القول فيه فقال: «للطمث ثلاثة أوجه»:

أحدهما: لم يمسهن، والطمث اللمس، وذلك في كل شيء يمس قاله أبو عمرو وأبو عبيدة، ويقال: ما طمث هذا البعير حبل قط أي مسه.

الثاني: لم يذللهن أنس قبلهم ولا جان والطمث: التذليل. قاله المبرد.

الثالث: لم يدمهن يعني النكاح[٤].

وقال أبو الهيثم: يقال للمرأة طمثت إذا أُدميت بالافتضاض.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب ص٣٠٧ .

(٢) نقله عنه القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨١ .

(٣) نقله القرطبي أيضاً ولكن قول الفراء أعرف وأشهر.

(٤) النكت والعيون، الماوردي٤/ ١٥٩ .

ومعنى الآية:

أن نساء الجنة أبكار لم يمسهن ولم يجامعهن أحدٌ إطلاقاً، وهذا من كمال اللذة، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطئها أحدٌ سواه أفضل وألذ وأحسن من المرأة الثيب لأسباب عدة منها: أن حبه أمكن لقلبها ممن نكحت من قبل.

قال الشاعر:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوىٰ فَصَادفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمكَّنَا

ومنها: أنه أمام مخلوقة جديد عليها النكاح، فيتمتع معها بلا أفعال وحركات مفتعلة ومتكلفة منها.

ومنها أيضاً: أنها تتشكل وتتعجن علىٰ ما يريد زوجها؛ لأنها لم تعرف سواه ولم تألف غيره.

ومنها أيضاً: كمال لذة زوجها بها لزوال المانع النفسي عنده من أن رجلاً قد سبقه إليها وتمتع بها قبله وهذا ما بينته عائشة في سؤالها لرسول الله ﷺ.

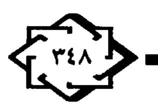
ومنها أيضاً: أن البكر أقل خِداعاً ومَكراً؛ لأنها لم تختلط بالرجال، وما زالت علىٰ فطرتها.

ولذلك كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تتفاخر عند النبي ﷺ بأنها البكر الوحيدة من بين زوجاته، وكانت تقول: «يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجراً وشجرة قد أكل منها وشجر أو شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ فقال: ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«في التي لم يُرتع فيها»**[1] وهي تعني بذلك أنه لم يتزوج بكراً سواها.

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال لجابر بن عبد الله لما تزوج ثيباً: **«هَلاَّ بكراً تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك»** وزاد كعب بن عجرة: **«وتعضها**

---

(١) رواه البخاري.



وتعضك»[1] . وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : **«عليكم بالأبكار ؛ فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير وأقل خبا»**[2] .

فإن كان الشارع رغب في الأبكار في الدنيا بالرغم من أن بكارتها مؤقتة تزول في لحظة، فكيف بأبكار الجنة التي كلما جامعها زوجها رجعت بكراً جسدياً ونفسا، والحديث عن الأبكار يطول جداً، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعُنق .

قال الباهلي :

يَا منْ يُعانقُ دُنْيَا لاَ بقَاءَ لَهَا ... يَمْشِي ويُصبحُ في دُنْياه سَفَّارَا

هَلاَّ تَركْتَ لذِي الدّنْيَا مُعَانَقَةً ... حَتَّى تُعانَق فِي الفِردوسِ أبْكارَا

*** مسألة :**

من المقصود في الآية السابقة هل هن نساء الدنيا، أم الحور العين في الجنة؟

ذكر ابن القيم جواباً حول هذا التساؤل فقال : اختلف العلماء في ذلك فقالوا : هن اللواتي أُنشئن في الجنة من حورها فقط .

وبعضهم قال : هن نساء الدنيا أُنشئن خلقاً آخر أبكاراً .

وقال الشعبي : نساء من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أُنشئن خلقاً .

وقال عطاء : هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً .

ثم رجح ابن القيم بين هذه الأقوال بقوله : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا، وإنما هن من الحور العين، أما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس، ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك[3] .

قلت : أن المقصود بهذه الآية كل النساء في الجنة سواء من نساء الدنيا

---

(١) معجم الطبراني وغيره .

(٢) رواه الطبراني ، والضياء المقدسي .

(٣) حادي الأرواح ، ابن القيم .

اللواتي دخلن الجنة أم من الحور العين اللآتي خُلقن في الجنة، لأن الإنسان إن دخل الجنة أنشأه الله خلقاً آخر غير خلقه، ليحتمل مجاورته في الجنة، وليتحمل النعيم، ثم ليحتمل النظر إلى وجهه الكريم الذي لم يتحمله الجبل كما في نص الآية الكريمة، فالإنسان يبدله الله جسداً مختلفاً عن جسده في الدنيا من ناحية القوة والطول والجمال وغيره ويبدله نفساً غير نفسه، نفسٌ قد نزع منها الحقد والغل وسائر ألوان النقص، خلقاً آخر طيباً متميزاً طاهراً كاملاً يمتد ليعيش إلى أبد الآباد ودهر الدهارين، تكون عندها حياته في الدنيا لا تُقاس، فتنزوي عنها سنونه التي عاشها في الدنيا، لأنها تكون يوماً أو بعض يوم ويزول عنها كل شيء ألمَّ بها من العذابات والهموم والغموم، ويندرج تحتها كل متعلقات الجسد من النكاح وغيره، وقد جاء في الحديث الصحيح **«يؤتى بأبأس أهل الدنيا فيغمس في الجنة غمسه فيقال له: هل مر بل بؤس قط فيقول: لا»** فلو كانت هناك نجاسة قليلة جداً وصَبَبْنا فوقها بحراً كاملاً لاختفت هذه النجاسة لأن نسبتها لا تقاس بنسبة ماء البحر. ونكاح المرأة في الدنيا يزول ويختفي في الآخرة وتكون بحكم البكر التي لم تنكح لأنها تُنشأ نَشأ آخر.

وسبب آخر أيضاً: وهو أن نساء الدنيا أولى بالمدح وبالنعيم من الحور العين لفضلهن عليهن بالعبادة كما في الحديث فكيف يمدح الله الحور بشيء يحجبه عن من هن أولى به. أخلص القول إلى أن المقصود بهذه الآية: كل النساء في الجنة من الحور العين ونساء الدنيا والله أعلم.

❖ ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦)**﴾[الواقعة: ٣٥-٣٦]:

المقصود بهذه الآية النساء الآدميات كبيرات السن يدخلهن الله الجنة على غير خِلْقَتِهن التي مُتْن عليها فإن مُتن عجائز وكتب الله لهن الجنة أنشأهن خلقاً آخر فتيات جميلات بناتِ ثلاثٍ وثلاثين سنة.

قال قتادة وسعيد بن جبير: خَلَقهن الله خلقاً جديداً. وقال ابن عباس: يريد نساء الآدميات. وقال مقاتل والكلبي: يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط. وهذا يؤيده الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك.

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ في قوله: «﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً...﴾ **هُنَّ عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقاً جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدهن أبكاراً**». فلما سمعت عائشة بذلك قالت: واوجعاه، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**ليس هناك وجع**» وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦)﴾ **قال: عجائز كن في الدنيا عمشاً**[١] **رمصاً**[٢]»[٣] وفي الحديث الحسن الذي أخرجه أبو نعيم وأبو بكر بن أبي شيبة والطبراني وغيره عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن الجنة لا يدخلها عجوز**» فذهب النبي ثم رجع إلى عائشة فقالت: لقد لَقِيت من كلمتك مشقة وشدة. فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن ذلك كذلك إن الله ـ تعالى ـ إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً**».

والذي أراه والله أعلم: أن هذا الإنشاء ليس المقصود منه رجوع العجائز فتيات أبكار فحسب بل يتعداه إلى ما هو أبعد منه فهو لفظ عام يشمل جميع نساء الدنيا فيدخل تحته من كانت ناقصه الخلق والخلقة فلو كانت بعض النساء بهن عاهات وإعاقات ـ وما أكثرها اليوم ـ ويمتن وهن صغيرات السن شابات ينشأهن الله سليمات من هذه العيوب أو تكون سليمة وألم بها شأن كحرق وبرص وغيره ينشأها الله إنشاءً كاملاً متكاملاً لا عيب فيه.

---

(١) جمع: أعمش وعمشاء. والعمش: ضعف في البصر مع سيلان دمع العين في أكثر الأوقات.

(٢) جمع: أرمص ورمصاء، والرمص: اجتماع الوسخ الأبيض في العين.

(٣) حديث حسن بطرقه.

وتأمل تأكيد الفعل بالمصدر «إنشاءً» فهو مفعول مطلق مُؤكِد للفعل والفعل هو الإنشاء. أي أنشأها الله وأعدها إعدادًا كاملاً خلْقاً وخُلقا وتربية.

وكل ما سمعت - أيها المسلم - من صنوف اللذات وبديع الصفات وكمالها في تلك الحوريات لا يعدل أقل صفة من صفاتها فسبحان خالقها وتبارك في علاه.

وذكر **ابن القيم** في (حادي الأرواح) أن لمقاتل رأياً آخر اختاره الزجاج ورجحه ابن القيم وهو أن المقصود بالآية: ليس عجائز الدنيا وإنما هن من الحور العين أنشأهن الله من الجنة نشأة أولىٰ لا ثانية. ورجح ابن القيم هذا الرأي بقوله:

والظاهر: أن المراد أنشأهن الله تعالىٰ في الجنة إنشاءً وذكر أدلة منها:

أحدهما: قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً**﴾ وهذا ظاهرهُ أنه إنشاء أول لا ثان، لأن - سبحانه - حين يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك كقوله: ﴿**وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ**﴾ [النجم: ٤٧] وقوله: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ**﴾ [الواقعة: ٦٢].

الثاني: أن الخطاب بقوله: ﴿**وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً**﴾ [الواقعة: ٧] إلىٰ آخره للذكور والإناث، والنشأة الثانية أيضاً عامه للنوعين، وقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً**﴾ ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء، وتأمل تأكيده بالمصدر.

وغيرها من الأدلة.

وقال في الأخير: والحديث لا يدل علىٰ اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل علىٰ مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة، فلا يُتَوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هي أحقُ به منهن فالإنشاء واقع علىٰ الصنفين... والله أعلم.

❖ ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ [الرحمن: ٥٨]:

الياقوت والمرجان: حجران كريمان ثمينان جميلان بلغا الغاية في الحسن وهذه الآية وصف للشكل الخارجي للحور العين في الجنة وللعلماء في

تشبيههن بالياقوت والمرجان أقوال:

أحدهما: قول قتادة والحسن ومجاهد: إلىٰ أن الحور في صفاء الياقوت، وبياض اللؤلؤ[1] وقد نقله ابن القيم في (حادي الأرواح) وهو قول عامة المفسرين وعن قتادة أيضاً: في صفاء الياقوت وحمرة المرجان[2].

الثاني: أنهن مشبَّهات بالياقوت في حمرة الوجه وبالمرجان أي صغار الدُّرِّ في بياض البشرة وصفائها[3] وذكر الزمخشري أنه وصفهن بصفاء الدُّرِّ لأنه أنصع بياضاً[4].

وقال سليمان حسن في كتابه: (الجنة في القرآن الكريم): «والذي أراه أن الياقوت هو جوهر نفيس لونه وردي فهو ليس بالأبيض ولا الأحمر الشديد الحمرة، وأن المرجان إما أن يكون صغير اللؤلؤ أبيضه أو هو الحيوان البحري الذي يعيش في البحر الأحمر وهو شديد البياض، فالحور العين وجوههن كأنها الياقوت ذلك اللون الوردي الذي يحب الرجال أن تكون وجه النساء عليه فهو أبيض مشرب بحمرة، أما أجسامهن فهي بيضاء صافية كصفاء المرجان». ويؤيد ذلك قراءة عبد الله بن مسعود للآية ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قرأها: (وزوجناهم بعيسٍ عين) والعيساء «البيضاء تعلوها حمرة»[5]، وقال صاحب الفتوحات الإلهية: «ومن المعلوم أن الياقوت أحمر اللون فهذا تشبيه يقتضي أن لون أهل الجنة البياض المشرب بحمرة» وبقىٰ صفة لم يذكروها في الياقوت وهو أنه مع حمرته شفاف يشف ما وراءه قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن المرأة من أهل الجنة ليُرىٰ بياض ساقها ومخها من سبع حلل من**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

(٢) البحر المحيط/ لأبي حيان التوحيدي.

(٣) روح المعاني، الألوسي.

(٤) أنظر الكشاف ج٤ .

(٥) الكشاف للمزمخشري ج٣ .

حرير، وذلك بأن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الدخان: ٥٤]، **قال: فأما الياقوت فإنه حجرٌ لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه»**[1] وفي بعض الروايات **«سبعين حلة»** وفي رواية **«كما يُرىٰ الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء»** وهذه صفة حسن وجمال تضاف إلىٰ ما سبق ذكره.

إذن: نخلص في تفسير هذه الآية: إلىٰ أن نساء الجنة جميلات، وبشرتهن ناعمة بيضاء مشربة بحمرة، تشف عما ورائها بجمال وحسن لا يمكن تصوره ... والله أعلم.

❖ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]:

روىٰ الطبراني وغيره عن أم سلمة أنها قالت: «قلت يا رسول الله: أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قال: رقَّتهن كرقة الجلد الذي رأيتِ في داخل البيضة مما يلي القشرة وهو الغرقي»[2].

وتشبيه الحوريات بالبيض دلالة علىٰ رقتهن وحفظهن من أي مؤثر خارجي. قال الراغب: «وكنىٰ عن المرأة بالبيضة تشبيهاً بها في اللون وكونها مصونة تحت الجناح»[3] لأن البيضة من لوازمها أن يكون الجناح فوقها، والعرب تشبه النساء ببيض النعام.

أما المكنون فهو «المصون» يُقال: كننت الشيء، إذا صنته وأكننته: أي: أخفيته[4].

---

(١) حسن: أخرجه كثير من أهل العلم، وقد ضعفه الألباني وأقره محقق «الزهد». ولكن هذا الحديث توبع ثم تراجع محقق «الزهد» عن تضعيفه ومال إلىٰ تقويته برواية جمع ممن روىٰ عن عطاء بعد الاختلاط إلا أن عطاء قد توبع فيه كما أخرجه عبد الرزاق وغيره. والخلاصة: أن الحديث حسن إن شاء الله.

(٢) أخرجه أيضاً ابن كثير في «صفة الجنة»، وذكره ابن القيم في «حادي الأرواح».

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٤) تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة.

قال الراغب: الكن: ما يحفظ فيه الشيء. يقال: كننت الشيء كناً جعلته في كن وخص كننت بما يُستر ببيت أو ثوب، وغير ذلك من الأجسام[1].

وفي تشبههن بالبيض المكنون وجهان:

الأول: قول الحسن وغيره وهو أن بيض النعام يُكَنُّ ويحفظ بالريش من الغبار والريح فهو أبيض إلىٰ الصفرة.

الثاني: قول سعيد بن جبير: تشبيهاً ببطن البيض إذا لم تمسه يد[2].

ورجح ابن جرير أن معنىٰ «بيض مكنون» هو: بياض البيض الذي هو من داخل القشرة، واستدل بحديث أم سلمة عندما قال لها رسول الله ﷺ رقتهن كرقة الجلدة في داخل البيضة مما يلي القشرة وهي الغرقي.

قلت: وهناك دليل آخر من الآية نفسها فالله - عز وجل - قال: ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ فقد وصف الله البيض بإنه مكنون والصفة ملازمة للموصوف فلو قلنا إنها مكنونة ومحفوظة تحت الجناح - كما قال الراغب - فهذا غير مُتَأَتي ويرده العقل؛ لأن الجناح لا يحفظ البيضة بشكل دائم، وإنما هو مؤقت لأن الطائر يغادر البيض كثيراً ثم يرجع إليه حتىٰ لو كان الطائر يرقد علىٰ البيض بشكل دائم فإنه لا يمكن للجناح أن يحفظ البيض من الغبار والهواء والماء وغيرها مما يؤثر علىٰ البيض تأثيراً سلبياً ففي هذه الحالة تنتفي صفة الحفظ. والصحيح والله أعلم أنها محفوظة ومكنونة بالقشرة لأن القشرة تحفظ ما تحتها حفظاً تاماً كاملاً وهذا الذي يؤيده الحديث.

قال سليمان حسن في كتابه (الجنة في القرآن الكريم): «والذي أراه أن تشبيههن ببيض النعام من حيث اللون أولىٰ لأن العرب تشبه النساء به من حيث لون أجسادهن ولون جسد المرأة المرغوب عندهم ما كان أبيض مائلاً

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب.

(٢) النكت والعيون، للماوردي - تفسير بن كثير، ج٤ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج١٥ .

للصفار. أو ما يسمى بالأشقر، وهذا اللون الذي يحبه الرجال في أجساد النساء أما القول: أنه شبههن بالبيض من حيث عدم المس والتطهير فلا يصح لأن الله عندما أراد أن ينزههن عن المس قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ وإنما وصف أجسادهن وبشرتهن لا تنزيههن».

قلت: ورأيه أقرب للصحة؛ لأن هذا الوصف يندرج تحته نساء الدنيا اللاتي دخلن الجنة فهن أولى بهذا الوصف، وهن قد مسهن الرجال في الدنيا، ولكننا لا نقطع بصحة هذا الرأي، فقد يكون كلا المعنيين صحيحاً لرأينا الذي ذكرناه في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ فارجع إليه.

إذن: تفسير هذه الآية أن بشرة نساء الجنة (الحوريات) ناعمات رقيقة كرقة الجلدة التي تحيط بالبيضة من الداخل، وهذا يعني أن بشرتهن بيضاء صافية سليمة من أي عيب من عيوب البشرة، كالكلف والنمش والبثور وغيرها، وهذه الصفة صفة مدح يفضلها الرجال كما قال الشاعر:

يَكَادُ خَرِيرُ المَاءِ يَخْدِشُ جِلْدَهَا ... إِذَا اغْتَسَلَتْ مِنْ رِقَّةِ الجِلْدِ

*** مسألة:**

معلوم أن المشبه أقل مرتبة من المشبه به (فالحور العين) مشبه و(البيض المكنون) مشبه به فهل تكون رقة الجلد في البيضة أفضل وأرق من رقة بشرة الحوريات؟

الجواب على ذلك: بالطبع لا؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب ومن لغة العرب أسلوب بلاغي هو «التشبيه المقلوب» كقولك «القمر كهند» فالقمر أشد إضاءة من هند، ولكن لشدة بياض هند وإشراقها جعل القمر يشبهها، وبمرتبة أقل من مرتبتها، وهذه الآية برأيي من التشبيه المقلوب، فالحوريات أكثر نعومة وأرق من جلدة البيض وأكثر صوناً منها، وقد يكون التشبيه غير مقلوب. ولكن شبهت بالبيضة لتقريبها إلى الأذهان والأفهام. والله أعلم.

نساء الدنيا في الجنة أفضل من الحور العين

لاشك أن هذه المسألة أشكلت على الكثير من الناس حتى قالت بعض المسلمات: إن كان ما مضى من وصف الحور العين وذكر محاسنهن ترغيباً للرجال فماذا يكون لنا نحن من النعيم؟ وما موقعنا من الحور العين؟ وما نصيبنا من الجمال؟

والجواب: إن النساء المؤمنات في الجنة لهن كل أنواع النعيم في الجنة مثل الرجال تماماً، وربما أكثر لأن كثيرمن النساء أفضل من الرجال بسبب تقواهن في الدنيا وعبادتهن وبالتالي يسكنهن الله في أعلى درجات الجنة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وإن كان الأمر كذلك فلهن أفضلية على الحور العين بكل شيء وهذا يتأكد عقلاً وشرعاً.

❖ **أما العقل:**

فلا يمكن أن يساوي الله بين من خلقها في دار الامتحان وجعل المغريات أمامها وجاهدت نفسها على طاعة الله وعملت من الصالحات وعانت من أعداء الدين وصبرت وصابرت حتى أتاها اليقين؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] هل يعقل أن يساوي الله بينها وبين من خلقهن من الجنة وكتب عليهن عدم المعصية بل نزعها من قلوبهن وجعلها في مكان طاهر مُقدس لا يُعص الله به. بالطبع لا.

❖ **وأما الشرع:**

فحديث أم سلمة الطويل والشاهد فيه أن أم سلمة سألت النبي ﷺ : «قلت يا رسول الله: نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «**بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظِّهارة على البطانة**» قلت: يا رسول الله: بماذا؟ قال: «**بصلاتهن وصيامهن، وعبادتهن، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدُّرّ وأمشاطهن الذهب**»[1].

وكذلك حديث الصور في صفة دخول المؤمنين الجنة: قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما يُنشئ الله، وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا..**»[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن حيان بن أبي جبلة قال: «**إن لنساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلاً على الحور العين بما عملن في الدنيا**»[3]وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين، يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»[4] تقول عائشة: أن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجبنهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضآت وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن، قالت عائشة: فَغَلَبْنَهُن.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه ـ كما في المطالب (رقم ٢٩٩١) والطبري في تفسيره في عدة مواضع ـ مطولاً ومختصراً. وأبو الشيخ في «العظمة» والطبراني في «الطوالات» رقم ٣٦ والبيهقي وابن المنذر وأبو يعلى وأبو موسى المديني وغيرهم الكثير (والحديث لمعظمة شواهد).

(٣) رواه برقم (٢٨٦).

(٤) رواه الترمذي.

*** مسألة:**

قال ﷺ في دعائه للميت في صلاة الجنازة «وأبدله زوجاً خيراً من زوجه».

فهل يدل هذا على أن الحور العين أفضل من النساء المؤمنات؟

الجواب: بالطبع لا، وحديث النبي هذا باعتبار الحال، فالحور العين في الجنة أفضل بالتأكيد من النساء في الدنيا قبل دخولهن الجنة؛ لأن الفرق بينهما واضح وبيِّن؛ لأن الميت عندما يموت تكون حالة زوجته في الدنيا على ما هي عليه من النقص وتكون حالة زوجته في الجنة كما هي عليه من الكمال والطهارة.

ففي تلك اللحظات تُفضل الحور العين على النساء المؤمنات ولكن في الآخرة يكون العكس والله أعلم.

وقد قال بعض العلماء أن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف.

إذن: يتبيَّن لنا من خلال الأدلة السابقة أن النساء المؤمنات أفضل في الجنة من الحور العين، فالمؤمنات في الجنة ملكات الحور العين، وهنَّ أفضل في النعيم وأفضل في الجمال وأقرب إلى نفوس الرجال والله أعلم.

*** مسألة:**

إن كان للرجل في الجنة أزواج كثيرة فإنه ينتقل من زوجة إلى زوجة أخرى كلما أراد ذلك، ولكن المؤمنات في الجنة من أهل الدنيا إن أردن الزوج هل يحصلن عليه بلحظتها؟ أم تزاحمهنَّ بقية الحور العين عليه فلا يأتيها إلا بأوقات متفاوتة؟

الجواب: إن أمور الجنة لا تُقاس بأمور الدنيا فيكفينا فيها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ فإن أرادت الزوجة زوجها عطف الله قلبَه عليها فيجيئها ثم إن الحور العين والنساء من المؤمنات في الجنة مشغولات بالنعيم المتعدد فالنعيم في

الجنة لا يقتصر على الجلوس مع الزوج فقط بل هو متعدد غير محدود ولا منقوص، ثم من يدري لعلّ نساء الجنة من الآدميات يكن مرافقات للزوج في أغلب أحواله. والميزان في ذلك قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ فإن شاءت الزوجة شيئاً لباه لها الجبار، والأفضلية للآدميات بكل شيء والله أعلم.

المرأة ذات الأزواج لمن تكون في الآخرة

المرأة التي تتزوج في الدنيا بأكثر من زوج وذلك بأن تكون مطلقة أو أرملة لمن تكون في الآخرة؟ ولأي الأزواج تؤول؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين ذكرهما الألوسي في تفسيره وقال: «واختلف في المرأة ذات الأزواج إذا كانوا قد ماتوا عنها فقيل: هي في الجنة لآخر أَزواجها، ويؤيده كون أمهات المؤمنين زوجاته ﷺ مع كون أكثرهن كنَّ قد تزوجن قبلُ بغيره - عليه الصلاة والسلام -... إلى أن قال: **«وقيل أن الزوجة: تُخير يوم القيامة بين أزواجها، فمن كان منهم أحسنهم خلقاً معها كانت له، وارتضاه جمع»**[1] أ. هـ

والقول الأخير أرجح وأظهر لأدلة منها:

ما ذكره القرطبي في (التذكرة) من حديث أبي بكر النجاد الذي رواه أنس عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ أنها قالت: يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان في الدنيا ثم يموتون ويجتمعون في الجنة لأيهما تكون للأول أو للآخر؟ قال: **«لأحسنهم خلقاً كان معها يا أم حبيبة، ذهب حسن الخُلُق بخير الدنيا والآخرة»**.

وفي حديث طويل عن أم سلمة - رضي الله عنها - الشاهد فيه أنها قالت: «قلت يا رسول الله المرأة تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت، فتدخل الجنة، ويدخلون معها، من يكون زوجها قال: **«يا أم سلمة، تُخير فتختار أحسنهم خلقاً؟ تقول: يا رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا، فزوجنيه»**[2].

واستدل أهل الرأي الأول بقول أبي بكر الصديق لابنته أسماء حينما ضربها

---

(١) روح المعاني ج١٣.

(٢) أخرجه الطبراني والطبري، وابن كثير في «صفة الجنة» وغيرهم.

الزبير بن العوام وقد اشتكت له: «أي بنية اصبري فإن الزبير رجل صالح ولعله يكون زوجك في الجنة» وفي رواية أخرى يرويها ابن عساكر عن عكرمة: «يا بنيه اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنها، فلم تتزوج بعده جُمع بينهما في الجنة»(١).

ويقول حذيفة بن اليمان لزوجته: «إن سَرَّك أن تكوني زوجتي في الجنة - إن جمعنا الله - لا تتزوجي من بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا» وتقول زوجة أبي الدرداء حينما خطبها معاوية بن أبي سفيان فأبت وقالت: «سمعنا أبا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: المرأة لآخر أزواجها في الجنة وقال لي إن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي من بعدي»(٢).

واستدلوا أيضاً بقول سودة زوج النبي ﷺ لما هم رسول الله ﷺ بطلاقها قالت: **«دعني يا رسول الله احشر في زمرة نسائك»** والله أعلم بالحق.

قلت: أن الأصل في الجنة أن المرأة لآخر أزواجها ودل على هذا الشرع والعقل، فالشرع لورود أدلة صحيحة تؤكد ذلك أما العقل: فإن المرأة المتزوجة لا يجوز شرعاً ولا عقلاً خطبتها ولازواجها لأنها مرتبطة برجل آخر ومتزوجة به، فإن مات عنها هذا الرجل أصبحت بائنة عنه تنفك روابط الزوجية بعد انقضاء العدة، فإن تزوجت برجل آخر بعد موت زوجها الأول يكون زواجها الثاني ناسخاً للزواج الأول، فإن ماتت بعد زواجها الثاني، تكون ماتت والزواج مستمر فهي في هذه الحالة تكون تابعة لزوجها الثاني ونستطيع أن نجمع بين الأدلة بأن نقول: أن المرأة ذات الأزواج تكون لآخر أزواجها الذي مات عنها أو ماتت عنه هذا هو الأصل فإن لم ترتضي منه ديناً ولا خلقاً فإنها تختار أفضل أزواجها لورود الدليل بذلك والله أعلم.

---

(١) رجاله ثقات إلا أن فيه إرسالاً لأن عكرمة لم يدرك أبا بكر إلا أن يكون تلقاه عن أسماء.

(٢) حديث صحيح صححه الألباني.



*** مسألة:**

ما موقف من ماتت بكراً ولم تتزوج؟

الجواب: يزوجها الله ـ عز وجل ـ برجل من رجال الجنة وهذا من كرمه ـ سبحانه ـ.

روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنهم تذاكروا: الرجال أكثر أهل الجنة أم النساء؟ فقال: **«ألم يقل رسول الله ﷺ ما في الجنة أحد إلا له زوجتان؟ وإنه ليرىٰ مخ ساقها من وراء سبعين حلة وما فيها عَزَبٌ»**.

*** مسألة:**

هل جمال الحور العين يقف عند هذا الحد العظيم من الحسن أم يزيد وينقص؟

الجواب: بالطبع غير ثابت بل هو في ازدياد مستمر علىٰ مر الدهور والأزمان. روىٰ مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلىٰ أهليهم[١]، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازدتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون: وأنتم والله لقد ازدتم بعدنا حسناً وجمالاً»**[٢].

ورویٰ أبو نعيم في (صفة الجنة) عن كعب أنه قال: «ما نظر الله ـ تعالىٰ ـ إلىٰ الجنة قط إلا قال: **«طيبي لأهلك، قال: فتزداد طيباً علىٰ ما كانت عليه حتىٰ يدخلها أهلها»**[٣] قال السيوطي في وصف أهل الجنة: «... ثم يسيرون إلىٰ

---

(١) أي أزواجهم.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب: في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال.

(٣) رواه أبو نعيم برقم (٢١) وقد أخرجه عبد الله بن أحمد كما في «حادي الأرواح».

منازلهم ويدخلون القصور فتقول المرأة لزوجها ما أشد حسنك اليوم! وما أكثر نور وجهك! فيقول لها نظرت إلىٰ وجه ربي، فوقع نوره علىٰ وجهي، ويقول لها: وأنت والله عظم حسنك، ونار وجهك فتقول له كيف لا يُنور وجهي وقد وقع عليه نور ربي...».

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «يقعد الرجل من أهل الجنة مع زوجته، فتناوله الكأس، فتقول: لأنت منذ ناولتك الكأس أحسن منك قبل ذلك سبعين ضعفاً قال: وعليها سبعون حلة ألوانها شتىٰ، يُرىٰ منها مخ ساقها»[1].

---

(١) صفة الجنة، ابن أبي الدنيا

المطلب الخامس:
جماع أهل الجنة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٥ـ٥٨].

قال ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿فِي شُغُلٍ﴾ أي: بافتضاض الأبكار.

إن جماع أهل الجنة ثابت بأحاديث صحيحة وصريحة، ويتم بصورة كاملة طاهرة مبرأة من النقص الذي يعتري أهل الدنيا، فصفات الحور ـ كما مر بنا ـ تفوق حد التصور الإنساني، وتقف الألسنة يائسة عن وصفها وتتلعثم الألفاظ وتتعثر الجمل في الحديث عنها إنها أنثىٰ خلقها الله هدية لعبادة الصالحين، وجعلها ثمناً لترك المحرمات ومجاهدة النفس في المكروهات إن كان هذا حالها فما بالك بعناقها؟ ثم ما بالك بما هو فوق العناق؟

لقد جاءت أحاديث كثيرة وأدلة وفيرة في إثبات جماع أهل الجنة بأحسن صورة وأكمل حال، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ: **«أيمس أهل الجنة نساءهم، قال: نعم بذكر لا يمل وفرج لا يحفىٰ، وشهوة لا تنقطع»**[(١)] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إن الرجل ليفضي في الغداةِ الواحدة إلىٰ مائة عذراء»**[(٢)].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: عندما سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: **«نعم**

(١) أخرجه البزار وابن أبي الدنيا وأبو نعيم وغيرهم.
(٢) رواه الطبراني والبزار وأبو نعيم وغيرهم، وإسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

والذي نفسي بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً»(١) .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **«إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً»**(٢) .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **«تتلذذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلذذكم»** وهذا الجماع لا ضعف فيه بل يكون بقوة مائة رجل كما صح عن النبي ﷺ حينما قال : **«يُعطىٰ المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع»**، فقيل : يا رسول الله ويُطيق ذلك؟ قال : **«يُعطىٰ قوة مائة»**(٣) وهذه القوة التي أُعطيت للزوج في الجنة تشاركه فيها زوجاته فقد أعدها الله وهيأها لتحمل ذلك .

وهذا الجماع لا يوجد ما ينقصه أبداً لا منيٌ ولا منية ، فلا يترتب علىٰ جماعهم مني أبداً ، فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ سُئل : هل يجامع أهل الجنة؟ فقال : **«نعم دحماً دحماً ، ولكن لا مني ولا منية»** وقرن كلمة **«منية»**(٤) مع **«مني»** لكمال لذة الجماع وتعلق النفس بها هناك في الجنة ، فنفىٰ الموت حتىٰ يكمل الاستمتاع بالجماع بلا خوف من الموت الذي يقطع هذه اللذة .

وقال ابن عباس : «إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحور سبعين سنة لا يملها ولا تمله ، كلما أتاها وجدها بكراً وكلما رجعت إليه عادت إليه شهوته فيجامعها بقوة سبعين رجلاً لا يكون بينهما مني ، يأتي من غير مني منه ولا منها» .

وقد يقول قائل : إن كانت المرأة تجامع بهذه الكثرة والقوة ألا تتوجع

---

(١) حديث حسن .

(٢) رواه الطبراني وأبو نعيم والبزار ، وللحديث طريق آخر قوي .

(٣) صحيح : رواه الترمذي ، وقال : «حسن صحيح» ، وهو كما قال .

(٤) يعني الموت .

وتتألم، قال في ذلك النبي ﷺ حينما فسر قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧] قال: هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقاً جديداً كلما أتاهن أزواجهن وجدهن أبكاراً، فلما سمعت أم المؤمنين عائشة ذلك قالت: «واوجعاه» فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«ليس هناك وجع»**. وقال سعيد بن جبير: إن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً يجد اللذة، ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلىٰ التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه.

وقال أبو سليمان: «يخرج أهل الجنة من قصورهم إلىٰ شاطئ تلك الأنهار، والحور فيهن جالسة علىٰ كرسي ميل في ميل قد خرجت عجيزتها من جانب الكرسي، فكيف يريد أن يكون في الدنيا من يريد افتضاض الأبكار علىٰ شاطئ الأنهار»[(١)].

وقال **ابن القيم**: إن أكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام. يعني كلما كان الرجل عفيفاً عن الزنا والنظر والحرام وغيرها كان التذاذه بالجماع هناك أعظم من غيره ممن ارتكبوا الحرام في الدنيا، إلا أن يتوبوا[(٢)].

وكلام ابن القيم: لا يُسلَّم به إذ لا دليل معه عليه فأهل الجنة حينما دخلوا الجنة إنما دخلوها برحمة الله ومغفرته لهم ورضاه ابتداءً أو بعد تطهيرهم بالنار ونفي الخبث عنهم، فاللذَّة واحدة في الجنة وإن كان من اختلافٍ فيها إنما يكون الاختلاف من منزلة لأخرىٰ. والله أعلم.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

المطلب السادس:
الولادة في الجنة

إذا نزل الناس منازلهم في الجنة، واستقروا بها زوجهم ربهم بالحور العين، وهذا الزواج لا يترتب عليه ما يترتب على الزواج في الدنيا من الولادة وغيرها، لأن الزواج في الدنيا له غايتان قضاء الوطر، وحفظ النسل واستمراره، فلابد من وجود نسبة وتناسب بين دفع الأرحام وبلع الأرض، وهذه النسبة تكون بالتوالد، فبه تعمر الأرض بالناس، ويعبد الله في الأرض، هذا في أمور الدنيا وقوانين الأرض أما في أمور الآخرة وقوانين الجنة فإن الأمر يختلف تماماً؛ لأن الزواج في الجنة له غاية واحدة وهي اللذة والسرور.

وفي هذه المسألة حدث تنازع وخلاف بين أهل العلم فبعضهم يرى أن الجنة ليس فيها توالد، والبعض يثبت التوالد في الجنة، ولكل فريق منهم أدلته التي استدل بها فقد استدل أهل الرأي الأول الذي يرى انتفاء الولد في الجنة بقوله - عليه السلام -: **«الصالحات للصالحين، تلذذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلتذذن بكم غير أن لا توالد»**[1] وبحديث آخر عن أبي أمامة الباهلي أن رجلاً سأل النبي ﷺ: **«هل يتناكح أهل الجنة فقال: نعم. دحماً دحماً لا مني ولا منية»**[2] وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما**

---

(١) هذا الحديث جزء من حديث طويل رواه الطبراني في «الكبير» مطولاً، وأخرجه عبد الله بن الأمام أحمد في «زيادات المسند» مطولاً، وأخرجه أبو داود مختصراً وغيرهم، قال عنه الهيثمي: رواه عبد الله والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسناده متصل، ورجاله ثقات. قال عنه ابن القيم: عليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما يُنادي على صحته.

(٢) أخرجه الطبراني وابن عدي وأبو يعلى والبيهقي وله عدة طرق.

يشتهي، ولكن لا يشتهي هذا أبداً»[١] وقد روي عن أبي زين العقيلي عن النبي ﷺ قال: «أن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد»[٢] وهكذا يُروىٰ عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي.

واستدل أهل الرأي الآخر الذي يرىٰ توالد أهل الجنة بحديث رواه أبوسعيد الخدري أن النبي ﷺ سُئل أيولد لأهل الجنة، فإن الولد من تمام السرور؟ فقال: ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «والذي نفسي بيده ما هو إلا كقدر ما يتمنىٰ أحدكم، فيكون حمله ورضاعه وشبابه»[٣].

وحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهي، فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة»[٤] وحديث أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد المؤمن الولد في الجنة فإن حمله ووضعه وشبابه في ساعة كما يشتهي»[٥] والذي أراه أنه ليس في هذا الحديث دليل علىٰ التوالد لأن النبي ﷺ قال في بداية الحديث: «إذا أراد» والمؤمن لا يريده في الجنة فتوقف الجواب علىٰ الشرط ويؤيد هذا الكلام قوله ﷺ في الحديث السابق: «ولكن لا يشتهي هذا أبداً».

---

(١) حديث حكم المحدثون عليه بالصحة كما بين هذا عبد الله المنشاوي في كتابه «الصحيح من التذكرة».

(٢) حديث حكم المحدثون عليه بالصحة كما بين هذا عبد الله المنشاوي في كتابه «الصحيح من التذكرة».

(٣) أخرجه أبو نعيم، وعبد بن حميد في «المنتخب» وهناد في «الزهد» وهو حديث ضعيف جداً من أجل «إبَّان» فهو متروك.

(٤) أخرجه أبو نعيم والبيهقي.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال عنه الترمذي: «حسن غريب»، وقال الضياء: هذا الحديث عندي علىٰ شرط مسلم. وقال عنه المحقق عمرو عبد المنعم سليم محقق «صفة الجنة» لابن أبي الدنيا: حديث منكر.

قال ابن كثير بعد أن ذكر عن العلماء عدم إمكانية التوالد في الجنة قال: وهذا صحيح، وذلك أن جماعهم لا يقتضي ولداً كما هو الواقع في الدنيا، فإن الدنيا دار يُراد منها بقاء النسل لتعمر، وأما الجنة، فالمراد بها بقاء اللذة ولهذا لا يكون في جماعهم مني يقطع لذة جماعهم، ولكن إذا أحب أحدهم الولد وقع ذلك كما يريد. قال تعالى: ﴿**لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل: ٣١][1].

وقد استدل الذين قالوا إن الجنة لا ولادة فيها بما مضى من الأدلة النقلية الصحيحة الصريحة وبعدة أدلة مفهومة تتلخص بما يلي:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾ [البقرة: ٢٥] قوله: ﴿**مُّطَهَّرَةٌ**﴾ يعني من الأذى والنقص والحيض والنفاس وإن كانت مطهرة من الحيض والنفاس يترتب عليها طهورها من الولد لأن الحيض والنفاس من لوازم الولادة ولذلك قال مجاهد: «مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد»[2].

الدليل الثاني: قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً**»[3] قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**عادوا أبكاراً**» دلالة على عدم الولادة لأن الزوج إن قام عن زوجته رجعت بكراً والبكر لا تحمل ولا تلد إطلاقاً.

الدليل الثالث: قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**غير أنه لا مني ولا منية**» والولد إنما يخلق من مني الرجل وإن لم يكن هناك مني لم يكن هناك ولادة.

الدليل الرابع: ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**يبقى في الجنة فضل**

(١) صفة الجنة، ابن كثير.

(٢) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم ٣٦٢ وابن جرير وهناد في «الزهد» والبيهقي وغيرهم.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير والبزار والضياء المقدسي.

فينشئ الله لها خلقاً يسكنهم إياها»(١) ولو كان في الجنة ولادة لكان الفضل في الجنة والزيادة لأولاد أهل الجنة ولم تكن للذين يخلقهم الله فيسكنهم إياها لأنهم أحق بها من غيرهم.

الدليل الخامس: أن الله - عز وجل - قدر الولادة في الدنيا لتستمر البشرية وتعمر الأرض بالناس، ولذلك فإن الملائكة لا تتناسل لأنها لا تموت، إذن تمتنع الولادة في الجنة لامتناع الموت فيها.

الدليل السادس: أن الله - سبحانه وتعالىٰ - قال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ [الطور: ٢١] فالله أخبر أنه يُلحق أهل الجنة ذريتهم في الدنيا، ولو أن في الجنة ولادة لذكرهم كما ذكر ذرياتهم في الدنيا.

الدليل السابع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو أهل الدنيا في الدنيا، بل الجميع يدخلونها علىٰ سنٍ واحدة وهي ثلاث وثلاثون سنة، فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتىٰ يصير رجلاً، ومعلوم أن من مات من الأطفال يُردون إلىٰ أبناء ثلاث وثلاثين من غير أن ينموا نمواً تدريجياً.

الترجيح في هذه المسألة:

إن القطع في هذه المسألة مستعص، فالله - عز وجل - يقول: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا**﴾ [ق: ٣٥] وقال: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ**﴾ [الزخرف: ٧١] فما المانع من الولادة إن اشتهىٰ أهل الجنة ذلك.

ولم يتبين الحق لي في هذه المسألة ولذا أَكِلُ علمها إلىٰ الله - سبحانه -، ولكن النفس تميل إلىٰ انتفاء الولادة في الجنة لأن دليل القائلين بالولادة هو حديث أبي سعيد الخدري الذي أجود أسانيده إسناد الترمذي، وقد حكم بغرابته وأنه لا يُعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي، وقد اضطرب لفظه فتارة يُروىٰ عنه «إذا اشتهىٰ الولد» وتارة «أنه ليشتهي الولد» وتارة «إن الرجل

---

(١) رواه مسلم.

من أهل الجنة ليولد له» والله أعلم.

حاصله:

إن أهل العلم مختلفون في هذا منذ القدم، فقد حكىٰ الترمذي أن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك علىٰ قولين. وأقول: أن العلم في هذه المسألة لا يتوقف عليه شيء ولا يتقدم، وليس فيه كثير فائدة ولا ينبغي بحثها أكثر من ذلك، والذي يجب الإيمان به أن الجنة لها قوانين تختلف عن قوانين الدنيا ولا يحيط بما يجري فيها إلا خالقها فترك علمها إلىٰ الله أفضل ما يُقال فيها، والله أعلم بالصواب.

المطلب السابع:
حلي أهل الجنة

قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١].

والآيات والأحاديث صريحة وكثيرة في حلي أهل الجنة وتزينهم بها، وقد أفرد الله ذكر نوع واحد من حلي أهل الجنة في القرآن وهي الأساور ـ كما مر بنا في الآيات السابقة ـ وهذا لا يعني حصر الحُلِي في الأساور فقط بل هي أنواع كثيرة، وقد ذُكر نوع آخر منها في الحديث والبعض الآخر أخفي ليكشف الستار عنه هناك في يوم الكرامات.

وسوف نستعرض هذين النوعين بشيء يكشف عن بعض جوانبها من خلال الأدلة وأقوال العلماء فيها:

الأساور:

نلحظ في سياق الآيات السابقة الواردة في الأساور أنها مبنية للمجهول حيث قال تعالى: «يُحلون ـ وحلُّوا ـ يُحَلون» والسبب في ذلك بينه الألوسي فقال: «سبب بنائها للمجهول، لأنهم لا يلبسون هذه الحُلي بأنفسهم، بل الذين يلبسونهم الغلمان والخدم لزيادة التكريم والتنعيم، وقال: أن عادة ملوك أهل الدنيا أن يلبسهم الخدم الحلي»(١).

وليست هذه الأساور من الذهب فقط بل هي من الذهب المرصع باللؤلؤ والفضة، أو أن تكون هذه الأساور من الذهب الخالص أو من اللؤلؤ الخالص

---

(١) روح المعاني، الألوسي.

أو الفضة الخالصة، وقد دلل ابن القيم على هذا بالآية الكريمة.

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ حيث قال: واختلفوا في جر «لؤلؤ» ونصبه، فمن نصبه ففيه وجهان:

الأول: أنه عطف على موضع قوله: ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ ﴾.

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول، أي ويحلون لؤلؤاً.

ومن جره: فهو عطف على الذهب، ثم يُحتمل أمران:

الأول: أن تكون لهم أساور من ذهب، وأساور من لؤلؤ.

الثاني: أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً الذهب المرصع باللؤلؤ، والله أعلم بما أراد[1].

أما دليل أساور الفضة فقوله تعالى: ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أسواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»**[2].

وعن أبي هريرة أن أبا أمامة حَدَّث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حُلي أهل الجنة فقال: **«مُسوَّرون بالذهب والفضة مُكلّلون بالدُّرّ عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك»**[3].

ويمكننا الجمع بين ما مضى من الأدلة بأن نقول: أن أساور أهل الجنة متنوعة منها ما هو ذهب خالص، ومنها ما هو فضة خالصة، ومنها ما هو لؤلؤ، ومنها ما هو جامع للذهب والفضة واللؤلؤ. والله أعلم.

قال الزمخشري: «أنهم يسورون بالجنسين الذهب والفضة إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تُزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينهما»[4].

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) رواه الترمذي وأبو نعيم وابن أبي الدنيا.

(٣) ذكره ابن كثير في «النهاية»، وفي تفسيره، وكذا ابن القيم.

(٤) الكشاف، الزمخشري.

التيجـــان:

وهو أحد أنواع الحلي الذي يتزين به أهل الجنة، ويُلبس على الرأس فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«وعليهم تاج كتاج الملوك»**[١] وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، وإن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها تضيء ما بين المشرق والمغرب»**[٢].

والتيجان أنواع: كتاج الكرامة وتاج الوقار

دل عليه قوله ﷺ: **«من قرأ القرآن فأكمله، وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس»**[٣].

وبين نوع هذا التاج ما ثبت عن أبي هريرة وابن عمر - رضي الله عنهما - قولهما أن التاج الذي يلبسه صاحب القرآن ووالداه يُسمى تاج الكرامة[٤].

وقد روى الأمام أحمد أيضاً أن تاج الوقار يكون لمن تعلم سورتي البقرة وآل عمران، وبعض الروايات يكون لمن تعلم سورة البقرة فقط[٥].

وروى الترمذي أن النبي ﷺ قال: **«للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوته منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»**[٦].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الأمام أحمد وابن حبان وأبو يعلى وغيرهم، وقال عنه الهيثمي: «إسناده حسن».

(٣) رواه الإمام أحمد.

(٤) انظر سنن الدارمي.

(٥) رواه الدارمي في سننه.

(٦) رواه الإمام أحمد والترمذي.

خلاصة القول:

أن أهل الجنة يُزينون بالحُلي النساء والرجال علىٰ حدٍ سواء فقد روىٰ ابن أبي الدنيا عن الحسن قوله: **«الحلي في الجنة علىٰ الرجال أحسن منه علىٰ النساء»** فهو يزين الرجال والنساء، وهذه الحلي أنواع كثيرة بين القرآن والسنة بعضاً منها وهي الأساور والتيجان، وهذه الأساور أنواع منها ما هو من الذهب ومنها ما هو من الفضة ومنها ما هو من اللؤلؤ، ومنها ما يجمع بين الذهب والفضة واللؤلؤ، وقد يوجد في الجنة من الأساور ما لا يعلم معدنه إلا الله أما التيجان فنوعان: تاج الكرامة وتاج الوقار وقد يكون في الجنة أنواع غير هذين النوعين، وهذه التيجان من الذهب المرصع باللؤلؤ والياقوت والجواهر النفيسة.

وأرىٰ أيضاً أن في الجنة حلياً غير هذه الحلىٰ المذكورة منها ما هو خاص بالنساء كالخلاخيل والأقراط وما لا نعلمه من خصوصية حلي الإناث، ومنها ما هو مشترك بين النساء والرجال كالأساور والتيجان والخواتم والقلائد وما لا نعلمه من حلي الجنة، وأن هذه الحلي تبلغ من المؤمن حيث يبلغ الوضوء، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قوله: سمعت من خليلي رسول الله ﷺ قوله: **«تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»**[1] وفي مشروعية إطالة الوضوء لأجل كثرة الحلية خلاف منهم من رأىٰ استحبابه ومنهم من رأىٰ غير ذلك.

ولم يرد في تصنيع هذه الحلي خبر عن النبي ﷺ هل هي تخلق علىٰ حالتها أم أنها تُصاغ وتصنع إلا أنه قد ورد خبرٌ عن كعب الأحبار ذكره ابن أبي الدنيا: «أن لله ملكاً منذ يوم خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلىٰ أن تقوم الساعة، ولو أن قلبا من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعدها عن حلي أهل الجنة».

---

(١) رواه مسلم.

وبقى أن أنوه إلى عظمـة وجمـال حُلي أهل الجنة من خلال حـديث رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«من سـره أن يسقيه الله من الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركها في الدنيا أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت حلية أهل الدنيا جميعاً»**[1] أي حلية أدنى أهل الجنة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً.

---

(١) إسناده لا بأس به. عزاه العراقي للطبراني في «الأوسط» وحسن إسناده وقال المنذري: رواته ثقات إلا شيخه - يعني شيخ الطبراني - المقدام بن داود، وقد وُثِّق وتبعه الهيثمي في «المجمع» وعزاه ابن القيم للحاكم وابن كثير أيضاً.

الفصل الخامس

مباحث وقضايا حول الجنة

المبحث الأول: الخلاف في الجنة التي سكنها آدم.

المبحث الثاني: الحكمة من إهباط آدم إلى الأرض.

المبحث الثالث: الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

المبحث الرابع: الأوائل دخولاً إلى الجنة.

المبحث الخامس: الجنة باقية لا تفنى.

المبحث السادس: القول في فناء النار.

المبحث السابع: المنامات.

المبحث الثامن: منثورات.

المبحث التاسع: وصف الجنة من النونية.



المبحث الأول:
الخلاف في الجنة التي سكنها آدم

اختلف العلماء في الجنة التي سكنها آدم هل هي جنة الخلد أم أنها غيرها فقد اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً جداً وأورد كل فريق أدلته ثم رد كل فريق على أدلة الفريق الآخر أورد هذا كثير من أهل العلم ورجحوا بين هذه الأقوال، ومن جملة من ذكر هذا الخلاف **ابن القيم** في كتابة الشهير (مفتاح دار السعادة) لكنه لم يرجح بين هذه الأقوال. وسوف أذكر فيما يلي أهم أدلة الفريقين بصياغة قريبة من الأفهام مع ذكر الردود على هذه الأدلة.

أدلة الذين قالوا: أنها ليست جنة الخلد:

ذهب إلى هذا الرأي: ابن عباس، وسفيان بن عيينه، ووهب ابن منبه، وأبو مسلمة الأصبهاني (صاحب التفسير)، ومنذر ابن سعيد البلوطي، وأبوالقاسم البلخي وأبو حنيفة.

١ـ أن جنة الخلد التي تُدخل بعد القيامة من حيز الآخرة وهي تدخل في اليوم الآخر ولم يأت اليوم الآخر بعد.

٢ـ قد وصفها الله لنا في كتابه بصفاتها ومحال أن يصف الله شيئاً بصفة ثم يكون ذلك الشيء مخالف لما وصفه الله به، لأَن الله وصفها بدار المقامة ولم يُقِم بها آدم ووصفها بأنها جنة الخلد ولم يخلد فيها آدم، ووصفها بأنها دار جزاء ولم يقل أنها دار ابتلاء، وقد ابتلى آدم فيها بالمعصية والفتنة ووصفها بأنها ليس فيها حزن وقد حزن فيها آدم، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها آدم، وسماها دار القرار، ولم يستقر فيها آدم، وقال فيمن يدخلها: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] وقد أخرج منها آدم بمعصيته، وأخبر الله أنه لا

يُسْمع فيها لغو ولا تأثيم، وقد أثِم فيها آدم وأسمع فيها ما هو أكبر من اللغو وهو أنه أُمر فيها بمعصية الله ـ عز وجل ـ، وقد شرب آدم من شرابها الذي سماه في كتابه: ﴿ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١] أي: مطهر من جميع الآفات المذمومة وآدم لم يطهر من تلك الآفات، وسماها الله: ﴿ مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر: ٥٥] وقد كذب إبليس فيها آدم.

٣ـ أن الجنة في أعلىٰ عليين، والله ـ عز وجل ـ قال عنه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، وهذا يعني أن آدم لم يكن في جنة الخلد لأن الله بين أنه في الأرض ولم يقل أني جاعل في جنة الخلد خليفة.

٤ـ أن الملائكة قالت لما أخبرهم الله بأنه سيجعل في الأرض خليقة قالت ـ وهي أتقىٰ لله من أن تقول ما لا تعلم ـ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: ٣٠] وفي هذا دلالة علىٰ أن الله قد أعلمهم أن بني آدم سيفسدون في الأرض وإلا فكيف كانوا يقولون ما لا يعلمون، والإفساد لا يكون بجنة الخلد وإنما هو من مستلزمات القوانين الأرضية.

٥ـ إن الله أخبرنا أن إبليس لعنه الله قال: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠] فإن كانت الجنة التي سكنها آدم هي جنة الخلد والملك الذي لا يبلىٰ، فكيف لم يرد آدم علىٰ إبليس نصيحته ويكذبه ويقول له: كيف تدلني علىٰ شيء أنا فيه.

٦ـ أن الله لما أسكن آدم الجنة لم يخبره أنه فيها من الخالدين لأنها ليست جنة الخلد، ولو أنها جنة الخلد لأخبره، ولكنها ليست كذلك، والدليل علىٰ هذا هو: أنها لو كانت هي جنة الخلد وأخبر الله آدم أنه في دار الخلد ثم شك في خبر ربه لسمَّاه الله كافراً ولم يسمِّه عاصياً لأنه مَنْ شك في خبر الله فهو كافر، ومن فعل غير ما أمر الله به فهو عاصٍ، ولذا قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١].

٧- أن جنة الآخرة هي دار القدس لا يدخلها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس الملعون المذموم المدحور.

٨- أن الله لمَّا غضب على إبليس قال له: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣] فأُخرج منها فكيف يتسنى لإبليس أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط والإبعاد ويغوي آدم بالأكل من الشجرة، وكيف دخل الجنة وهي محرمة عليه لا يدخلها أصلاً لا دخول عبور ولا دخول قرار لأنه من الكافرين بل أكفر الكافرين، والجنة محرمة على الكافرين.

٩- لما خلق الله آدم أخبره أن لعمره أجلاً ينتهي إليه وأنه لم يخلقه للبقاء والدليل أن النبي ﷺ قال: **«لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله يا رب فقال له ربه يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم، قالوا: عليك السلام، ثم رجع إلى ربه فقال إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، فقال الله له ويداه مقبوضتان: اختر أيتهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، قال: أي ربي ما هؤلاء، قال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا رجل أضوءهم أو من أضوءهم قال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود وقد كتبت له عمراً أربعين سنة، قال: يا رب زد في عمره، قال: ذاك الذي كتبت له. قال: أي ربي فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك، قال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت فقال له آدم: قد عجلت أليس قد كُتب لي ألف سنة؟ قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته قال: فمن يومئذٍ أمر بالكتاب والشهود»**[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٦٨) وقال أبو عيسى حديث حسن غريب وكذلك النسائي (١٨/ ٢٣٧) وابن حبان (٨/ ٦١٣٤) والحاكم (١/ ٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٤) من حديث أبي هريرة وإسناده حسن.



١٠- أن الملائكة قالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] فهم سألوا هذا السؤال لأن الملائكة تعرف أنه في الأرض، فلو كان في الجنة لا تسأل الملائكة هذا السؤال لأن الجنة لا سفك للدماء فيها.

١١- من المعلوم الذي لا يخالف فيه أي مسلم أن الله خلق آدم من تراب، وهو تراب هذه الأرض بلا ريب. كما روى الترمذي من حديث عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله - تبارك وتعالى - خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب»**(١). وقد أخبر الله - سبحانه - أنه خلقه من تراب وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين وأخبر أنه خلقه من صلصال من حمإٍ مسنون. والصلصال قيل فيه: هو الطين اليابس الذي له صلصلة ما لم يُطبخ فإذا طُبخ فهو فخار. وقيل فيه: هو المتغير الرائحة من قولهم صلَّ إذا أنتن، والحمأ الطين الأسود المتغير، والمسنون قيل: المصبوب، وقيل: المنتن، وهذه كلها أطوار التراب الذي هو مبدؤه الأول كما أخبر عن خلق الذرية من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وهذه أحوال النطفة التي هي مبدأ الذرية، ولم يخبر - سبحانه - أنه رفعه من الأرض إلى فوق السماوات لا قبل التخليق ولا بعده، وإنما أخبر عن إسجاد الملائكة له وعن إدخاله الجنة وما جرى له مع إبليس بعد خلقه فأخبر - سبحانه - بالأمور الثلاثة في نسق واحد مرتبط بعضها ببعض. فأين الدليل الدال على إصعاد مادته بعد خلقه إلى فوق السماوات.

١٢- من المعلوم أن ما فوق السماوات ليس بمكان للطين الأرضي المتغير

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٥٥) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود (٤/ ٤٦٩٣) وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٠-٤٠٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري، وذكره الألباني: في الصحيحة (١٦٣٠).

الرائحة الذي قد أنتن من تغيره، وإنما محله هذه الأرض التي هي محل المتغيرات والفاسدات، أما ما كان فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد وهذا أمر لا يشك فيه العقلاء.

١٣ـ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. فأخبر سبحانه أن هذا العطاء في جنة الخلد غير مقطوع، وما أُعطيه آدم فقد انقطع إذن التي سكنها آدم ليست جنة الخلد.

١٤ـ لا نزاع أن الله خلق آدم في الأرض، ولم يذكر في قصته أن نقله إلى السماء، ولو كان الله نقله إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر لأنه من أعظم أنواع النعم عليه وأكبر أسباب تفضيله وتشريفه، وأبلغ في بيان المقصود من عاقبة المعصية وهو الإهباط من السماء التي نقل إليها كما ذكر ذلك في حق إبليس فحيث إنه لم يأت في القرآن ولا في السنة حرف واحد يدل على نقله إلى السماء ورفعه إليها بعد خلقه في الأرض دلَّ هذا على أن الجنة التي سكنها آدم لم تكن جنة الخلد.

١٥ـ أن الله أخبر في كتابه أنه لم يخلق عباده عبثاً ولا سدى وأنكر على من زعم ذلك فدل على أن هذا منافٍ لحكمته ولو كانت جنة آدم هي جنة الخلد لكانوا قد خُلقوا في دار لا يؤمرون فيها ولا يُنهون وهذا باطل بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

١٦ـ أن الله ـ عز وجل ـ خلقها جزاءً للعاملين لقوله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٨]، وجزاء للمتقين: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] ودار الثواب لقوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فلا يمكن أن يسكنها إلا من خلقها لهم من العاملين ومن المتقين.

١٧ـ أن الثابت أن آدم كان وحيداً ثم طلب من الله أن يخلق له زوجه تؤنسه فخلق حواء، فلو كانت الجنة التي سكنها آدم هي جنة الخلد لما طلب آدم من الله أن يخلق حواء لأنه الجنة مليئة بالحور العين والجواري.

*** أدلة القائلين أن الجنة التي سكنها آدم جنة الخلد:**

واشتهر هذا الرأي عند الخاصة والعامة، وقد نص غير واحد من السلف على ذلك. ومن ذهب إلى هذا الرأي: أبو عيسى الرماني، أبو القاسم الراهب، وغيرهم من العلماء، وهذه الأدلة كالآتي:

١ـ روى مسلم: «**يجمع الله ـ عز وجل ـ الناس حتى يزلف لهم الجنة فيأتون آدم ـ عليه السلام ـ فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم**»، وهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها آدم هي بعينها التي يُطلب منه أن يستفتحها لهم.

٢ـ أن الله ـ عز وجل ـ قال: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ [البقرة: ٣٥] إلى قوله: ﴿**اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾ ثم عقَّب قوله ﴿**اهْبِطُوا**﴾ قال: ﴿**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ [البقرة: ٣٦] فدل على أنهم لم يكونوا أولاً في الأرض بل كانوا في مكان مرتفع في العلو ثم هبطوا إلى الأرض.

٣ـ أن الله ـ عز وجل ـ وصف الجنة التي سكنها آدم بصفات لا تكون في الجنة الدنيوية. فقال: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩)**﴾ [طه: ١١٨ـ١١٩]. وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً وإن كان الرجل في أطيب منازلها فلابد أن يعرض له الجوع والعطش والتعري والضحى للشمس.

٤ـ أنه لو كانت الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله: ﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ**﴾ لأن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وأن

ملكها يبلىٰ.

٥ـ أن الجنة جاءت معرفة (بالألف واللام) وما دامت معرفة فهي تنصرف إلىٰ جنة الخلد التي لا يعهد بنو آدم سواها.

٦ـ قالوا: إن الجنة التي سكنها آدم عند سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد، ومن قال أنها كانت جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة أو غيرها فهو من المتفلسفة والملحدين والمعتزلة أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين، والكتاب يرد قولهم وسلف الأمة وأئمتها متفقون علىٰ بطلان هذا القول. قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)** ﴾ [البقرة: ٣٤-٣٦] فقد أخبر الله أنه أمرهم بالهبوط وأن بعضهم لبعض عدو ثم قال: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ** ﴾ وهذا بين أنهم لم يكونوا في الأرض وإنما أهبطوا إلىٰ الأرض فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا منها إلىٰ أرض أخرىٰ كما انتقل قوم موسىٰ من أرض إلىٰ أرض كان مستقرهم ومتاعهم إلىٰ حين في الأرض قبل الهبوط كما هو بعده وهذا باطل لا يصح.

٧ـ قوله تعالىٰ: ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣)** ﴾ [الأعراف: ١٢-١٣] فهذا يبين اختصاص الجنة التي في السماء بهذا الحكم بخلاف جنة الأرض، فإن إبليس كان غير ممنوع من التكبر فيها.

٨ـ مدلول كلمة ﴿ **اهْبِطُوا** ﴾ تدل علىٰ النزول من المكان المرتفع إلىٰ الأسفل فهذا يدل علىٰ أنها جنة الخلد. وكلمة ﴿ **اهْبِطُوا** ﴾ في الآية بخلاف قوله

تعالىٰ: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١] لأنه في هذه الآية لم يذكر ما أهبطوا منه وإنما ذكر ما أهبطوا إليه بخلاف إهباط إبليس فإنه ذكر مبدأ هبوطه وهو الجنة والهبوط يكون من علو إلىٰ أسفل وبنو إسرائيل كانوا بجبال السراة المشرفة علىٰ مصر ومن هبط من جبل إلىٰ وادٍ يقال له هبط إلىٰ الوادي. وقالوا: أيضاً إن بني إسرائيل كانوا يسيرون ويرحلون والذي يسير ويرحل إذا جاء بلدة يقال نزل فيها لأن من عادته أن يركب في مسيره فإذا وصل نزل عن دوابه، ويقال نزل العدو بأرض كذا ونزل القفل ونحو. ولفظ النزول كلفظ الهبوط فلا يستعمل لفظ نزل وهبط إلا إذا كان من علو إلىٰ أسفل.

٩ـ قالوا: إن الله ـ تعالىٰ ـ قال: عقب قوله ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال بعدها: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ وهذا يدل علىٰ أنهم لم يكونوا قبل ذلك في مكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون والقرآن صريح في أنهم صاروا إليه بعد الإهباط.

١٠ـ قالوا: لو لم يكن من الأدلة إلا قصة آدم وموسىٰ «المحاجة بينهما» لكانت كافية لأن موسىٰ ـ عليه السلام ـ إنما لام آدم ـ عليه السلام ـ لما حصل له ولذريته من الخروج من الجنة والنكد والمشقة فلو كانت بستاناً في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه ويتعوض به، وموسىٰ أعظم قدراً من أن يلومه علىٰ أن أخرج نفسه وذريته من بستان في الأرض.

١١ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ هذا يدل علىٰ أنهم كانوا في جنة الخلد لأن جنة الخلد لا تسمىٰ أرضاً وإنما التي تسمىٰ أرض هي أرضنا هذه.

الــردود

رد الفريق الثاني: الذي يقول إن الجنة التي سكنها آدم هي جنة الخلد على أدلة الفريق الأول الذي يقول: أن الجنة ليست جنة الخلد بما يلي:

(١) إن احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في جنة الخلد، وأنها منتفية في الجنة التي سكنها آدم من اللغو والكذب والنصب والتعري، وغير ذلك فهو حق لا ننكره، ولا ينكره أحد من المسلمين. ولكن هذا إنما هو إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الكلام.

(٢) إن قولكم أن الجنة دار جزاء وثواب، وليست دار تكليف، وقد كلف الله ـ سبحانه ـ آدم فيها بالنهي عن الشجرة فالإجابة عليها من وجهين هما:

الأول: أنه يمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف.

الثاني: أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها، وإنما كان النهي محصوراً ومحجوراً في شجرة واحدة فقط من جملة أشجارها، وهذا لا يمتنع وقوعه في جنة الخلد.

رد الفريق الأول: الذي يقول: أن الجنة التي سكنها آدم ليست جنة الخلد على أدلة الذين يقولون: أن الجنة التي سكنها آدم هي جنة الخلد بما يلي:

(١) قولكم أنها جنة الخلد بدليل قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾ فالجواب عليه من وجهين:

الأول: أنه لا يستلزم مدلول هذه الكلمة النزول من أعلى إلى أسفل، بل قد يكون الانتقال من بقعة إلى بقعة، ومن أرض إلى أرض، والدليل قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١] وهذا كثير في كلام العرب

نحو قولهم:

أن تهبطين بلاد قوم يرتعون من الطلاح

الثاني: إن كان الهبوط كما تقولون: من أعلىٰ إلىٰ أسفل لا يستلزم أن يكونوا هبطوا من أعلىٰ السموات السبع إلىٰ الأرض بل قد يكون هبوطهم من مكان مرتفع في الأرض كما يهبط الحجر من أعلىٰ الجبل إلىٰ أسفله، أما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، فهذا يدل علىٰ أنهم كانوا في بستان وجنة عالية أعلىٰ من الأرض وهذه الجنة تخالف الأرض في صفاتها وأشجارها ونعيمها وطينها لكنها غير جنة الخلد، فالله عز وجل قد فاوت بين بقاع الأرض أعظم تفاوت، وهذا مشهود بالحس فما المانع من أنهم هبطوا من مكان مرتفع من الأرض تميزت عن سائر بقاع الأرض بهذه الصفات الطيبة.

(٢) أما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ﴾ فإنه حكم معلق بالشرط، والشرط لم يحصل لأن الله سبحانه قال ذلك عقيب قوله: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ﴾ صيغة وعد مرتبطة بما قبلها، والمعنىٰ: إن اجتنبت هذه الشجرة التي نهيتك عنها ولم تقربها كان لك هذا الوعد. إذن الحكم المعلق بالشرط انعدم عندما انعدم الشرط.

(٣) أما قولكم: لو كانت الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ﴾، فهذا الكلام لا دليل عليه، لأن لا دليل لكم علىٰ أن الله سبحانه كان قد أعلم آدم حين خلقه أن الدنيا منقضية فانية، وأن ملكها يبلىٰ ويزول ولو سلمنا أن آدم قد علم ذلك، فقول إبليس: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ﴾ لا يدل علىٰ أنه أراد بالخلد ما لا يتناهىٰ ولا ينتهي، لأن الخلد في لغة العرب هو اللبث الطويل كقولهم: «قيد مخلد، وحبس مخلد» وقد قال ـ تعالي ـ لثمود: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً

تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩].

(٤) قولكم: أنها جاءت معرفة بالألف واللام إذن هي تنصرف إلىٰ جنة الخلد. فهذا الكلام مردود لأن العهد وقع في خطاب الله ـ تعالىٰ ـ لآدم: ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ فهي معهودة عند آدم، ومعروفة لديه لذلك عرفها بالألف واللام؛ لأنها هي التي في ذهن آدم. كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [القلم: ١٧].

(٥) قولكم: أن جميع ما نفاه الله عن الجنة من اللغو والعذاب والكذب إنما يكون بعد القيامة إذا دخلها المؤمنون. كلام لا يصح بأي وجه من الوجوه، لأن ظاهر الخبر يقتضي نفيه مطلقاً لقوله تعالىٰ: ﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ [الطور: ٢٣] وكذلك قوله: ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ [الغاشية: ١١] فهذا نفي عام مطلق ولا يجوز تخصيص إلا بمُخصَصْ واضح والله عز وجل قد حكم بأنها دار الخلد حكماً مطلقاً فلا يدخلها إلا خالد فيها. إذن تخصيصكم هذه التسمية بما بعد القيامة غير صحيح لأنه خلاف ظاهر الآيات.

(٦) أما قولكم: إن من قال أنها ليست جنة الخلد فهو من المتفلسفة والملحدين والمعتزلة أو من إخوانهم فهذا غير صحيح لأن هناك الكثير من العلماء وعلىٰ رأسهم أبو حنيفة وليس فيهم واحد من المتفلسفة والملحدين والمعتزلة إطلاقاً، وإن كان بعض المتفلسفين المعتزلة قالوا بهذا القول فإن مشاركة أهل الباطل لأهل الحق في المسألة لا يدل علىٰ بطلانها، ولا تكون إضافتها لهم موجبة لبطلانها ما ليختص بها فإن أردتم أنه لم يقل بذلك إلا هؤلاء فليس كذلك، وإن أردتم أن هؤلاء من جملة القائلين بهذا لم يفدكم شيئاً.

(٧) وأما قولكم: إن سلف الأمة وأئمتها متفقون علىٰ بطلان هذا القول، فنحن نطالبكم بنقل صحيح عن واحد من الصحابة ومن بعدهم من أئمة

السلف فضلاً عن اتفاقهم. ولا يوجد عن صحابي ولا تابع ولا تابع تابعي خبر يصح موصولاً ولا شاذاً ولا مشهوراً أن النبي - عليه السلام - قال: «**أن الله - تعالىٰ - أسكن آدم جنة الخلد التي هي دار المتقين يوم المعاد**». وقد نقل القاضي منذر بن سعيد عن غير واحد من السلف أنها ليست جنة الخلد، وهذا أبو حنيفة فقيه العراق ومن قال بقوله أن جنة آدم التي خلقها الله ليست جنة الخلد، وقال ابن قتيبة في كتابه: (غريب القرآن) في قوله تعالى: ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا**﴾ [البقرة:٣٨] قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في رواية أبي صالح: هو كما يُقال هبط فلان أرض كذا وكذا. إذن أين إجماع سلف الأمة وأئمتها.

(٨) أما احتجاجكم بقوله تعالىٰ: ﴿**لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**﴾ عقيب قوله: ﴿**اهْبِطُوا**﴾ فهذا لا يدل علىٰ أنهم كانوا في جنة الخلد فإن أحد الأقوال في المسألة أنها كانت جنة في السماء غير جنة الخلد كما حكاه الماوردي في تفسيره.

(٩) وأيضاً فإن قوله: ﴿**لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**﴾ يدل علىٰ أن لهم مستقراً إلىٰ حين في الأرض المنقطعة عن الجنة ولا بد فإن الجنة أيضاً لها أرض والدليل قوله تعالىٰ: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [الزمر: ٧٤] فدل علىٰ أن قوله: ﴿**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**﴾ [البقرة:٣٦] المراد به الأرض الخالية من تلك الجنة، لا كل ما يسمىٰ أرضاً، وكان مستقرهم الأول في أرض الجنة ثم صار في أرض الابتلاء والامتحان ثم يصير مستقر المؤمنين يوم الجزاء أرض الجنة أيضاً فلا تدل الآية علىٰ أن جنة آدم هي جنة الخلد.

(١٠) أما قوله تعالىٰ: ﴿**فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا**﴾ [الأعراف:١٣] وأن هذا في الجنة التي في السماء لأن جنة الأرض لم يمنع فيها إبليس من التكبر، فهو دليل لنا في المسألة لأن جنة الخلد لا سبيل لإبليس إلىٰ

دخولها والتكبر فيها أصلاً. والضمير في قوله: ﴿اهْبِطْ مِنْهَا﴾ إما أن يكون عائداً إلىٰ السماء كما هو أحد القولين، وعلىٰ هذا يكون سبحانه قد أهبطه من السماء عقب امتناعه من السجود، وأخبر أنه ليس له أن يتكبر ثم تكبر وكذب وخان في الجنة فدل علىٰ أنها ليست من السماء أو يكون عائداً إلىٰ الجنة علىٰ القول الآخر، ولا يلزم من هذا القول أن تكون الجنة التي كاد فيها آدم وغره وقاسمه كاذباً في تلك التي أهبط منها بل القرآن يدل علىٰ أنها غيرها فعلىٰ التقديرين لا تدل الآية علىٰ أن الجنة التي جرىٰ لآدم مع إبليس ما جرىٰ فيها هي جنة الخلد.

(١١) قولكم: إن بني إسرائيل كانوا بجبال السراة المشرفة علىٰ الأرض التي يهبطون، وأنهم كانوا يسيرون ويرحلون ولذا قيل لهم: اهبطوا فهذا حق لا ننازعكم فيه وهو بعينه جواب لنا فإن الهبوط يدل علىٰ أن تلك الجنة كانت أعلىٰ من الأرض التي هبطوا إليها، وأما كونها جنة الخلد فلا والفرق بين قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ وقوله: ﴿اهْبِطْ مِنْهَا﴾ فإن الأول لنهاية الهبوط وغايته و: ﴿اهْبِطْ مِنْهَا﴾ متضمن لمبدئه وأوله لا تأثير له فيها، فإن هبط من كذا إلىٰ كذا يتضمن معنىٰ الانتقال من مكان عالٍ إلىٰ مكان سافل فأي تأثير لابتداء الغاية ونهايتها، فيتعين محل الهبوط بأنه جنة الخلد.

(١٢) أما قصة موسىٰ ولومه لآدم علىٰ إخراجه من الجنة فلا يدل علىٰ أنها جنة الخلد. وقولكم لا يُظن بموسىٰ أن يلوم آدم علىٰ إخراج نفسه وذريته من بستان في الأرض تشنيع لا يفيد شيئاً. فهذا غير صحيح لأن ذلك البستان الذي خرج منه آدم ليس مثل باقي البساتين التي هي عرضة للآفات والتعب والنصب والظمأ والحرث والسقي والتلقيح وسائر وجوه النصب الذي يلحق البساتين، ولا ريب أن موسىٰ عليه السلام أعلم وأجل من أن يلوم آدم علىٰ خروجه وإخراج بنيه من بستان هذا شأنه، وإنما كانت جنة لا يلحقها آفة ولا

تنقطع ثمارها ولا تغور أنهارها ولا يجوع ساكنها ولا يظمأ ولا يضحىٰ للشخص، ولا يعرىٰ ولا يمسه تعب ولا نصب ولا شقاء، ومثل هذه الجنة يحسن لوم الإنسان علىٰ المتسبب في خروجه منها.

(١٣) أما اعتذار آدم - عليه السلام - يوم القيامة لأهل الموقف بأن خطيئته هي التي أخرجته من الجنة لا يُحسن أن يستفتحها لهم. فهذا لا يستلزم أن تكون هي بعينها التي أُخرج منها بل إذا كانت غيرها لكان أبلغ في الاعتذار فإنه إن كان الخروج من غير جنة الخلد حصل بسبب الخطيئة فكيف يليق استفتاح جنة الخلد والشفاعة فيها ثم خرج من غيرها بخطيئة.

بقىٰ أن أنوه إلىٰ رأي جمهور العلماء في هذه المسألة، فقد نقل رأي الجمهور ابن كثير في «صفة الجنة» وقال: «والجمهور علىٰ أن هذه الجنة جنة المأوىٰ»، وقال النووي في شرح مسلم: «هذا إجماع أهل السنة».

الذين ذكروا هذا الخلاف من العلماء:

ذكر كثير من أهل العلم هذا الخلاف ورجحوا بين القولين ومن هؤلاء العلماء: أبو محمد عبدالحق بن عطية، وأبو محمد بن حزم، وأبو عيسىٰ الرماني، وأبو القاسم الراغب، وأبو عبدالله بن الخطيب الرازي، وأبو الحسن الماوردي، ومنذر بن سعيد البلوطي، وأبو مسلم الأصبهاني، وابن قيم الجوزية وغيرهم الكثير.

المبحث الثاني :
الحكمة من إهباط آدم إلى الأرض

ذكر شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي الحكمة من الإهباط فقال :

١ـ كان إهباطه منها عين كماله ليعود إليها بأفضل وجه وأحسن حال ، فقد أراد الله أن يذيقه وأولاده تعب الدنيا وهمومها وغمومها الذي يعظم به عندهم مقدار دخولهم إليها في الدار الآخرة ؛ لأن الضد يظهر حسنه الضد ، ولو تربوا في دار النعيم لم يعرفوا قدر الجنة .

٢ـ أن الله أراد أمرهم ونهيهم وابتلاءهم واختبارهم ، والجنة ليست كذلك فأنزلهم إلى الأرض ، فأعطاهم أفضل الثواب الذي لا يُنال بدون أمر ونهي .

٣ـ أن الله أراد أن يتخذ منهم أنبياء ورسلاً وأولياء وشهداء يحبهم ويحبونه ، فتركهم في الميدان (الدنيا) مع أعدائه (الشيطان) ، وامتحنهم بهم فلما آثروه وبذلوا نفوسهم وأموالهم في مرضاته نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن ليُنال بدون ذلك أصلاً .

٤ـ أن لله أسماء حسنى من مثل الغفور الرحيم العفو الحليم الخافض الرافع المعز المذل المحيي المميت الوارث الصبور ، فاقتضت حكمته أن ينزل آدم وذريته داراً يظهر عليهم فيها أثر أسمائه الحسنى ، فيغفر فيها لمن يشاء ويرحم من يشاء ويخفض من يشاء ويرفع من يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، وينتقم ممن يشاء ، ويعطي ويمنع ويبسط إلى غير ذلك من ظهور أثر أسمائه وصفاته .

٥ـ أن الله أنزلهم إلى دار يكون فيها الإيمان بالغيب ، لذلك قال ـ سبحانه ـ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ .

٦ـ أن الله ـ سبحانه ـ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، والأرض فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والكريم واللئيم، فعلم الله أن في ظهر آدم من لا يصلح لمساكنته في الجنة، فأنزله الله في دار استخرج فيها الطيب والخبيث من صلبه ثم ميزهم بدارين، فجعل الطيبين أهل جواره ومساكنته في داره، وجعل الخبيثين في دار الشقاء، قال تعالىٰ: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

٧ـ أراد الله أن يُظهر ما خفي من شأن عدوه إبليس ومحاربته له وتكبره عن أمره وسعيه في خلاف مرضاته.

٨ـ أن الله يحب الصابرين ويحب المحسنين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ويحب التوابين ويحب المتطهرين والشاكرين، وبما أن محبة الله أعلىٰ أنواع الكرامات اقتضت حكمته أن أسكن آدم وبنيه داراً يأتون فيها بهذه الصفات التي ينالون بها أعلىٰ الكرامات من محبته فكان إنزالهم إلىٰ الأرض من أعظم النعم عليهم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

٩ـ أن الله أراد أن يعرف عباده بنعمه عليهم ليكونوا أعظم محبة وأكثر شكراً.

١٠ـ أن الله خلق الخلق لعبادته وهي الغاية منهم قال تعالىٰ: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ومعلوم أن كمال العبودية المطلوب من الخلق لا يحصل في الجنة، وإنما يحصل في الأرض دار المحنة والابتلاء؛ لأن الجنة دار لذة ونعيم لا دار ابتلاء وامتحان وتكليف.

١١ـ أن الله خلق آدم وذريته من تركيبين أحدهما داعي للشهوة والفتنة والآخر داعي للعقل والعلم فإن الله خلق فيه العقل والشهوة وترك كل تركيب

يدعي صاحبه ليتم مراده ويظهر لعباده عزته في حكمته، وجبروته ورحمته وبره ولطفه في سلطانه وملكه، فاقتضت حكمته ورحمته أن أذاق أباهم مُرَّ مخالفته، وأعلمه عواقب الشهوة والهوىٰ ليكون أعظم حذراً وأشد هرباً.

١٢ـ لَمَّا كانت محبة الله هي غاية كمال العبد، وسعادته التي لا كمال له ولا سعادة بدونها والمحبة الصادقة إنما تتحقق بإيثار المحبوب علىٰ غيره من محبوبات النفوس واحتمال المشاق في طاعته ومرضاته، فاقتضت حكمته ـ سبحانه ـ إخراجهم إلىٰ الدنيا، الدار المحفوفة بالشهوات ومحاب النفوس، ولذلك فإن تحمل المشاق الشديدة وركوب الأخطار ومجاهدة النفس والهوىٰ يقوي سلطان المحبة ويثبتها في القلب.

١٣ـ أن لله الحمد المطلق الكامل، وكان ظهور الأسباب التي يُحمد عليها من لوازم حمده، فإن أصيب الإنسان بمصيبة فخلصه الله منها كان ذلك لازماً من لوازم حمده، وإن صرف الله عنه الشر كان ذلك من لوازم حمده وإن أدخله الله الجنة وأنقذه من النار كان ذلك موجباً لحمده سبحانه قال تعالىٰ ﴿ **وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الزمر: ٧٥].

١٤ـ اقتضت حكمة الله أن فاوت بين عباده أعظم تفاوت، ليشكره منهم من ظهرت عليه نعمته وفضله، ويعرف أنه قد خص بالإنعام دون غيره، لأنهم لو تساووا جميعهم في النعمة والعافية لم يوف صاحب النعمة قدرها، ولم يبذل شكرها، لأنه لا يرىٰ أحداً إلا في مثل حاله، ومن أقوىٰ أسباب الشكر أن يرىٰ غيره في ضد حاله الذي هو عليه من الكمال والفلاح وفي الأثر «**أن الله سبحانه لما أرىٰ آدم وذريته وتفاوت مراتبهم قال: يا رب هلاَّ سويت بين عبادك؟ قال: إني أحب أن أُشكر**»[1].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٢٣) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وهذا الحديث موقوف علىٰ أبي بن كعب وهو حسن.



١٥- أن الله خلق الجنة وفاضل بين منازلها، وجعل عباده فيها على قدر أعمالهم فإن الجنة درجات بعضها فوق بعض، وبين الدرجتين كما بين السماء والأرض كما في الصحيح: «**أن الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»(١) فلا يكون هذا التفاضل إلا بالعمل ولا عمل إلا في الدنيا.

١٦- أن الله -عز وجل- خلق آدم وذريته ليستخلفهم في الأرض كما قال: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة:٣٠]، وقال: ﴿**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ**﴾ [الأعراف:١٢٩] فأراد الله أن ينقله وذريته من الاستخلاف إلى توريث جنة الخلد، وقد علم الله سبحانه بسابق علمه لضعفه وقصور نظره قد يختار العاجل الخسيس على الآجل النفيس، لأن النفس مولعة بحب العاجلة وإيثارها على الآخرة، وهذا من لوازم كونه خُلق من عجل وكونه خلق عجولاً، لذا، اقتضت حكمته أن أدخله الجنة ليعرف النعيم الذي أعده له عياناً، فيكون شوقه إليه أكثر وحرصه عليه أشد؛ لأن محبة الشيء وطلبه والشوق إليه من لوازم تصوره فمن جرب طيب شيء ولذته وتذوقه لم يصبر عنه وذلك لأن النفس ذواقة تواقة فإذا ذاقت تاقت.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة: «**أن الله -عز وجل- يسأل الملائكة فيقول: ما يسألني عبادي؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا يا رب. فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد لها طلبا**»(٢). فاقتضت حكمته أن أراها أباهم وأسكنه إياها ثم قص على بنيه قصته فصاروا كأنهم مشاهدون لها حاضرون مع أبيهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٥٣٠) وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٠-٢٤١) كلاهما من حديث معاذ بن جبل، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٦١٠٨) واللفظ له وأخرجه مسلم الدعوات(٤/ ٢٠٦٩-٢٠٧٠) (٢٥/ ٢٦٨٩) ورواه الترمذي (٥/ ٣٦٠٠) ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٠٧) من حديث أبي هريرة.

المبحث الثالث:
الذين يدخلون الجنة بغير حساب

لا يدخل أحد الجنة حتىٰ يحاسب علىٰ كل كبيرة وصغيرة وكل حركة وسكنة، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً ومنهم من يحاسب حساباً عسيراً، وهو «النقاش» روىٰ البخاري عن عبادة أن النبي ﷺ قال: **«من نوقش الحساب عُذِّب»** وفي نهاية المطاف توزن هذه وتلك: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨**﴾ [الزلزلة ٧-٨] وقبل الإذن بالحساب ومن بين هذه الأمواج البشرية يقوم أناس كثيرون فيدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، وهم السبعون ألفاً الذين توكلوا علىٰ الله حق التوكل قال - عليه الصلاة والسلام -: **«يدخل الجنة من أمتىٰ زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»** فقام عكاشة[1]، فقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اجعله منهم»** فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: **«سبقك بها عكاشة»**[2].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«ليدخُلنَّ الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتىٰ يدخل آخرهم، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدر»**[3].

وقد وردت عدة روايات صحيحة في بيان عددهم فبعض الروايات حددتهم بسبعين ألفاً كما عند البخاري ومسلم وروىٰ الشيخان أيضاً رواية

---

(١) أحد الصحابة الكرام وهو: عكاشة بن محصن الأسدي، من السابقين إلىٰ الإسلام قال عنه - عليه السلام -: **«خير فارس في العرب عكاشة»**.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

أنهم سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف وبعض الروايات أنهم سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألف وثلاث حثيات من حثيات الرَّب. كما عند الطبراني وغيره ولمسلم نحوه وعند أحمد وأبي يعلىٰ: مع كل واحد سبعون ألفاً[1]. ووردت أعدادٌ غير ذلك سأتحدث عنها وأجمع بين هذه الروايات.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم علىٰ قلب رجل واحد، فاستزدت ربي عز وجل، فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً»**[2]. وفي مسند أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي أمامة بإسناد صحيح صححه الألباني زيادة علىٰ ذلك وهي: **«وثلاث حثيات من حثيات ربي»**.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب»**. قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب في الذباب، قال رسول الله ﷺ: **«فإن الله وعدني سبعين ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً، وزادني ثلاث حثيات»**[3].

وروىٰ الطبراني أيضاً أن النبي ﷺ قال: **«وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثي ربي ـ تبارك وتعالىٰ ـ بكفيه ثلاث حثيات»** فكبر عمر، فقال النبي ﷺ **«إن السبعين ألفاً يشفعهم الله في آبائهم وأبناءهم وعشائرهم، وإني لأرجو أن يكون أدنىٰ أمتي الحثيات»**[4].

---

(١) إسناده جيد وأخرجه أيضاً البيهقي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رجاله رجال الصحيح وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: إسناده جيد.

(٢) رواه أحمد بسند صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عامر بن زيد البكالي، وقد ذكره أبو حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات. وأخرجه أيضاً أحمد وابن حبان وقد وثق ابن حبان عامر بن زيد البكالي، وقال ابن حجر: إسناده جيد.

صفات هؤلاء السبعين:

استحق هؤلاء السبعون ألفاً هذه الأفضلية والسبق على غيرهم بعدة صفات اتصفوا بها كانت لهم دافعاً للتصدر على غيرهم وقد بين صفاتهم رسول الله ﷺ **«فهم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»**. وقد اتفق على ذكر هذه الأربع معظم الروايات في حديث ابن عباس.

فعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **«عُرضت عليَّ الأمم فرأيت النبيَّ ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، ورُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»**، فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياءً، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال **«ما الذي تخوضون فيه؟»** فأخبروه، فقال: **«هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»** فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: **«أنت منهم»** ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: **«سبقك بها عكاشة»**[1].

وروى أحمد بن منيع في مسنده: عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: **«عُرضت عليَّ الأمم بالموسم فتراءت على أمتي، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وهيئتهم، قد ملؤوا السهل والجبل، فقال أرضيت يا محمد؟ فقلت: نعم فقال: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا**

(١) رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.

يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[١].

ونلاحظ من خلال هذه الأوصاف التي اتصفوا بها أنهم حققوا التوحيد وجردوه لله وحده فلا يسألون غيره، ولا يتوكلون إلا عليه.

وفي صحيح مسلم: **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب»، قيل: ومن هم قال: «هم الذي لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»**[٢].

*** مسألة:**

ورد في الحديث قوله ﷺ: «لا يرقون» كيف يكون ذلك والنبي ﷺ رقى عدداً من الصحابة أمثال الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ، والنبي أكمل الخلق في التوكل؟

الجواب عن ذلك: إن كلمة **«لا يرقون»** ليست عند البخاري، وقد أنكر ابن تيمية هذه الكلمة، وقال: إن هذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث وهي غلط من بعض الرواة، وقد نقل ابن القيم[٣] عن شيخه ابن تيمية هذا الرأي فقال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هذه الزيادة وهْمٌ من الراوي لم يقل النبي ﷺ: ولا يرقون لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد قال النبي ﷺ وقد سُئل عن هذا فقال: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»**[٤]، وقال: **«لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»**[٥]. والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مسقط ملتفت إلى غير الله بقلبه والراقي محسن نافع. وقد وافق ابن القيم رأي شيخه وقال بقوله.

ومما يدل على أنها مقحمة أن جبريل ـ عليه السلام ـ رقى رسول الله ﷺ، وأذن له

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» رواه أحمد مطولاً ومختصراً، وورواه أبو يعلي ورجالهما في المطوّل رجال الصحيح. وقال ابن القيم: وإسناده على شرط مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) في كتاب: مفتاح دار السعادة.

(٤) رواه مسلم وأحمد.

(٥) أخرجه مسلم وأبو داود والحاكم.

في الرقى، واستأذنه الصحابة فيها فأذن لهم وقال: «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**».

وقد ذكر ابن حجر رأياً آخر في الفتح وقال: «إن الزيادة من الثقة مقبولة»[1]. وسعيد بن منصور حافظ وقد اعتمده البخاري ومسلم واعتمد مسلم على روايته هذه وبأن تغليط الراوي مع إمكان تصحيح الزيادة لا يصار إليه، والمعنى الذي حمله على التغليط موجود في المسترقي؛ لأنه اعتل بأن الذي لا يطلب من غيره أن يرقيه تام التوكل فكذا يقال له، والذي يفعل غيره به ذلك ينبغي أن لا يمكنه منه لأجل تمام التوكل وليس في وقوع ذلك من جبريل دلالة على المدعى ولا في فعل النبي ﷺ له أيضاً دلالة لأنه في مقام التشريع وتبيين الأحكام ويمكن أن يقال: إنما ترك المذكورون الرقى والاسترقاء حسماً للمادة؛ لأن فاعل ذلك لا يأمن أن يكل نفسه إليه وإلا فالرقية في ذاتها ليست ممنوعة وإنما منع منها ما كان شركاً أو احتمله ومن ثم قال ﷺ: «**اعرضوا عليَّ رقاكم ولا بأس بالرقى ما لم يكن شرك**» ففيه إشارة إلى علة النهي كما تقدم. وقد نقل القرطبي عن غيره أن استعمال الرقى والكي قادح في التوكل بخلاف سائر أنواع الطب، وفرق بين القسمين بأن البرء فيها أمر موهوم وما عداهما محقق عادة كالأكل والشرب فلا يقدح، وقال القرطبي رداً عليهم: هذا فاسد من وجهين:

أحدهما: أن أكثر أبواب الطب موهوم.

والثاني: أن الرقى بأسماء الله ـ تعالى ـ تقتضي التوكل عليه والالتجاء إليه والرغبة فيما عنده، والتبرك بأسمائه، فلو كان ذلك قادحاً في التوكل لقدح الدعاء، إذ لا فرق بين الذكر والدعاء، وقد رُقي النبي ﷺ ورقى وفعله السلف والخلف، فلو كان مانعاً من اللحاق بالسبعين أو قادحاً في التوكل لم يقع من هؤلاء وفيهم من هو أعلم وأفضل ممن عداهم.

وقال الكرماني ـ رحمه الله ـ: وقوله ﷺ: «**لا يكتوون**» معناه إلا عند الضرورة،

---

(١) لأن هذه اللفظة رواها مسلم.

مع اعتقاد أن الشفاء من الله لا من مجرد الكي ، وقوله ﷺ **«لا يسترقون»** معناه بالرقىٰ التي ليست من القرآن ، وقال ابن باز ـ رحمه الله ـ : «أن الكي لا ينافي كمال التوكل ، إن إحتاج إليه ، وعلم أنه هو العلاج الناجع مع اعتقاد أن الشافي هو الله لا الكي ، والمقصود بالكي في هذا الحديث هو التسرع في استعماله ، ومما يؤكد ذلك أن النبي ﷺ اكتوىٰ من الكَلَم الذي أصابه في وجهه يوم أحد ، وكوىٰ سعد بن زرارة من الشوكة وكوىٰ سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن ، وقد اكتوىٰ عمران بن حصين أيضاً وغيرهم من السلف الصالح .

قال ابن قتيبة إن الصحيح إذا اكتوىٰ لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه : لم يتوكل من اكتوىٰ ؛ لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه .

ويبدو أن من قال بأن الكي ينافي كمال التوكل أو أنه ينافي التوكل بالكلية اعتمد علىٰ قوله ﷺ : **«من اكتوىٰ فقد برئ من التوكل»**[1] ، وقوله ﷺ : **«ولا يتطيرون»** أي لا يتشائمون بشيء يرونه أو يحدث لهم ، وقوله : **«وعلىٰ ربهم يتوكلون»** قال ابن حجر : يُحتمل أن تكون هذه الجملة مفسرة لما تقدم من ترك الاسترقاء والاكتواء والطيرة ، ويُحتمل أن تكون من العام بعد الخاص ، لأن صفة كل واحدة منها صفة خاصة من التوكل وهو أعم من ذلك .

*** مسألة:**

كيف يقول رسول الله ﷺ: «ولا يسترقون» وقد رقاه جبريل، ورقته عائشة ـ رضي الله عنها ـ، ورسول الله ﷺ أكمل الخلق في التوكل على الله؟

الجواب علىٰ ذلك : أن النبي ﷺ قال : **«لا يسترقون»** أي : لا يطلبون الرقية من الغير ، فإن رقاهم غيرهم بغير طلب منهم فلا يدخل تحت قوله ﷺ : **«ولا يسترقون»** قال ابن القيم : إن الرسول ﷺ لم يسترق ، وهو ﷺ لم يقل : لا يرقيهم راقٍ ، وإنما قال لا يطلبون من أحد أن يرقيهم .

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم .

الجمع بين الأحاديث المختلفة في العدد

ثبت في الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»**.

وأخرج الترمذي وحسنه الطبراني وابن حبَّان في صحيحه من حديث أبي أمامة رفعه: **«وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي»**، وفي صحيح ابن حبان أيضاً والطبراني بسند جيد من حديث عتبة بن عبد نحوه بلفظ: **«ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفاً، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه»**.

وعند أحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر الصديق أن النبي ﷺ قال: **«أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً»**.

وعند أحمد عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«أن الله وعدني أن يدخل الجنة من أُمتي أربعمائة ألف»**، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، فقال: **«هكذا وجمع كفيه»**. فقال: زدنا. فقال: **«وهكذا»**. فقال عمر: حسبك إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحدة فقال النبي ﷺ: **«صدق عمر»**.

الجمع بينها:

أقول وبالله التوفيق: أن الحديث الذي رواه أحمد وأبو يعلى: **«أن الله أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً»** ففي سنده راويان أحدهما ضعيف الحفظ والآخر لم يُسم فقد يكون ضعيف الحفظ حفظه غلطاً. وإن كان قد حفظه صحيحاً فقد تكون هذه الزيادة من فضل الله - عز وجل - وهذه الزيادة هي العدد الناتج من الحثيات الثلاث.

قال ابن حجر في فتح الباري: ويمكن الجمع بأن القدر الزائد على الذي قبله هو مقدار الحثيات.

وأما حديث: **«مع كل ألف سبعين ألفاً»** فتكملته برواية الطبراني: **«ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً»** فهذه الزيادة ناتجة عن شفاعة السبعين ألف الأُوَل. وأما حديث: **«الأربعمائة ألف»** إن صح فهذا القدر والعدد ناتج من عدد السبعين ألف من الحثيتين فقط دون الحثية الثالثة، فأبو بكر عندما سأل الرسول ﷺ الزيادة أعطاه النبي ﷺ حثيتين ولم يعطه الثالثة، فإن كانت رواية الإمام أحمد وأبو يعلى: **«مع كل واحد سبعين ألفاً»** إن كانت هذه صحيحة وحفظها الراوي فهي ناتجة عن عدد الحثيات الثلاث، أو أن تكون الزيادة من فضل الله العظيم الذي هو فوق القدر المحدود، وقد سلك الكرماني ـ رحمه الله ـ مسلك التأويل في ذلك وقال: أنه يحتمل أن يكون المراد به التكثير لا خصوص العدد[1].

وبعد . . . هذا ما وُفّقت إليه في جمع الروايات الواردة ودراستها وإعادة النظر فيها بعد النظر، والمجال في هذا المسألة مفتوح لمزيد من الدراسة والبحث.

*** مسألة:**

هل يلزم من كونهم الأسبق في الدخول إلى الجنة ارتفاع منازلهم في الجنة عن بقية الخلق؟

يقول ابن القيم: لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم بل قد يكون المتاخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فَوجِدَ قد شكر

(١) لاشك أن هذا القول مردود غير صحيح.

الله ـ تعالىٰ ـ فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلىٰ درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول، ولم تكن لن تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمزيَّة مزيتان: مزيّة سبق ومزيّة رفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضىٰ للأمرين أو لأحدهما وعدمه[1].

وإلىٰ هذا ذهب **ابن حجر** حيث قال: فهذا يدل علىٰ أن مزية السبعين بالدخول بغير حساب لا يستلزم أنهم أفضل من غيرهم، بل فيمن يحاسب في الجملة من يكون أفضل منهم، وفيمن يتأخر عن الدخول ممن تحققت نجاته وعرف مقامه من الجنة يشفع في غيره من هو أفضل منهم[2].

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر.

المبحث الرابع :
الأوائل دخولاً الجنة

وردت عدة أحاديث تبين الأوائل في دخول الجنة علىٰ مستوىٰ الأفراد والجماعات، ولاشك أن هؤلاء الأوائل لهم ميزة علىٰ غيرهم من الخلق؛ لأعمال قدموها وميزات ميزهم الله بها. والأوائل هم:

(١) **محمد** ﷺ وهو أول الأوائل، وأول من يقرع باب الجنة ويدخلها لما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت أن لا أفتح لأحدٍ قبلك»**(١). وعند الطبراني زيادة: **«ولا أقوم لأحدٍ بعدك»**.

قال **ابن القيم**: وذلك أن قيامه إليه ﷺ خاصة إظهار لمزيته ورتبته، ولا يقوم في خدمة أحد بعده.

وفي حديث آخر عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **«أنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها»**(٢). وفي حديث آخر عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال: **«أن الجنة حرمت علىٰ الأنبياء كلهم حتىٰ أدخلها»**(٣).

(٢) **أبو بكر الصديق**، وهو الرجل الأول دخولاً إلىٰ الجنة من أمة محمد ﷺ، وإنما نال هذه المنزلة لسبقه إلىٰ الإسلام وتصديقه للنبي ﷺ وأقرب الأصحاب للنبي ﷺ وإيمانه يعدل شطر إيمان هذه الأمة، وله ميزات كثيرة، لا تخفىٰ علىٰ الناس من الدفاع عن الإسلام والعدل والرغبة في الآخرة وغيرها.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الدار قطني.

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي**» فقال أبو بكر: يا رسول الله، وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي**»(١).

(٣) أمة محمد ﷺ، وذلك لأن هذه الأمة مباركة وأفضل الأمم وهم ثلثي أهل الجنة؛ لميزات تميزوا بها عن باقي الأمم. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه**»(٢).

وفي حديث عمر بن الخطاب المتقدم أن النبي ﷺ قال: «**أن الجنة حُرِّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي**». قال ابن القيم: فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينها، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة.

(٤) الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

وهم السبعون ألف الذين بأيديهم سبعون ألف وثلاث حثيات من حثيات الرب وهم الذين قال فيهم ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك**»(٣).

(٥) المرأة التي تقعد على أيتامها:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**أنا أول من يفتح باب الجنة إلا**

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.

أن امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك؟ وما أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى»[١].

(٦) الشهيد.

(٧) العبد المملوك الذي لم يُشغله رقه عن طاعة ربه.

(٨) الفقير ذو العيال المتعفف.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُرض عليَّ أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبدٌ مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال. وأول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلط، وذو ثروة من مالٍ لا يؤدي حق الله من ماله، وفقير فخور»**[٢].

وعند الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«عُرض عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد، وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله ونصح مواليه»**[٣].

(٩) الحمَّادون:

فعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول من يُدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمَّادون، الذين يحمدون الله في الضراء والسراء»**[٤].

(١٠) فقراء المسلمين:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: **«يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»**[٥].

---

(١) قال الهيثمي: رواه أبو يعلي وفيه عبدالسلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد في المسند، والترمذي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي وغيره.

(٣) رواه الترمذي وأحمد والحاكم والبيهقي وابن أبي شيبة.

(٤) رواه الحاكم وغيره. وقال: صحيح على شرط مسلم وجميع رجاله ثقات.

(٥) رواه الترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد. قال ابن كثير: إسناده حسن على شرط مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً**»(١). وفي رواية الترمذي: «**يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً**».

وليس بين الحديثين تعارض إطلاقاً، وإن كان ظاهرهما كذلك فقد جمع العلماء بين هذين الحديثين فقالوا:

قال ابن كثير: إن كان الأول محفوظاً فيكون باعتبار دخول أول الفقراء وآخر الأغنياء، فيكون الأربعون خريفاً باعتبار دخول آخر الفقراء وأول الأغنياء، والله أعلم(٢).

قال القرطبي: أن الفقراء مختلفو الحال، وكذلك الأغنياء فالفقراء متفاوتون في قوة إيمانهم وتقدمهم، والأغنياء كذلك، فإذا كان الحساب باعتبار أول الفقراء دخولاً الجنة وآخر الأغنياء دخولاً الجنة فتكون المدة خمسمائة عام، أما إذا نظرت إلىٰ آخر الفقراء دخولاً الجنة وأول الأغنياء دخولاً الجنة فتكون المدة أربعين خريفاً باعتبار أول الفقراء وآخر الأغنياء والله أعلم(٣).

قال ابن القيم: الذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً. إما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائمهم. والله أعلم(٤).

قلت: وقد يكون أحدهما نسخ الآخر، فقد يكون الله ـ عز وجل ـ قد قضىٰ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صفة الجنة، ابن كثير.

(٣) النهاية، ابن كثير.

(٤) حادي الأرواح، ابن القيم.

بادئ الأمر بأن يدخلوا قبل الأغنياء بخمسمائة عام ثم نُسخ إلىٰ أربعين خريفاً إن كانت الخمسمائة عام أولاً.

وإن كان الأربعين خريفاً أولاً نسخت إلىٰ الخمسمائة عام. فالله يقضي ما يشاء وهو أحكم الحاكمين - سبحانه - فليس بين أحاديث المصطفىٰ تعارض علىٰ الإطلاق، فكلها وحي يوحىٰ. وقد يكون ما تقدم من كلام العلماء هو الصحيح، وقد يكون خلافه، والله أعلم.

قال ابن القيم: لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلىٰ منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل علىٰ هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حُوسب علىٰ غناه فوجد قد شكر الله - تعالىٰ - فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلىٰ درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول.

المبحث الخامس:
الجنة باقية لا تفنى

أما الجنة التي هي جزاء المؤمنين ودار الله وكرامته، فهي باقية دائمة سرمدية أبدية، لا تزيد على مر الدهور إلا كرامة وحبوراً، ولم يقل أحد من العلماء بزوالها وفنائها وعلماء السنة عن بكرتهم وغيرهم سلفاً وخلفاً ومتقدمين ومتأخرين متفقون على هذا الأصل الأصيل والركن القويم، وهذا معروف بالاضطرار - كما قال ابن القيم - ودل عليه القرآن والحديث والعقل:

الدليل الأول:

* قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، فأخبر أنه دائم، والدائم هو المستمر على مر الدهور بلا حدٍّ يحده ولا وقت ينتهي إليه، والمنقطع ليس بدائم.

الدليل الثاني:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].. والنفاد الانتهاء، فأخبر الله أن رزقه الذي هو الجنة لا ينفد ولا ينتهي، والمنقطع ينفد.

الدليل الثالث:

* قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فأخبر أن ما في الدنيا من الخير ينفد، وما عند الله باقٍ لا ينفد، فلو كان لما عند الله من النعيم آخر لكان ينفد كما ينفد نعيم الدنيا، ولم يكن باقياً لا ينفد.

الدليل الرابع:

* قول الله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] فقد نفى الله - تعالى - إخراجهم من نعيم الجنة وانفصالها عنهم.

الدليل الخامس:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

قال عامة المفسرين: غير مقطوع، ولا منقوص(١).

وقال ابن عباس: غير مقطوع(٢).

وقال مجاهد: غير محسوب(٣).

قالوا: ومنه المنون، لأنه يقطع عمر الإنسان وينهيه.

الدليل السادس:

* قوله تعالى عن نعيم الجنة: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، أي غير مقطوع. وقوله ـ تعالى ـ عن ثمار الجنة ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣].

الدليل السابع:

* قوله ﷺ: **«من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت»**(٤).

الدليل الثامن:

* قوله ﷺ: **«ينادي منادٍ: يا أهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»**(٥). وفي رواية: **«تحيوا فلا تموتوا أبداً»**.

الدليل التاسع:

* قوله ﷺ: **«يجاء بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلون مشفقين، ويقال: يا أهل النار، فيطلون فرحين،**

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ومعالم التنزل، البغوي.

(٢) جامع البيان، الطبري.

(٣) تفسير مجاهد.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيذبح بين الجنة والنار. ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»(١).

قال **ابن تيمية**: كلٌ خالد فيما هو فيه، فإذا كانوا لا يموتون، فلابد لهم من دار يكونون فيها، ومحال أن يعذبوا بعد دخول الجنة فلم يبق إلا دار النعيم، والحي لا يخلو من لذةٍ أو ألم، فإذا انتفى الألم تعينت اللَّذة الدائمة.

ولم يخالف في هذا الأصل إلا بعض الضالين المضلين، وعلى رأسهم الجهم بن صفوان رأس المعطلة والجهميَّة، قال ابن تيمية: «فما رأينا أحداً حكاه عن أحد من السلف من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وإنما حكوه عن الجهم بن صفوان، وأتباعه الجهمية وهذا مما أنكره عليه أئمة الإسلام، بل ذلك مما كفروهم به»(٢).

وبين **ابن تيمية** سبب هذا القول عند الجهم فقال: «هذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده، وهو امتناع وجود مالا يتناهى من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام الذين استدلوا على حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يخل من الحوادث بها، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأي الجهم: أن ما يمنع من وجود مالا يتناهى يمنعه في المستقبل، كما يمنعه في الماضي، فيلزم أن يكون الفعل الدائم ممتنعاً على الرب في المستقبل كما كان ممتنعاً عليه في الماضي، وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل، لكن قال: هذا إنما يقتضي فناء الحركات، فقال: إنه تفنى حركات أهل الجنة، والنار حتى يبقوا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) ذكره ابن تيمية في كتابه «الرد على من قال بفناء الجنة»، وقد ذكر ابن القيم هذه الأقوال بتصرف يسير في كتابه «حادي الأرواح» نقلاً عن شيخه ابن تيمية.

(٣) المصدر السابق.

وقد رد عليهم شيخ الإسلام، وبين فساد هذا الأصل الذي اعتقدوه، ثم قال: إن هذا القول، وهو القول بفناء الجنة قول لم يُعرف عن أحد من السلف: من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، والذين قالوه لم يقولوه تلقياً له من خطاب الرسول ﷺ، وإعلامه وبيانه، ولا من قياس معقول دل عليه الرسول، وإنما قالوه عن قياس قاسوه بعقولهم، وهو خطأ في نفس الأمر، وإن كان قد اشتبه على كثير من أهل الكلام فاعتقدوه حقاً، حتى بنوا عليه وجوب حدوث ما لم يخل من الحوادث، بل وجوب حدوث ما تقوم به الحوادث.

كفر من قال بفناء الجنة

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية تكفير من قال بفناء الجنة وقال:

وهذا مما أنكره عليهم أئمة الإسلام، بل ذلك مما كفروهم به، كما ذكره عبدالله بن أحمد في: كتاب (السُّنَّة)(١)، والأثرم في: كتاب (السُّنَّة)(٢)، وأبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب (خلق أفعال العباد)(٣)، وغيرهم عن خارجة بن مصعب، أنه قال:

كفرت الجهميَّة بآيات من كتاب الله - عز وجل - في غير موضع بأربع آيات من كتاب الله:

بقوله تعالىٰ: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾، وهم يقولون: لا يدوم.

وبقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾، وهم يقولون: ينفد.

وبقوله تعالىٰ: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾، فمن قال: أنها تنقطع، فقد كفر.

وبقوله تعالىٰ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، أي: غير مقطوع. فمن قال: إنه ينقطع، فقد كفر(٤).

معنى الاستثناء:

في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨].

أشكل هذا الاستثناء علىٰ كثير من الناس، وظنوا أن نعيم الجنة مؤقت

---

(١) «السنة» للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل.

(٢) «السنة» للأثرم، وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ.

(٣) «خلق أفعال العباد» للإمام أمير المؤمنين في الحديث: محمد بن إسماعيل البخاري.

(٤) في رواية البخاري زيادة بعد هذا قال" يعني خارجة بن مصعب" أبلغوا أنهم كفار، وأن نساءهم طوالق.

محدود، وهذا غير صحيح فالآية من المتشابه، وقوله تعالىٰ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ من المحكم، فالاستثناء في هذه الآية ليس علىٰ ظاهره، لوجود النص الصحيح الصريح من القرآن والسنة والعقل والضرورة وإجماع أهل العلم ـ كما مر بنا في فصول متقدمة ـ وقد نص أهل العلم علىٰ كفر من قال: بفناء الجنة من الجهمية وغيرهم، ولكن ما معنىٰ الاستثناء هنا في هذه الآية:

إن الاستثناء هنا لا يدل علىٰ عدم خلود أهل الجنة فيها ولا يدل علىٰ فنائها، بل هو استثناء من أمور أخرىٰ نص عليها أهل العلم وتكلموا فيها، وأُشبعت هذه المسألة بحثاً واستقصاءً لأدق تفاصيلها، ولا لبس فيها إطلاقاً، فقد أعقب الله ـ تعالىٰ ـ هذا الاستثناء بقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ليقضي علىٰ كل توهم وكل فكرة تقود إلىٰ فناء الجنة وانقطاع نعيمها، وليؤكد أن الاستثناء هنا ليس استثناءً من الخلود، وإنما استثناء من شيء آخر أراده الله، وفسره أهل العلم كما سيأتي بيانه بالتفصيل علىٰ النحو التالي:

القول الأول:

إن الاستثناء من ﴿خَالِدِينَ﴾ وهو خاص وعائد علىٰ العصاة من المسلمين أهل التوحيد الذين كانوا في النار ثم انقضت مدة عذابهم وخرجوا من النار بشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ [هود:١٠٦] عاماً في الكفرة والعصاة، وهذا قول قتادة والضحاك وأبو سنان وغيرهم[١].

ففي الصحيح من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ **«يدخل ناس جهنم حتىٰ إذا صاروا كالحممة[٢] أخرجوا منها ودخلوا الجنة، فيقال: هؤلاء الجهنميون»**. وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض إلا مدة مكثهم في النار.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، وتفسير ابن كثير.
(٢) أي: كالفحم.

القول الثاني:

إن الاستثناء من قوله تعالىٰ: ﴿فَفِي النَّارِ﴾ [هود:١٠٦]، وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: إلا ما شاء ربك من تأخير قوم عن ذلك، وهذا مرويٌّ عن أبي سعيد الخدري، وجابر ـ رضي الله عنهما ـ.

القول الثالث:

إن القرآن نزل بلغة العرب وأساليبهم، والعرب إذا أرادت أن تصف شيئاً بالدوام الأبدي، قالت: أن هذا الشيء دائم دوام السموات والأرض. أي: دائم دواماً سرمدياً لا ينتهي أبداً، كقولهم: «لا آتيك ما كان لله في البحر قطرة» يعني: لا آتيك أبداً، فجاء هذا الاستثناء علىٰ لغة العرب وجرياً علىٰ أساليبهم.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير: من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض، ويقولون أيضاً: هو باق ما اختلف الليل والنهار، وما سمر أبناء سمير، وما لألأت العير بأذنانهم، يعنون بذلك كله: أبداً، فخاطبهم الله ـ سبحانه ـ بما يتعارفونه بينهم فقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ وللإمام ابن المظفر السمعاني نحو هذا الكلام في تفسيره.

القول الرابع:

إن قوله تعالىٰ: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾، أي: سماوات الجنة وأرضها، وهما باقيتان أبداً وهذا قول الضحاك وغيره.

قال **ابن كثير**: يُحتمل أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾، يحتمل أن يكون الجنس لأنه لابد من عالم الآخرة من سماوات وأرض كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، قال: يقول: سماء غير هذه السماء، وأرض غير هذه الأرض، قال ابن عباس

ـ رضي الله عنه ـ في هذه الآية: «لكل جنة سماء وأرض»(١).

القول الخامس:

معنى الاستثناء: أن خلودهم في الجنة ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو تحت سقف المشيئة، فهم خالدون في الجنة خلوداً سرمدياً دائماً أبداً غير منقطع، وخلودهم هذا إنما هو بمشيئة الله عز وجل فلو شاء لقطع التخليد عليهم، ولكن لا يشاء، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦] والله لا يذهبه، وكقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] والله لا يشاء أن يختم على قلب نبيه، فهذا الاستثناء جاء على طريق أسلوب الاستثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام مثل قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧] فهو استثناء في واجب، وهذا الاستثناء في حكم الشرط كذلك، كأنه قال: «إن شاء ربك» فلا يوصف هذا الاستثناء بالمتصل ولا بالمنقطع ويؤكده قوله تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

قال أبو عبيدة: تقدمت عزيمة المشيئة من الله في خلود الفريقين في الدارين، فوقع لفظ الاستثناء، والعزيمة قد تقدمت في الخلود، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ وقد علم أنهم يدخلونه حتماً، فلم يوجب الاستثناء في الموضعين خياراً. إذ أن المشيئة قد تقدمت بالعزيمة في الخلود في الدارين والدخول في المسجد الحرام.

القول السادس:

أن أداة الاستثناء «إلا» بمعنى «سوى» كقولهم: ما معي رجل إلا زيد. أي: ما معي رجل سوى زيد. ومثل قولهم: لي عليك ألف درهم إلا الألف التي عليك. أي: لي عليك ألف درهم سوى الألف التي عليك، وعلى هذا يكون

---

(١) تفسير ابن كثير.

المعنىٰ: ما دامت السماوات والأرض سوىٰ ما شاء ربك من الخلود. قال ابن جرير: وهذا أحب الوجهين إليَّ.

القول السابع:

إن أداة الاستثناء «إلا» بمعنىٰ: «الواو» وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: ما شاء ربك من الزيادة في الخلود علىٰ مدة دوام السماوات والأرض في الدنيا، وقد قيل في قوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠] أي: ولا الذين ظلموا، وهذا قول الفراء، وغيره ولم يقل به البصريون.

القول الثامن:

إن أداة الاستثناء «إلا» بمعنىٰ «كاف التشبيه»، وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: كما شاء ربك، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] أي: كما قد سلف.

القول التاسع:

إن الاستثناء من «الزفير والشهيق» في الآية التي قبلها. أي: لهم فيها زفير وشهيق إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب الذي لم يذكره، وكذلك لأهل الجنة من النعيم ما ذكر وما لم يذكر. وهذا حكاه ابن الأنباري، وحاصله: إلا ما شاء ربك من زيادة أنواع النعيم لأهل النعيم، وزيادة أنواع العذاب لأهل العذاب.

القول العاشر:

إن الأشقياء هم السعداء، والسعداء هم الأشقياء لا غيرهم، والاستثناء في الموضعين راجع إليهم وبيان ذلك أن «ما» بمعنىٰ «من»، فقد استثنىٰ الله - عز وجل - من الداخلين في النار المخلدين فيها الذين يخرجون منها من أمة محمد ﷺ بما معهم من الإيمان، واستثنىٰ من الداخلين في الجنة المخلدين فيها الذين يدخلون النار بذنوبهم قبل دخول الجنة ثم يخرجون من النار إلىٰ الجنة، وهم

الذين وقع عليهم الاستثناء الثاني، فهم الخارجون من النار من أمة محمد ﷺ بإيمانهم وبشفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره فهم بدخولهم النار يُسمون الأشقياء، وبدخولهم الجنة يسمون السعداء. كما روىٰ الضحاك عن ابن عباس قوله: «الذين سعدوا شقوا بدخول النار ثم سعدوا بالخروج منها ودخولهم الجنة»(١).

القول الحادي عشر:

إن هذا الاستثناء استثناه الرب ـ تعالىٰ ـ ولا يفعله، مثل قولك: «والله لأضربنك إلا أن أرىٰ غير ذلك» وأنت لا تراه بل تجزم بضربه، ومثل قولك: «أردت أن أفعل ذلك إلا أن أشاء غيره» وأنت مقيم علىٰ ذلك الفعل، وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: أنه لو شاء أن يخرجهم لأخرجهم، ولكنه قد أعلمهم أنهم خالدون فيها.

القول الثاني عشر:

إنهم خالدون في الجنة خلوداً أبدياً، والاستثناء هو استثناء أوقات معينة من الخلود قبل دخولهم الجنة وهي مكثهم في الدنيا والبرزخ وأرض الحساب، وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: إلا ما شاء ربك من مقدار موقفهم ومدة مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب.

قال الجعفي: سألت عبدالله بن وهب عن هذا الاستثناء، فقال: سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلىٰ أن يُقضىٰ بين الناس.

القول الثالث عشر:

إن الاستثناء هو زيادة الخلود الأبدي علىٰ مدة كون السماوات والأرض المعهودتين في الدنيا ويكون المعنىٰ: أن أهل الجنة خالدين فيها مدة السماوات والأرض إلا مدة زوالها فإن زالتا فإن الخلود مستثنىٰ من هذا الزوال؛ لأنه

(١) أورد هذا الأثر القرطبي في: الجامع لأحكام القرآن.

أبدي لا يزول ولا ينتهي.

قال القرطبي: فالاستثناء في الزيادة من الخلود على مدة كون السماوات والأرض المعهودتين في الدنيا. واختاره الترمذي الحكيم، أي خالدين فيها مقدار دوام السماوات والأرض وذلك مدة العالم وللسماء والأرض وقت يتغيران فيه، وهو قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**﴾ وقوله ﴿**إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ أي: من زيادة المدة التي تعجز القلوب عن إدراكها، لأنه لا غاية لها.

القول الرابع عشر:

إن قوله ﴿**مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ يفسرها ويوضحها قوله تعالى: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ لأن هذه السماوات والأرض المعهودة لا تزول بل تدوم إلى أبد الآباد، ولم يقل القرآن أنها سوف تزول بل عبر أنها سوف تتغير واختلف العلماء في هذا التغيير أهو تغيير ذات أو صفات، وقد أورد القرطبي في تفسيره عن ابن عباس قوله: «إن جميع الأشياء المخلوقة أصلها من نور العرش وأن السماوات والأرض في الآخرة تردان إلى نور العرش الذي أخذتا منه فهما دائمتان أبداً في نور العرش».

والمعنى: أنهم خالدون في الجنة خلوداً أبدياً مثل خلود السماوات والأرض حين تردان إلى العرش لأن العرش دائم لا يزول. والله أعلم.

قال **ابن القيم** بعد أن ذكر بعضاً من هذه الأقوال: «وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر ـ سبحانه ـ عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله فيها: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ محكم وكذلك قوله: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ**﴾، وقوله: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾،

وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ . وقد أكد الله ـ سبحانه ـ خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولىٰ، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلىٰ الاستثناء في قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تبين لك المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولىٰ من جملة الموت فهذه موتة تقدمت علىٰ حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدم علىٰ خلودهم فيها».

الترجيح بين هذه الأقوال:

بعد الاطلاع والتدقيق والنظر بعد النظر تبين لي والله أعلم: أن المقصود بالاستثناء هو استثناء الفترة الزمنية التي كان أهل الجنة فيها قبل دخولهم الجنة، وهي فترة الحياة في الدنيا والبرزخ والنشور والوقوف للحساب قبل دخولهم الجنة، والدليل علىٰ هذا: أن حياة أهل الجنة دائمة دواماً سرمدياً غير متناهية، ومن الثابت أيضاً أن الموطن الأصلي هو الجنة[1]، وأن الخروج منها كان بسبب خطيئة آدم ـ عليه السلام ـ، ولهذا عاتب موسىٰ آدم ـ كما في الصحيح ـ علىٰ هذه الخطيئة التي ترتب عليها الخروج من الجنة والهبوط إلىٰ الأرض، ثم إذا دخل أهل الجنة الجنة يكونون بذلك قد رجعوا إلىٰ موطنهم الأصلي الذي خرجوا منه خروجاً مؤقتاً، ثم يعودون إليه عوداً لا خروج بعده.

إذن كان أهل الجنة في الجنة باعتبارهم فرعاً لأصل أبيهم آدم والفرع يتبع الأصل ثم خرجوا منها لسبب زال بعد دخولهم الثاني، وبما أن الأصل الخلود في الجنة والخروج منها أمرٌ عارض، والعارض لا يثبت أمام الأصل كان الاستثناء من الخلود لهذه الفترة التي خرجوا منها والواقعة بين أصلين، وهي الهبوط إلىٰ الأرض والحياة فيها لفترة قليلة ثم إكمال الطريق إلىٰ الجنة مروراً بالبرزخ والوقوف للحساب. وفترة العذاب لعصاة الموحدين الذين لم يُغفر

---

(١) أعني بذلك: آدم ـ عليه السلام ـ حيث كان يسكن الجنة هو وزوجه.

لهم إلى حين دخولهم الجنة .

وهذا نظير قولك : هذه الدار ملك لك ولأولادك من بعدك إلا مدة سنة تبدأ بعد ملكك لهذه الدار بعشر سنين ثم تعود الدار إلى ملكك .

فهذه الدار تكون ملكاً لصاحبها ملكاً أبدياً إلا فترة زمنية محددة بسنة استثنيت في العقد تزول بعد زوال فترتها المحددة .

قال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ :

فحيَّا على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل تُرى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

المبحث السادس:
القول في فناء النار

إن هذه المسألة عظيمة، والحديث فيها منذ القدم وليست مبتدعة قريباً.

والعلماء في هذه المسألة انقسموا إلىٰ ثلاثة أقسام:

* فقسم منهم: أجروها علىٰ الظاهر من الأدلة فقالوا أن النار باقية دائمة لا تفنىٰ بل أهلها في عذاب دائم سرمدي أبد الآباد ودهر الداهرين.

* وقسم منهم: أخذهم حسن الظن بالله والوثوق برحمته وبعض الأدلة التي رأوا أنها تقيد المطلق من الأدلة، وقالوا: أن النار سوف تفنىٰ بأهلها بعد أن يلبثوا فيها أحقاباً واستدلوا بجمع من الأدلة علىٰ ذلك.

* والقسم الآخر: توقفوا في هذه المسألة ووكلوا أمرها إلىٰ الله.

والحديث عن هذه المسألة كما أسلفت ليست جديدة، بل واردة عن جمع من الصحابة أمثال: عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبىٰ هريرة، وأبىٰ سعيد الخدري وغيرهم وجمع من التابعين وأتباعهم وكثير من أئمة الهدىٰ أمثال: ابن تيمية، وابن القيم، والقرطبي[(١)]، وعبد بن حميد في تفسيره[(٢)]، وابن أبي العز[(٣)]، والذهبي في مصنف له في (وصف النار) والحافظ ابن رجب[(٤)]، والفخر الرازي[(٥)]، وعبدالحق بن عطية الأندلسي[(٦)]، وأبو حامد

(١) التذكرة.

(٢) نقله ابن القيم في (شفاء العليل).

(٣) في شرح الطحاوية.

(٤) في التخويف من النار.

(٥) التفسير الكبير.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

الغزالي[١]، وابو الوزير[٢]، ومحمد الأمين الشنقيطي[٣]، والشيخ الصنعاني[٤]، وغيرهم الكثير.

وقد نقل جمع من العلماء رأي ابن تيمية الذي يميل فيه إلىٰ القول: بفناء النار من أمثال السفاريني[٥]، والألوسي[٦]، وصديق حسن خان[٧].

وقد أنكر بعض من العلماء نسبة هذا القول لابن تيمية أمثال الدكتور: علىٰ بن علىٰ الحربي اليماني[٨]، الذي قال: أن ابن تيمية بريء من هذا القول، براءة الذئب من دم يوسف.

وبعد التحقيق في نسبة هذا القول لابن تيمية تبين أنه ثابت عنه، وأنه يميل إلىٰ القول بفناء النار، وله في هذه المسألة العظيمة مصنف أخبر به تلميذه ابن القيم حيث قال: «وكنت سألت شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ فقال لي هذه مسألة عظيمة كبيرة، ولم يجب فيها شيئاً فمضىٰ علىٰ ذلك زمن حتىٰ رأيت في «تفسير ابن حميد الكشي» بعض تلك الآثار الدالة علىٰ فناء النار، فأرسلت إليه الكتاب وهو في مجلسه الأخير، وعَلَّمت علىٰ ذلك الموضع، وقلت للرسول: قل له هذا الموضع يُشكل عليه، ولا يدري ما هو؟ فكتب فيه مصنفه المشهور ـ رحمه الله ـ»[٩].

وقد اطلعت علىٰ مصنف لابن تيمية في هذا الباب لعله هو المصنف الذي

(١) المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ.
(٢) إيثار الحق علىٰ الخلق.
(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.
(٤) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار.
(٥) في «لوامع الأنوار».
(٦) في «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين».
(٧) في «يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار».
(٨) في كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.
(٩) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.



كتبه وتحدث عنه تلميذه ابن القيم وهو عبارة عن مخطوطة عثر عليها الدكتور محمد السمهري في دار الكتب المصرية وقابلها مع نسخة المكتب الإسلامي فحققها وأخرجها في كتاب مطبوع.

ثم إن **ابن القيم** في كتابه (حادي الأرواح) ذكر خمسةً وعشرين دليلاً عقلياً ونقلياً على فناء النار، وابن القيم معروف عنه متابعته لآراء شيخه ابن تيمية وانتصاره لها.

وكان الدافع لجميع العلماء الذين قالوا: بفناء النار وعلى رأسهم ابن تيمية وتلميذه إنما كان ذلك بعد النظر في الأدلة حيث تبين لهم أن أدلة البقاء والخلود في النار أدلة مطلقة، وأن هناك أدلة تقيد هذا المطلق، فقيدوا المطلق بالمقيد جمعاً بين الأدلة وهو الأولى.

وقد اعتذر الألباني ـ رحمه الله ـ لابن تيمية بقوله: «ولعل ذلك كان منه إبَّان طلبه للعلم، وقبل توسعه في دراسة الكتاب والسنة، وتضلعه بمعرفة الأدلة الشرعية وكان الحامل له على ذلك إنما كان ثقته البالغة في رحمة ربه وعفوه، وأنها وسعت كل شيء دون ما استثناه، ووافق ذلك منه خُلُقاً كريماً وطبعاً رحيماً جبله الله عليه، عُرف به بين أصحابه . . . »[1].

ونحن لا نُسَلِّم للألباني في اعتذاره الذي يوحي بخطأ ابن تيمية، إذ لا دليل لديه أن ابن تيمية كان في بداية طلبه العلم بل إن الثابت أن هذا القول صدر عن ابن تيمية في آخر حياته وبعد تضلعه بالأدلة الشرعية، لأن تلميذه ابن القيم سأله عنه وهو يُعَلِّم العلم فإن كان التلميذ يُعَلِّم ويُدَرِّس في الحلقات فإن شيخه قد بلغ من العلم عتياً وقد ذكرنا نص قوله كاملاً في صفحة٤٢٥ ثم ما المانع من أن هذا الرأي هو الحق والصواب خاصة مع ورود أدلة عليه ومروي عن بعض الصحابة والبقية من صحابة النبي ﷺ سكتوا عن هذه المسألة ولم يصرحوا

---

(١) مقدمة «رفع الأستار».

بعدم فناء النار.

ولم يرد حديث واحد من النبي ﷺ يصرح بعدم فناء النار، وقد قُدمت رسالة ماجستير في جامعة أم القرى[1] بعنوان (الجنة والنار والآراء فيهما) رجح صاحبها القول بفناء النار، وعلل ذلك بورود أدلة تقيد مطلق الآيات، وأن ذلك يتفق مع رحمة الله الواسعة وكرمه وعفوه.

إن رأي جمهور العلماء من أهل السنة سلفاً وخلفاً أن النار لا تفنى ولا تبيد أبداً ومناصرة هذا الرأي وعدم الالتفات إلى الرأي المرجوح الذي يقول بفنائها هو الأولى حتى لو ورد هذا الاجتهاد عن بعض من عُرف بإمامته في الدين؛ لأنهم اجتهدوا وأخطئوا وهم مأجورون باجتهادهم. والله أعلم.

وللإمام الحافظ ابن رجب كلام لطيف في هذه المسألة إذ يقول: «وها هنا أمرٌ خفي ينبغي التفطن له، وهو: أن كثيراً من أئمة الدين قد يقول قولاً مرجوحاً ويكون مجتهداً فيه مأجوراً على اجتهاده فيه، موضوعاً عنه خطؤه فيه، ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة، لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله، بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين لما قبلة ولا انتصر له ولا والى من يوافقه، ولا عادى من خالفه، ولا هو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه، وليس كذلك فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق وإن أخطأ في اجتهاده وأما هذا التابع فقد شاب انتصاره لما يظنه الحق إرادة علو متبوعه وظهور كلمته، وأنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصد الانتصار للحق فافهم هذا فإنه مهم عظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[2].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «... وغاية ما يُقال أنه قولٌ خطأ، أو رأي

---

(١) رسالة ماجستير للباحث، فيصل بن عبدالله.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب.

غير صواب، ولا يُقال بدعة، وليس قصدي الدفاع عن هذا القول، ولكن قصدي بيان أنه ليس بدعة، ولا ينطبق عليه ضابط البدعة وهو أنه من المسائل القديمة»[١].

وقال الدكتور عمر الأشقر: «ولا يجوز بحال من الأحوال ذم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بسبب هذه المقولة، فقد كفرهما قوم، وفسقهما قوم بسبب ذلك، وكل هذا ليس بصواب فإنهما مجتهدان مأجوران مثابان، ولو علما الحق في خلاف قولهما لاتبعاه، ودعوىٰ أن المخالف لمثل هذا يكفر قائله يوصل القائلين بهذا إلىٰ تكفير أئمة هذه الأمة الذين لا يُمارىٰ في إمامتهم، فإن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يذهب إلىٰ أن المسافر إذا لم يجد الماء لا يتيمم ولا يصلي. وقد اتفقت الأمة علىٰ خلاف هذا، والإمام مالك كان يرىٰ أن «بسم الله الرحمن الرحيم» ليست آية من كتاب الله، وقد أجمعت الأمة علىٰ أن ما بين دفتي القرآن من القرآن . . . »[٢]. وقال أيضاً: «ينبغي أن ننبه أن لابن تيمية وابن القيم قولاً بعدم فناء النار فقد جاء في الفتاوىٰ قول ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة علىٰ أن من المخلوقات ما لا يُعدم ولا يفنىٰ بالكلية كالجنة والنار والعرش»[٣].

قلت: إن قول ابن تيمية المنقول من فتاواه لا يناقض قوله بفناء النار؛ لأن النار باقية لا تفنىٰ وإنما الذي يفنىٰ هو عذابها، وهذا هو مقصود ابن تيمية في رأيه بفنائها، وهو المنقول عن ابن مسعود حيث قال: «ليأتين علىٰ جهنم زمان

---

(١) «نظرات وتعقيبات علىٰ ما في كتاب السلفية من الهفوات» لمحمد سعيد رمضان، بقلم صالح الفوزان.
(٢) الجنة والنار، د. عمر الأشقر.
(٣) المصدر السابق.

ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً، وهؤلاء هم الكفار».

وهو المروي أيضاً عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث قال: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه».

وقال عبدالله بن عمرو: «ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها، ليس فيها أحد»، وقال أبو هريرة: «سيأتي على جهنم يوم لا يبق فيها أحد».

ونلحظ من أقوال الصحابة أنها لا تفن وإنما الذي يفنى هو عذابها وجحيمها ومما يدل على أن هذا مقصود ابن تيمية أنه قال: «اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة» وابن تيمية يعلم أن السلف وسائر أهل السنة والجماعة لم يتفقوا على فناء عذابها وحاشاه أن يجهل ما ورد عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وابن مسعود وغيرهم من القول بفناء عذابها فرأيه - رحمه الله - أن النار باقية لا تفنى وإنما الذي يفنى هو عذابها وأنه سيأتي زمان لا يبق في النار أحد يُعذب من الكفار... والله أعلم.

أدلة القائلين بدوام النار وأبديّتها

الدليل الأول:

اعتقادهم بأن أهل العلم اجمعوا على أبديتها ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع والأهواء، فقد نقل ابن حزم اتفاق الأمة على ذلك فقد جاء في كتابه (الملل والنحل) قوله: «اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا الجهم بن صفوان»(١).

الدليل الثاني:

أن القرآن دل دلالة قطعية واضحة بأن الكافرين لا يخرجون من النار وأخبر أن العذاب لا يُفتر عنهم، وأنه لا يزيدهم إلا عذاباً، وأن عذابهم مقيم وأنهم خالدين فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين وأن الله حرم الجنة على الكافرين وأنهم لا يدخلون حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط، وأنهم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً: أي مقيماً لازماً، قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الدليل الثالث:

أن السنة المستفيضة دلت أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة كلها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الدليل الرابع: وهو استدلال شذ من بعضهم يقولون:

أن العقل دلَّ على دوامها، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا

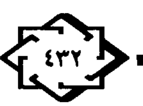
---

(١) الملل والنحل، ابن حزم.

يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨]، فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه، ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها. بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع.

الدليل الخامس:

أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.



الرد على أدلتهم

وقد رد على هذه الأدلة جمع من العلماء[١].

الرد على الدليل الأول:

أن هذا الإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم، وقد عُرِفَ النزاع فيها قديماً وحديثاً، بل لو كلف مدعي الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال: إن النار لا تفنى أبداً لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وقد نقل عنهم التصريح بالقول بفناء النار، فما وجد عن واحد منهم خلاف ذلك، وأنا لم أقف ولم أعلم أحداً من الصحابة إلى هذه الساعة يقول ويصرح بدوام النار، وإنما المنقول عنهم ضد ذلك.

أما قولكم أنه لم يخالف إلا أهل البدع والأهواء، فنقول لكم: ما قولكم بالأخبار التي نُقلت عن جمع من كبار الصحابة، أمثال: عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وجمع من التابعين وأتباعهم المشهورين وأئمة الهدى أمثال: ابن تيمية وابن القيم وغيرهم الذين صرحوا بفناء النار.

الرد على الدليل الثاني:

نقول: أنه ليس في القرآن دليل واحد يدل على ذلك. صحيح أن القرآن دل على أن الكفار خالدين في النار أبداً، وأنهم غير خارجين منها، وأنه لا يفتر عنهم عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابهم فيما مقيم، وأنه غرام لازم لهم، وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع في أمر آخر وهو أنه: هل النار أبدية أو مما

---

(١) أمثال ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

كتب عليه الفناء؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يُفتر عنهم من عذابها ولا يُقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سَمِّ الخياط فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة، وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دام العذاب باقياً وهي باقية، ولا يخرجون منها مع بقائها وبقاء عذابها كما يخرج أهل التوحيد بالشفاعة وغير الشفاعة، فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس علىٰ حاله فيه أناس محبوسون وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

بل إن في القرآن دلالة غير مباشرة وإيحاء بفناء النار سأذكره في موضعه.

الرد على الدليل الثالث:

أن مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك فهو حق لا شك فيه وهي إنما تدل علىٰ ما قاله أهل العلم من خروج الموحدين منها، وهي دار عذاب لم تفن، ويبقىٰ المشركون فيها ما دامت باقية، والنصوص دلت علىٰ هذا وعلىٰ هذا.

الرد على الدليل الرابع:

أن حكم العقل بتخليد أهل النار فيها فإخبار عن العقل بما ليس عنده، لأن هذه المسألة من المسائل الغيبية التي لا تُعرف إلا بخبر الصادق.

الرد على الدليل الخامس:

أن الرسول ﷺ وقفنا علىٰ ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنىٰ كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل علىٰ ذلك؟

وعن الحسن البصري أنه سُئل عن قوله تعالىٰ: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]. فقال: الله أعلم بالأحقاب فليس فيها عدد إلا الخلود، ولكنه بلغنا

أن الحقب الواحد: سبعون ألف سنة، كل يوم من تلك الأيام كألف سنة مما تعدون[١].

وعن هشام، عن الحسن قال: «الأحقاب» لا يدري أحد ما هي؟ ولكن الحقب الواحد: سبعون ألف سنة، اليوم منها كألف سنة مما تعدون، وقوله: «الله أعلم ما الأحقاب، ولا يُدرى ما هي؟» يقتضي أن لها عدداً الله أعلم به، ولو كانت لا عدد لها لعلم كل أحد أنه لا عدد لها، ويؤيد ما نقله الحسن، عن عمر بن الخطاب، قول الحسن «ليس فيها عدد إلا الخلود» حقٌ أيضاً، فإنهم خالدون فيها، لا يخرجون منها ما دامت باقية فأقوال الحسن يُصَدق بعضها بعضاً.

وقال السدي: «لابثين فيها أحقاباً» قال: «سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنةٍ مما تعدون»[٢].

وعن عبدالله بن عمرو قال: «الحقب: أربعون سنة»[٣].

وقد اختلف العلماء في الأحقاب، هل هي مقدرة محدودة أم أنها غير مقدرة؟ كثيرٌ من العلماء أنها محدودة، ومقدرة بزمن، قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿**لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**﴾ المعنى: «أنهم يلبثون فيها أحقاباً، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً»[٤]. وقال: «وبيانه: أن الأحقاب حد لعذابهم بالحميم والغساق فإذا انقضت الأحقاب عُذِّبوا بغير ذلك من العذاب»[٥].

والبعض الآخر يرى أَنها غير مقدرة، وقال أصحاب هذا القول: هذا لا يدل على غاية؛ لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب، ولو أنه قال: لابثين فيها

(١) تفسير الطبري وتفسير ابن كثير.
(٢) تفسير ابن كثير.
(٣) تفسير ابن كثير.
(٤) لسان العرب/ ابن منظور مادة (حقب) وعزاه للزجاج.
(٥) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي وعزاه للزجاج.

عشرة أحقاب أو خمسة أحقاب دل على غاية. وهذا القول ذهب إليه ابن قتيبة[١] وغيره.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: وهذا قول ابن قتيبة والجمهور[٢] وبيانه: أن زمان أهل الجنة والنار يتصور دخوله تحت العدد كقوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] ومثل هذا أن كلمات الله داخلة تحت العدد وإن لم يكن لها نهاية، فيقال: هذا ممنوع فما لا نهاية له يمتنع أن يدخل تحت العدد، وإنما يدخل تحت العدد ما له مقدار محدود وهو المعدود، لكن إذا أخذ بعض من أبعاضه دخل تحت العدد كالبكرة والعشي، وهو مقدار يوم من أيام الجنة، ويُعرف ذلك بنور يظهر لهم يزيد على النور المعتاد، يعرفون به البكرة والعشي، كما تظهر الشمس لأهل الدنيا لكن الجنة ليس فيها ظلمة.

وقوله: «كلمات الله داخلة تحت العدد»[٣] ممنوع إنما يدخل منها تحت العدد بعض من أبعاضها مثل الآيات المنزلة، وإلا فما لا نهاية له كيف يكون معدوداً وكلما عُدَّ بقدر معدود فهو ما حدَّ، وما يقدره الإنسان بلسانه وذهنه من العدد فله حد، والذي لا يتناهى ليس له مقدار لا في ذهنه ولا في لسانه[٤].

قال الدكتور محمد السمهري: وهذا الذي قاله الزجاج شاذ، خلاف ما عليه الأولون والآخرون، وهو خلاف ما دل عليه القرآن، فإن هذا يقتضي أنهم يبقون بعد الأحقاب فيها، ولكن لا يذوقون البرد والشراب حينئذ، وهذا باطل قطعاً، ثم إذا ذاقوا البرد والشراب فهذا نعيم، فكيف يكونون معذبين فيها بعد ذلك؟[٥].

---

(١) تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة.

(٢) زاد المسير/ ابن الجوزي.

(٣) جواب الشيخ ابن تيمية على من زعم أن كلمات الله داخلة تحت العدد.

(٤) الرد على من قال بفناء الجنة والنار، وبيان الأقوال في ذلك، ابن تيمية.

(٥) قاله في تحقيق كتاب ابن تيمية: الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك.

وقال بعضهم: هذه الآية منسوخة[١]، وقيل: «هي في أهل التوحيد»[٢]. قال عبد الحق بن عطية في تفسيره:

«ومن الناس من ظن لذكر الأحقاب أن مدة العذاب تنحصر وتتم، فطلبوا التأويل لذلك، فقال مقاتل بن حيَّان: الحقب سبع عشرة سنة وهي منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] قال: وقد ذكرنا فساد هذا القول[٣]، وقد علل الطبري فساد هذا القول بقوله: «أنه لا معنىٰ للنسخ لأن قوله تعالىٰ: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ وإنما النسخ في الأمر والنهي.

وقال آخرون: أن المقصود بقوله تعالىٰ: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ هم العصاة من المؤمنين[٤]. وهذا غير صحيح لأن ما بعده من السورة يرد عليه.

وقال آخرون: أن المعنىٰ: غير ذائقين فيها برداً ولا شراباً، فبهذه الحال: يلبثون أحقاباً، ثم يبقىٰ العذاب سرمداً وهم يشربون أشربة جهنم[٥].

والذي يظهر من الأدلة أن الأحقاب لها مدة زمنية محدودة ينتهي إليها العذاب ولا اعتبار لقول من قال إن العذاب يتغير إلىٰ شكل آخر بعد مرور هذه الأحقاب إذ لا دليل لديه، والله أعلم.

---

(١) قاله: مقاتل بن حيان، وقال: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾.

(٢) قاله الطبري وغيره.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

(٤) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي.

(٥) أخرج نحوه ابن جرير في تفسيره «جامع البيان».

أدلة القائلين بفناء النار وعدم دوامها

ذكر أغلب أدلة هذا الباب **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ في كتابه (حادي الأرواح) نقل كثيراً منها عن شيخه **شيخ الإسلام ابن تيمية،** وحاولت أن أجمع كل دليل في هذا الباب فخرجت بأربعة وعشرين دليلاً نقلياً وعقلياً ابتعدت قدر الإمكان عن كثير من الأدلة الفلسفية البعيدة عن الدليل الشرعي، وزدتها ببعض الأدلة التي لم يذكرها. وهذه الأدلة هي:

الدليل الأول:

أن الله ـ سبحانه ـ أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه، وأنه لا نفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها، وعدم خروجهم منها، وأنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون، وأنها مؤصدة عليهم، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وأن عذابها لازم لهم، وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم، والفرق بين الخبرين ظاهر.

الدليل الثاني:

أن النار قد أخبر ـ سبحانه ـ في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها:

❖ **الأولى:** قوله تعالى: ﴿**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام: ١٢٨].

❖ **الثانية:** قوله تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ [هود: ١٠٧].

❖ **الثالثة:** قوله تعالى: ﴿**لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**﴾ [النبأ: ٢٣].

ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثنائين في الموضعين واحد، كيف وفي الآيتين من السياق ما يُفرق بين الاستثنائين،

فإنه قال في أهل النار: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ فعلمنا أنه سبحانه يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ فعلمنا أنه هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبداً، فالعذاب مؤقت معلق، والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق.

وقوله تعالىٰ: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ففيها دلالة علىٰ أن عذاب النار مؤقت ومعلق إلىٰ أمد لأنه ـ سبحانه ـ حدد اللبث في جهنم بالأحقاب والحقب محدود بزمن، وقد استفاض عن غير واحد من السلف تقدير الحقب بحدٍّ محدود.

قال ابن عباس: «هي سنين»[١]، وقال أبو هريرة: «الحقب: ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كألف سنة، اليوم منها كالدنيا كلها»[٢].

وروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وهلال الهجري، والضحاك، وذكوان، والحسن وسعيد بن جبير، وقتادة، وعمرو بن ميمون أنهم قالوا: «الحقب: ثمانون سنة»[٣].

الدليل الثالث:

أنه قد ثبت أنه يدخل الجنة من يُنشأ في الآخرة لها[٤]، ويدخلها من دخل النار أولاً[٥]، ويدخلها الأولاد بعمل الآباء[٦]، فثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً، وأما النار فلا يُعذب أحدٌ إلا بذنوبه فلا تقاس هذه بهذه.

---

(١) الدر المنثور، للسيوطي.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره.
(٣) تفسير ابن كثير.
(٤) يشير إلىٰ قوله ﷺ **«وأما الجنة فإن الله ـ عز وجل ـ يُنشئ لها خلقا»**. أخرجه البخاري.
(٥) كما تقدم في حديث الشفاعة.
(٦) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

الدليل الرابع:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) ﴾ [الأنعام: ١٢٧- ١٢٩]، فأولياؤهم من الإنس: لفظ يدخل فيه الكفار قطعاً فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين.

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾ [النحل: ٩٩- ١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) ﴾ [الأعراف: ٢٠١- ٢٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١) ﴾ [سبأ: ٤٠- ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

فأمر بقتال أولياء الشيطان، وهم الكفار، وقال: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] فأخبر أنهم يوحون إلىٰ أوليائهم من الإنس ليجادلوكم، فهذه وأمثالها تبين أن الكفار أولياء الشياطين، فهم أحق الناس بالدخول في قوله: ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا

قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨] وقد قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: «أن هذه الآية تقتضي أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً»(١).

قال **ابن تيمية**: «فدل على أن هذا الاستثناء عنده يقتضي دفع العذاب عنهم، وهذا مدلول الآية، وأنه لأجل هذه الآية يجب أن يتوقف، فلا يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً، وهذا يناقض قول من يقول: سوى ما شاء الله من أنواع العذاب، وإلا مدة مقامهم قبل الدخول من حين بعثوا إلى أن دخلوا، فإن ذلك معلوم إنه قبل الدخول لم يكونوا فيها، وقول من يقول في أهل الجنة فإنها صريحة في تناول الكفار.

لكن ذكر البغوي أن ابن عباس قال: «الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيه علم الله وأنهم يسلمون فيخرجون». ولم يذكر من نقل هذا عن ابن عباس، فإن أريد بذلك من أسلم في الدنيا فليس كذلك، فإن الخطاب إنما هو لمن كان من أولياء الشيطان والجن الذين استمتع بعضهم ببعض، وهؤلاء من جملة المسلمين، وجميع من أسلم سبق فيه علم الله، أنه يسلم، وكأن قائل هذا القول ظن أن هذا خطاب للأحياء، وليس كذلك، بل هذا خطاب لهم يوم القيامة، وإن أراد أنهم يسلمون في جهنم فيخرجون منها، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن في غير موضع، فعن عبدالله بن مسعود قال: «ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً، وهؤلاء هم الكفار، وعن أبي هريرة مثله»(٢).

---

(١) قال الشيخ الألباني معلقاً على هذا الأثر: «قلت: هذا أثر منقطع لأن علي بن أبي طلحه لم يسمع من ابن عباس وإن كان معناه صحيحاً، ثم إن في الطريق إليه عبدالله بن صالح وهو ضعيف . . .». انظر: «رفع الأستار».

(٢) معالم التنزيل، البغوي.

قال البغوي: «ومعناه عند أهل السنة - إن ثبت - ألا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان[١] فيقال: أنهما لم يريدا ذلك، فإنهما قالا بعدما يلبثون فيها أحقاباً وهؤلاء هم الكفار المذكورون في قوله: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) ﴾ [النبأ: ٢١-٢٨].

وهذا وصف الذين كذبوا بآيات الله (كذّاباً) أي تكذيباً، فهو تكذيب مؤكد بالمصدر، قال ابن تيمية: ولم أجد نقلاً مشهوراً عن أحد من الصحابة يخالف ذلك، بل أبو سعيد الخدري وأبو هريرة هما اللذان رويا حديث ذبح الموت[٢] وأحاديث الشفاعة وخروج أهل التوحيد، وغيرهما قالا في فناء النار ما قالا.

وقد نقل البغوي: روى السُّدِّيُّ عن مرة، عن عبدالله، قال: «لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا».

الدليل الخامس:

أن الجنة موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه، ورحمته - سبحانه - تغلب غضبه وتسبقه كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش إن رحمتي تغلب غضبي**»[٣]، وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعاً.

---

(١) معالم التنزيل، البغوي.

(٢) رواه البخاري وغيره.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

الدليل السادس:

أن الجنة من مقتضى رحمته ومغفرته، والنار من عذابه، وقد قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ۝﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فالنعيم من موجب أسمائه التي هي من لوازم ذاته فيجب دوامه بدوام معاني أسمائه وصفاته.

وأما العذاب فإنما هو من مخلوقاته، والمخلوق قد يكون له انتهاء مثل الدنيا وغيرها، لا سيما مخلوق خلق لحكمة تتعلق بغيره.

الدليل السابع:

أن الله أخبر أن رحمته وسعت كل شيء، وأنه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]. وقال: «سبقت رحمتي غضبي»[1]. وقال: «غلبت رحمتي غضبي»[2].

وهذا عموم وإطلاق، فإذا قُدِّر عذاب لا آخر له، لم يكن هناك رحمة البتة.

الدليل الثامن:

وهو أنه -سبحانه- قال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء وعذابه مفعول منفصل، وهو ناشئ عن غضبه، ورحمته ها هنا هي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فها هنا أربعة أمور، رحمة: هي وصفه -سبحانه-، وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمته، وغضب يقوم به -سبحانه-، وعقاب منفصل ينشأ عنه، فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فَلأن يغلب ما كان

(١) حديث قدسي أخرجه البخاري ومسلم

(٢) جزء من حديث قدسي، أخرجه مسلم.

بالرحمة لما كان بالغضب أولىٰ وأحرىٰ، فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة[١].

الدليل التاسع:

أن النار خُلقت تخويفاً للمؤمنين، وتطهيراً للمخطئين والمجرمين، فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم، فإذا تطهرت في الدنيا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتج إلىٰ تَطَهُّر في الآخرة، وإن لم تتطهر في هذه الدنيا، وانتقلت إلىٰ الدار الآخرة بدرنها ونجاستها وخبثها أُدخلت النارة طهرة لها، ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار، والله ـ سبحانه ـ خلق الخلق حنفاء، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلو تركوا علىٰ فطرتهم لما نشؤوا إلا علىٰ التوحيد، ولكن طرأ علىٰ الفِطَر ما غيرها فالفطرة هي الأصل والكفر والمعاصي عارض، فالعارض تذهبه النار، وتنقيه، ويبقىٰ الأصل، فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضىٰ الرحمة لا معارض له.

فإن قيل: هذا حق، ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً كمعاصي الموحدين، أما إذا كان لازماً كالكفر والشرك فإن أثره لا يزول، كما لا يزول السبب، وقد أشار سبحانه إلىٰ هذا المعنىٰ بعينه في مواضع من كتابه كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك، وأنها غير قابلة للإيمان أصلاً. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] فأخبر ـ سبحانه ـ أن ضلالهم وعماهم عن الهدىٰ دائم لا يزول حتىٰ مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل، وإذا كان العمىٰ

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

والضلال لا يفارقهم فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم، فهذا دليل على أن ذنب الكفر والشرك لازم متأصل في نفوسهم لا تذهبه النار ولا تزيله فالعذاب مستمر عليهم دائم ما دام الأمر كذلك.

قال **ابن القيم** رداً على هذا التساؤل: ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله، وأنه أمر ذاتي، وقد أخبر ـ سبحانه ـ أنه فطر عباده على الحنفية، وأن الشياطين اجتالتهم وحولتهم عنها، فلم يفطرهم ـ سبحانه ـ على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته، وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده، فإذا كان هذا الحق، الذي قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى، ولا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التي هم عليها لعادوا لما نهوا عنه، ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم، فإن العذاب لم يكن سدى وإنما كان لحكمة مطلوبة فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد، والله ـ سبحانه ـ ليس يتشفى بعذاب عباده كما يتشفى المظلوم من ظالمه، وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض، وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به، فعذابه مصلحةٌ له وإن تألم به غاية الألم، كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها، وقد سمى الله ـ سبحانه ـ «الحد عذاباً».

وقد اقتضت حكمته ـ سبحانه ـ أن جعل لكل داء دواء يناسبه، ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية، الطبيب الشفيق يكوي المريض بالنار كيَّاً بعد كي ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة، وإن رأى قطع

العضو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الألم، فهذا قضاء الرب وقدره في إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد، فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته؟!

الدليل العاشر:

أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته، ولا لمنفعة تعود إليه، ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة، ولا هي عبث محض خالٍ من الحكمة والغاية الحميدة. فالتعذيب أمرٌ مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات، والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها، ونعيم أوليائه ليس متوقفاً في أصله ولا في كماله على استمرار عذاب أعدائه ودوامه، ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام والاستمرار وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم.

الدليل الحادي عشر:

أن رضا الرب ـ تبارك وتعالى ـ ورحمته صفتان ذاتيتان له، فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به: **«سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته»**[1]. فإذا كانت رحمته غلبت غضبه فإن رضى نفسه أعلى وأعظم فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها، وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً.

وأما غضبه ـ تبارك وتعالى ـ وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان، فإذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغير الطبيعة المقتضية لها في الجحيم بمرور الأحقاب عليها، وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها، وطلبت أثرها من غير معارض.

---

(١) رواه مسلم وغيره.

الدليل الثاني عشر:

أن العفو أحب إلى الله من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب، والفضل أحب إليه من العدل، ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره، ويظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه، وله خلق الخلق، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وقدرته ـ سبحانه ـ صالحة لكل شيء لا قصور فيها بوجه ما، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض، وبيده ـ سبحانه ـ الشفاء التام والأدوية الموافقة لكل داء، وله القدرة التامة والرحمة السابقة، والغنى المطلق، وبالعبد أعظم حاجة إلى من يداوي علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة، وقد عرف العبد أنه عليل، وأن دواءه بيد الغني الحميد، فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له، وانكسر قلبه بين يديه، وذلَّ لعزته، وعرف أن الحمد له، وأن الخلق كله له، وأنه هو الظلوم الجهول، وأن ربه ـ سبحانه وتعالى ـ عامله بكل عدله، وأن له غاية الحمد فيما فعل به، وأن حمده هو الذي أقامه هذا المقام وأوصله إليه، وأنه لا خير عنده من نفسه بوجه من الوجوه؛ بل ذلك محض فضله وصدقته عليه، وأنه لا نجاة له مما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه، فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص، وربه ـ تعالى ـ أولى بكل حمدٍ وكمال ومدح، فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته ـ سبحانه ـ ورحمته وكماله وحمده الذي أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم في تلك الحال، وقالوا: إن كان ما نحن فيه رضاك فرضاك الذي نريد، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك، وأنت أرحم الراحمين، وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا، ولك الحمد كله عاقبت أو عفوت لانقلبت النار عليهم برداً وسلاماً.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«يأتي أربعة يوم القيامة، رجل أصم لا يسمع**

شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام ولم أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك من رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً»[1] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما، فقال الرب ـ جل جلاله ـ: اخرجوهما، فإذا أُخْرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما، قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار، قال: فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها الله ـ سبحانه ـ عليه برداً وسلاماً، ويقوم الآخر، فلا يلقي نفسه، فيقول له الرب: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقىٰ صاحبك: فيقول: رب إني أرجوك أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني منها، فيقول الرب ـ تعالىٰ ـ: لك رجاؤك، فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله»**[2] .

الدليل الثالث عشر:

أنه ـ سبحانه ـ قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء، فليس شيء من الأشياء إلا وفيه رحمته، ولا ينافي هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه، وتشتد كراهته له فإن ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم، وقوله ـ تعالىٰ ـ لذينيك الرجلين: **«رحمتي لكما أن تنطلقا وتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار»** .

وقد جاء في بعض الآثار: أن العبد إذا دعا لمبتلىٰ قد اشتد بلاؤه وقال: اللهم ارحمه، يقول الرب ـ تبارك وتعالىٰ ـ: **«كيف أرحمه من شيء به أرحمه»**

---

(١) رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه الترمذي، وابن المبارك، وروىٰ ابن نعيم نحوه في «الحلية» .

فالابتلاء رحمة منه لعباده.

وفي أثر إلهي يقول الله: «... **وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب**».

فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها، والنار هي الدواء الأكبر، فمن تداوىٰ في الدنيا أغناه ذلك عن الدواء في الآخرة، وإلا فلا بد له من الدواء بحسب دائه، ومن عرف الرب - تبارك وتعالىٰ - بصفات جلاله ونعوت كماله من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده وتحببه إلىٰ عباده، وإرادة الإنعام عليهم، وسبق رحمته لهم لم يبادر إلىٰ إنكار ذلك إن لم يبادر إلىٰ قبوله.

الدليل الرابع عشر:

أن أفعاله - سبحانه - لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل، فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً، بل هو المنزه عن ذلك، كما ينزهه عن سائر العيوب والنقائص، وإذا ثبت ذلك، فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتىٰ يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبد الآباد بحيث يكون دائماً بدوام الرب - تبارك وتعالىٰ -، وإن كان لمصلحة، فإن كان يرجع إليهم فليست مصلحتهم في بقائهم في العذاب كذلك وإن كانت المصلحة تعود إلىٰ أوليائه فإن ذلك أكمل في نعيمهم فهذا لا يقتضي تأييد العذاب، وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفاً علىٰ بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السرمد[1].

الدليل الخامس عشر:

إن رحمته - سبحانه - سبقت غضبه في المعذبين، فإنه أنشأهم برحمته ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته،

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها، فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقه تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم، فكانت هي سابقة إليهم، ففي كل حال هم في رحمته في حال معاناتهم وابتلائهم، وإذا كانت الرحمة هي السابق فيهم لم يبطل أثرها بالكلية، وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم.

وأما أثر الرحمة فسبب منه ـ سبحانه ـ، فما منه يقتضي رحمتهم وما منهم يقتضي عقوبتهم، والذي منه سابق وغالب، وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى[1].

الدليل السادس عشر:

أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يخبر عن العذاب بأنه: عذابُ يوم عقيم، وعذاب يوم عظيم، وعذاب يوم أليم، ولم يخبر عن النعيم بأنه نعيم يوم ولا في موضع واحد، وقد ثبت في الصحيح أن تقدير يوم القيامة: بخمسين ألف سنة، والمعذبون متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم، والله ـ سبحانه ـ قد جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب على ذلك، وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه، والدنيا قد جُعل لها أجل تنتهي إليه، فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو المعذب به، وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما يفنى ولا يزول، فيدوم بدوام المراد به، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول ما لم يزل ما تعلق بها، بخلاف الغاية المضمحلة الفانية، فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه، وما أريد به وجه الله

(١) المصدر السابق.

يبقىٰ ببقاء المطلوب المراد، فإذا اضمحلت الدنيا، وانقطعت أسابها، وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات، وانقلب عذاباً وآلاماً لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم.

الدليل السابع عشر:

أنه ليس في حكمه أحكم الحاكمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له ولا انقطاع أبداً، وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية علىٰ أنه ـ سبحانه ـ حكيم، وأنه أحكم الحاكمين، فإذا عذَّب خلقه عذبهم بحكمةٍ كما يوجد التعذيب والعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره فإن فيه من الحكم والمصالح، وتطهير العبد ومداواته، وإخراج المواد الرديئة عنه بتلك الآلام ما تشهده العقول الصحيحة، وفي ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها علىٰ فقرها وضرورتها إلىٰ ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة ما لا يعلمه إلا الله، ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، ولهذا يُحاسبون إذا قطعوا الصراط علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، فيقتصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التي لو ردت إلىٰ الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه، لا يصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين، فإذا عُذِّبوا بالنار عذاباً تخلص نفوسهم من ذلك الخبث، والوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين، ولا ينافي الحكمة خلق نفوس فيها شر ويزول بالبلاء الطويل والنار كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد، فهذا معقول في الحكمة، وهو من لوازم العالم المخلوق علىٰ هذه الصفة أما خلق نفوس لا يزول شرها أبداً، وعذابها لا انتهاء له، فلا يظهر في الحكمة والرحمة، وفي وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعني ذواتاً هي

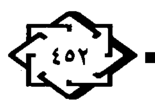
شر من كل وجه ليس فيها شيء من خير أصلاً، وعلى تقدير دخوله في الوجود فالرب ـ تبارك وتعالى ـ قادر على قلب الأعيان وإحالتها وإحالة صفاتها فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها، فالله ـ سبحانه ـ قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة ويرحمها في النشأة الثانية نوعاً آخر من الرحمة(١).

الدليل الثامن عشر:

أنه قد ثبت أن الله ـ سبحانه ـ ينشأ للجنة خلقاً آخر يسكنهم إياها، ولم يعملوا خيراً تكون الجنة جزاءً لهم عليه، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها، فانكسرت تلك النفوس، وخضعت وذلت، واعترفت بربها وفاطرها بالحمد وأنه عدل فيها كل العدل، وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه، ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل وشاء كتب العقوبة طلباً لموافقة رضاه ومحبته، وعلم أن العذاب أولى بها، وأنه لا يليق بها سواه، ولا تصلح إلا له، فذابت منها تلك الخبائث كلها، وتلاشت وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب ـ تبارك وتعالى ـ لم يكن في حكمته أن يستمروا بها في العذاب بعد ذلك إذ قد تبدل شرها بخيرها، وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها، ولا ينتقض هذا بقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾، فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول، فإنه ـ سبحانه ـ قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)﴾ [الأنعام: ٢٧ـ٢٨] فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث فأما إذا لبثوا في العذاب أحقاباً، والحقب كما قال ـ عليه الصلاة

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.



والسلام ـ: «**خمسون ألف سنة**»[1] ، فإنه من الممتنع أن يبقىٰ ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة في العذاب .

الدليل التاسع عشر:

إنه قد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة ، فيقول الله ـ عزَّ وجل ـ: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومٌ لم يعملوا خيراً قط. قد عادوا حمماً فيلقيها في نهر في أفواه الجنة يُقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذي أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه**»[2] .

فهؤلاء قد أحرقت النار جميعهم فلم يبقَ في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار بحيث صاروا حمماً ، وهو الفحم المحترق بالنار ، وظاهر السياق أنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير فإن لفظ الحديث هكذا : «**فيقول، ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً فيقول الله ـ عز وجل ـ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض الله قبضة من النار، فيخرج منها قومٌ لم يعملوا خيراً قط**» .

فهذا السياق يدل علىٰ أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير ، ومع هذا أخرجتهم الرحمة ، ومن هذا رحمته ـ سبحانه ـ بالذي أوصىٰ أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه في البر والبحر زعماً منه بأنه يفوت الله ـ سبحانه ـ، فهذا قد شك في المعاد والقدرة ولم يعمل خيراً قط ، ومع هذا، قال له : «**ما حملك علىٰ ما صنعت، قال: خشيتك وأنت أعلم، فما تلافاه أن رحمه الله**» فلله ـ سبحانه ـ

---

(١) رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري ومسلم .

في خلقه حكم لا تبلغها عقول البشر.

وقد ثبت في حديث أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله - عز وجل - أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام»**، قالوا: من ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلىٰ آخرها لم يذكر ربه يوماً واحداً، ولا خافه ساعة واحدة، ولا ريب أن رحمته - سبحانه - إذا أخرجت من النار من ذكره وقتاً أو خاف في مقامٍ ما فغير بدع أن تفنىٰ النار، ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار[1].

الدليل العشرون:

أن اعتراف العبد بذنبه حقيقة الإعتراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه، ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلىٰ ربه من كل وجه يستعطف ربه - تبارك وتعالىٰ - عليه، ويستدعي رحمته له، وإذا أراد أن يرحم عبده ألقىٰ ذلك في قلبه، والرحمة معه، ولاسيما إذا اقترن بذلك جزم العبد علىٰ ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه، وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه، فإنه لا تختلف عنه الرحمة مع ذلك. كما ورد من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: **«إن آخر رجل يدخل الجنة: رجل يتقلب علىٰ الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه ويعجز عنه عمله أن يسعىٰ فيقول: يا رب بلغ بي الجنة، ونجني من النار فيوحي الله - تبارك وتعالىٰ - إليه: عبدي إن أنا نجيتك من النار، وأدخلتك الجنة، أتعترف لي بذنوبك وخطاياك، فيقول العبد: نعم يا رب، وعزتك وجلالك إن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي، فيجوز الجسر، ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه لإن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلىٰ النار، فيوحي الله إليه: عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك، وأدخلك الجنة فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط، ولا أخطئت**

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

خطيئة قط فيوحي الله إليه: عبدي إن لي عليك بينة، فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرىٰ أحد فيقول يا رب: أرني بينتك، فيستنطق الله ـ تعالىٰ ـ جلده بالمحقرات فإذا رأي ذلك العبد، فيقول: يا رب، عندي وعزتك العظائم، فيوحي الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه، فيدخل الجنة. ثم ضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه، فقال: «هذا أدنىٰ أهل الجنة منزلة فكيف بالذي فوقه»[١] .

فالرب ـ تعالىٰ ـ يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه، والخضوع والذلة له والعزم علىٰ مرضاته، فما دام أهل النار فاقدين لهذا الروح، فهم فاقدون لروح الرحمة فإذا أراد ـ عز وجل ـ أن يرحمهم أو من يشاء منهم جعل في قلبه ذلك فتدركه الرحمة، وقدرة الرب ـ تبارك وتعالىٰ ـ غير قاصرة عن ذلك، وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته، وقد أخبر أنه فعَّال لما يريد[٢] .

الدليل الحادي والعشرون:

أنه سبحانه قد أوجب الخلود علىٰ معاص من الكبائر وقيده بالتأبيد، ولم ينافي ذلك انقطاعه وانتهاءه، فمنها قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣]، ومنها قول النبي ﷺ: **«من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»**[٣] .

وكذلك قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه: **«فيقول الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة»**[٤] ، وأبلغ من هذا قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [النساء: ١٤].

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٣) رواه مسلم والترمذي والدارمي وأحمد.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

فهذا وعيدٌ مقيد بالخلود، والتأبيد مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد، وهو التوحيد، فكذلك الوعيد العام لأهل النار لا يمتنع انقطاعه بسبب ممن كتب علىٰ نفسه الرحمة، وغلبت رحمته غضبه، فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يأس من رحمته كما في صحيح البخاري عنه ﷺ: **«خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة»**، وقال في آخره: **«فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»**(١)(٢).

الدليل الثاني والعشرون:

أنه لو جاء الخبر منه ـ سبحانه ـ صريحاً بأن عذاب النار لا انتهاء له، وأنه أبدي لا انقطاع له لكان ذلك وعيداً منه ـ سبحانه ـ والله ـ تعالىٰ ـ لا يخلف وعده، وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن إخلافه كرم وعفوه وتجاوزه يُمدح الرب ـ تبارك وتعالىٰ ـ به، ويُثنىٰ عليه به، فإنه حق له إن شاء تركه، وإن شاء استوفاه والكريم لا يستوفِ حقه، فكيف بأكرم الأكرمين، وقد صرح ـ سبحانه ـ في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعده، ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده، وقد روىٰ أبو يعلىٰ الموصلي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«من وعده الله علىٰ عمل ثواباً فهو منجزه، ومن أوعده علىٰ عمل عقاباً فهو فيه بالخيار»**(٣).

وقال الشاعر:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... ولا أخشىٰ من روعة المتهدد
وإني من أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

---

(١) رواه البخاري.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٣) قال الهيثمي: رواه أبو يعلىٰ والطبراني في الأوسط، وفيه سهيل بن أبي حزم وقد وُثق علىٰ ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

فإن كان هذا في وعيد مطلق فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وهذا إخبار منه أنه يفعل ما يريد عُقيب قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، فهو عائد إليه ولا بد، ولا يجوز أن يرجع إلىٰ المستثنىٰ منه وحده، بل إما أن يختص بالمستثنىٰ أو يعود إليهما، وغير خافٍ أن تعلُّقه، بقوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ أولىٰ من تعلقه، بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وذلك ظاهر للمتأمل، وهو الذي فهمه الصحابة، فقالوا أتت هذه الآية علىٰ كل وعيد في القرآن، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده فإن الاستثناء المذكور في سورة الأنعام أيضاً، وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وهذا التعقيب نظير قوله: في سورة الأنعام: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨] فأخبر أن عذابهم في جميع الأوقات، ورفعه عنهم في وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل إذ يستحيل تجرُّد مشيئته عن ذلك.

الدليل الثالث والعشرون:

أن جانب الرحمة أغلب في هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب، ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]، فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم، ومع هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار، وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة، فإذا كان جانب الرحمة قد غلب في هذه الدار، ونالت البَرَّ والفاجر والمؤمن والكافر مع قيام مقتضىٰ العقوبة به، ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه، والسعي في مساخطته فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة علىٰ ما في هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفاً وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه،، وانكسرت تلك النفوس وأنهكها العذاب، وأذاب منها خبثاً وشراً

لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة، وقوي جانب الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة في هذه الدار، واضمحل الشر والخبث الذي فيها فأذابته النار وأكلته، وَسِرّ الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر وأكثر من أسماء الانتقام وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام، والرحمة أحب إليه من الانتقام، وبالرحمة خلق خلقه، ولها خلقهم، وهي التي سبقت غضبه وغلبته، وكتبها على نفسه، ووسعت كل شيء وما خلق بها فمطلوب لذاته، وما خلق بالغضب فمراد لغيره كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير، والرحمة إحسان وكرم وجود، والعقوبة مداواة والرحمة عطاء [١].

الدليل الرابع والعشرون:

أن النبي ﷺ هو أعلم خلقه به وأعرفهم بأسمائه وصفاته وهو القائل: **«والشر ليس إليك»**[٢]، والشر لا يضاف إلى الله - سبحانه - بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله ولا في أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه وصفاته كلها صفات كمال يُحمد عليها، ويثنى عليه بها وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لا شرٌ فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حُسنى، فكيف يُضاف الشر إليه؟ بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه إذ فعله غير مفعوله، ففعله خير كله، وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلاً غير قائم بالرب - سبحانه - فهو لا يضاف إليه وهو ﷺ لم يقل: أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله، وإنما نفى إضافته إليه وصفاً وفعلاً واسماً، وإذا عُرِف هذا فالشر ليس إلا الذنوب

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) رواه مسلم وغيره.

وموجباتها، وأما الخير فهو الإيمان والطاعات وموجباتها، والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه ولأجلها خلق خلقه، وأرسل رسله، وأنزل كتبه، وهي ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته، وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق فهي مفعولات قُدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه، فإذا حصل ما قُدِّرت له اضمحلت وتلاشت، وعاد الأمر إلى الخير المحض[١].

الدليل الخامس والعشرون:

أن القول بفناء النار ورد عن بعض السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم، فهو وارد عن عمر بن الخطاب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وابن مسعود. قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج[٢]، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه».

وقال عبدالله بن مسعود: «ليأتينَّ على جهنم زمان، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقافاً، وهؤلاء هم الكفار، وعن أبي هريرة مثله»[٣].

وقال أبو هريرة: أما الذي أقول: «أنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٦]»[٤].

وقال حرب الكرماني في سنده عن إسحاق بن راهويه عن عبدالله بن عمرو قال: «ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها، ليس فيها أحد»[٥].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ

(١) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٢) مكان يقع بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طي، وهي على طريق مكة «معجم البلدان، ياقوت الحموي».

(٣) معالم التنزيل، البغوي.

(٤) الأثر أورده السيوطي في «الدر المنثور» عزاه لإسحاق بن راهويه عن أبي هريرة.

(٥) ميزان الاعتدال، للذهبي.

رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨]، قال في هذه الآية: «أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا نار».

وقال حرب الكرماني: «سألت إسحاق عن قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، قال: أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن».

وعن الشعبي قال: «جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً»[١].

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧]، قال رسول الله ﷺ: **«إن شاء أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل»**[٢]، قال ابن القيم: وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم أنه لما قبل الدخول، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار، وهذا حق بلا ريب، وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها، وأنهم يُعذبون فيها دائماً ما دامت كذلك، وما هم منها بمخرجين[٣].

وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ فقال: أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار[٤].

قال **ابن تيمية** وفي المسند للطبراني: ذكر فيه «أنه ينبت فيها الجرجير»[٥]، ثم

---

(١) رواه ابن جرير، كما في «الدر المنثور».

(٢) رواه ابن مردويه، كما في «الدر المنثور».

(٣) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٤) رواه ابن جرير، كما في «الدر المنثور».

(٥) قال محقق رسالة ابن تيمية: لم أقف على هذا الأثر في مظانه، وقد أورده القرطبي في «التذكرة» وعزاه للخطيب البغدادي.

قال شيخ الإسلام: وحينئذ فيحتج على فنائها بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة مع أن القائلين ببقائها ليس معهم كتاب، ولا سنة، ولا أقوال الصحابة.

الدليل السادس والعشرون:

أنه لم يرد عن أحد من الصحابة وهم أفهم الخلق بمراد الله - عز وجل - بعد النبي ﷺ لم يرد عن واحد منهم، ولم ينقل عنه القول ببقائها وعدم فنائها، وإنما المحفوظ عنهم القول بفنائها كما تقدم.

الدليل السابع والعشرون:

أنه ورد في عدة آيات قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾. والخلد لا يدل ولا يستلزم الدوام والبقاء، بل هو المكث الطويل جداً وأُطلق عليه الخلد إما أن يكون مجازاً علاقته المشابهة، أو أن الخلد في أصل اللغة معناه: المكث الطويل، وهذا اللفظ مستخدم بكثرة في اللغة في أشياء لا تدوم دواماً سرمدياً وإنما لها أجل تنتهي إليه وتفنى، وقد وصفت بعض المعاصي بأنها تُخَلِّد في النار وهي لا تخلد باتفاق العلماء.

قال **ابن القيم** - رحمه الله -: أن اللفظ إنما يدل على الخلد، وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له، فإنه في اللغة المكث الطويل، ومكث كل شيء بحسبه. ومنه قولهم: «رجل مخلد» إذا أسنَّ وكبر، ومنه قولهم لأثافي الصخور: خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال، قال:

إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالدٌ سُحْمُ

ونظير هذا إطلاقهم القديم[1] على ما تقادم عهده، وإن كان له أول كما قال تعالى: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] وقوله: ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

وقد أطلق الله الخلود في النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس وأطلقه النبي ﷺ على قاتل نفسه.

هل الخوض في هذه المسألة بدعة؟

لم يكن الخوض في هذه المسألة بدعة كما يدعي البعض، وقولهم ببدعيتها إما أن يكون صادراً عن هوىً وإما عن جهل، فقد تحامل بعض منافسي ابن تيمية وجعلوه حامل لواء هذه المسألة العظيمة، وجعلوا منها غرضاً للنيل منه وتضليله وعلى رأسهم الشيخ: على بن عبدالكافي السبكي[1] في رسالة له بعنوان: (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) ألفها رداً على رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية، وما نسبه السبكي وألمح إليه من تضليل شيخ الإسلام ابن تيمية وتبديعه مردود عليه جملة وتفصيلاً.

قال **ابن القيم** - رحمه الله -: «فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم...»[2]. وقال الشيخ صالح الفوزان: «... غاية ما يقال أنه خطأ، أو رأي غير صواب، ولا يُقال بدعة...»[3].

وقد سبق ابن تيمية جمع كثير من العلماء تحدثوا في هذه المسألة: فقد سبقه جمع من الرعيل الأول من الصحابة الكرام أمثال: عمر بن الخطاب، وأبي هريرة وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وعبد بن حميد من كبار علماء الحديث والسنة الذي يروي عن أئمة الحديث مثل سليمان بن حرب الذي هو من أجل علماء السنة والحديث، ومثل حجاج بن منهال عن حماد بن سلمه مع جلالته في العلم، والسنة، والذي يروي من وجهين من طريق ثابت[4] ومن طريق

---

(١) من العلماء المعاصرين لابن تيمية توفي عام ٧٥٦هـ.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) هو ثابت البناني ثقة عابد من الرابعة مات سنة بضع وعشرين.

حميد[1] هذا عن الحسن البصري الذي يُقال أنه أعلم من بقي من التابعين في زمانه، يرويه عن عمر بن الخطاب، فهؤلاء من أعظم أعلام أهل السنة الذين ينكرون من البدع ما هو دون ذلك لو كان هذا القول عندهم من البدع المخالفة للكتاب والسنة والإجماع، وهناك غير هؤلاء العلماء الأجلال تحدثوا عن هذه المسألة، أمثال ابن القيم، والقرطبي، وابن أبي العز، والذهبي، وابن رجب، والفخر الرازي، وابو حامد الغزالي، وابن الوزير، والصفاني، وغيرهم الكثير كما بيَّنت في بداية هذا المبحث.

(١) هو حميد بن أبي حميد الطويل ثقة مدلس من الخامسة توفي عام ٤٢هـ وهو قائم يصلي.

مآل الكفار بعد فناء النار إن كانت تفنى

نقل ابن تيمية عن غيره من العلماء في مآلهم بعد فناء النار فقال:

إنهم يخرجون منها، فلا يبقى فيها أحد، ولم يريدوا بذلك أنهم يخرجون مع بقاء العذاب فيها على أحد، بل يفنى عذابها، وهذا معنى الفناء[١].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: لكن إذا انقضى أجلها، وفنيت كما تفنى الدنيا، لم يبق فيها عذاب، وذلك أن العالم لا يعدم، وجهنم في الأرض لا تعدم بالكلية، ولكن فناؤها يتغير بتغير حالها، واستحالتها من حال إلى حال[٢]، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وهم لا يُعدمون، بل يموتون، ويهلكون، كما قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فإذا أنفده الرجل فقد نفد ما عنده، إن كان لم يُعدم، بل انتقل من حال إلى حال[٣].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال: استثنى الله ـ عز وجل ـ، قال: يأمر النار أن تأكلهم[٤]. وهو قول للشعبي أيضاً.

وهناك آراء انبثقت عن أصول فاسدة لا يُعوَّل عليها، ولكن نذكرها هنا جمعاً للآراء، وتوثيقاً لما قيل في هذه المسألة:

---

(١) في كتابه: «الرد على من قال بفناء الجنة».

(٢) اختلف العلماء في تبديل الأرض يوم القيامة هل هو تبديل ذات أو تبديل صفة. انظر «تفسير الطبري». واختار ابن تيمية أن هذه الأرض التي نحن عليها اليوم سوف تبدل يوم القيامة غيرها، ولم يتعرض للتبديل هل هو تبديل صفة أو تبديل ذات، لكونه لم يرد شيء بذلك.

(٣) الرد على من قال بفناء الجنة، ابن تيمية.

(٤) «الدر المنثور»، وتفسير الطبري.

* قال شيخ المعتزلة أبو الهذيل العلاف: تفنىٰ حركاتهم حتىٰ يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم علىٰ الحركة ولا يحسون بالألم.

* وقال إمام الاتحادية ابن عربي الطائي: أنها تنقلب عليهم، وتبقىٰ طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم. قال ابن حجر: «وهذا قول بعض من ينسب إلىٰ التصوف من الزنادقة»[1].

ولابن **القيم** تلميح لم يصرح به وجعله ضمنا في كلامه يستشفه من قرأه ويبدو واضحاً لمن تأمله، وهو رأي غريب الله أعلم بصحته وله أدلته التي استدل بها. فقد جعل ابن القيم مصير ومآل الكفار بعد فناء النار إلىٰ الرحمة، وهذا الرأي، كما قلت لم يصرح به، ولكنه مفهوم من خلال ما كتبه في سياق أدلته علىٰ فناء النار. فقد قال ـ رحمه الله ـ: وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية علىٰ أنه ـ سبحانه ـ حكيم، وأنه أحكم الحاكمين، فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمةٍ كما يوجد التعذيب والعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداواته، وإخراج المواد الرديئة عنه بتلك الآلام . . . ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التي لو ردت إلىٰ الدنيا قبل العذاب لعادت لما نُهيت عنه، لا يصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين، فإذا عذبوا بالنار عذاباً تخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته، ولا ينافي الحكمة خلق نفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد، وهذا معقول في الحكمة. أما خلق نفوس لا يزول شرها أبداً وعذابها لا انتهاء له، فلا يظهر في الحكمة والرحمة، فالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ قادر أن ينشها نشأة غير تلك النشأة، ويرحمها في النشأة الثانية نوعاً آخر من الرحمة.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر.

وقال في موضع آخر: إنه قد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**فيقول الله ـ عز وجل ـ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما (لم يعملوا خيراً قط) قد عادوا حمماً فيلقيها في نهر في أفواه الجنة، يُقال له: نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه**»[1]. وظاهر السياق إنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير، فإن لفظ الحديث هكذا: «**فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً، فيقول الله ـ عز وجل ـ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض الله قبضة من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط**». فهؤلاء أخرجتهم الرحمة، ومن هذا رحمته ـ سبحانه ـ للذي أوصى أهله أن يحرقوه ويذروه في البر والبحر، حتى لا يظفر الله به، فهذا الرجل قد شك في قدرة الله، ولم يعمل خيراً قط ـ كما في لفظ الحديث ـ فَرحِمه الله وأدخله الجنة بسبب خشيته وخوفه من الله.

وقد ثبت في حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن الرسول ﷺ قال: «**يقول الله ـ عز وجل ـ: أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام**»[2]. وغير هذا من كلامه كثير يُرجع له في مظانه.

هذا ما تبين لي من كلامه ـ رحمه الله ـ والذي دعاه لهذا فهمه للأدلة يحفها وثوقه بالله وحسن ظنه به.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

المبحث السابع:
المنامـــات

أخرج الإمام عبدالله بن المبارك قال عن أحد أصحابه: «كان معنا رجل اسمه سعيد بن ميناء، وكان كثير الاجتهاد، وفي إحدىٰ الغزوات قال له زميله: لعلنا نواجه العدو غداً فخذ لنفسك راحة، فدخل الخيمة ونام قليلاً، وصاحبه يحرس المكان فسمع صوت في الخيمة. فلما دخل وجد سعيد يضحك، تارة ويبكي أخرىٰ، ويمد يده ويرجعها ثم قام فزعاً مرعوباً يلتفت يميناً وشمالاً كأنه أصابه مس. قال: فاحتضنته، وجعلت أهدئه وهو يقول: أهلي أهلي حتىٰ إذا سكن قلت له: ما ترىٰ؟ قال: لا شيء؛ فقال: لقد رأيتك في المنام تبتسم مرة، وتبكي أخرىٰ، وتمد يدك وترجعها. قال: هل رأىٰ هذا أحدٌ غيرك فقال: لا. قال: أكتمها عليَّ. قلت له: ماذا رأيت؟ قال: أعفني. قلت له: بحق الأخوة بيننا إلا تخبرني.

قال: رأيت في منامي هذا كأن القيامة قد قامت والناس وقوفاً بين يدي رب العالمين، فجاءني رجلان فقالا: سعيد. قلت: نعم. قالا: قم لترىٰ كرامة الله لك، فقد تقبل الله عملك واستجاب دعاءك، فقمت معهما فركبنا نُجباً ليست كنجبكم هذه قال فمشينا إلىٰ قصر لا أعرف طوله ولا أعرف عرضه، فحينما وصلنا إليه انفتح الباب لنا، فدخلت فإذا فيه جوار لا أدري كيف أصفها لك، ولا أعرف من قولهن إلا أنهن يقلن: جاء حبيب الله جاء ولي الله، ثم رأيت امرأة علىٰ السرير هل هي أجمل أم لباسها أم حليها فرفعنني إليها فجلست إليها فقلت لها: من أنت؟ قالت: أنا زوجتك. قلت لها: أين أنا؟ قالت: أنت في جنة المأوىٰ، فخشعت لها نفسي، ورق لها قلبي، ولم

أتمالك أن مددت يدي إليها، فردت يدي برفق، فقالت فيك نَفَسُ الحياة وبقي لك ثلاثة أيام وتفطر عندنا إن شاء الله. قلت: لا لا. لا أحب أن أرجع لا أحب أن أرجع. فقالت: هذا أمر الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فردت يدي برفق، فانتبهت من النوم على هذه الحال فأسألك أن تكتمها عليَّ. فما انتهى من الرؤية حتى صاح النفير: يا خيل الله اركبي. قال: فركبنا. فرجع الناس، وقالوا: ما أغنى عنا مثل فلان على الأعنة اليوم الأول، واليوم الثاني وفي اليوم الثالث قلت: سأنظر صدق رؤياه فصحبته. قال: والله ما استطعت أن أقرب منه فقد كان يرمي نفسه بين الأعنة، فلما كان عند الغروب جاءه سهم فضربه في حلقه وسقط. قال: فجررته من بين أحجار المنجنيق، ومسحت عن وجهه الغبار، وناديت في الناس أيها الناس: تعالوا واسمعوا قصة أخيكم هذا. قال: ففتح عينه وتبسم إليَّ وعض على شفته. وقال: «لا إله إلا الله» فمات ـ رحمه الله ـ[1].

وقال القرطبي رُوي عن ثابت أنه قال: كان أبي من القوامين لله في سواد الليل، قال: رأيت ذات ليلة في منامي امرأة لا تشبه النساء، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حوراء أمة الله، فقلت لها: زوجيني نفسك، فقالت: أخطبني من عند ربي وأمهرني. فقلت: وما مهرك؟ فقالت: طول التهجد[2].

وقال مضر القارئ: غلبني النوم ليلة فنمت عن حزبي، فرأيت في منامي فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم، ومعها رَقٌّ، فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم، فقالت: اقرأ هذا الكتاب، ففتحته فإذا فيه مكتوب، فوالله ما ذكرته قط إلا ذهب عني النوم:

---

(١) ابن المبارك في الزهد.

(٢) التذكرة، القرطبي.

ألهتك اللذائذ والأماني ... عن الفردوس والظلل الدواني
ولذة نومةٍ عن خير عيش ... مع الخيرات في غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقرآن[١]

وقال مالك بن دينار: كان لي أجزاء أقرؤها كل ليلة، فنمت ذات ليلة، فإذا أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة، فقالت: أتحسن أن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت لي الرقعة، فإذا مكتوب هذه الأبيات:

لهاك النوم عن طلب الأماني ... وعن تلك الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها ... وتلهو في الخيام مع الحسان[٢]

وروي عن يحيىٰ بن عيسىٰ بن ضرار السعدي ـ وكان قد بكىٰ شوقاً إلىٰ الله ستين عاماً ـ قال: رأيت كأن ضفة نهر يجري بالمسك الأذفر، حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من غضبان الذهب فإذا بجوارٍ مزينات يقلن بصوت واحد: سبحان المُسَبَّح بكل لسان، سبحان الموجود بكل مكان، سبحان الدائم بكل زمان سبحانه سبحانه، قال: فقلت: من أنتن؟ قلن: خلق من خلق الله سبحانه، قلت: وما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذرأنا إله الناس ربُّ محمد ... لقوم علىٰ القدام بالليل قُوَّمُ
يناجون رب العالمين لحقِّهم ... وتسري هموم القوم والناس نوم

فقلت: بَخٍ. بخٍ لهؤلاء من هؤلاء؟ لقد أقر الله أعينهم، فقلن: أما تعرفهم؟ فقلت: والله ما أعرفهم، قلن: هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر[٣].

وقال سلمة الأكيس، وكان من المجتهدين، قال: «رأيت مروان المحملي في منامي بعد موته بسنة، فقلت: إلىٰ ما صرت؟ قال: إلىٰ الجنة، قلت:

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

فماذا تريد بعد الجنة؟ وإنما عليها كنت تدور، وتجهد نفسك أيام الدنيا، قال: يا أخي إني والله قد أعطيت منها فوق الأماني، وسترني إي والله قد ألحقت بدرجة المقربين».

وقالت امرأة من بيت المقدس:

كان رجاء بن حيوه جليساً لنا، وكان نِعْمَ الجليس، قالت: فمات، فرأيته في منامي بعد موته بشهر ونحو ذلك، فقلت له: أبا المقدام إلام صرتم؟ قال: إلىٰ خير، ولكنّا فزعنا بعدكم فزعة ظننا أن القيامة قامت، قالت: قلت: وفيم ذلك؟ قال: دخل الجراح وأصحابه بأثقالهم الجنة بأفعالهم حتىٰ ازدحموا علىٰ بابها[1].

وعن جميل بن مرة[2]:

كان مورق العجلي: لي أخاً وصديقاً، فقلت له ذات يوم: أينا مات قبل صاحبه فليأت صاحبه، فليخبره بالذي صار إليه. قال: فمات مورق فرأت أهلي في منامها كأن مورقاً أتانا كما كان يأتي وقرع الباب كما كان يقرع. قالت: فقمت، ففتحت له كما كنت أفتح، فقلت: أدخل أبا المعتمر الآن يأتي أخوك جميل، فقال: كيف أدخل، وقد ذقت الموت؟! إنما جئت لأعلم جميلاً بما صنع الله بي، أعلميه إنه قد جعلني من المقربين[3]».

وعن معلي بن عيسي قال:

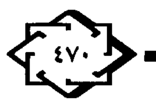
حدثنا مالك بن دينار. قال: رأيت الحسن في منامي مشرق اللون شديد بياض الوجه تبرق مجاري دموعه من شدة بياضها علىٰ سائر وجهه. قال: فقلت يا أبا سعيد: ألست عندنا من الموتىٰ؟ قال: بلىٰ. قال: قلت: فماذا

---

(١) شرح الصدور/ للسيوطي، الروح، لابن القيم، المنامات، ابن أبي الدنيا.

(٢) قال عنه النسائي ثقة، وقال ابن حجر: لا أعلم عنه إلا خيراً، وقال يحيىٰ بن معين: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.

(٣) الروح، ابن القيم، المنامات، ابن أبي الدنيا.



صرت إليه بعد الموت في الآخرة، فوالله لقد طال حزنك وبكاؤك أيام الدنيا؟ قال: فقال مبتسماً: رفع الله لنا ذلك الحزن والبكاء علم الهداية إلى طريق منازل الأبرار، فحللنا بثوابه منازل المتقين، وأيم الله إن ذلك الأمر فضل الله علينا. قال: فقلت: فماذا تأمرني به يا أبا سعيد؟ قال: ما آمرك به أطول الناس حزناً في الدنيا، أطول فرحاً في الآخرة[١].

وقال عبدالواحد بن زيد لحوشب:

يا أبا بشر إن قدمت على ربك قبلنا فقدرت على أن تأتينا فتخبرنا بما صرت إليه فافعل. قال: إن قدرت على ذلك. قال: فمات حوشب في الطاعون قبل عبدالواحد بزمن طويل قال عبدالواحد فلبثت زماناً لا أرى، ثم رأيته في منامي، فقلت له: يا أبا بشر ألم تعدنا أن تأتينا؟ قال: بلى، فإنما استرحت الآن، فقلت: فكيف حالكم؟ قال: نجونا بعفو الله. قال: قلت: فالحسن قال: ذاك في عليين يرانا ولا نراه. قال: فما الذي تأمرنا به؟ قال: عليكم بمجالس الذكر، وحسن الظن بمولاك، وكفى بهما خيراً.

وعن هشام بن عروة بن الزبير[٢] عن حفصة:

أن شاباً رأى في المنام شيخاً يمشي بين يديه، قال: فجعل يمشي بين يديه ولا ألحقه، قال: فالتفت إليَّ فقال: إني كنت سريعاً في الشباب. يعني: كنت سريعاً في العمل في الشباب.

وعن مسمع بن عاصم أن رجلاً من آل عاصم الجحدري قال:

رأيت عاصم الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت: ألست قد مت؟ قال: بلى، قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا

---

(١) المنامات، ابن أبي الدنيا.

(٢) هو هشام بن عروة ابن الزبير بن العوام الأزدي، قال عنه علماء الجرح والتعديل: ثقة إمام ثبت متقناً كثير الحديث.

ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلىٰ بكر بن عبدالله المزني فتلتقىٰ أخباركم، قال: قلت: أجسادكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجساد وإنما تتلاقىٰ الأرواح[١].

وعن أمينة بنت عمران عن أبيها، وكان عاهد الله أن لا ينام أبداً إلا مستغلباً، قالت:

قال: إني حُبِّبت إليَّ طاعة الله ـ تعالىٰ ـ طول الحياة، ولولا الركوع والسجود، وقراءة القرآن، ما باليت أن لا أعيش في الدنيا فواقاً. قالت: فلم يزل مجهوداً علىٰ ذلك حتىٰ مات ـ رحمه الله ـ. قالت: فرأيته في منامي، فقلت: يا أبت أنه لا عهد لي بك منذ فارقتنا. قال: يا بنيَّة، وكيف تعهدين من فارق الحياة، وصار إلىٰ ضيق القبور وظلمتها؟!.

قالت: فقلت: يا أبت كيف حالك منذ فارقتنا؟ قال: خير حالٍ، بُوِّئنا المنال، ومهدت لنا المضاجع، ونحن ها هنا يُغدىٰ ويراح برزقنا من الجنة.

قالت: فقلت: يا أبت كيف حالك منذ فارقتنا؟ قال: خير حالٍ، بوئنا المنال لكتاب الله ـ تعالىٰ ـ»[٢].

وعن حفص بن بُغيل المرهبي قال:

رأيت داود الطائي في منامي، فقلت: يا أبا سليمان، كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خيرها كثيراً. قال: قلت: فما صرت إليه؟ قال: إلىٰ خير، والحمد لله، قالت: قلت: هل لك من علم بسفيان بن سعيد، فإنه كان يحب الخير وأهله؟ قال: فتبسم، ثم قال: رقاه الخير إلىٰ درجة أهل الخير[٣].

وعن محمد بن الفضيل بن عياض قال:

---

(١) ابن رجب في أهوال القبور، وابن القيم في الروح، وابن أبي الدنيا في، المنامات.
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، وابن أبي الدنيا في المنامات.
(٣) أورده السيوطي في «شرح الصدور».

رأيت عبدالله بن المبارك في المنام، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه. قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم، فقلت: أي شيء صُنع بك؟ قال: غُفرت لي مغفرة ليس بعدها مغفرة، وكلمتني امرأة من أهل الجنة، وامرأة من الحور»[١].

وعن علي بن نصر قال:

رأيت الخليل بن أحمد في النوم. قال: فقلت: في المنام لا أرىٰ أحداً هو أعقل من الخليل. فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: أرأيت الذي كنّا فيه، فإنه لم يك بشيء، لم نجد شيئاً أفضل من: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر»[٢].

وقد رئِي الخليل بن أحمد الفراهيدي في المنام، وقيل له: ما صنع الله بك؟ فقال: لم ينفعني علمي في العربية بشيء، وكدت أن أهلك لولا سورة الفاتحة كنت أعلمها لعجائز قريتي».

وعن حماد بن مسعدة قال:

رأيت أبا حفص في المنام - يعني عمر بن ميسرة - بعد موته، فإذا هو متكئ علىٰ باب قصر من ذهب، فقلت: بأي شيء أعطيت هذا؟ قال: بالزهد.

وعن يحيىٰ بن حسان قال[٣]:

رأيت أُمي بعد موتها في المنام، وذكر من فضلها، فقالت: اصبر أيام قلائل تؤدك إلىٰ حياة النعيم المقيم مع صالح الإخوان وسادة الجيران.

وعن سنيد بن داود قال: قال ابن أخي جويرية بن أسماء:

كنا بعبدان فقدم علينا شاب من أهل الكوفة متعبد، فمات بها وذلك في

---

(١) أورده السيوطي في «شرح الصدور» وابن أبي الدنيا في «المنامات».

(٢) ابن أبي الدنيا في المنامات.

(٣) يحيىٰ بن حسان التنيسي من أهل البصرة، ثقة من التاسعة.

يوم شديد الحر، فقلت: نبرد، ثم نأخذ في جهازه، فنمت فرأيت كأني في المقابر فإذا بقبة جوهر تتلألأ حسناً وأنا أنظر إليها إذا تعلقت، فأشرفت منها جارية ما رأيت مثلها حسناً، فأقبلت عليّ وقالت: بالله يا أبا عمر لا تحبسه عنّا إلىٰ الظهر. قال: فانتبهت فزعاً، فأخذت في جهازه، وحفرت له قبراً في الموضع الذي رأيت فيه القبة، فدفناه فيه(١).

وعن حميد الرؤاسي قال:

رأيت الكسائي في النوم، فقلت: إلىٰ ما صرت؟ قال: إلىٰ الجنة. قلت: بأي شيء؟ قال: رحمني بالقرآن.

قال حميد: يا أبا هند منذ رأيت هذه الرؤيا أترحم عليه، وأدعو له.

وعن يزيد بن هارون قال:

رأيت أبا العلاء أيوب بن مسكين في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: عفا عني. قلت: بماذا؟ قال: بالصوم والصلاة، قلت: رأيت منصور بن زاذان؟ قال: هيهات، ذاك نرىٰ قصور من بعيد».

وعن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبو المغيرة عن كثير. قال:

رأيت في منامي كأني دخلت درجة عليا من الجنة، فجعلت أطوف بها وأتعجب، فإذا بنسيات من نساء المسجد في ناحية منها، فذهبت حتىٰ سلمت عليهن، ثم قلت: بم بلغتن هذه الدرجة؟ قلن: بسجدات وكسرات».

وعن عبدالملك بن أبي الجويرية قال: حدثتني أمي:

أن أباها هلك في بطن فرأته في منامها، فقالت له: كيف أنت يا أبه؟ قال: إنا بخير نرزق، وقد جاءنا رجل أعجبني رأيته يزف به زف العروس، فلما سُلك به اتبعته حيث يسلك به حتىٰ انتهىٰ إلىٰ ستور مرخاة، كلما دنا رفعت الستور، فأدخل فأرخيت الستور، فحيل بيني وبينه، فقلت: لم يحولون بيني

(١) الروح، ابن القيم.

وبينه؟ ألست من الشهداء؟! قالوا: بلىٰ، ولكن هذا رجل قتل في سبيل الله دخل إلىٰ أزواجه».

وعن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه قال:

لما قُتل أبو مسلم إبراهيم بن الصائغ أحببت أن أراه في المنام فرأيته، فقلت: ما فُعل بك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة. قلت: فأين يزيد النحوي؟ قال: هيهات: هو أرفع مني درجات. قلت: وبم ذلك؟ قال: بقراءته القرآن.

وعن إسحاق بن إبراهيم الثقفي قال:

رأيت عيسىٰ بن زاذان الأُبلي في النوم، فقلت: ما فعل بك ربك؟ فأقبل إليَّ مشرقاً ضاحكاً فقال:

لو رأيت الحسان حولي وأكاويب معهن للشراب
يترنمن بالقرآن حسناً يمشين مسبلات الثياب

قال: فضحكت والله في نومي، ثم انتبهت».

يقول أحمد بن أبي الحواري وهو تلميذ أبي سليمان الداراني:

دخلت علىٰ شيخي فرأيت في وجهه سرور يبتسم وهو بمفرده، وعليه مظاهر البهجة والفرح، فقلت: ما الذي حصل أيها الشيخ الكريم؟ قال: سأخبرك بشرط ألا تخبر به أحد بعدك إلا بعد موتي، قال: كنت نائماً بعد الظهر في القيلولة وإذا بحورية أجمل من الشمس وأبهىٰ من القمر تقول: أبا سليمان تخطبني وتنام وأنا أُرَبَّىٰ لك في الخدر منذ خمسمائة سنة؟! يقول أبوسليمان: فوالله ما زال عذوبة حديثها وكلامها في أذني في الساعة فأنا استحضر هذه اللذة وهذه البهجة لهذه الحورية الجميلة الفاتنة الطيبة الخيرة الكريمة فلذلك ترىٰ عليّ أثر هذه البهجة.

ذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سلميان الداراني قال:

كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلىٰ مكة فكان إن نزلوا فهو

يصلي، وإن أكلوا فهو صائم فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيجك إلىٰ ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب، فلما تم البناء إذا شرفة من زبرجدة وشرفة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين، مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة ينثنىٰ معها كلما تثنت فقالت: جدَّ إلىٰ الله في طلبي فقد والله جددت إليك في طلبك، فهذا الذي تراه في طلبها.

قال أبو سليمان هذا في طلب حوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟

وذكر **ابن القيم** في بعض كتبه أنه رأىٰ شيخ الإسلام **ابن تيمية** بعد موته في المنام فقال له:

«ما فعل الله بك»؟ قال: «رفعني علىٰ بعض الأكابر». قلت: وأنا. قال: «كدت أن تلحق بنا لكنك في منزله ابن خزيمة».

وقال صالح البراد:

رأيت زرارة بن أوفىٰ بعد موته في منامي، فقلت: رحمك الله، ماذا قيل لك؟ وماذا قلت؟ فأعرض عني، قلت: فما صنع الله بكم؟ قال: فقال: تفضل عليَّ بجوده وكرمه، قال: قلت: فأبو العلاء يريد أخو مطرف؟ قال: ذاك في الدرجات العلا. قال: قلت: فأي الأعمال أبلغ فيما عندكم: قال: التوكل وقصر الأمل»[1].

وقال إياس بن دغفل[2]:

رأيت أبا العلاء يزيد بن عبدالله فيما يرىٰ النائم. فقلت: يا أبا العلاء كيف وجدت طعم الموت؟ قال: وجدته مراً كريهاً. قلت: فماذا صرت إليه بعد

---

(١) الروح، ابن القيم، والمنامات، ابن أبي الدنيا.

(٢) هو إياس بن دغفل الحارثي وهو من الثقات، قال أبو دادود: إياس بن دغفل ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.

الموت؟ قال: صرت إلىٰ روح وريحان، ورب غير غضبان. قال: قلت: فأخوك مطرف؟ قال: فازني بيقينه»[١].

وعن حفصة بنت راشد قالت:

كان مروان المحلمي لي جاراً، وكان قاضياً مجتهداً، قالت: فمات فحزنت عليه حزناً شديداً، فرأيته فيما يرىٰ النائم، فقلت: أبا عبدالله ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلىٰ أصحاب اليمين. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلىٰ المقربين. قلت: فمن رأيت من إخوانك؟ قال: رأيت الحسن، ومحمد بن سيرين، وميمون بن سياه»[٢].

قال هشام بن حسان حدثتني أم عبدالله، وكانت من خيار نساء أهل البصرة، قالت:

رأيت فيما يرىٰ النائم، كأني دخلت داراً حسنة، ثم دخلت بستاناً فذكرت من حُسنه ما شاء الله، فإذا أنا فيه برجل متكئ علىٰ سرير من ذهب، وحوله الوصفاء بأيديهم الأكاويب، قالت: فإني لمتعجبة من حسن ما أرىٰ، إذ أتىٰ فقيل له: هذا مروان المحلمي قد أقبل، قالت: فوثب فاستوىٰ جالساً علىٰ سريره، قالت: فاستيقظت من منامي، فإذا جنازة مروان قد مرَّ بها علىٰ بابي تلك الساعة»[٣].

وذكر بعض المؤرخين: أن العدو أغار علىٰ ثغر من ثغور الإسلام، فقام عبدالواحد بن زيد ـ وكان خطيب البصرة وواعظها ـ فحثَّ الناس علىٰ البذل والجهاد ووصف لهم ما في الجنة من نعيم، ووصف الحور العين فاشتاق الناس إلىٰ الجنة فوثبت عجوز من بين النساء هي: أم إبراهيم البصرية، ثم قالت: يا

(١) شرح الصدور، السيوطي، والمنامات، ابن أبي الدنيا.
(٢) المنامات، ابن أبي الدنيا.
(٣) الروح، ابن القيم، المنامات، أبن أبي الدنيا.

أبا عبيد أتعرف ابني إبراهيم، الذي يخطبه رؤساء أهل البصرة إلىٰ بناتهم وأنا أبخل به عليهن؟ قال: نعم، قالت: والله قد أعجبتني حسن هذه الجارية التي وصفتها من الحور العين وقد رضيتها عروساً لابني إبراهيم فكرِّر ما ذكرت من أوصاف لعل نفسه تشتاق فقال أبو عبيد:

إذا ما بدت والبدر ليلة تمة … رأيت لها فضلاً مبيناً علىٰ البدر
وتبسم عن ثغرٍ نقيٍّ كأنه … من اللؤلؤ المكنون في صدف البحر
فلو وطئت بالنعل منها علىٰ الحصىٰ … لأزهرت الأحجار من غير ما قطر
فلو شئت عقد الخصر منها عقدته … كغصن من الريحان ذي ورق خضر
فلو تفلت في البحر حلو لعابها … لطاب لأهل البر شرب من البحر
أبىٰ الله إلا أن أموت صبابة … بساحرة العينين طيبة النشر

ثم قامت أم إبراهيم وقالت: يا أبا عبيد: قد رضيت والله بهذه الجارية زوجة لابني إبراهيم، فهل لك أن تزوجها له الساعة وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار، لعل الله أن يرزقه الشهادة فيكون شفيعاً لي ولأبيه يوم القيامة. فقال أبو عبيد: لأن فعلت فأرجو والله أن تفوزوا فوزاً عظيماً، فصاحت العجوز وقالت: يا إبراهيم، فقال: لبيك يا أماه فقالت: أي بني أرضيت بهذه الجارية زوجة لك ومهرها أنْ تبذل مهجتك في سبيل الله، فقال: إي والله يا أماه رضيت، فذهبت العجوز مسرعة إلىٰ بيتها فجاءت بعشرة آلاف دينار ووضعتها في حجر عبدالواحد بن زيد ثم رفعت بصرها إلىٰ السماء فقالت: «اللهم إني أشهدك إني زوجت ابني من هذه الجارية علىٰ أن يبذل مهجته في سبيلك فتقبله مني، ثم قالت: يا أبا عبيد هذا مهر الجارية عشرة آلاف دينار تجهز به وجهز الغزاة في سبيل الله، ثم انصرفت فاشترت لولدها فرساً وسلاحاً فلما حان وقت النفير قالت لولدها: يا بني إذا أردت لقاء العدو فالبس هذا الكفن، وتطيب بهذا الطيب، وإياك أن يراك الله متقاعساً في

سبيله ثم ودعها فذهب وحينما رأىٰ العدو وبدأت المعركة كان أول المقاتلين بشجاعة وإقدام وقتل من الكفار أكثر من ثلاثين فلما رأىٰ العدو ذلك أقبل إليه جمع منهم وتحاملوا عليه حتىٰ قتلوه، فانتصر المسلمون، وهزم الكافرون، فلما رجع الجيش إلىٰ البصرة تلقاه الناس وأم إبراهيم بينهم فلما رأت أبا عبيد قالت: يا أبا عبيد هل قبل الله هديتي فأهنىٰ أم ردت عليَّ فأعزىٰ. فقال: بل والله قد قبلها الله وأرجو أن يكون ابنك الآن مع الشهداء يرزق. فقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني فيه وتقبله مني ثم انصرفت إلىٰ بيتها فنامت فلما كان الغد جاءت أم إبراهيم إلىٰ مجلس أبي عبيد فقالت: السلام عليك يا أبا عبيد بشراك بشراك. فقال: ما خبرك يا أم إبراهيم؟ فقالت: يا أبا عبيد نمت البارحة فرأيت ولدي إبراهيم في المنام في روضة حسناء وعليه قبة خضراء وهو علىٰ سرير من اللؤلؤ وعلىٰ رأسه تاج يتلألأ وإكليل يزهر وهو يقول: يا أماه أبشري قد قُبل المهر وَزُفَّت العروس.

ويروىٰ عن بعض الصالحين:

أنه كان دائماً يدعو الله الشهادة من غير أن يقاسي ألماً، فخرج يوماً من الأيام للنزهة ونام في بستان ففاجئه قوم من الكفار وحزوا رأسه وهو نائم فرآه بعد ذلك بعض إخوانه في المنام وسأله عن حاله فقال: نمت في البستان ففتحت عيني فإذا أنا في الجنة».

ويروىٰ: أن أسيرين من الصالحين عرض عليهما طاغية من الطغاة الرجوع عن دينهما فلم يفعلا فألقاهما في قِدْر فيها زيت قد أغلي عليه ثلاثة أيام فما هو إلا أن سقطا فيها فارتفعت عظامهما تلوح علىٰ سطح الزيت المغلي فرآهما بعض الصالحين في المنام فسألهما عن حالهما فقالا: ما كانت إلا الغطيسة التي رأيت حتىٰ خرجنا إلىٰ الفردوس الأعلىٰ.

وقال إسحاق بن إبراهيم، حدثني عمار الراهب ـ وكان والله من العاملين

لله في دار الدنيا ـ قال :

(رأيت مسكينة الطُّفاوية في منامي، وكانت من المواظبات على حلق الذكر، فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحباً. فقالت: هيهات يا عمار، ذهبت المسكنة، وجاءالغنى الأكبر. قلت: هيه، قالت: ما تسأل عمن أبيح الجنة بحذافيرها يطير منها حيث شاء. قال: قلت: وبم ذاك يرحمك الله؟ قالت: بمجالس الذكر، والصبر على الحق.

قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأُبُلَّة، تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة، قال عمار: قلت: يا مسكينة ما فعل عيسى؟ فضحكت، ثم قالت:

كُسي البهاءُ وأطافت بأباريق حوله الخُدّامُ
حُلي وقيل يا قارئ أرقِ فلعمري لقد براك الصيامُ

وكان عيسى قد صام حتى انحنى، وانقطع صوته[1].

وعن عبدالواحد بن زيد قال:

(كنت في طريق مكة فلقيت فتى حسن السمت، فقلت: ما اسمك؟ قال: جميل. قلت: ألك والدة؟ قال: نعم. قلت: فلك زوجة؟ قال: لا. قلت: فما يمنعك من التزوج؟ قال: فجعل يمتنع أن يخبرني. قال: فقيل له: إن هذا عبدالواحد بن زيد! فقال: ما يمنعني من ذلك إلا أني رأيت دُفِعَت عليَّ في منامي حوراء عليها ثوب من فضةٍ، تتثنى كما يتثنى الثوب في دار الدنيا، وهي تقول: جدَّ في طلبي فإني رائدة في طلبك، فأنا في طلبها).

وعن والآن بن عيسى بن أبي مريم رجل من قزوين، وكان من الصالحين، قال: اغترني القمر ليلةً، فخرجت إلى المسجد، فصليت ما قضى الله لي، وسبحت ودعوت فغلبتني عيناي فنمت، فرأيت جماعة أعلم أنهم ليسوا من

(١) الروح، ابن القيم، المنامات، ابن أبي الدنيا.

الآدميين، بأيديهم أطباق عليها أربعة أرغفة ببياض مثل الثلج، فوق كل رغيف دُر مثل الرمان، فقالوا: كل، فقلت: إني أريد الصوم، قالوا: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل، فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لأحتمله، فقيل لي: دعه نغرسه لك شجراً، ينبت لك خيراً من هذا. قلت: أين؟ قالوا: في دارٍ لا تخرب، وثمر لا يتغير، وملك لا ينقطع، وثياب لا تبلىٰ، فيها رضوىٰ وعيناً، وقرة العين، أزواج رضيات مرضيات، راضيات لا يغرن ولا يُغرن، عليك بالانكماش فيما أنت فيه، فإنما هي غفوة حتىٰ ترتحل، فتنزل الدار. قال: فما مكث إلا جمعتين حتىٰ توفي.

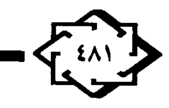
قال السري بن يحيي: فرأيته في الليلة التي توفي فيها، وهو يقول: ألا تعجب من شجرٍ غرس لي يوم حدثتك، وقد حمل، قلت: حمل ماذا؟ قال: لا تسأل عما لا يقدر علىٰ صفته أحد، ولم يُر مثلُ الكريم إذا حلّ به مطيع[1].

وقال الصلت بن زياد الحلبي - وكان عبداً من الصالحين - قال:

(رأيت ليلة من ليالي رمضان بعبادان كان معي جماعة من أهل عبادان، ونحن نمضي إلىٰ أمرٍ، فانتهينا إلىٰ ماء قصرٍ عظيم، فيه بستان أحسن إليَّ رأي عين خلق من الخلق فلما انتهينا إلىٰ القصر، قال قائل: لا يدخل ها هنا إلا رجل مقيم بهذا البلد ضحىٰ من لم يكن، ثم قال: يا رحمة - لرجل - امض إلىٰ دار فضالٍ فادع من بها، فانحشر الناس، فأذن لهم، فقفلت إلىٰ شيء حار فيه بصري، وذهب بعقلي، ورأيت عليه الآنية من الذهب والفضة معلقة فيها أنواع الشراب، وجوارٍ عليهن ثياب ورقٍ يخطف البصر، فقال القوم الذين هم ليسوا من أهل البلد: ما لنا نحجب فلا يؤذن لنا؟ إذ وضع شيء شبه المنبر، طويل في السماء فصعد عليه جوارٍ من بنات عطرات، بأيديهن مجامر، فكثر ضجيج الرجال، وعلىٰ الجواري ثياب وَرِق من كل لون، إذا أشرفت واحدة

---

(١) أورده السيوطي في شرح الصدور (ص٢٧٩).



علىٰ سبع [فقالت] هذا لمن هجر الزوجات، واختار العزبات، وتجافي عن الضجعات، وجاد بنفسه، وسخا ببذله دمه، لا مع ولد يأنس، ولا مع زوجة يفرح، آثر دار المقام علىٰ الدار الفانية، أسماء الغزاة ورب المعروف ليحلنكم من معروفة ما تقر به أعينكم، ويؤمن روعتكم، ثم قالت: يا قرة أعين تكلمي، فرفعت صوتها ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ إلىٰ قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٣٨﴾ [الواقعة: ٢٢-٣٨] ثم قالت:

ليهنكم كرامة الكريم، ذي العرش المجيد، فعال لما يريد، داوموا فمن عنده المزيد، وهو الجواد الحميد، كبروا فقد طلع النور، فانتبهت وأنا أُكَبرٍّ، وقد أضاء الفجر فقمت، فتوضأت ودخلت المسجد، فلما صليت إذا جماعة يتحدثون عما جاءني، ويقول: هذا يا فلان قد رأيتك في موضع كذا، ورأيتك يا فلان في موضع كذا، وإذا بهم مثل رؤيا عمر.

وعن مضر القارئ قال:

كان رجلٌ من العباد قارئاً، لا ينام الليل، فغلبته عينه ذات ليلة، فنام عن حزبه. فرأىٰ فيما يرىٰ النائم، كأن جارية وقفت عليه، كأن وجهها القمر المستتم، ومعها رق فيه كتاب، فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قال: نعم. قالت: فاقرأ هذا الكتاب. قال: فأخذته من يدها ففتحته، فإذا فيه مكتوب:

ألهتك لذة نوم عن خير عيش	مع الخيرات في غرف الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها	وتنعم في الخيام مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيراً	من النوم التهجد بالقرآن

قال: فوالله ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم[1].

وعن مؤمل بن إسماعيل، قال:

رأيت همام بن يحي في النوم فكأني أقول له: يا أبا عبدالله ما صنع بك

(١) أورده الغزالي في الإحياء (١/ ٣٦١).



ربك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: من رأيت في الجنة؟ قال: رأيت ثابت البناني، وهو قابل سعيد هكذا، وبسط مؤمل يديه جميعاً، كأنه يدعو بهما، والماء واللبن يسيل من يديه، وأمر بفلانٍ إلىٰ النار، قلت: فلاناً بكذا كذا؟ كأنه ينسبه إلىٰ شيء قد كان يُعرف به. قال: نعم. وقيل له: أنت الذي كان يمن علىٰ الله بركعتين يصليهما له.

وعن ثابت:

أن رجلاً رأىٰ فيما يرىٰ النائم كأن الناس يعرضون علىٰ الله - عز وجل -. قال: فأتىٰ بامرأة عليها ثياب رقاق، فوقفت بين يدي الله - تبارك وتعالىٰ -، فهبت ريح فكشفها، فأعرض عنها - تبارك وتعالىٰ -، وقال: اذهبوا بها إلىٰ النار، فإنها كانت من المتبرجات، ثم جعلوا يعرضون حتىٰ أتىٰ عليَّ فأخذ بضبعي فوقفت بين يدي الله فقال: دعوه فإنه كان يؤدي حق الجمعة. قال: فكان يبكر إلىٰ الجمعة.

وعن علىٰ بن المديني قال:

رأيت خالد بن الحارث في النوم عليه ثياب بياض، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي، علىٰ أن الأمر شديد، قلت: ما فعل بيحيىٰ القطان؟ قال: فوقنا. قلت: فيزيد بن زُرَيْع؟ قال: ذاك في عليين، ينظر إلىٰ الله تعالىٰ كل يوم مرتين.

وقال حبيش بن مبشر:

رأيت يحيي بن معين في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وأعطاني، وحباني، وزوجني بثلاثمائة حوراء، وأدخلني عليه مرتين)[1].

وعن إبراهيم بن يعقوب قال: قال بعض المكيين:

رأيت سعيد بن سالم القداح في النوم، فقلت: من أفضل من في هذه

---

(١) أورده السويطي في شرح الصدور ص (٢٨٧).

المقبرة؟ قال: صالح بن عبدالعزيز. قلت: بم فضلكم؟ قال: لأنه إذا ابتلي صبر. قال: ما فعل فضيل ابن عياض؟ قال: هيهات، كُسي حُلة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها) [1].

وعن إسحاق بن محمد قال:

مرض رجل من العابدين فوصف له دواء، فأراد أن يشربه، فأتى في منامه، فقيل له: أتشرب الدواء والحور العين لك تتهيأ؟!! قال: فانتبه فزعاً فصلى في ثلاثة أيام كذا وكذا ركعة حتى انحنى صلبه، ومات في اليوم الثالث.

وعن الحسن بن عبدالعزيز قال:

كان عندنا شيخ على أمور ثم أقلع عنها فلما احتضر أغمي عليه ثم أفاق فقال: إني رأيت كأني مت وكأنَّ آتياً أتاني فانطلق بي إلى الله ـ عز وجل ـ حتى وقف بي دون الحجاب فكأنه أرادني على الدخول فبداخلي الحياء والخوف فكأنه يقول ما هو إلا الدخول عليه أو دخول إلى النار فكأن اخترت دخول النار للذي أصابني من الحياء قال: فانطلق بي ثم إنه عرج به وقيل له انطلق به إلى الجنة. قال: فأتى بي في الجنة فقرع حلقة الباب فارتفعت بصوت ما سمعت مثله حسناً، فَفُتِحَ لنا، فدخل ودخلت معه فرأيت صاحباً لنا فقلت: فلان . . . قال: فلان. قلت: ما أدخلك الجنة؟ قال: حججنا فانصرفنا من الحج فانتهينا إلى مبنى فقعدنا تحت فحمدنا الله على ما رزقنا، فأدخلت بذلك الجنة. قال: وسمعنا صوتاً بالقرآن ما سمعت أحسن منه. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] قال: فانظروا فإن مت عند العصر فرؤياي حق فلما كان أول وقت العصر جاءنا خبره بأنه قد مات ـ رحمه الله ـ.

وعن عبد الواحد بن غياث، عن رجل قال:

---

(١) أورده السيوطي في شرح الصدور ص (٢٩٢). .

رأيت حماد بن سلمة في النوم، فقلت: ماذا فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ورحمني، وأسكنني في الفردوس. قلت: بماذا؟ قال: بقولي: يا ذا الطول، يا ذا الجلال والإكرام، يا كريم أسكني الفردوس، فأسكنني الفردوس.

وعن معروف الكرخي قال:

أتاني شاب فقال لي: يا أبا محفوظ رأيت أبي في النوم، فقال لي يا بني ما منعك أن تهدي مما يهدي الأحياء إلىٰ موتاهم؟ قلت: يا أبت أهدي إليك؟! قال: تقول: يا عليم، يا قدير، اغفر لي، ولوالدي، إنك علىٰ كل شيء قدير.

قال: فجعلت أقولها، فأريت أبي - يعني في النوم - فقال: يا بني قد وصلت إلينا هديتك.

وعن أبي محمد قال: قال حماد - وكان من خير الناس، وكان مؤذن سكة الموالي - قال:

أشتكيت شكاة فأغمي عليَّ، فأريت كأني أدخلت الجنة، فسألت عن الحسن بن أبي الحسن. فقيل لي: هيهات، ذاك يسجد علىٰ شجر الجنة. قال: قلت: فسألت عن أبي نصر ؟ فقالوا خيراً، وأحسن مما قيل في الحسن. وسألت عن أبي عمران الجوني؟، فقيل لي: ذلك ممن قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]. وسألت عن ثابت البناني؟ فقيل لي: ذلك معروف في الجنان.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو بكر حدثني أبو عبد الله حدثني الأصمعي قال: «رأيت أحد البصريين من أصحاب يونس بن عبيد وقد مات، فقلت: من أين أقبلت؟ فقال: من عند يونس الطبيب. قلت: من يونس الطبيب؟ قال: الفقيه اللبيب. قلت: ابن عبيد؟ قال: نعم. قلت وأين هو؟ قال: في مجالس الأرجوان مع الحور العين والأبكار، قرت عيناه بصحبه تقواه»[1].

---

(١) أورده السيوطي في «شرح الصدور»، وابن أبي الدنيا في «المنامات».

المبحث الثامن:
منشورات

بشارة المؤمن بالجنة عند موته:

قال الله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

إن المؤمن في حالة موته وقبل خروج روحه تُكشف له بعض أحوال الآخرة كرؤيته للملائكة وغيرها ومما يُكشف له رؤيته لمقعده ونصيبه من الجنة والنار.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«لا يموتن أحدكم حتىٰ يرىٰ مقعده من الجنة أو من النار»**. وعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**. قالت عائشة ـ أو بعض أزواجه ـ أنا لنكره الموت قال: **«ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيءٌ أحب إليه مما أمامه، فأحبَّ لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضِرَ بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكْرَه إليه مما أمامه، كَرِه لقاء الله وكَرِه الله لقاءه»**(١).

وقد جاء في الحديث أن الملائكة تقول للمؤمن عند القبض: **«أبشر بروح وريحان ورب غير غضبان»**.

ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ أي: لا تخافوا مما أمامكم وما ينتظركم في القبر والآخرة، ولا تحزنوا علىٰ أهليكم الذين خلفتموهم

---

(١) رواه البخاري.

وتركتموهم وراءكم في الدنيا.

أقل زمن ممكن في الجنة يُنسي كل بلاء الدنيا:

إن ما أعده الله لأوليائه من النعيم في الجنة شيء عظيم لدرجة أنه لو أوتي بأشقى وأبئس أهل الدنيا وأكثرهم بلاءً ومحناً وغمس غمسةٌ واحدة فقط في الجنة وأُخرج منها لنسي كل ما أصابه في الدنيا، فكيف بمن تكون داره وقراره. إن ما يجده من النعيم واللذة في الغمسة الواحدة في الجنة ليدل على عظيم نعمة الله وخروجها عن حدود الإدراكات الدنيوية والبشرية، نعيم لم تسمع به أذن، ولم تره عين، ولم يخطر على أي قلب.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يُقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مرَّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**»[1].

ويوضح هذا قوله ﷺ «**الموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»[2]. والذي في الدنيا لا يحصى من الشقاء والنعيم فموضع السوط المذكور في الحديث خير وأفضل من الدنيا وما فيها.

والمقصود بذلك أن أقل قدر من المكان في الجنة خير وأفضل وأزكى من الدنيا كلها وما فيها. ومما يدل على عِظَمِ النعيم في الجنة بحيث أنه ينُسي أهلها ما أصابهم من البلاء ما رواه البراء ـ رضي الله عنه ـ بقوله: «أُهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: «**أتعجبون من لين**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خيرٌ منها وألين»[(١)].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الله يقول في الحديث القدسي: **«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»**[(٢)]، فقد جمع فيه النبي ﷺ ما يمتلكه الإنسان من حواس يدرك بها الأشياء، وأضاف جانب ما يخطر على القلب البشري من التخيلات مما لم يدركه بحواسه، وبين أن ما أعده الله لأهل الجنة في الجنة يفوق كل ذلك فمهما تخيل الإنسان لا يصل بخياله إلى كنه وحقيقة النعيم، لأنه فوق الخيال وفوق الحواس البشرية. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠].

ووردت أحاديث كثيرة تبين انتفاء المقارنة بأي وجه من الوجوه بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة. فقد أخبر الرسول ﷺ أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة مثل المخيط إذا غُمس في البحر العظيم فما التصق في المخيط يمثل نعيم الدنيا والبحر يمثل نعيم الآخرة.

وكان النبي ﷺ يسير مع نفر من أصحابه فوجد جدياً ميتاً مقطوعة أذنه فرفعه فقال من يشتري هذا؟ فقال الصحابة يا رسول الله والله إنه لا يساوي شيئاً لو كان حياً[(٣)]، فكيف وهو جيفة ميتة. فقال ـ عليه السلام ـ: **«والله إن الدنيا أحقر عند الله من هذا الأسك»**.

وكذلك قوله ﷺ: **«لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر جرعة ماء»**. فنعيم الدنيا من الأموال والجاه والقصور والدور والنساء والمناصب والصحة والأولاد والأمن والبساتين والأنهار وأنواع المتع وألوان النعيم كل هذا لا يساوي شيئاً بل أن جناح البعوضة أفضل من كل هذا النعيم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) لأنه كان أسكاً أي مقطوعة أذنه.

فإن كان كل هذا النعيم قدره أقل وأحقر من جناح البعوضة فكيف بنعيم الجنة الدائم. إنه لجدير بأن من يغمس غمسة واحد فقط في نعيم الجنة جدير بأن ينسى هموم الدنيا وغمومها وتعاستها. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً** ﴾.

في الجنة منازل كثيرة لا تسكن ينشئ الله لها خلقاً يسكنها

إن فضل الله ومنته وكرمه لا يماثلها شيء، ولا يجاريها فضل، فقد ورد في الصحيحين أن الجنة تبقى بها منازل فارغة لم تُسكن، فينشئ الله لها خلقاً من الجنة يسكنهم إياها بفضله ومنته.

فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال جهنم يُلقى فيها، وتقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قَطْ قَطْ، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى يُنشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة»**[١].

وعند مسلم ما لفظه: **«وأما الجنة فإن الله يُنشِئ لها خلقاً»**[٢].

فأما ما وقع في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«وأنه ـ تعالى ـ يُنشئ للنار من يشاء، فيلقى فيها، فتقول: هل من مزيد»**[٣].

فقد قال بعض الحفَّاظ: هذا غلط من بعض الرواة، وكأنه اشتبه عليه، ودخل عليه لفظ في لفظ، فنُقل هذا الحكم من أهل الجنة إلى أهل النار.

وقال **ابن كثير** ـ رحمه الله ـ: فإن كان محفوظاً فيحتمل أنه ـ تعالى ـ يمتحنهم في العرصات[٤]. كما يُمتحن غيرهم ممن لم تقم عليه الحجة في الدنيا فمن عصى منهم أدخله النار ومن استجاب أدخله الجنة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] انتهى كلامه[٥].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) صحيح البخاري.

(٤) العرصات: جمع عرصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه والمقصود هنا أرض المحشر.

(٥) صفة الجنة، ابن اكثير.

قلت: ومما يؤكد أن هذا غلط من بعض الرواة لاتفاق جميع الروايات على أن هذا الحكم خاص بالجنة دون النار، وأيضاً أن الله عدلٌ رحيم لا يُعذب أحداً بلا ذنب اقترفه، بل إن رحمة الله ـ عزَّ وجل ـ واسعة وسعت كل شيء حتى العصاة فكيف لا يرحم الله خلقاً لم يذنبوا قط يخلقهم ثم يعذبهم وله مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض وأنزل رحمة واحدة في الدنيا وادخر ليوم القيامة والحساب تسعاً وتسعين رحمة حتى قال أكثر من واحد من السلف أمثال: عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وغيرهم بفناء النار.

فإن كان الكافرون يأتيهم زمن لا يُعذبون فيه من رحمة الله فكيف يعذب أناساً يخلقهم لأجل تعذيبهم فقط بلا أي ذنب والله عز وجل يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

فضل الفردوس على غيرها من الجنان

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

وهي أعلى منزلة في الجنة وأفضلها وأشرفها، قال عنها الرسول ﷺ: **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله ـ تعالى ـ فاسألوه الفردوس، فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقها عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة»**(١). وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«هي ربوة الجنة العليا التي هي أوسطها وأحسنها»**(٢)، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ عنها أيضاً: **«إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وعلى كل مدمن خمر ومتكبر»**(٣).

وعند البيهقي: **«مدمن خمر وسكير»**، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث، قالوا: يارسول الله قد عرفنا مدمن الخمر، فما الديوث؟ قال: الذي يقر السوء في أهله»**(٤).

وعن شمرة بن عطيّة قال: خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن سمرة، وهو: حديث حسن.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، وأبو نعيم في «صفة الجنة».

(٤) رواه البيهقي، وقد ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» بتفصيل قليل وعلق عليه بأنه موقوف.

خميس فيقول: ازدادي طيباً لأوليائي، ازدادي حسناً لأوليائي»[١].

فجنة الفردوس أعلىٰ مكان في الجنة وأوسطها، لأن الجنة كالقبة فأعلاها أوسطها كما قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، ومنها تتفجر أنهار الجنة الأربعة وسقفها العرش وهي منزل الأنبياء والشهداء والصديقين، خلقها الله بيده تشريفاً لها وتعظيماً. قال **ابن القيم**: قد اتخذ الرب ـ تعالىٰ ـ من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده فهي سيدة الجنان. والله يختار من كل نوع أعلاه وأفضله. وتأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناءً وتشريفاً، وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتَميزه بذلك عن غيره فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان»[٢].

وفي صحيح مسلم أن موسىٰ ـ عليه السلام ـ، سأل ربه عن أعلىٰ أهل الجنة منزلة، فقال الله ـ عز وجل ـ: **«أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر علىٰ قلب بشر»**[٣].

والحصول علىٰ جنة فردوس سهل يسير ذكرناه بفصل متقدم يُرجع له، وتكفي الآيات الواردة في بداية سورة «المؤمنون» في ذكر الصفات التي يستوجب أهلها دخول الفردوس إن هم عملوا بما فيها واتصفوا بها. ولذلك وصىٰ ﷺ أمته بأن تسأل الله الفردوس وتخصها بالسؤال من بين الجنان، فالمؤمن لا يطمح لدخول الجنة فحسب، بل يطمح في الارتقاء إلىٰ أعلىٰ منازلها.

---

(١) رواه أبو نعيم، وذكره ابن القيم في وصف الجنة.

(٢) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٣) رواه مسلم.

أدنى أهل الجنة منزلة

حينما نقول «أدنى» لا يقصد منها النقص والدناءة بل المقصود منها قياس شيء إلى شيء آخر أفضل منه. فالجنة ليس فيها دنيء ولا دناءة وإنما هي أنوار فوق أنوار وكرامات فوق كرامات، ولم يغفل النبي ﷺ دلالة هذه الكلمة فقال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني»**، حتى ورد في بعض النصوص: أن أقل أهل الجنة منزلة يعتقد أنه أعلاها منزلة وكرامة لعظيم فضل الله عليه وكثرة هباته له، وقد ذكر ـ عليه الصلاة والسلام ـ ملك أقل رجل من أهل الجنة فإذا هو عظيم جداً، قد عبر الله عنه بقوله ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، إن ما يعطيه الله ـ عز وجل ـ لأقل أهل الجنة مع رضوانه عليهم وديمومة الحال فيها حقاً إنه لشيء عظيم تتوق له النفوس وتقر له العيون، فما بالك بأعلاه منزلة.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«قال موسى: يا رب أخبرني عن أدنى أهل الجنة منزلة، قال: نعم هو رجل يجيء بعدما نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أُدخل الجنة، فيقول: يا رب، وكيف أدخلها وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقول: أما ترضى أن يكون لك ما كان للملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رب رضيت. فيقول: إن لك مثله، ومثله ومثله، فقال في الخامس: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت ربِّ»**.

قال موسى: يا رب فأخبرني عن أعلى أهل الجنة منزلة، قال: **«أولئك الذين أردتُ، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»**[1].

---

(١) رواه مسلم.

والمتأمل في هذا الحديث يلحظ فيه ملحظين:

الأولى: أن الله أخبر عن أدناهم منزلة، وبيّن عظيم ملكه وسعة منزلته، وحين الحديث عن أعلاهم منزلة لم يخبر بملكهم لينطلق الذهن بكل مذهب، ويهيم الخيال في كل وادٍ عما أعده الله لهم فهو فوق كل وصف وفوق كل خيال.

الثاني: أن الله يقول لأدناهم منزلة: **«ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك»**، وفي هذا دلالة أن أقل أهل الجنة منزلة ليس له مثل مُلك مَلِك في الدنيا فحسب بل له زيادات الجنة التي لم تُعط لملك في الدنيا أبداً فعبر عنها بقوله: **«ما اشتهت نفسك ولذت عينك»**. ففي هذا إطلاق عام يتسع لأي شيء.

وقد وردت عدة أحاديث تبين بعض جوانب نعيم أدنى أهل الجنة. فعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله ـ تعالى ـ كل يوم مرتين»**[1].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجةً لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان، واحدة من ذهب والأخرى من فضة، في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثله، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها، ثم يكون ذلك ريح المسك الأذخر لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، إخواناً على سرر متقابلين»**[2].

وعن أنس بن مالك أيضاً أن النبي ﷺ قال: **«يخرج رجل من النار فيقول: يا رب بتلك الرحمة التي أخرجتني من النار وقربتني إلى هذا الموضع إلا ما قربتني من**

---

(١) رواه أحمد في المسند والطبراني وأبو يعلى.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ له ورواته ثقات. كذا قال الترمذي.

الباب، فيقول: يا ابن آدم ما يضيرني[١]؟ أُدخل الجنة وسل من خيرات الجنة. قال: فيعطى ما لو نزله على أهل الأرض لوسعهم ما عنده من طعام، وفرش، وخدم»[٢].

*** مسألة:**

ورد في بعض الروايات، أن نعيم أدنى أهل الجنة منزلة مضاعف مرة واحدة على ما يتمنى. كما في حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين، وفي بعض الروايات أن نعيم أدنى أهل الجنة منزلة مضاعف عشر مرات على ما يتمنى، كما في الصحيحين أيضاً فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وحل هذا الإشكال؟

الجواب: الصحيح أن رواية العشر مقدمة؛ لأن الراوي حفظها وأتقنها بخلاف الرواية الأولى، وقد قيلت في مجمع من الصحابة منهم أبو سعيد الخدري وغيره فلم ينكروها، وهي في الصحيح وهي المعتمدة، فحين حدَّث أبو هريرة وقال: «فإذا تمنى وانقطعت به الأماني قال له الله: ذلك لك ومثله معه». فقال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله «ذلك لك ومثله معه». قال أبو سعيد: أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: **«ذلك وعشرة أمثاله، قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة»**[٣]. وقد جاءت العشرة من عدة روايات، وليست من رواية أبي سعيد الخدري فقط مثل حديث عبدالله بن مسعود الذي رواه البخاري: **«فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»**[٤]. وحديث المغيرة بن شعبة الذي رواه مسلم: أن الله يقول له: **«أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربِّ، فيقال: ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول في**

---

(١) بمعنى ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤال.

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني، وقال عنه المحقق على رضا: وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: لك هذا وعشرة امثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذة عينك، فيقول: رضيت ربِّ»[1]. فالصحيح هي رواية العشر التي حفظها أبو سعيد ولم يحفظها أبو هريرة والله أعلم.

(١) رواه مسلم.

أعلى درجات الجنة

وهذه الدرجة هي «الوسيلة» لقوله ﷺ: **«الوسيلة درجة عند الله - عز وجل - ليس فوقها درجة، فسلوا الله لي الوسيلة»**(١).

وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه: **«الوسيلة درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلىٰ منها فاسألوا الله أن يؤتنيها علىٰ رؤوس الخلائق»**(٢).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي»**(٣).

وسبب تسميتها الوسيلة - كما قال ابن القيم - لأنها أقرب الدرجات إلىٰ عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلىٰ الله، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب. من **«وسل إليه»** إذا تقرب إليه، ومعنىٰ الوسيلة من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نوراً(٤).

الجنة أقرب من شراك النعل:

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ولقوله ﷺ: **«الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»**(٥).

ومعنىٰ الحديث أنه لا يحجز الإنسان عن الجنة ويمنعه منها إلا الموت والموت يأتي فجأة، فما علىٰ من يريد الجنة إلا أنه يلزم نفسه بالتقوىٰ والاستقامة فإن

---

(١) رواه أحمد والطبراني.

(٢) رواه ابن مردويه عن أبي سعيد.

(٣) رواه مسلم.

(٤) حادي الأرواح، ابن القيم.

(٥) رواه البخاري.

حضره الموت وهو على هذه الحالة كتب الله له الجنة برحمته، وسوف يراها بالغداة والعشي ويتنعم منها حتى يدخلها.

أمة محمد أكثر أهل الجنة :

إن أكثر أهل الجنة من أمة محمد ﷺ بل هي الكثرة الكاثرة وعددهم في الجنة يعدل ثلثي تعداد أهل الجنة أي أنهم أكثر من ٦٦٪ والباقي من الأمم السابقة والسبب في ذلك أن هذه الأمة أمة مباركة متبعة للنبي ﷺ. قال النبي ﷺ: **«عرضت عليَّ الأمم، فأخذ النبي يمر ومعه الأمة، والنبي يمر ومعه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سوادٌ كثيرة، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق. فنظرت فإذا سواد كثير، قال هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب»**[1].

وفي رواية: **«فإذا سواد قد ملأ الأفق، فقيل لي: انظر هاهنا، وهاهنا في آفاق السماء»**. وفي رواية: **«فإذا الأفق قد سدًّ بوجوه الرجال»**. وفي لفظ أحمد: **«ورأيت أمتي قد ملؤوا السهل والجبل، فأعجبني كثرتهم وهيئتهم»**[2].

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لنا رسول الله ﷺ: **«أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟»** فكبرنا، ثم قال: **«أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟»** قال: فكبرنا، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرةٍ بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثورٍ أبيض»**[3].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة»**[4].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) فتح الباري، ابن حجر.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه الطبراني.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أهل الجنة مائة وعشرون صفاً، هذه الأمة ثمانون منها»**(١).

*** مسألة:**

ورد في بعض الأحاديث أن أمة محمد ﷺ نصف أهل الجنة وفي البعض الآخر أنهم ثلثا أهل الجنة فكيف الجمع بين هذه الأحاديث؟

قال **ابن القيم**: وهذه الأحاديث ـ يعني أحاديث الثلثين ـ قد تعددت طرقها، واختلفت مخارجها وصح سند بعضها، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله ـ سبحانه ـ رجاءه، وزاد عليه ثلثاً آخر(٢).

قلت: ومما يؤكد كلام **ابن القيم** حديث النبي ﷺ الذي يبين أن أمة محمد ثلثي أهل الجنة بقوله: **«أهل الجنة مائة وعشرون صفا، هذه الأمة ثمانون منها»**(٣). وبلا شك أن الثمانين ثلثا المائة والعشرين.

*** فائدة:**

سبب أفضلية أمة محمد ﷺ وكثرة دخولها الجنة راجع لقوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]. وسبب الخيرية من منطوق الآية راجع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذه الوظيفة وظيفة الأنبياء والصالحين، وشأنها جد عظيم، وقد حث الله ـ عز وجل ـ عليها في كتابه وكذا الرسول ولا يجوز التقاعس عنها؛ لأن بها

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة والدارمي وغيره، وقد حسنه الترمذي وصححه الألباني، وله شواهد كثيرة.

(٢) أخطأ ابن القيم في قوله «ثلثاً آخر» ولعل القلم سبقه إلى هذه اللفظة، والصحيح: وزاد عليه «سُدساً» آخر، ويبدو أن هذا مراد ابن القيم لأن النصف والسدس يساوي الثلثين.

(٣) سبق تخريجه.

تحجيم الباطل ثم القضاء عليه، وفي تركها استفحال الباطل وانتشاره، ولا يخفى أنه من أسباب دخول الجنة.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١] فهذا الرجل الصالح لم يمنعه بعد المسافة: ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ أن يأتي ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكانت النتيجة قوله تعالى: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾.

السادة في الجنة

سيدا كهول أهل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري أن الرسول ﷺ قال: **«أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين»**. وهذا الحديث رواه جمع من الصحابة منهم أو جحيفة وجابر بن عبدالله، وعلي بن أبي طالب وأنس بن مالك[١].

سيدا شباب أهل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**[٢].

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، ثم قام يصلي حتى العشاء ثم خرج، فأتبعته، فقال: **«عرض لي ملك استأذن ربه أن يسلم عليَّ ويبشرني في أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**[٣].

وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«ابناي هذان سيدا شباب أهل الجنة»**[٤].

سيدات نساء أهل الجنة:

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة أخطط، ثم قال: **«أتدرون ما هذا؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت**

---

(١) ذكر الألباني طرقه في كتب السنة، وقال: «وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب، لأن بعض طرقه حسن لذاته، وبعضه يستشهد به».

(٢) رواه الترمذي والحاكم والطبراني وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه الترمذي وابن حبان وأحمد والطبراني وغيرهم.

(٤) أخرجه الحاكم وابن عساكر، وصححه الألباني.

عمران، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون»[١] . ومريم وخديجة أفضل الأربعة لما رواه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال: **«خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة»**[٢] . ، ومريم هي السيدة الأولى وأفضل من خديجة لحديث جابر بن عبدالله أنه قال: قال رسول الله ﷺ **«سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران: فاطمة، وخديجة، وآسيا امرأة فرعون»**[٣] .

سيد ريحان الجنة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩] .

وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«سيد ريحان الجنة الحناء»**[٤] .

الجنة تتكلم وتشتاق:

فعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إن الله - تعالى - لما خلق جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾»[٥] .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً، إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة»**[٦] .

وقوله ﷺ: **«اشتاقت الجنة إلى: عليٍّ، وعمَّار، وسلمان»**[٧] .

---

(١) رواه أحمد والحاكم بإسناد صحيح، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني.

(٤) رواه الطبراني بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٥) حسن: أخرجه الطبراني وأبو نعيم وابن أبي الدنيا وله شواهد أخرجها البيهقي والبزار.

(٦) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة وأبو نعيم.

(٧) حسن: أخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وابن الجوزي، وابن عدي.

استئذان الملائكة لزيارة أهل الجنة :

لقوله ﷺ : **«يقول الله ـ عز وجل ـ لمن يشاء من ملائكته : إئتوهم ، فحيوهم ، فتقول الملائكة : نحن سكان سمائك ، وجيرتك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال : إنهم كانوا عباداً يعبدوني ، ولا يشركون بي شيئاً . قال : فتأتيهم عند ذلك ، فيدخلون عليهم من كل باب ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** . وعن مجاهد في قوله تعالىٰ : **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾** [الإنسان : ٢٠] . قال : استئذان الملائكة عليهم(١) .

المؤمن يرى مقعده من الجنة في قبره:

لقوله ﷺ : **«إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعدهُ بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله يوم القيامة»**(٢) . ففي عرض الجنة تشويق لأهلها ، وفي عرض النار عذاب وسوء يصيب أهلها خوفاً من القدوم عليها .

قوم يدخلون الجنة في السلاسل:

لقوله ﷺ : **«عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»**(٣) . ومعنىٰ الحديث : أن مجموعة من المشركين يؤسرون ويسلسلون بالسلاسل ويقيدون بها ويؤتىٰ بهم إلىٰ ديار المسلمين فيتعرفون علىٰ الدين ويسلمون فيدخلون الجنة ، وقيل : أنهم يدخلون الإسلام وهم أسارىٰ لا تزال السلاسل تحيط بأيديهم وأعناقهم فيموتون وهم علىٰ هذه الحال بعد أن أسلموا فيدخلون الجنة علىٰ نفس هذه الحال» . كما جاء في حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : **«يبعث كل عبد علىٰ ما مات عليه»**(٤) . وعن أبي هريرة موقوفاً : **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**

---

(١) قال عنه محقق «صفة الجنة» لأبي نعيم : حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه مسلم .

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»(١).

ارتفاع كل العبادات في الجنة إلا الذكر:

لقوله ﷺ: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاءٌ ورشح كرشح المسك يُلهمون التسبيح والحمد كما يُلهمون النفس**»(٢).

وفي رواية: «**التسبيح والتكبير كما تلهمون**»(٣). والأدلة كثيرة من الكتاب والسنة في ذكر الله في الجنة.

أهل الجنة يتذاكرون ما بينهم في الدنيا:

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١﴾ [الصافات: ٥٠-٥١] وقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الطور: ٢٥-٢٧].

وعن أنس يرفعه: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غَفَر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا دعونا الله فغفر لنا**»(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا كما في «النهاية» لابن كثير، وأبو نعيم في «الحلية»، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب».

ارتفاع العبد في الجنة بدعاء ولده:

لقوله ﷺ: «**إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**»[١].

حسن الجنة في استمرار دائم:

فعن كعب أنه قال: «**ما نظر الله إلى الجنة إلا قال: طيبي لأهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها**»[٢].

ذبح الموت بين الجنة والنار:

لقوله ﷺ: «**يُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ثم يُقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**»[٣].

---

(١) رواه أحمد، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح، غير عاصم بن بهدلة، وقد وثق.

(٢) رواه أبو نعيم وذكره ابن القيم في حادي الأرواح.

(٣) رواه البخاري.

الجنة والشهيد

أنهم أحياء يرزقون:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا**»[(١)].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعو سيوفهم على رقابهم تقطر دماً فازدحموا على باب الجنة فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين**»[(٢)].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**»[(٣)]. وفي رواية أخرى: «**لما يرى من فضل الشهادة**».

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بالرجل من أهل الجنة**

---

(١) رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن حبان في صحيحه والحاكم. وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه الطبراني والحديث إسناده حسن.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

فيقول الله له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل، فيقول: سل وتمنى، فيقول: وما أسألك وأتمنى؟ أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة».

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل»**[1].

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: **«يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قلت: بلى، قال: ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً، وقال يا عبدالله تمنى عليَّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾»**[2].

أرواح الشهداء في أجواف طير في الجنة:

فعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل عرش الرحمن - سبحانه وتعالى - فلما وجدوا أطيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنَّا أنَّا أحياء وفي الجنة نرزق، فقال - تعالى -: أنا أبلغهم عنك، فأنزل الله - عز وجل - قوله ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾»**[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه أبو داود.

وفي صحيح مسلم عن مسروق أنه قال: سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ قال: إنا قد سألنا عن ذلك فقال: **«أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم إطلاعه، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»**[1].

إن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته:

فعن عمران بن عتبة قال: دخلنا على أم الدرداء ـ رضي الله عنها ـ ونحن أيتام فقالت: أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: **«يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»**[2]. وعن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: **«للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعه من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه»**[3].

يغفر له بأول قطرة من دمه ذنوبه كلها ويرى مقعده من الجنة:

لحديث الترمذي المتقدم الذي رواه المقدام، ولحديث سهل ابن أبي أمامة ابن سهل عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أول ما يهراق من دم الشهيد**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجة بإسناد صحيح.

يغفر له ذنوبه»[١] .

وعن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قام فيهم، فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عن خطاياي، فقال رسول الله ﷺ: **«نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، ثم قال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي، فقال رسول الله ﷺ: نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّين فإن جبريل قال لي ذلك»**[٢] .

إن دم الشهيد لا يجف عن الأرض حتى يرى نساءه من الحور العين:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: ذُكر الشهداء عند رسول الله ﷺ فقال ـ عليه السلام ـ: **«لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتاه كأنهما ظئران أظلتا فصيلهما في براح من الأرض، وفي يد كل واحدة منهما حلّة خير من الدنيا وما فيها»**[٣]، وعن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: **«إذا التقى الصفان أهبط الله الحور العين إلى السماء الدنيا فإذا رأين الرجل يرضين قدمه قلن اللهم ثبته، وإن فرَّ احتجبن منه، فإن هو قُتل نزلتا إليه فمسحتا التراب عن وجهه وقالتا: اللهم عفر من عفره وترب من تربه»**[٤] .

أن الملائكة يدخلون على الشهداء من كل باب يسلمون عليهم:

فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذي تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت للرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت**

---

(١) رواه البيهقي في سننه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الإمام عبدالرزاق وابن أبي شيبه وابن ماجه وإسناده حسن.

(٤) رواه عبدالرازق بإسناد صحيح.

وهي في صدره، وإن الله ـ عز وجل ـ ليدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا أو أوذوا وجاهدوا في سبيلي أدخلوا الجنة. فيدخلونها بغير حساب وتأتي الملائكة فيسجدون فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار، ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب ـ عز وجل ـ: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»[1].

(١) رواه الإمام أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وصف الجنة من النونية[1]

صفة الجنة التي أعدها الله لأوليائه المؤمنين:

فـاسمع إذا أوصـافـهـا وصفـات هـا — تيك المنازل ربة الإحسـان
هي جنة طابت وطاب نعيمها — فنعيمها باق وليس بفـان
دار الســلام وجنـة المأوىٰ ومنـ — ـزل عسكر الإيمان والقـرآن
فـالدار دار سـلامـة وخطابهم — فـيـهـا سـلام واسم ذي الغـفـران

عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين:

درجـاتهـا مـائة ومـا بين اثنتـيـ — ـن فـذاك في التـحـقيق للحسبـان
مـثل الذي بين السـمـاء وبين ها — ذي الأرض قـول الصـادق البـرهان
لكن عـاليـهـا هو الفـردوس مسـ — ـتـوف بعـرش الخـالق الرحـمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك كـا — نت قـبـة من أحـسن البنيـان
منه تفـجـر سـائر الأنهـار فـالـ — ـمنبـوع منه نازل بـجنـان

أبواب الجنة:

أبوابهـا حق ثمـانيـة أتت — في النص وهي لصاحب الإحسان
باب الجـهـاد وذاك أعـلاها وبا — ب الصـوم يدعىٰ البـاب بالريان
ولكل سـعي صـالح باب ورب — السـعي منه داخل بأمـان
ولسـوف يدعىٰ المرء من أبوابهـا — جـمـعـاً إذا وَفَّىٰ حلي الإيمان
منهم أبو بكر هو الصـديق ذا — ك خليـفـة المبـعـوث بالقـرآن

---

(١) النونية: قصيدة لابن قيم الجوزية عدد أبياتها أحد وعشرون وثمانمائة وخمسة آلاف بيت.

مقدار ما بينَ الباب والبابِ منها:

سبعون عاماً بين كل اثنين منـ ـها قدرت بالعد والحسبان
هذا حديث لَقيطٍ لمعروف بالـ ـخبر الطويل وذا عظيم الشأن
وعليه كل جلالة ومهابة ولكم حواه بعد من عرفان

مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها:

لكن بينهما مسيرة أربعيـ ـن رواه حبر الأمة الشيباني[1]
في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمرفوع بوجهٍ ثاني
ولقد رُوِي تقديره بثلاثة الـ أيام لكن عند ذي العرفان
أعني البخاري الرَّضي هو منكر وحديث راويه فذو نكران

مفتاح باب الجنة :

هذا وفتح الباب ليس بممكن إلا بمفتاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الإخلاص والتـ ـوحيد تلك شهادة الإيمان
أسنانه الأعمال وهي شرائع الـ إسلام والمفتاح بالأسنان
لا تُلغِيَّن هذا المثال فكم به من حلٍّ إشكال لذي العرفان

مَنشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها:

هذا ومن يدخل فليس بداخل إلا بتوقيع من الرحمن
وكذاك يُكتب للفتى لدخوله من قبل توقيعان مشهوران
إحداهما بعد الممات وعرض أر واح العباد به على الديان
فيقول رب العرش جلَّ جلالُه للكاتبينِ هم أولُو الديوان
ذا الاسم في الديوان يكتب ذاك ديـ ـوان الجنان مجاور المنان
ديوان عليين أصحاب القرآ ن وسنة المبعوث بالقرآن
فإذا انتهى للجسر يوم الحشر يعـ ـطى للدخول إذا كتاباً ثان
عنوانه هذا الكتاب من عزيـ ـز راحم لفلان ابن فلان

---

(١) يعني الامام أحمد بن حنبل الشيباني إمام أهل السنة و(شيبان) بطن من بطون قبيلة بكر بن وائل الشهيرة .

فدعوه يدخل جنة المأوىٰ التي ار | تفعت ولكن القطوف دواني
هذا وقد كُتب اسمه مذ كان في الـ | أرحام قبل ولادة الإنسان
بل قبل ذلك وهو وقت القبضتيـ | ـن كلاهما للعدل والإحسان
سبحان ذي الجبروت والملكوت والـ | إجلال والإكرام والسُّبحان
والله أكبر عالمُ الأسرار والـ | إعلان واللحظات بالأجفان
والحمد لله السميعِ لسائر الـ | أصوات من سر ومن إعلان
وهو الموحَّد والمسبحُ والمُجـ | ـد والحميد ومنزل القرآن
والأمر من قبل ومن بعد له | سبحانك اللّهم ذا السلطان

صفوف أهل الجنة:

هذا وإن صفوفهم عشرون مع | مائة وهذي الأمة الثلثان
يرويه عنه بُريدة إسناده | شرط الصحيح بمسند الشيباني
وله شواهد من حديث أبي هريـ | ـرة وابن مسعود وحبر زمان
أعني ابن عباس وفي إسناده | رجل ضعيف غير ذي إتقان
ولقد أتانا في الصحيح بأنهم | شطر وما اللفظان مختلفان
إذ قال أرجو أن تكونوا شطرهم | هذا رجاء منه للرحمان
أعطاه رب العرش ما يرجو وزا | د من العطاء فِعَال ذي الإحسان

صفة أول زمرة تدخل الجنة:

هذا وأول زمرة فوجُوههم | كالبدر ليل الستّ بعد ثمان
السابقون هم وقد كانوا هنا | أيضاً أولي سبق إلى الإحسان

صفة الزمرة الثانية:

والزمرة الأخرىٰ كأضواء كوكب | في الأفق تنظره به العينان
أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسـ | ـك خالص يا ذلة الحرمان

تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى:

ويرى الذين بذيلها من فوقهم ... مثل الكواكب رؤية بعيان
ما ذاك مختصاً برسل الله بل ... لهم وللصديق ذي الإيمان

أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم:

هذا وأعلاهم فناظرُ ربه ... في كل يوم وقته الطرفان
لكن أدناهم وما فيهم دَنِي ... إذ ليس في الجنات من نقصان
فهو الذي تُلفى مسافة ملكه ... بسنيننا ألفان كاملتان
فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤ ... يته لأدناه القريب الداني
أو ما سمعت بأن آخر أهلها ... يعطيه رب العرش ذو الغفران
أضعاف دنيانا جميعاً عشر أمـ ... ـثال لها سبحان ذي الإحسان

سن أهل الجنة:

هذا وسنهم ثلاث مع ثلا ... ثين التي هي قوة الشبان
وصغيرهم وكبيرهم في ذا على ... حدٍّ سواء ما سوى الولدان
ولقد روى الخدري أيضاً أنهم ... أبناء عشر بعدها عشران
وكلاهما في الترمذي وليس ذا ... بتناقض بل ها هنا أمران
حَذْفُ الثلاث ونيفٍ بعد العقو ... د وذكر ذلك عندهم سيان
عند اتساع في الكلام فعند ما ... يأتو بتحرير فبالميزان

طُول قامات أهل الجنة وعرضهم:

والطُّول طول أبيهم ستون لـ ... ـكن عرضهم سبع بلا نقصان
الطول صح بغير شك في الصحيـ ... ـحين اللذين هما لنا شمسان
والعرض لم نعرفه في إحداهما ... لكن رواه أحمد الشيباني
هذا ولا يخفى التناسب بين هـ ... ـذا العرض والطول البديع الشان
كل على مقدار صاحبه وذا ... تقدير مُتْقِنٍ صنعة الإنسان

حلاهم وألوانهم:

ألـوانـهـم بيـض ولـيس لـهـم لحىٰ ... جـعـد الشـعـور مكحلو الأجـفـان
هذا كـمـال الحسن في أبشـارهم ... وشـعـورهـم وكـذلـك العـينان

لسان أهل الجنة:

ولقـد أتىٰ أثر بأن لسـانهـم ... بالمنطق العـربي خـيـر لسـان
لكن في إسناده نظر فـفـيـ ... ـه راويان ومـا هـمـا ثبـتـان
أعنىٰ العـلاء هو ابن عـمـرو ثم يحـ ... ـي الأشـعـري وذان مـغـمـوزان

ريح أهل الجنة من مسيرة كم يوجد:

والريح يوجـد من مـسـيـرة أربعـيـ ... ـن وإن تشـأ مـائة فـمـرويان
وكـذا روي سـبـعين أيضـاً صح هـ ... ـذا كـلـه وأتـىٰ بـه أثـران
مـا في رجـالـهـمـا لنا من مطعنٍ ... والجـمـع بين الكل ذو إمـكان
ولقـد أتىٰ تقـديره مـائة بخـمـ ... ـس ضـربها من غيـر مـا نقـصـان
إن صح هـذا فـهـو أيضـا والذي ... من قـبله في غـاية الإمكان
إمـا بحـسب المدركين لريحـهـا ... قـربا وبعـداً مـا هـمـا سيـان
أو باخـتـلاف قـرارها وعلوها ... أيضـاً وذلك واضح التـبـيـان
أو باختـلاف السير أيضاً فـهـو أنـ ... ـواع بقـدر إطاقـة الإنسـان
مـا بين ألفـاظ الرسـول تناقض ... بل ذاك في الأفـهـام والأذهان

أسبق الناس دخولاً إلى الجنة:

ونظيـر هذا سـبق أهل الفـقـر للـ ... ـجنات في تقـديره أثـران
مـائة بخـمس ضـربهـا أو أربعـيـ ... ـن كـلاهمـا في ذاك مـحـفـوظان
فـأبو هريرة قـد روي أولاهـمـا ... ورو ىٰ لنا الثـاني صـحـابيـان
هذا بحسب تفاوت الفقراء في اسـ ... ـتحـقـاق سبـقـهم إلىٰ الإحسـان
أو ذا بحـسب تفـاوت في الأغنيـاء ... كـلاهـمـا لا شك مـوجـودان
هـذا وأولهـم دخـولاً خـيـر خلـ ... ـق الله من قـد خص بالقـرآن
والأنبـيـاء علىٰ مـراتبـهـم من التـ ... ـفـضـيل تلك مـواهب المنان

هذا وأمة أحمدٍ سَبَّاقُ با ... قي الخلق عند دخولهم بجنان

وأحقهم بالسَّبق أسبقهم إلى الـ ... إسلام والتصديق بالقرآن

وكذا أبو بكر هو الصديق أسـ ... ـبقهم دخولاً قول ذي البرهان

وروى ابن ماجةَ أن أولهم يصا ... فحه إله العرش ذو الإحسان

ويكون أولهم دخولاً جنة الـ ... ـفردوس ذلك قامع الكفران

فاروق دين الله ناصر قوله ... ورسوله وشرائع الإيمان

لكنه أثر ضعيف فيه مجـ ... ـروح يسمى خالداً ببيان

لو صح كان عمومه المخصوص بالصـ ... ـديق قطعاً غير ذي نكران

هذا وأولهم دخولاً فهو حمـ ... ـاد على الحالات للرحمن

إن كان في السراء أصبح حامداً ... أو كان في الضرا فحمد ثان

هذا الذي هو عارف بإلهه ... وصفاته وكماله الرباني

وكذا الشهيد فسبقه متيقن ... وهو الجدير بذلك الإحسان

وكذلك المملوك حين يقوم بالـ ... ـحقين سَبَّاق بغير توان

وكذا فقير ذو عيال ليس بالـ ... ـملحاح بل ذو عفة وصيان

عدد الجنات وأجناسها:

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة ... جداً ولكن أصلها نوعان

ذهبيتان بكل ما حَوتَاه من ... حُلْيٍ وآنية ومن بنيان

وكذاك أيضاً فضة ثنتان من ... حلي وبنيان وكل أوان

لكن دار الخلد والمأوى وعد ... نٍ والسلام إضافة لمعان

أوصالها استدعت إضافتها إليـ ... ـها مدحةً مع غاية التبيان

لكنما الفردوس أعلاها وأو ... سطها مساكن صفوة الرحمن

أعلاه منزلة لأعلى الخلق منـ ... ـزلة هو المبعوث بالقرآن

وهي الوسيلة وهي أعلى رتبة ... خلصت له فضلاً من الرحمن

ولقد أتى في سورة الرحمن تفـ ... ـصيل الجنان مفصلاً ببيان

هي أربع ثنتان فاضلتان و ... يليهما ثنتان مفضولان

فالأوليان الفضليان لأوجه ... عشر ويعسر نظمها بوزان
وإذا تأملت السياق وجدتها ... فيه تلوح لمن له عينان
سبحان من غرست يداه جنة الـ ... ـفردوس عند تكامل البنيان
ويداه أيضاً أتقنت لبنائها ... فتبارك الرحمن أعظم بان
هي في الجنان كآدم وكلاهما ... تفضيله من أجل هذا الشان
لكنما الجهمي ليس لديه من ... ذا الفضل شيء فهو ذو نكران
ولد عقوق عق والده ولم ... يُثْبِتْ بذا فضلاً على الشيطان
فكلاهما تأثير قدرته وتأ ... ثير المشيئة ليس ثَمَّ يدان
آلاهما أو نعمتاه وخلقه ... كل بنعمة ربه المنان
لما قضى رب العباد العرش قا ... ل تكلمي فتكلمت ببيان
قد أفلح العبد الذي هو مؤمن ... ماذا ادخرت له من الإحسان
ولقد روى حقاً أبو الدرداء ذا ... ك عويمر أثراً عظيم الشان
يهتز قلب العبد عند سماعه ... طرباً بقدر حلاوة الإيمان
ما مثله أبداً يقال برأيه ... أو كان يا أهلا بذا العرفان
فيه النزول ثلاث ساعات فإحـ ... ـداهن ينظر في الكتاب الثاني
يمحو ويثبت ما يشاء بحكمة ... وبعزة وبرحمة وحنان
فترى الفتى يمسي على حال ويصـ ... ـبح في سواها ما هما مثلان
هو نائم وأموره قد دبرت ... ليلاً ولا يدري بذاك الشان
والساعة الأخرى إلى عدنٍ مسا ... كن أهله هم صفوة الرحمن
الرسل ثم الأنبياء ومنهم الصـ ... ـديق حَسْبُ فلا تكن بجبان
فيها الذي والله لا عين رأت ... كلا ولا سمعت به الأذنان
كلا ولا قلب به خطر المثا ... ل له تعالى الله ذو السلطان
والساعة الأخرى إلى هذي السما ... يقول هل من تائب ندمان
أو داع أو مستغفر أو سائل ... أُعطيه إني واسع الإحسان
حتى يصلي الفجر يشهدها مع الـ ... أملاك تلك شهادة القرآن
هذا الحديث بطوله وسياقه ... وتمامه في سنة الطبراني

بناء الجنة:

وبناؤها اللبنات من ذهب وأخـ ـرىٰ فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد أو فضة أو خالص العقيان
وكذاك من دُرٍّ وياقوت به نظم البناء بغاية الإتقان
والطين مسك خالص أو زعفرا ن جا بذا أثران مقبولان
ليس بمختلفين لا تنكرهما فهما الملاط لذلك البنيان

أرضها وحصبائها وتربها:

والأرض مرمرة[1] كخالص فضة مثل المراة تناله العينان
في مسلم تشبيهها بالدرمك[2] الصـ ـافي وبالمسك العظيم الشان
هذا لحسن اللون لكن ذا الطيـ ـب الريح صار هناك تشبيهان
حصباؤها در وياقوت كذا ك لآليءٌ نثرت كنثر جمان
وترابها من زعفران أو من الـ ـمسك الذي ما استُلَّ من غزلان

صفة غرفاتها:

غرفاتها في الجو ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان
سكانها أهل القيام مع الصيا م وطيب الكلمات والإحسان
ثنتان خالص حقه سبحانه وعبيده أيضا لهم ثنتان

خيام أهل الجنة:

للعبد فيها خيمة من لؤلؤ قد جوفت هي صنعة الرحمان
ستون ميلاً طولها في الجو في كل الزوايا أجمل النسوان
يغشىٰ الجميع فلا يشاهد بعضهم بعضاً وهذا لاتساع مكان
فيها مقاصير بها الأبواب من ذهب ودر زين بالمرجان
وخيامها منصوبة برياضها وشواطئ الأنهار ذي الجريان

---

(١) المرمر: نوع من الرخام الصلب. (النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٢١).

(٢) الدرمك: هو دقيق الحواري، والتراب الناعم. (النهاية في غريب الحُديث ٢/ ١١٤ ـ ١١٥).

ما في الخيام سوى التي لو قابلت … لنيرين لقلت منكسفان
لله هاتيك الخيام فكم بها … للقلب من علق ومن أشجان
فيهن حور قاصرات الطرف خيـ … ـرات حسان هن خير حسان
خيرات أخلاق حسان أوجها … فالحسن والإحسان متفقان

أرائكها وسررها:

فيها الأرائك وهي من سرر عليـ … ـهن الحجال كثيرة الألوان
لا تستحق اسم الأرائك دون ها … تيك الحجال وذاك وضع لسان
بشخانة(1) يدعونها بلسان فا … رس وهو ظهر البيت ذي الأركان

أشجارها وثمارها وظلالها:

أشجارها نوعان منها ما له … في هذه الدنيا مثال ثان
كالسدر أصل النبق مخضود مكا … ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
هذا وظل السدر من خير الظلا … ل ونفعه الترويح للأبدان
وثماره أيضاً ذوات منافع … من بعضها تفريح ذي الأحزان
والطلح وهو الموز منضود كما … نضدت يد بأصابع وبنان
أو أنه شجر البوادي موقراً … حملاً مكان الشوك في الأغصان
وكذلك الرمان والأعناب والنـ … ـخل التي منها القطوف دوان
هذا ونوع ما له في هذه الد … نيا نظير كي يرى بعيان
يكفي من التعداد قول إلهنا … من كل فاكهة بها زوجان
أتوا به متشابها في اللون مخـ … ـتلف الطعوم فذاك قول ثان
أو أنه متشابه في الاسم مخـ … ـتلف الطعوم فذاك ذو ألوان
أو أنه وسط خيار كله … فالفحل منه ليس ذا ثنيان
أو أنه لثمارنا ذي مشبه … في اسم ولون ليس يختلفان
لكن لبهجتها ولذة طعمها … أمر سوى هذا الذي تجدان

---

(1) أي: الأريكة، والكلمة فارسية. (شرح ابن عيسى ٢/ ٥١٠).

فـيـلذها في الأكل عند منالـهـا ... وتـلـذهـا من قـبـلـه العـيـنان
قـال ابن عـبـاس ومـا بالجنة الـ ... ـعليـا سـوى أسـمـاء مـا تريان
يعني الحـقـائق لا تماثل هذه ... وكـلاهـمـا في الاسم متـحـدان
يا طيب هاتيك الثمـار وغـرسـهـا ... في المسك ذاك التـرب للبسـتـان
وكـذلك الماء الذي يسـقى به ... يا طيب ذاك الورد للظمـآن
وإذا تناولت الثـمـار أتت نظيـ ... ـرتهـا فـحلت دونهـا بمكان
لـم تنقطع أبداً ولـم تـرقب نـزو ... ل الشمس من حمل إلى ميـزان
وكـذاك لم تمنع ولم تحتج إلى ... أن ترتقي للقنو في العـيدان
بل ذللت تلك القطوف فكيف مـا ... شـئت انتزعت بأسـهل الإمكان
ولقـد أتى أثر بأن السـاق من ... ذهب رواه الترمـذي ببـيـان
قـال ابن عـبـاس وهاتيك الجـذو ... ع زمـرد من أحـسـن الألوان
ومـقطعـاتهم من الكرب الذي ... فـيـهـا ومن سعـة من العقـيـان
وثمـارها مـا فيـه من عـجم كـأمـ ... ـثـال القـلال فجل ذو الإحـسـان
وظلالهـا ممدودة ليـست تقي ... حـراً ولا شـمـسـاً وأنى ذان
أو مـا سـمعت بظل أصل واحـد ... فـيـه يسـيـر الراكب العـجـلان
مـائة سنين قـدرت لا تنقـضي ... هـذا العـظيـم الأصل والأفـنـان
ولقـد روى الخـدري أيضـاً أن طو ... بى قـدرها مـائة بلا نقـصـان
تتـفـتح الأكمـام فـيـهـا عن لبا ... سـهـم بما شـاؤوا من الألوان

في سماع أهل الجنة:

قـال ابن عـبـاس ويرسل ربنا ... ريحـاً تهـز ذوائب الأغـصـان
فـتـثـيـر أصـواتاً تلذ لسـمع الـ ... إنسـان كـالنغـمـات بالأوزان
يا لذة الأسـمـاع لا تتـعـوضي ... بلذاذة الأوتار والعـيـدان
أو ما سـمعت سمـاعهم فيها غنا ... ء الحـور بالأصـوات والألحـان
واهـاً لذياك السـمـاع فـإنه ... ملئت به الأذنان بالإحـسـان

وها لذياك السماع وطيبه | من مثل أقمار على أغصان
واها لذياك السماع فكم به | للقلب من طرب ومن أشجان
واها لذياك السماع ولم أقل | ذياك تصغيراً له بلسان
ما ظن سامعه بصوتٍ أطيب الـ | أصوات من حور الجنان حسان
نحن النواعم والخوالد خيرا | ت كاملات الحسن والإحسان
لسنا نموت ولا نخاف وما لنا | سخط ولا ضغن من الأضغان
طوبى لمن كنا له وكذاك طو | بى للذي هو حظنا لفظان
في ذاك آثار روين وذكرها | في الترمذي ومعجم الطبراني
ورواه يحيي شيخ الأوزاعي تفـ | ـسيراً للفظة يحبرون أغان
نزه سماعك إن أردت سماع ذيا | ك الغنا عن هذه الألحان
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتحـ | ـرم ذا وذا يا ذلة الحرمان
إن اختيارك للسماع النازل الـ | أدنى على الأعلى من النقصان
والله إن سماعهم في القلب والـ | إيمان مثل السُّمِّ في الأبدان
والله ما أنفك الذي هو دأبه | أبداً من الإشراك بالرحمن
فالقلب بيت الرب جل جلاله | حباً وإخلاصاً مع الإحسان
فإذا تعلق بالسماع أصَاره | عبداً لكل فلانة وفلان
حب الكتاب وحب ألحان الغنا | في قلب عبد ليس يجتمعان
ثَقل الكتاب عليهم لما رأوا | تقييده بشرائع الإيمان
واللهو خف عليهم لما رأوا | ما فيه من طرب ومن ألحان
قوت النفوس وإنما القرآن قو | ت القلب أني يستوي القوتان
ولذا تراه حظ ذي النقصان كالـ | ـجُهال والصبيان والنسوان
والذهم فيه أقلهم من الـ | ـعقل الصحيح فسل أخا العرفان
يا لذة الفساق لست كلذة الـ | أبرار في عقل ولا قرآن

أنهار الجنة:

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاؤوا مفجـ ـرةً وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم خمـ ـر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه لكن هما في اللفظ مجتمعان
هذا وبينهما يسير تشابه وهو اشتراك قام بالأذهان

في طعام أهل الجنة:

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ولحومُ طيرٍ ناعم وسمان
وفواكه شتى بحسب مناهم يا شبعةً كملت لذي الإيمان
لحم وخمر والنسا وفواكه والطيب مع روح ومع ريحان
وصحافهم ذهب تطوف عليهم بأكف خدام من الولدان
وانظر إلى جعل اللذاذة للعيو ن وشهوة للنفس في القرآن
للعين منها لذة تدعو إلى شهواتها بالنفس والأمران
سبب التناول وهو يوجب لذة أخرى سوى ما نالت العينان

شرابهم:

يسقون فيها من رحيق ختمه بالمسك أوله كمثل الثاني
مع خمرة لذت لشاربها بلا غول ولا داء ولا نقصان
والخمر في الدنيا فهذا وصفها تغتال عقل الشارب السكران
وبها من الأدواء ما هي أهله ويخاف من عدم لذي الوجدان
فنفى لنا الرحمن أجمعها عن الـ خمر التي في جنة الحيوان
وشرابهم من سلسبيل مزجه الـ كافور ذاك شراب ذي الإحسان
هذا شراب أولي اليمين ولكن الـ أبرار شربهم شراب ثان
يُدعى بتسنيم سنام شربهم شرب المقرب خيرة الرحمن
صفى المقرب سعيه فصفا له ذاك الشراب فتلك تصفيتان

لكن أصحاب اليمين فأهل مز ... ج بالمباح وليس بالعصيان
مزج الشراب لهم كما مزجوا هم الـ ... أعمال ذاك المزج بالميزان
هذا وذو التخليط مزجى أمره ... والحكم فيه لربه الديان

مصرف طعامهم وشرابهم وهضمه:

هذا وتصريف المآكل منهم ... عرق يفيض لهم من الأبدان
كروائح المسك الذي ما فيه خلـ ... ـط غيره من سائر الألوان
فتعود هاتيك البطون ضوامراً ... تبغي الطعام على مدى الأزمان
لا غائط فيها ولا بول ولا ... مخط ولا بصق من الإنسان
ولهم جشاء ريحه مسك يكو ... ن به تمام الهضم بالإحسان
هذا وهذا صح عنه فواحد ... في مسلم ولأحمد الأثران

لباس أهل الجنة:

وهم الملوك على الأسرة فوق ها ... تيك الرؤوس مرصع التيجان
ولباسهم من سندس خضر ومن ... استبرق نوعان معروفان
ما ذاك من دود بنى من فوقه ... تلك البيوت وعاد ذو طيران
كلا ولا نسجت على المنوال نسـ ... ـج ثيابنا بالقطن والكتان
لكنها حلل تشقّ ثمارها ... عنها رأيت شقائق النعمان
بيض وخضر ثم صفر ثم حمـ ... ـر كالرباط بأحسن الألوان
لا تقرب الدنس المقرب للبلى ... ما للبلى فيهن من سلطان
ونصيف إحداهن وهو خمارها ... ليست له الدنيا من الأثمان
سبعون من حلل عليها لا تعو ... ق الطرف عن مخ ورا الساقان
لكن يراه من ورا ذا كله ... مثل الشراب لدى زجاج أوان

فرشهم وما يتبعها:

والفـرش من اسـتبـرق قـد بطنت ... مـــا ظنكم بظـهـــارة لبطان
مـرفـوعـة فـوق الأسـرة يتكي ... هو والحـبـيـب بخلوة وأمـــان
يتـحـدثان على الأرائك مـا ترى ... حـين في الخلوات يتـنـاجـيـان
هـذا وكـم زربيـــــة ونمارق ... ووسـائد صـفـت بلا حـسـبـان

حلي أهل الجنة:

والحلي أصـفى لؤلؤ وزبرجـد ... وكــذا أسـورة من العـقـيـان
مـــا ذاك يخـتص الإناث وإنما ... هو للإناث كـذاك للذكـران
التـاركين لبـاسـه في هذه الد ... نيــا لأجل لبــاســه بجنان
أو مـا سـمـعت بأن حليـتـهـم إلى ... حـيث انتـهـاء وضـوئهم بوزان
وكـذا وضـوء أبي هريرة كـان قـد ... فـازت به العـضـدان والسـاقـان
وسـواه أنكر ذا عليـه قـائلاً ... مـا الساق موضع حلية الإنسان
مـا ذاك إلا مـوضـع الكعـبين والز ... ندين لا السـاقـان والعـضـدان
وكـذاك أهل الفـقـه مـختلفـون في ... هذا وفـيـه عندهم قـولان
والراجح الأقـوى انتـهـاء وضـوئنا ... للمـرفـقين كـذلك الكعـبـان
هذا الذي قـد حـده الرحـمن في الـ ... قـرآن لا تعـدل عن القـرآن
واحـفظ حـدود الرب لا تتـعـدها ... وكـذاك لا تجنح إلى النقـصـان
وانظر إلى فعل الرسول تجـده قـد ... أبدى المراد وجـاء بالتـبـيـان
ومن اسـتطاع يطيل غـرتـه فـمـو ... قـوف على الراوي هو الفـوقـاني
فـأبو هريرة قـال ذا من كـيـسـه ... فـغـدا يميـزه أولو العـرفـان
ونعـيم الراوي له قـد شك في ... رفع الحديث كـذا روى الشـيـباني
وإطالة الغـرات لـيس بممكن ... أبداً وذا في غـاية التـبـيـان

صفة عرائس الجنة

وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن:

يا من يطوف بكعبة الحسن التي ... حفتَ بذاك الحِجْرِ والأركان
ويظل يسعى دائماً حول الصفا ... ومحسر مسعاه لا العلمان
ويروم قربان الوصال على منى ... والخيف يحجبه عن القربان
فلذا تراه محرماً أبداً ومو ... ضع حله منه فليس بدان
يبغي التمتع مفرداً عن حبه ... متجرداً يبغي شفيع قران
فيظل بالجمرات يرمي قلبه ... هذي مناسكه وكل زمان
والناس قد قضوا مناسكهم وقد ... حثوا ركائبهم إلى الأوطان
وحدت بهم همم لهم وعزائم ... نحو المنازل أول الأزمان
رفعت لهم في السير أعلام الوصا ... ل فشمروا يا خيبة الكسلان
ورأوا على بعد خياماً مشرفا ... ت مشرقات النور والبرهان
فتيمموا تلك الخيام فآنسوا ... فيهن أقماراً بلا نقصان
من قاصرات الطرف لا تبغي سوى ... محبوبها من سائر الشبان
قصرت عليه طرفها من حسنه ... والطرف في ذا الوجه للنسوان
أو أنها قصرت عليه طرفه ... من حسنها فالطرف للذكران
والأول المعهود من وضع الخطا ... ب فلا تحد عن ظاهر القرآن
ولربما دلت إشارته على الثا ... ني فتلك إشارة لمعان
هذا وليس القاصرات كمن غدت ... مقصورة فهما إذاً صنفان
يا مطلق الطرف المعذب في الألي ... جردن عن حسن وعن إحسان
لا تسبينك صورة من تحتها الد ... اء الدوي تبوء بالخسران
قَبُحت خلائقها وقَبُحَ فعلها ... شيطانة في صورة الإنسان
تنقاد للأنذال والأرذال هم ... أكفاؤها من دون ذي الإحسان

مــا ثم من دين ولا عــقل ولا ... خلق ولا خــوف من الرحــمن
وجــمــالهــا زور ومصنوع فإن ... تركــتــه لم تطمح لهـا العـينان
طبعت على ترك الحِفَاظ فما لها ... بوفــاء حق البــعل قط يدان
إن قصر الساعي عليها ساعة ... قــالت وهل أَوْلَيْتَ من إحــسـان
أو رام تقويماً لها استعصت ولم ... تقبل سوى التعويج والنقصان
أفكارها في المكر والكيد الذي ... قـد حـار فـيـه فكرة الإنسان
فجمالها قشر رقيق تحته ... ما شئت من عيب ومن نقصان
نقد رديء فوقه من فضة ... شيء يظن به من الأثمان
فالناقدون يرون ماذا تحته ... والناس أكثرهم من العميان
أما جميلات الوجوه فخائنا ... ت بعولهن وهن للأخدان
والحافظات الغيب منهن التي ... قد أصبحت فرداً من النسوان
فانظر مصارع من يليك ومن خلا ... من قبل من شيب ومن شبان
وارغب بعقلك أن تبيع العالي الـ ... باقي بذا الأدنى الذي هو فاني
إن كان قد أعياك خود مثل ما ... تبغي ولم تظفر إلى ذا الآن
فاخطب من الرحمن خوداً ثم قد ... م مهرها ما دمت ذا إمكان
ذاك النكاح عليك أيسر إن يكن ... لك نسبة للعلم والإيمان
والله لم تخرج إلى الدنيا للذ ... ة عيشها أو للحطام الفاني
لكن خرجت لكي تعد الزاد للـ ... أخرى فجئت بأقبح الخسران
أهملت جمع الزاد حتى فات بل ... فات الذي ألهاك عن ذا الشان
والله لو أن القلوب سليمة ... لتقطعت أسفاً من الحرمان
لكنها سكرى بحب حياتها الد ... نيا وسوف تفيق بعد زمان

صفات الحور العين:

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان

حور حسان قد كملن خلائقاً ومحاسناً من أجمل النسوان

حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد ألبست فالطرف كالحيران

ويقول لما أن يشاهد حسنها سبحان معطي الحسن والإحسان

والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان

كملت خلائقها وأكمل حسنها كالبدر ليل الست بعد ثمان

والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان

فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ليل وشمس كيف يجتمعان

ويقول سبحان الذي ذا صنعه سبحان متقن صنعة الإنسان

لا الليل يدرك شمساً فتغيب عنـ ـد مجيئه حتى الصباح الثاني

والشمس لا تأتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان

وكلاهما مرآة صاحبه إذا ما شاء يبصر وجهه يريان

فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان

حمر الخدود ثغورهن لآلئ سود العيون فواتر الأجفان

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضيء سقف القصر بالجدران

ولقد روينا أن برقاً ساطعاً يبدو فيسأل عنه من بجنان

فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك في الجنة العليا كما تريان

لله لاثم ذلك الثغر الذي في لثمه إدراك كل أمان

ريانة الأعطاف من ماء الشبا ب فغصنها بالماء ذو جريان

لما جرى ماء النعيم بغصنها حمل الثمار كثيرة الألوان

فالورد والتفاح والرمان في غصن تعالى غارس البستان

والقد منها كالقضيب اللُّدن في حسن القوام كأوسط القضبان

في مغرس كالعاج تحسب أنه عالي النقا أو واحد الكثبان

لا الظهر يلحقها وليس ثديُّها بلواحق للبطن أو بدوان

لكنهن كواعب ونواهد فثديهن كألطف الرمان

والجيد ذو طول وحسن في بيا ... ض واعتدال ليس ذا نكران
يشكو الحلي بعاده فله مدى الـ ... أيام وسواس من الهجران
والمعصمان فإن تشأ شبههما ... بسبيكتين عليهما كفان
كالزبد ليناً في نعومة ملمس ... أصداف در دورت بوزان
والصدر متسع على بطن لها ... حفت به خصران ذات ثمان
وعليه أحسن سرة هي مجمع الـ ... خصرين قد غارت من الأعكان
حق من العاج استدار وحوله ... حبات مسك جل ذو الإتقان
وإذا انحدرت رأيت أمراً هائلاً ... ما للصفات عليه من سلطان
لا الحيض يغشاه ولا بول ولا ... شيء من الآفات في النسوان
فخذان قد حفا به حرساً له ... فجنابه في عزة وصيان
قاما بخدمته هو السلطان بيـ ... نهما وحق طاعة السلطان
وهو المطاع أميره لا ينثني ... عنه ولا هو عنده بجبان
وجماعها فهو الشفاء لصبها ... فالصب منه ليس بالضجران
وإذا يجامعها تعود كما أتت ... بكراً بغير دم ولا نقصان
فهو الشهي وعضوه لا ينثني ... جاء الحديث بذا بلا نكران
ولقد روينا أن شغلهم الذي ... قد جاء في يس دون بيان
شغل العروس بعرسه من بعد ما ... عبثت به الأشواق طول زمان
بالله لا تسأله عن أشغاله ... تلك الليالي شأنها ذو شان
واضرب لهم مثلاً بصب غاب عن ... محبوبه في شاسع البلدان
والشوق يزعجه إليه وما له ... بلقائه سبب من الإمكان
وافى إليه بعد طول مغيبه ... عنه وصار الوصل ذا إمكان
أتلومه إن صار ذا شغل به ... لا والذي أعطى بلا حسبان
يا ربِّ غفراً قد طغت أقلامنا ... يا رب معذرة من الطغيان
أقدامها من فضة قد ركبت ... من فوقها ساقان ملتفان
والساق مثل العاج ملموم يرى ... مخ العظام وراءه بعيان
والريح مسك والجسوم نواعم ... واللون كالياقوت والمرجان

وكـلامـهـا يسبي العـقـول بنغـمـة زادت على الأوتار والعــيـــدان
وهي العــروب بشكلهـا وبدلهـا وتحـــــــبب للـزوج كـل أوان
وهي التي عند الجـمــاع تزيد في حـــركـــاتـهـــا للعين والأذنان
لطفـــاً وحـــسـن تبــعـل وتغنج وتحـبب تفـسـيـر ذي العـرفـان
تلك الحـلاوة والملاحــة أوجـبـا إطلاق هذا اللفظ وضع لســان
فـمـلاحـة التـصـوير قـبل غناجـهـا هي أول وهـي المحل الـثــــاني
فـإذا همـا اجـتـمـعـا لصب وامق بـلـغـت بـه الـلـذات كـل مـكـان
أتراب سن واحــد مـتـمــاثل سن الشـبـاب لأجـمـل الشـبـان
بكر فلم يأخـذ بكارتهـا سـوى الـ ـمـحـبـوب من إنس ولا من جـان
حـصن عليـه حـارس من أعظم الـ ـحـــراس بأســا شــأنه ذو شــان
فــإذا أحس بداخل للحـصن ولى هـارباً فــتـــراه ذا إمــعـــان
ويعـود وهنا حين رب الحـصن يخـ ـرج منه فـهـو كـذا مدى الأزمـان
وكـــذا رواه أبو هريرة أنهـــا تنصـاع بكراً للجـمـــاع الثـاني
لكن دراجـــاً أبا الســمح الذي فـيــه يضـعـفـه أولو الإتقـان
هذا وبعـضـهـم يصـحح عنه في «التـ ـفـسـيـر» كـالمولود من حـبـان
فـحـديثـه دون الصـحـيـح وأنه فـوق الضـعـيف وليس ذا إتقـان
يعطي المجـامع قـوةَ المائة التي اجـ ـتـمـعـت لأقـوى واحـد الإنسـان
لا إن قـــوته تضـــاعف هـكـذا إذ قـد يكون لأضـعـف الأركـان
ويكون أقـــوى منه ذا نقص من الـ إيمان والأعـــمـــال والإحـــســـان
ولقـــد روينا أنه يغـــشى بيـــو م واحـــدٍ مـــائة من النســوان
ورجـاله شـرط الصـحـيح رووا لهم فـيـه وذا في مـعـجم الطبـراني
هذا دليل أن قـــدر نســـائهم مـتـفـاوت بتـفـاوت الإيمان
وبه يـزول تـوهـم الإشـكـال عـن تلك النصـوص بمنة الرحـمـان
ويقــوة المائة التي حــصلت له أفــضى إلى مـــائة بلا خـــوران
وأعـــفـــهم في هذه الدنيـــا هو الـ أقـوى هناك لزهده في الفــاني
فـاجـمع قـواك لما هناك وغـمض الـ ـعـينين واصـبـر سـاعـةً لزمـان

ما ههنا والله ما يسوي قلا ... مة ظفر واحدة ترى بجنان
ما ههنا إلا النقار وسيئ الـ ... أخلاق مع عيب ومع نقصان
همٌ وغم دائم لا ينتهي ... حتى الطلاق أو الفراق الثاني
والله قد جعل النساء عوانياً ... شرعاً فأضحى البعل وهو العاني
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن ... تفعل رجعت بذلة وهوان
وإذا بدت في حلة من لبسها ... وتمايلت كتمايل النشوان
تهتز كالغصن الرطيب وحمله ... ورد وتفاح على رمان
وتبخترت في مشيها ويحق ذا ... ك لمثلها في جنة الحيوان
ووصائف من خلفها وأمامها ... وعلى شمائلها وعن أيمان
كالبدر ليلة تمه قد حف في ... غسق الدجى بكواكب الميزان
فلسانه وفؤاده والطرف في ... دهش وإعجاب وفي سبحان
فالقلب قبل زفافها في عرسه ... والعرس إثر العرس متصلان
حتى إذا ما واجهته تقابلا ... أرأيت إذ يتقابل القمران
فسل المتيم هل يحل الصبر عن ... ضم وتقبيل وعن فلتان
وسل المتيم أين خلف صبره ... في أي وادٍ أم بأي مكان
وسل المتيم كيف حالته وقد ... ملئت له الأذنان والعينان
من منطق رقت حواشيه ووجـ ... ـه كم به للشمس من جريان
وسل المتيم كيف عيشته إذا ... وهما على فرشيهما خلوان
يتساقطان لآلئاً منثورة ... من بين منظوم كنظم جمان
وسل المتيم كيف مجلسه مع الـ ... ـمحبوب في روح وفي ريحان
وتدور كاسات الرحيق عليهما ... بأكف أقمار من الولدان
يتنازعان الكأس هذا مرة ... والخود أخرى ثم يتكئان
فيضمها وتضمه أرأيت معشـ ... ـوقين بعد البعد يلتقيان
غاب الرقيب وغاب كل منكد ... وهما بثوب الوصل مشتملان
أتراهما ضجرين من ذا العيش لا ... وحياة ربك ما هما ضجران
ويزيد كل منهما حباً لصا ... حبه جديداً سائر الأزمان

ووصاله يكسوه حباً بعده | متسلسلاً لا ينتهي بزمان
فالوصل محفوف بحب سابق | وبلاحق وكلاهما صنوان
فرق لطيف بين ذاك وبين ذا | يدريه ذو شغل بهذا الشان
ومزيدهم في كل وقت حاصل | سبحان ذي الملكوت والسلطان
يا غافلاً عما خلقت له انتبه | جد الرحيل فلست باليقظان
سار الرفاق وخلفوك مع الألىٰ | قنعوا بذا الحظ الخسيس الفاني
ورأيت أكثر من ترىٰ متخلفاً | فتبعتهم ورضيت بالحرمان
لكن أتيت بخطتي عجز وجهـ | ـل بعد ذا وصحبت كل أمان
منَّتْك نفسك باللحاق مع القعو | د عن المسير وراحة الأبدان
ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا | ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

الخاتمــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإني أحمد الله كثيراً على توفيقه في إكمال هذا البحث وإتمامه، وأحمده أن وفقني - سبحانه - إلى جمع شتاته ولم شعثه، فإني بذلت جهدي ما استطعت في تقديم الصحيح الثابت، ونأيت عن الضعيف الزائف مما قيل وكتب حول الجنة، فهو جهد سنة كاملة من القراءة المتصلة والبحث الدقيق وأعمال الفكر والرجوع إلى العلماء حتى خرج في هذا السِفْر العظيم، وقد توصلت في هذا البحث إلى الكثير من النتائج أُجمل خلاصتها فيما يلي:

١ - أن الجنة مخلوقة وهي موجودة الآن، ويتنعم فيها بعض الشهداء.

٢ - أن مكانها خارج نطاق السماوات السبع في مكان منفصل عنها، لا كما يقول البعض من أنها داخله في نطاق السموات وموجوده بين سماءين.

٣ - أن مفتاحها كلمة التوحيد فلا يدخلنها مشرك أبدا.

٤ - أن دخولها برحمه الله، والارتقاء فيها بالأعمال.

٥ - أنه لا يوجد في الجنة مما هو في الدنيا إلا الأسماء.

٦ - أن العقول مهما حاولت أن تتصور نعيم الجنة فهو بخلاف ذلك؛ إذ لا طاقة للعقل البشري في إدراك ذلك النعيم أو الإحاطة به لأنه فوق حدود العقل وخواطر القلوب.

٧ - أن أهل الجنة في نعيم دائم سرمدي لا ينقطع ولا يزول بل هو في ازدياد على مرِّ الدهور والأزمان.

٨ - إمكانية زيادة الأملاك في الجنة بكثرة الأعمال الصالحة وحسنها.

٩ - أن للجنة ثمانية أبواب فقط، لا كما يقول بعض أهل العلم أن لكل درجة ثمانية أبواب، أو أن الأبواب أكثر من ثمانية.

١٠ ـ أن الجنة فيها من الثمار والمآكل والمشارب والأشجار والأثاث ما لا يُعرف له مثيل في الدنيا ولا اسم وكان التركيز على بعضها وذكره دون غيره إنما هو من قبيل المخُاطبة بما هو موجود في بيئة المُخاطَب.

١١ـ أن غلمان أهل الجنة خلق من خلق الجنة خلقهم الله لخدمة أسيادهم، وليسوا أطفال المسلمين الذين ماتوا وهم صغار.

١٢ ـ أن الجنة لا نوم فيها ولا ولادة ولا ليل فيها ولا نهار بل هم في نور دائم.

١٣ ـ أن الجنة كالقبة أعلاها هو أوسطها وأفضلها.

١٤ ـ أن الرجل في الجنة يملك الكثير من النساء من الزوجات وغيرهن من الجواري.

١٥ ـ أن المرأة ذات الأزواج تكون في الجنة لآخر أزواجها ـ هذا هو الأصل ـ وإن لم ترتضِ منه ديناً أو خلقاً فإنها تختار أفضل أزواجها.

١٦ ـ أن نعيم الجنة للروح والجسد معاً لا كما يقول الفلاسفة بأنه للروح دون الجسد.

١٧ ـ أن أعظم نعيم في الجنة رؤية الله ـ عز وجل ـ المتواترة والثابتة في الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم.

١٨ ـ أنه من حقق التوحيد الخالص دخل الجنة بغير حساب ولا عقاب.

١٩ ـ أنه لا يستلزم من أسبقية الدخول أفضلية الداخل.

٢٠ ـ أن أمة محمد ﷺ أكثر أهل الجنة إذا بلغت ثلثي أهل الجنة.

٢١ ـ أن الجنة التي سكنها آدم ـ عليه السلام ـ هي جنة المأوىٰ وهو رأي الجمهور.

٢٢ ـ أن ما ورد في بعض الأدلة من أن الجنة تحرم علىٰ مرتكب بعض الكبائر إنما هو تحريم دخول ابتداء لا تأبيد تحريم.

٢٣ ـ أن مسألة فناء النار مسألة قديمة وهي واردة عن بعض الصحابة وكبار أئمة الدين، والذي أميل إليه في هذه المسألة ولا أقطع به أن النار تفنى بعد أن يلبث الكفار فيها أحقاباً عديدة، ولكن لا يكون مآلهم إلى الجنة بعد فنائها لأنه ليس من حكمة الرب الرحيم أن يخلق نفوساً لا يزول خبثها بالعذاب الطويل، ويستمر عذابها إلى أبد الآباد ولورود آيات تقيد المطلق منها وأنه لم يرد عن الصحابة قول واحد يقول بعدم فنائها وإنما الوارد عنهم هو فنائها. . . ـ والله أعلم ـ.

وبعد . . هذا ما أعانني الله عليه ووفقني إليه وإني اقترح على طلبة العلم والمختصين في هذا الباب بالمزيد من البحوث والتحقيق ثم عرضها بصورة جديدة وحلة قشيبة ينشد من خلالها رضا الله ثم التأثير على القارئ، والبعد عن العرض الجامد، وأن يحاولوا تتبع الشبه التي يقذفها أعداء الدين ويوسوس بها الشيطان وتفنيدها، وأن يتقوا الله عز وجل فيما يكتبون ولا يتسرعون في النتائج.

ثم إني أطلب من كل قارئ انتفع بهذا الكتاب أن يدعو لي ولوالدي وللمؤمنين كما أسأله ـ سبحانه ـ أن يغفر ذنوبنا، ويثبت على الحق أقدامنا، وأن يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين، وأن يُسبغ علينا رحمته، ويدخلنا جنته مع السابقين، والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١/ ١١/ ١٤٢٤هـ

ص ب: ٢٧٦٧٣٥

رمز بريدي: ١١٣١٤

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم .
٢ـ صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل البخاري .
٣ـ صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري .
٤ـ مسند الإمام أحمد ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني .
٥ـ سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني .
٦ـ سنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي .
٧ـ سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني .
٨ـ جامع الترمذي ، محمد عيسى الترمذي .
٩ـ مصنف ابن أبي شيبه ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي .
١٠ـ موطأ الإمام مالك ، مالك بن أنس الأصبحي .
١١ـ المستدرك ، للحاكم أبي عبد الله بن البيع النيسابوري .
١٢ـ سنن الدارمي ، للدارمي .
١٣ـ سنن الدارقطني ، للدارقطني .
١٤ـ صحيح ابن حبان ، لابن حبان .
١٥ـ معجم الطبراني ، للطبراني .
١٦ـ الكامل ، ابن عدي .
١٧ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
١٨ـ شرح النووي على صحيح مسلم ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي .
١٩ـ شرح الكرماني على صحيح البخاري ، للكرماني .

٢٠ـ الترغيب والترهيب، الحافظ عبد العظيم عبد القوي المنذري.

٢١ـ الترغيب والترهيب، ابن أبي الدنيا.

٢٢ـ البعث والنشور، البيهقي.

٢٣ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي.

٢٤ـ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي.

٢٥ـ ضوء الساري إلىٰ معرفة رؤية الباري، شهاب الدين أحمد محمد الشافعي.

٢٦ـ فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان.

٢٧ـ الفتوحات الإلهية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي.

٢٨ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علىٰ بن أبي بكر الهيثمي.

٢٩ـ الأساس في التفسير، سعيد حوىٰ.

٣٠ـ الجنة وصفة أهل الجنة، موفق سيرجيه.

٣١ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، أبو المظفر الإسفراييني.

٣٢ـ صفة الجنة، أبو نعيم الأصبهاني.

٣٣ـ صفة الجنة، ابن كثير.

٣٤ـ صفة الجنة، ابن أبي الدنيا.

٣٥ـ تفسير الماتريدي «تأويلات أهل السنة»، محمد الماتريدي السمرقندي.

٣٦ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي.

٣٧ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

٣٨ـ تفسير المنار، محمد رشيد رضا.
٣٩ـ تفسير التبيان، محمد بن الحسن الطوسي.
٤٠ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي.
٤١ـ زاد المسير في علم التفسير، أبو فرج بن الجوزي.
٤٢ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم «تفسير أبي السعود»، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي.
٤٣ـ جامع البيان في تفسير القرآن «تفسير الطبري»، محمد بن جرير الطبري.
٤٤ـ الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي.
٤٥ـ في ظلال القرآن، سيد قطب.
٤٦ـ تفسير النسفي، للنسفي.
٤٧ـ روح المعاني، الألوسي.
٤٨ـ النكت والعيون، علي بن حبيب الماوردي.
٤٩ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري.
٥٠ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني.
٥١ـ تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة.
٥٢ـ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي.
٥٣ـ اليواقيت والجواهر، الشعراني.
٥٤ـ فتح القدير، الشوكاني.
٥٥ـ معاني القرآن، الفراء.
٥٦ـ لوامع الأنوار البهيَّة، السفاريني.
٥٧ـ آراء أهل المدينة الفاضلة، أبو نصر الفارابي.

٥٨ ـ إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد، محمد بن علي الشوكاني.
٥٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني.
٦٠ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني.
٦١ ـ الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٦٢ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني.
٦٣ ـ فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، محمد بن محمد الغزالي.
٦٤ ـ تلبيس إبليس، جمال الدين ابي الفرج ابن الجوزي.
٦٥ ـ التجريد في كلمة التوحيد، أحمد بن محمد الطوسي الغزالي.
٦٦ ـ الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، أحمد بن محمد الإسكندري.
٦٧ ـ التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، عودة خليل أبو عودة.
٦٨ ـ قواعد الإعتقاد، محمد بن محمد الغزالي.
٦٩ ـ اسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.
٧٠ ـ الكامل في ضعفاء الرجال، الحافظ عبد الله بن عدي الجرجاني.
٧١ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور.
٧٢ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي.
٧٣ ـ تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري.
٧٤ ـ القاموس المحيط، الفيروز آبادي.
٧٥ ـ البحر المحيط، أبو حيان التوحيدي.
٧٦ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي.
٧٧ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني.

٧٨ـ صحيح الجامع الصغير، السيوطي.
٧٩ـ شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي.
٨٠ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.
٨١ـ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو حسن الأشعري.
٨٢ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، مبارك بن محمد الأثير.
٨٣ـ الأربعين في أصول الدين، محمد عمر الرازي.
٨٤ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي.
٨٥ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي وابنه محمد.
٨٦ـ الروح، ابن قيم الجوزية.
٨٧ـ اللمحات، شهاب الدين يحيى بن حبش السمهروردي.
٨٨ـ النجاة، الحسين بن علي بن سينا.
٨٩ـ الحلية، أبو نعيم.
٩٠ـ الزهد، عبد الله بن مبارك.
٩١ـ السنة، ابن أبي عاصم.
٩٢ـ ضعيف الجامع، ناصر الدين الألباني.
٩٣ـ النهاية، ابن أبي الدنيا.
٩٤ـ نوادر الأصول، الحكيم الترمذي.
٩٥ـ الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
٩٦ـ تهافت الفلاسفة، محمد الغزالي.
٩٧ـ تهافت التهافت، ابن رشد.
٩٨ـ رسالة اضحوية في أمر المعاد، ابن سينا.

٩٩ـ موارد الظمآن، الهيثمي.
١٠٠ـ مجاز القرآن، أبو عبيدة.
١٠١ـ الإنصاف، الباقلاني.
١٠٢ـ الرسالة التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية.
١٠٣ـ الإنسان في فكر إخوان الصفا، عبد اللطيف محمد العبد.
١٠٤ـ عظم المنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، الأهدل.
١٠٥ـ الدر المنثور، السيوطي.
١٠٦ـ المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي.
١٠٧ـ الفتوحات الإلهية، الجمل.
١٠٨ـ فقه السنة، سيد سابق.
١٠٩ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية.
١١٠ـ الإقناع، الحجاوي.
١١١ـ هدي الساري، مقدمة فتح الباري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
١١٢ـ بذل المجهود، السهارنفوري.
١١٣ـ حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية.
١١٤ـ فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
١١٥ـ الجنة في القرآن الكريم، سليمان حسن رطروط.
١١٦ـ شرح الطيبي علىٰ مشكاة المصابيح، الطيبي.
١١٧ـ الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري.
١١٨ـ حاشية العطار علىٰ جمع الجوامع، ابن سبكي.
١١٩ـ شرح الأشموني علىٰ الفيه بن مالك مع حاشية الصبان، الأشموني.
١٢٠ـ حاشية الخضري علىٰ شرح ابن عقيل.

١٢١ـ القطر، ابن هشام.
١٢٢ـ مغني اللبيب مع حاشية محمد الأمير.
١٢٣ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي»، ابو سعيد ناصر الدين البيضاوي.
١٢٤ـ إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، أبو عبد الله محمد بن خليفة المالكي.
١٢٥ـ تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبدالرحمن المباركفوري.
١٢٦ـ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، الحافظ جلال الدين السيوطي.
١٢٧ـ مختصر الترغيب والترهيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
١٢٨ـ معارج القبول شرح مسلم الوصول إلىٰ علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد الحكمي.
١٢٩ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبة لفيف من المستشرقين الألمان.
١٣٠ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، رتبة الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي.
١٣١ـ المنامات، ابن أبي الدنيا.
١٣٢ـ شرح الصدور، السيوطي.

الفهرس